

مجلة العلوم الإنسانية

مجلة علمية محكمة، سداسية تصدرها
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية
جامعة وهران 1 أحمد بن بلة

العدد 10 جانفي / جوان 2016

مدير النشر

الأستاذ الدكتور دحو فغورور

رئيس التحرير

الأستاذ الدكتور محمد صاحبي

Revue N° 10
ISSN: 2253-0975
EDITIONS
DAR ELQODS EL ARABI
84 cooperative elhidaya belgaid – ORAN
Tel: 0556230762-0792339956 FAX: 041503206
quds_arabi@hotmail.fr
حقوق الطبع محفوظة



هيئة التحرير

أ.د عبد المجيد بن نعمة	أ.د عبد القادر خليفي
أ.د محمد دادة	د. محمد برقان
د.ة فلة بن غربية	د. الأزرق بن عبد الله
د.العربي بن حجار ميلود	د.ة رقية بحوصي
أ.رابع عمّار	أ.جبران خليل ناصر
د. بن سادات نصر الدين	أ.الأعرج مرسلي

الهيئة العلمية

أ.د محمد القورصو	أ.د عبد المالك بن سبتي
أ.د الأخضر الأخضراري	أ.ة أم الخير العقون
أ.د محمد داود	أ.د محمد موفق
أ.د رابع لونيبي	أ.ة جهيدة بوجمعة
أ.د حنيبي هلايلي	د. كمال بوكرزازة
د.أحمد عمراني	د.بن عمر حمدادو
د.ة أم الخير تومي	د.ة شايب الذراع بنت النبي

ردمك 2253-0975

جانفي / جوان 2016

والمجلة ترحب بالإسهامات العلمية في مجالات العلوم الإنسانية بجميع فروعها
وبالأخص في الميادين التالية:

- التاريخ وعلم الآثار
- علم المكتبات والمعلومات
- علوم الإعلام والاتصال

المواد العلمية التي تتلقاها المجلة

- الدراسات العلمية الأصيلة، المتصلة بالبحوث التي لم يسبق نشرها.
- دراسة وتحقيق المخطوطات.
- مراجعات الكتب والتعليقات عليها.
- تقارير المؤتمرات والندوات التي لها علاقة بموضوعات المجلة.

شروط النشر

- على الباحثين التقيد بالشروط العلمية والمنهجية المطلوبة في النشر: الأصالة،
التوثيق والجدة.

- تخضع المقالات المقدمة للمجلة للتقييم من طرف خبراء محايدين.

- الآراء الواردة في المقالات تخص أصحابها، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.
- أن لا يفوق حجم المقال 20 صفحة، مرفوقا بملخص باللغة الأجنبية إذا
كان المقال باللغة العربية والعكس صحيح.

- يجب أن تكتب المقالات على الحاسوب بخط Traditional 14 arabic، تبعث
عن طريق البريد الإلكتروني أو تسلم مسجلة على قرص مضغوط CD-ROM مع
نسخة ورقية.

- المقالات والبحوث التي يقترح المحكمون إجراء تعديلات أو إضافات عليها
تعاد إلى أصحابها، لإجراء تلك التعديلات قبل النشر.

تبعث المقالات على البريد الإلكتروني الآتي:
Revuescienceshumaines_univoran@yahoo.fr

أو على العنوان التالي:

مجلة العلوم الإنسانية

كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية

- جامعة وهران - الجزائر

ص.ب 1514، المنور 31000

وهران- الجزائر

الهاتف: (00213)0550432329 (00213)0560172868

كلمة مدير النشر

كلمة رئيس التحرير

فهرس المحتويات

- 05..... كلمة مدير المجلة.....
07..... كلمة رئيس التحرير.....

المحور الأول

احتفالية المولد النبوي الشريف في الجزائر.

- 13..... **أ.د عبد القادر خليفي**.....
الدور الثقافي والحضاري لمدرسة مازونة الفقهية خلال العهد العثماني.
39..... **أ.قدور بوجلال / أ.د دحوفغورور**.....
مسألة مسألة تجنيد الاستعمار لأبناء شمال إفريقيا في حروبه الاستعمارية
والمواقف المحلية منها
67..... **أ. شيخ لعرج**.....
التنظيم العسكري لفيدرالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا.
84..... **أ.قرناشي إيمان / أ.د. جيلالي بلوفة عبد القادر**.....

المحور الثاني

التشريع الأرشيفي في الجزائر.

- 107..... **د.ة بحوصي رقية**.....
أدوات ومحركات البحث في الإنترنت وخبرات التعامل معها في البحث
العلمي.
131..... **د.ة بن عمروش فريدة**.....
استخدامات الشباب لوسائل الاتصال الحديثة: دراسة ميدانية في
المؤسسة التربوية.
157..... **د.ة فاطمة ميدان**.....
استخدام قواعد بيانات النظام الوطني للتوثيق على الخط في الجامعة
الجزائرية.
179..... **أ. صغيري الميلود**.....

المحور الثالث

- قراءة في مفهوم الخطاب وخصائصه عند العرب والغرب: مقارنة نظرية
د. محمد برقان.....199
- دور الفيس بوك في تدعيم الحوار بين المنظمة والجمهور، دراسة في إطار
نظرية الاتصال الحوارية (الجزء الأول).
حاتم علي حيدر الصالحي.....221
- الأشكال التفاعلية في مواقع الصحافة الإلكترونية.
أ. رابع عمار.....242
- مصداقية الإعلام الجديد: مقارنة سوسيو إعلامية.
د. سمير رحمانى / أ. بن علي سماش.....258

المحور الرابع

- البعد الاستيطاني لأيقون الزيتون عند الفنان محمد خدة.
د. عمارة كحلي.....275
- ضمانات المتهم أثناء الاستجواب أمام قاضي التحقيق، في ظل قانون
الإجراءات الجزائية الجزائري.
أ. دايخ سام.....291
- أجراً مفهوم العقلنة في النظرية السيكوسوماتية.
د. انتصار صحراوي.....314

مستخلصات المقالات العربية

- الاتفاقيات الأنجلو-عمانية حول تجارة الرقيق: 1873-1903
د. يوسف بن عبد الله الفيلاي.....337
- ردود الفعل الأولية للجزائريين إزاء الاحتلال الفرنسي 1830 / 1834
د. سيفو فتية.....338
- الهوية بين "الأنا" الفردي و"نحن" الجماعية.
د. بكري سعدية.....339

المحور الأول

احتفالية المولد النبوي الشريف في الجزائر

أ.د عبد القادر خليفي
جامعة وهران 1 أحمد بن بلة

مقدمة

تحيي شعوب العالم كلها ذكريات أبطالها وأمجاد رجالها، وتعيد نشر أعمالهم والتحدث عن منجزاتهم، وبخاصة بين شباب الأمة. ليتعظ الناس ويتحاشوا سبيل الغفلة، ويستقوا أعمال أسلافهم العظماء ليكون ذلك نبراسا لمستقبلهم وضياء ينير دروبهم نحو العزة والمجد.

ومحمد رسول الله وخاتم النبيين هو أعظم شخصية في اعتقاد المسلمين باعتباره رسول الإسلام، استطاع في مدة قصيرة أن ينشئ الدولة الإسلامية الأولى وعاصمتها المدينة المنورة. ويدين اليوم بدين الإسلام مئات الملايين من البشر، وتتوسط البلدان الإسلامية العالم القديم في إفريقيا وآسيا وحتى في أوروبا.

لم يقتصر الإعجاب بمحمد -صلى الله عليه وسلم- وتعظيمه، على المسلمين فحسب، بل تجاوزهم إلى أناس من قوميات أخرى؛ فقد اعترف بفضله أحد علماء العصر الحديث، وهو مايكل هارت في كتابه: "أكثر الشخصيات تأثيرا في العالم"، الصادر سنة 1970 باللغة الإنكليزية؛ حيث وضعه في صدارة قائمة المائة شخصية المؤثرة في العالم، يليه اسحق نيوتن فالمسيح عيسى عليه السلام فبوذا فكونفوشيوس...¹

وقد بدأ المسلمون يحيون ذكرى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، من خلال الاحتفال بمولده في شهر ربيع الأول من كل عام. وانتشرت ظاهرة الاحتفال هذه منذ ظهور الدولة الفاطمية في شمال إفريقيا، ومنها انتقلت إلى مختلف الشعوب الإسلامية؛ حيث وجد المسلمون في هذا الاحتفال فرصة للتعبير عن حبهم للنبي والتعلق به وإتباع سنته واستعادة ذكره بإحياء يوم مولده.

ولد النبي محمد صلى الله عليه وسلم، من أبيه عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، ومن أمه آمنة بنت وهب، في اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول من عام الفيل، كما يسميه العرب، وهو التاريخ الموافق لعام 570 ميلادية، في هذا العام هاجم أبرهة الحبشي مكة المكرمة بهدف هدم كعبتها المشرفة، بعد أن حاول تحويل حججها إلى الكنيسة التي بناها قومه في صنعاء، وكانت نهاية جنوده الهزيمة والفشل.

يذكر جلال الدين السيوطي أن "أول من أحدث فعل ذلك -صاحب أربل- الملك المظفر أبو سعيد كوكبري... أحد الملوك الأمجاد والكبراء الأجواد..."² المتوفى سنة 630هـ/1232م، وقد عاصر صلاح الدين الأيوبي. صنف له أبو الخطاب ابن دحية مجلدا في المولد النبوي سماه: "التنوير في مولد البشير النذير"؛ فأجازه على ذلك بألف دينار.

إن المتتبع لكتب التاريخ لن يجد أحدا قبل الفاطميين احتفل بذكرى المولد النبوي؛ فقد كان الناس يحتفلون بالذكرى في مصر احتفالا عظيما، في عهد المعز لدين الله الفاطمي العبيدي الباطني من بني عبيد القداح.³

بين القبول والرفض

إذا ما عدنا إلى السنين الأولى من العصر الإسلامي فلن نجد مثل هذا الاحتفال؛ فلم يول المسلمون الأوائل أهمية ليوم مولده صلى الله عليه وسلم؛ ولم يخلده صحابته ولا التابعون، ولهذا لم يسن هذا العيد في الإسلام، وبعد مرور قرون عديدة، ونظرا للشوق الذي يكنه المسلمون للرسول صلى الله عليه وسلم، بدأوا الاحتفال بمولده رسميا وشعبيا. وهو لا يعدو كونه بدعة استحسنتها بعض علماء هذه الأمة وأقروها، في الوقت الذي استقبلها آخرون وأنكروها بشدة، ومنهم من يعتبر الأمر مجرد استعادة ذكرى بطل عربي مسلم مثلما يفعلون مع بقية زعماء الأمة الذين اشتهروا بأعمالهم وإنجازاتهم السامية لصالح الأمة والمجتمع، وإن كان يفوقهم جميعا بخصاله ومواهبه الكبيرة وبقدسيته ومعجزاته. وما زال أمرها خلافيا إلى الآن.

فمن الذين استحسنتها الإمام الحافظ أبو الفضل ابن حجر العسقلاني، حين يقول: "أصل عمل المولد بدعة لم تنقل عن أحد من السلف الصالح من القرون الثلاثة، ولكنها مع ذلك قد اشتملت على محاسن وضدها، فمن تحرى في عملها المحاسن وتجنب ضدها كان بدعة حسنة."⁴ ومنهم الإمام السخاوي، حين يقول: "...فرحم الله امرئ اتخذ ليالي هذا الشهر المبارك وأيامه أعيادا لتكون أشد علة على من في قلبه مرض وأعياء."⁵

وقد اتخذ جلال الدين السيوطي موقفا مشابها في هذه القضية، حين سئل عن عمل المولد، وقيده في كتابه، الذي خصصه للمولد النبوي والموسوم بحسن المقصد في عمل المولد: "والجواب عندي، أن أصل عمل المولد الذي هو اجتماع الناس، وقراءة ما تيسر من القرآن، ورواية الأخبار الواردة في مبدأ أمر النبي صلى الله عليه وسلم، وما وقع في مولده من الآيات، ثم يمد لهم سماطا يأكلون وينصرفون من غير زيادة على ذلك؛ من البدع الحسنة التي يثاب عليها أصحابها، لما فيه من تعظيم قدر النبي صلى الله عليه وسلم، وإظهار الفرح والاستبشار بمولده الشريف."⁶

ولكنه ينكر بعض الأعمال المشينة التي كانت تمارس في المناسبة كاستعمال آلات الطرب، ويقول: "فمن ذلك استعمالهم المغاني ومعهم آلات الطرب من الطار المصصر والشبابة وغير ذلك مما جعلوه آلة طرب للسمع، ومضوا في ذلك على العوائد الذميمة."⁷

ويناقش مسألة تفضيل بعض الشهور وبعض الأيام كشهر رمضان ويوم الاثنين الذي ولد فيه النبي صلى الله عليه وسلم، ويذكر أنه علينا أن نفضل هذا الشهر (بيع الأول) ونشرفه. "فعلى هذا ينبغي إذا دخل هذا الشهر الكريم أن يكرم ويعظم ويحترم الاحترام اللائق، إتباعا له صلى الله عليه وسلم في كونه كان يخص الأوقات الفاضلة بزيادة فعل البر فيها وكثرة الخيرات." ويضيف: "فعلى هذا فتعظيم هذا الشهر الشريف إنما يكون بزيادة الأعمال الزاكيات فيه والصدقات إلى غير ذلك من القربات."⁸

ويقول أحمد حماني، أحد أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ورئيس المجلس الإسلامي الأعلى سابقا بالجزائر في هذا المجال ما يلي: "وقد اعتادت الأمة الإسلامية، كل سنة، أن تحتفي بذكرى ميلاده في اليوم 12 من أول الربيعين، وأن تعتبر هذا اليوم عيدا لها. يصطبغ بالصبغة الدينية، وإن لم يكن عيدا دينيا بالمعنى الشرعي."⁹

ويقول أيضا: "إن يوم محمد صلى الله عليه وسلم في الأيام، لهو اليوم الأغزر وإن ذكره لأجل الذكر، وإن العبرة في ذلك لأعظم العبر."¹⁰

ويوضح سبب هذا الاتفاق بقوله: "وهم اليوم مجمعون على الاحتفاء فيه، والاحتفال به حبا في محمد عليه الصلاة والسلام ووفاء له وتمسكا بشريعته وإعلانا للارتباط بسنته. ومن أحق الناس باحتفاء المسلمين واحتفالهم به، وإظهار محبته والتعلق به، وإعلان الوفاء له والابتهاج بيومه، من محمد صلى الله عليه وسلم ويومه؟"¹¹

أما مولود قاسم نايت بلقاسم المفكر الجزائري ووزير التعليم الأصلي والشئون الدينية السابق فيوافق على إقامة هذا الاحتفال مبررا ذلك بما تفعله الدول الكبرى المتطورة من إحياء لذكرى أبطالهم ويقول: إن "الدول المتقدمة اليوم تحتفل بأدنى شيء من مظاهر حضارتها وماضي فكرها ومجدها. نجد ذلك في البلدان المتطورة التي لا تحتاج إلى دعاية كثيرة في الواقع.. تريد بذلك غرس الاعتزاز بماضيها في شبابها والإشادة بأمجادها لتبقى تلك القيم دائما حية في أولادها، ولتتمد الأجيال التي تأتي بعدها بتلك الشعلة."¹²

ولذلك فهو لا يرى مانعا من استعادة ذكرى أبطالنا ومآثرنا السابقة، مبررا ذلك بقوله: "ونحن علينا أن نفعل ذلك ليس فقط حتى لا يتوهم شبابنا أننا نعيش من فتات البشرية فقط، ولم نزد على تراثها شيئا، بل أيضا لنغرس في نسلنا روح الاعتزاز وروح الثقة بماضيه وبتقاليده وبأصالته وبتراث أجداده، بأمجاده لتستمر في الإنتاج ليستأنف هذه المسيرة ولينتج

للبشرية، وليستمر قدما في مصاف الأمم في هذه المسيرة الحضارية والفكرية...¹³

أما من ينكر هذا الاحتفال فيعتبره بدعة، لم يسنها الرسول ولا أصحابه من بعده، وهو المبرر الأساس عندهم؛ وهذا استنادا إلى حديث النبي صلى الله عليه وسلم: "وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار."¹⁴ وقوله: "وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة." وغير ذلك من الأحاديث المشابهة.

ومن المنكرين لإقامة الاحتفال بذكرى المولد النبوي نذكر أيضا الإمام ابن تيمية والإمام الشاطبي وابن الحاج المالكي والشيخ عبد الرحمن بن باز وتاج الدين الفكهاني وغيرهم... حيث يرون ذلك زيادة في الدين، لم يقم به السلف الصالح، وهم الأولى بمحبة الرسول من غيرهم، وإتباعهم أولى من مخالفتهم، فهم القدوة والأسوة الحسنة.

ويزداد اعتراض مثل هؤلاء من المعاصرين، حين يرون بعض الممارسات والطقوس التي تقوم بها العامة من الجزائريين ومن غيرهم في البلاد الإسلامية في هذه المناسبة، من مبالغات كتبذير المأكولات والمشروبات، وما يقوم به الناس من تجاوزات تتنافى والتعاليم الإسلامية؛ وما يقوم به الأطفال من إطلاق للمفرقعات وإحداث الضجيج، مما يؤدي إلى إقلاق الناس في راحتهم؛ وقد يؤدي هذا إلى حروق وإعطاب هؤلاء الأطفال أنفسهم في أيديهم ووجوههم.¹⁵

ويرفض هؤلاء الاحتفال بالمولد النبوي مستندين في ذلك على ما تقوم العامة الذين حولوا الاحتفال إلى نوع من العادة المستهجنة مما قد يرتكب فيها من فواحش أو ممارسات بعيدة عن السنة النبوية. ولذا فإن من شروط إقامة هذا الاحتفال هو التقيد بما جاء به النبي من فروض وسنن، وعدم تجاوزها إلى ما يشينها من قريب أو بعيد.

وقد أنكر رجال جمعية العلماء ما كان يقوم به بعض العامة مما يسمونه "وعدات"، يقيمون فيها الإطعام حول قبور أولياء بلدانهم ويتمسحون بالأضرحه، وهي ممارسات قد تصل بصاحبها إلى الشرك بالله سبحانه. تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

وفي هذا يقول أحمد حماني عضو جمعية العلماء، إن بعض الناس "ابتدعوا موالد... وأقاموا لها احتفالات مصبوغة بالدين. وهم عن الأركان والفرائض من الدين غافلون. وعن الصلاة لاهون، كثير منهم أَلصقوا بها بدعا ومنكرات شنيعة وارتكبوا فيها موبقات فظيعة، مما يتبرأ منه الدين ويشمئزلى رؤيته كل ذي خلق قويم."¹⁶

الاحتفال بالمولد النبوي في الجزائر

لنعد الآن إلى وضعية الاحتفال بالمولد النبوي في الجزائر، ولنتتبع بعض هذه الاحتفالات في البلاد الجزائرية من خلال بعض المحطات التاريخية:

1- في العهد الزياني

كان الناس يحتفلون بذكرى المولد النبوي في العهد الزياني (633-966هـ/1236-1554م) احتفالا كبيرا يفوق كل احتفال، وكان للملوك مشاركة ملموسة، مما يضفي على الاحتفال نوعا من الرسمية، ومما يشجع على انتشار هذه الظاهرة بين مختلف طوائف المجتمع. وكان السلطان أبو حمو موسى الثاني (760-791هـ) من أكبر المشجعين على الاحتفال بالمولد النبوي، والذي أولاه أهمية كبيرة، يتضح ذلك مما ذكره صاحب كتاب "بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد."¹⁷ كما اشتهر هذا السلطان في الوقت نفسه بأثار أدبية تنبئ عن ثقافة عربية لا يستهان بها. أهمها كتابه: "واسطة السلوك في سياسة الملوك".

كان أبو حمو "يشرف على هذه الاحتفالات بنفسه ويقيم لها بقصره عرسا من الزينة والجمال؛ فقد كان يدعو أهل الرأي والعلم والفضل من سكان تلمسان في كل مولد يصادفه بعروس الجزائر الخضراء... وكان

المحتفلون يقضون الليل كله في ترديد الأوراد والأذكار الخاصة بمدح النبي..¹⁸

وكان أبو حمو من المولعين بالقصائد المولدية التي تخلد الذكرى، وقد أبدع هو نفسه في ذلك قصائد بليغة في مدحه صلى الله عليه وسلم، يظهر فيها الشاعر أبو حمو شوقه ومحبه للرسول. وإلى جانب ذلك كان أبو حمو شاعرا في أغراض مختلفة كالغفر والحماسة والثناء.

وقد أشار المؤرخون لدولة بني زيان إلى اهتمام ملوكها بالاحتفال بليلة المولد الشريف شأنهم في ذلك شأن بني الأحمر بالأندلس وبني مرين بفاس وغيرهم من السلاطين.¹⁹ ومن ثم تتضح خلفيات إشراف دول الغرب الإسلامي على الاحتفال بالمولد النبوي وتعبئة كل الفئات الاجتماعية، ومن ضمنهم المتصوفة بالأندلس، الذين طبعت احتفالاتهم بطابع تقديسي، مفعم بالدلالات والرموز الراسخة في البنية الثقافية الأندلسية..²⁰

ويقول أحد الكتاب الجزائريين السابقي الذكر في هذا المجال: "صادمتنا مادة ضخمة ثرية لا ينقطع مدادها، ولا تنتهي أبعادها. فقد كان الشعراء الزيانيون كلفين أشد الكلف بالقصائد المولدية يقرضونها في مدح النبي صلى الله عليه وسلم كلما تجددت ذكريات مولده مع السنين..²¹

وها هو وصف لواحدة من تلك الاحتفالات الكبيرة، يقول مؤلف كتاب "بغية الرواد" ما يلي: "وأظلت ليلة المولد النبوي، على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التسليم، فأقام لها (أبو حمو موسى) بمشوار دار العلية مدعى كريما وعرسا حافلة، احتشدت لها الأمم وحشربها الأشراف والسوقة، فما شئت من نمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة ومشامع كأنها الاسطوانات القائمة على مراكز الصفر المموهة، والخليفة، أيده الله، صدر مجلسها ممتطيا سرير ملكه يسر الناظرين رواؤه، ويثلج الصدر عزه، وتحارب في كمالات خلاله النهى..²²

ويواصل الكاتب وصف ذلك التجمع البشري بكل أطيافه، وما يقدم لهم من أصناف الأطعمة واللهو. كما يصف تلك "المقانة" ذات تماثيل اللجن

المحكمة وما يخرج من جوفها من أعاجيب، ويصفها بأنها من حيل أحكمت يد الهندسة وضعها. أما دورها فتحديد الساعات الزمنية...²³

وكان الاحتفال بالمولد النبوي يستمر طوال ليلة المولد، يقول المؤلف في هذا المجال: "...ولم يفارق الخليفة، نصره الله، مجلسه أول الليل إلى أن صلى الصبح في الجماعة، ثم غدا على داره السعيدة.. وعلى هذا الأسلوب مرت المواليد النبوية بعد هذا في مدته السعيدة، طالت أيامها وانتشرت في هضاب أعلامها."***

وقد قسم صاحب الكتاب المذكور كتابه، منهجيا، بحسب السنوات الهجرية. وبما أن الخليفة كان يحتفل بالمولد النبوي على الدوام؛ فإننا سنجد قصائد مدح النبي في كل سنة من السنوات المذكورة. من قبل الخليفة الشاعر؛ ومما يلاحظ على تلك القصائد أنها على ميزان واحد وهي كلها بائية، كما ترد قصائد مماثلة لشعراء غيره.

ويقول محمد بن عبد الله التنسي: "وكان يقوم بحق ليلة مولد المصطفى صلى الله عليه وسلم، ويحتفل لها بما هو فوق سائر المراسم، يقيم مدعاة يحشر لها الأشراف والسوقة، فما شئت من نمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة وشمع كالأسطوانات، وأعيان الحضرة على مراتبهم، تطوف عليهم ولدان قد لبسوا أقبية الخز الملون، وبأيديهم مباخر ومرشات، ينال منها كل بحظه.."²⁴

ومن المولدات في شعر أبي حمو قصيدة وردت في كتاب بغية الرواد، نقتطف منها تشوقه إلى زيارة قبر النبي خلال احتفاله بمناسبة ليلة المولد النبوي، وذلك في قوله:

الحب أضعف جسمي فوق ما وجبا	والشوق ردّ خيالي بالسقام هبا
والبين أشعل نار الوجد في كبدي	والدمع يضرهما في القلب وا عجبا.
ويذكر النبي ويقول:	
فهو الحبيب بأقصى الشرق شوقني	والقلب من أجله في الكرب قد نشبا
صلى عليه إله العرش خالقنا	ما غنت الطير في أفنانها طربا

ثم السلام عليه دائما أبدا ما أطلع الأفق من أنواره شهبا.²⁵
ويذكر صاحب كتاب "بغية الرواد" احتفال أبي حمو بذكرى المولد مرة
أخرى قائلا: "وحضرت ليلة الميلاد النبوي على صاحبه أفضل الصلاة
والسلام. فكان الاحتفال بمدعاها عظيما. وما أنشده مسمعا من نظم مولانا
الخليفة، أيدته الله مدحا في شفيعه خير المرسلين صلى الله عليه وسلم قوله:

بلاد مقدسة حلها	نبي الهدى المصطفى المجتبي
فشهر ربيع أتى برفيع	نبي شفيح لمن أذنبا
نبي أتى رحمة للعباد	وأظهر للحق نورا خبا
ونيران فارس قد أخدمت	فله ذلك ما أعجبا
وكسرى تساقط إيوانه	وذاق من الرعب كأس الظبا
وكلمت الوحش للمصطفى	ونطق الذراع له أعجبا
وحنّ له الجذع مستوحشا	وكلمه الظبي مستغريا
وشقّ له البدر عند التمام	وردّت له الشمس أن تغريا
وأسرى به ليلة الإرتقا	إلى قاب قوسين أو أقريا
وكم معجزات لخير الورى	تجلّ عن الوصف أن تحسبا. ²⁶

نستنتج مما سبق شدة عناية الزينيين بعامة وأبي حمو بخاصة بذلك
القدر من الاهتمام الكبير بالمولد النبوي الشريف، وكيف كان أبو حمو يعظم
ذلك اليوم وتلك الليلة بما يليق، بحسب ما كان يراه تذكيرا وتعظيما، وبما
كان يلقي في تلك المناسبة من قصائد مدح وشوق عظيم للنبي صلى الله عليه
وسلم.

2- في دولة الأمير عبد القادر

كان الأمير عبد القادر قائد المقاومة الجزائرية ضد الاستعمار
الفرنسي (1832-1847) حين انسحبت السلطة العثمانية منهزمة أمام
القوة الفرنسية في جويلية سنة 1830، يحيي ذكرى الولد النبوي، وقد أورد
ابنه محمد في كتابه تحفة الزائر نصا يبين فيه كيفية احتفال الأمير بهذه

الذكرى. وجاء العنوان كالتالي: "ذكر احتفال الأمير للمولد النبوي والعيدين".
والنص هو:

"كان يحتفل للمولد النبوي أيام إمارته (الأمير) احتفالا عظيما، فيخرج يوم المولد الشريف هو وخاصته وأمراء جيشه إلى أرض فيحاء متسعة، ثم تصنع العسكر فيها شبه محاربة، بحيث تقف العسكر المشاة المنظمة كهياة قلعة مربعة الأركان، ويضعون ما يحتاجون إليه من البارود والذخائر وسط تلك القلعة، ويجعلون في كل ركن من أركانها مدفعين..." وبعد أن يفصل الكاتب كيفية إجراء تلك الألعاب بالفرسان والبارود بين الفرسان حراس القلعة والخيالة المهاجمة، يضيف الكاتب قائلا: "... ويستغرق هذا العمل مقدار ساعتين من النهار، فيشاهد الناظر من تلك الأفعال ما تقر له الأعين وتتهيج به النفوس، وتقول في حقه الألسن لا عطر بعد العروس..."²⁷

واحتفال الأمير عبد القادر بالمولد النبوي في ذلك العصر، دليل على وجود هذا الاحتفال بين مختلف فئات الشعب الجزائري من حوله من جهة، كما أنه تقليد لما سار عليه سلفه من الجزائريين. ونظرا لظروف الأمير الحربية الجهادية، فقد ربط الاحتفال بالمولد النبوي بالظاهرة العسكرية عن طريق إشراك أفراد جيشه في إحياء المناسبة، وفي التعبير عن الاحتفال بموضوع عسكري، وهو عملية الهجوم والدفاع.

3- عند ابن باديس

لم يشذ الشيخ عبد الحميد بن باديس عن الذين يحيون ذكرى المولد النبوي، وعن هذه الظاهرة التي انتشرت في العالم الإسلامي، باعتباره أحد أعلام الجزائر في النصف الأول من القرن العشرين، وزعيما لأهم مؤسسة ثقافية جزائرية أصيلة، كانت لها مواقف خطيرة في حياة الجزائريين في العهد الاستعماري، وهي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

وقد نشرت صحيفة الشهاب الصادرة بقسنطينة بتاريخ 11 جوان 1937م/ربيع الثاني 1356هـ مقالا تحت عنوان: "تحية المولد الكريم"، جاء

فيه أنه أقيم حفل بمناسبة ليلة المولد تحت إشراف جمعية التربية والتعليم الإسلامية بقسنطينة؛ التي كان الشيخ ابن باديس قد أنشأها سنة 1931، وأدارها على ثلاثة أسس فلسفية: "قصدها قصدا، وقد أشار إليها صراحة في مجلة الشهاب، حيث قال: "بنى القانون الأساسي للجمعية من الوجهة التربوية على تربية أبناء المسلمين (الجزائريين) تربية إسلامية بالمحافظة على دينهم ولغتهم وشخصيتهم ومن الوجهة التعليمية على تثقيف أفكارهم بالعلم باللسانين العربي والفرنسي وتعليمهم الصنائع."²⁸

وألقيت في تلك السهرة قصيدة للشيخ عبد الحميد بن باديس، هي من أروع ما أبدع الشيخ من جهة، وأجل ما تحمل من معان ودلالات مرتبطة بالهوية الجزائرية برفض المساس بها أو إنكارها. جاء فيها:

ورقيت سامية الرتب	حييت يا جمع الأدب
ذوي الدسائس والشغب	ووقيت شر الكائدين
تسمو إليه من أرب	ومنعت في العلياء ما
يبيري النفوس من الوصب	أحييت مولده بما
أخلاق في نشء عجب	بالعلم والآداب وال
سّ بنائه السامي انتصب	نشء على الإسلام أسد
غذاه أشياخ نجب	نشء بحب محمد
وإليه - بالحق - انتسب	فيه اقتدى في سيره
إليه رايته نصب	وعلى القلوب الخافقات
يفري النفوس من النشب	بالروح يفديها وما
أو ببارقة القضب	ويخلقه يحمي حماها
من عزهم ما قد ذهب	حتى يعود لقومه
حق الحياة المستلب	ويرى الجزائر رجعت
في الشدائد والكرب	يا نشء يا ذخر الجزائر
فعمّ مجمعا الطرب	صدحت بلابلك الفصاح
فصحى ألدّ من الضرب،	وأذقتنا طعما من الـ

وأرّيت للأبصار ما قد قرّرت له لك الكتب
شعب الجزائر مسلم وإلى العروبة ينتسب..

وتضم القصيدة أربعين (40) بيتا كتب في نهايتها ما يلي: كتب قسنطينة
يوم الاثنين 13 ربيع الأول 1356/ (1937)²⁹.

وهكذا كانت أهم قصيدة للشيخ ابن باديس (شعب الجزائر مسلم..). قد
ظهرت بمناسبة إحياء ذكرى المولد، وكانت قصيدة رائعة معبرة كسبت شهرة
ودواما في دنيا الجزائر والجزائريين.

ويؤكد أحد أعضاء جمعية العلماء (مسعود البشير بن الشيخ) هذا
الاحتفال، ويذكر أن الشيخ عبد الحميد بن باديس "كان يغتنم المناسبات
الدينية مثل ذكرى المولد النبوي الشريف وشهر رمضان وعيدي الفطر
والأضحى ليقوم بنشاطات ثقافية ودينية لبث الوعي الوطني والديني في أوساط
الشعب الجزائري. لذلك فقد كان الاحتفال بذكرى المولد النبوي بحضور
الأفواج الكشفية "الرجاء" و"الصباح" في سنة 1937.. فرصة لميلاد النشيد
الجزائري الخالد الذي ألفه الإمام ابن باديس:

شعب الجزائر مسلم وإلى العروبة ينتسب..³⁰

ويتحدث محمد الصالح رمضان أحد أعضاء جمعية العلماء المسلمين
الجزائريين عن إحياء المولد النبوي في قسنطينة أيام ابن باديس، ويذكر أن
جمعية التربية والتعليم الإسلامية أقامت حفلا ليلة المولد لسنة 1939،
أحيت فيه النساء القسنطينيات فقط بالجامع الأخضر، وأن عدد من قد جاوز
الألف امرأة. ولم يحضر من الرجال إلا زهاء عشرين كان لا مناص من
حضورهم لتنظيم الحفل. كما حضرها الشيخ ابن باديس وألقى كلمة بهذه
المناسبة.³¹

وكان الشاعر المعاصر محمد العيد آل خليفة من الذين يشاركون في مثل
هذه الاحتفالات. وقد أبدع قصيدة أنشدها في احتفال المولد النبوي الذي

أقامته جمعية الشبيبة الإسلامية بنادي الترقى على عاداتها ونشرتها جريدة البصائر سنة 1937، نقتبس منها ما يلي:

ألا أنعم أيها النادي	بذكرى مؤيد الهادي
لقد جئناك ورّادا	على آثاره ورّاد
وقمنا في مسرات	وأفراح وأعياد
نحي خير مولود	بدا في خير ميلاد
نحي سيّدا في الخلد	ق متبوعا بأسياد
نحي مرشدا لم يبد	خ منهم أجر إرشاد..

ومن خلال سبعين بيت ينتهي الشاعر إلى القول:

ألا فليحي حزب الله	ه في نصر وإمداد
ألا فليحي دين الله	ه آماد الآماد. ³²

يتضح مما سبق أن الاحتفال بالمولد النبوي كان مترسخا في الأوساط الجزائرية الرسمية منها والشعبية منذ عهد بعيد، وأن استمرار هذا التقليد من محبة الرسول والتعلق به.

5- احتفالية المولد في الجزائر حاضرا

تحي اليوم ذكرى المولد النبوي رسميا في الجزائر بتنظيم دروس وندوات في المساجد وتخصيص خطب الجمع لاستعادة سيرة النبي واستعراض أعماله النبيلة في سبيل هداية الناس، استنادا إلى قوله تعالى: "وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها..."³³

كما يعتبر اليوم الثاني عشر (12) من شهر ربيع الأول من كل عام عيدا دينيا تتعطل فيه المؤسسات العامة مثله في ذلك مثل عيدي الفطر والأضحى ويوم عاشوراء وأول محرم، إذ أنها أعياد دينية باعتبار الدولة الجزائرية دولة مسلمة، أكدتها الدساتير الجزائرية منذ الاستقلال حتى آخر دستور لسنة 1996. باعتبار الدين الإسلامي دين الدولة (المادة: 2)

وقد دأب الجزائريون عامة على الاحتفال بهذه المناسبة بالتزاور والإطعام وطلاء الحناء في أيدي وأرجل الأطفال، وتحضير أكالات شعبية معينة بالمناسبة (تانقطة-الطمينة..)، والتغني بما يسمى "التمليد" أو "التبراش"، وهي مقطوعات شعبية منظومة تنشد من قبل النسوة ومن الأطفال، تمجد الرسول وتتغنى بخصاله، وقد تناقص كل ذلك سنة بعد أخرى نتيجة التشتت العائلي وظروف الحياة الجديدة وما تحمله من تطور في ميادين الاتصال والألعاب الإلكترونية، ولم يبق ظاهرا سوى تلك المفرقات التي يطلقها الأطفال هنا وهناك...

ولقد ربي المسلمون في الجزائر أبناءهم على حب الرسول صلى الله عليه وسلم؛ فهم يصلون عليه كلما ذكروه، وهم يسمون أول أبناءهم باسمه، وقد أكثر الشعراء من مدحه في قصائد كثيرة، مما دعا إلى تسمية الشعراء الشعبيين (شعراء الملحون) بـ "المداحين"، سواء لأنهم يلقون قصائد في مدح النبي أو أنهم يفتتحون مختلف قصائدهم الأخرى بمقطوعة في مدحه صلى الله عليه وسلم تيمنا وتبركا به. واشتهر رجال الطرق الصوفية في إبداع الكثير من قصائد المدح مما يردد بينهم كلما اجتمعوا في زواياهم ودورهم.

من ذلك ما جاء في أورد الطريقة الدرقاوية في الصلاة على النبي، والتي يرددونها المریدون خلال أيام وليالي المولد النبوي وفي غيرها من المناسبات نذكر ما يلي:

اللهم صل على سيدنا ومولانا محمد، حتى لا يبقى شيء من الصلاة عليه.
اللهم صل على سيدنا ومولانا محمد في الأولين. اللهم صل على سيدنا ومولانا محمد في الآخرين.

اللهم صل على سيدنا ومولانا محمد في الملائ الأعلى إلى يوم القيامة ما شاء الله، لا قوة إلا بالله العلي العظيم.

اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا ومولانا محمد، وأعطه الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته، إنك لا تخلف الميعاد.

اللهم عظم شأنه وبين برهانه وأبليج حجته وبين فضيلته وتقبل شفاعته في
أمته...³⁴

ومن الأدعية التي تتكرر لدى العديد من الطرق الصوفية هذا الدعاء:
"اللهم صل على سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي وعلى آله
وصحبه وسلم تسليما عدد خلقك ورضا نفسك وزينة عرشك ومداد
كلماتك." ومنها أيضا: "اللهم صل على سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك
النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليما بقدر عظمة ذاتك في كل وقت
وحين."³⁵

وتشترك الطرق الصوفية في ترديد قصيدة الشيخ البوصيري (البردة) في
مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، وتردد بخاصة أيام مولده (الأُسبوع الذي
يلي اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول)، والتي مطلعها:

أمن تذكر جيران بذي سلم مزجت دما جرى من مقلة بدم
أم هبت الريح من تلقاء كاظمة وأومض البرق في الظلماء من إضم..
ومما جاء فيها حول النبي صلى الله عليه وسلم:

محمد سيد الكونين والثقلين والفريقين من عرب ومن عجم
نبينا الأمر الناهي فلا أحد أبرّ في قول لا منه ولا نعم
هو الحبيب الذي ترجى شفاعته لكل هول من الأهوال مقتحم
دعا إلى الله فالمستمسكون به مستمسكون بحبل غير منفصم
فاق النبيين في خلق وفي خلق ولم يدانوه في علم ولا كرم
وكلهم من رسول الله ملتمس غرّفا من البحر أو رشقا من الديم..³⁶

فمحمد هو رسول الرحمة، أخرج الناس من الظلمات إلى النور بوجي من
الله سبحانه وتعالى، ولم يلتحق بربه إلا وقد تحررت شبه الجزيرة العربية
من المشركين، وأكمل أصحابه ثم أتباعه نشر دين الله في مختلف بقاع
الأرض. سار بالناس باللين وبالي هي أحسن طبقا لما أمره به الله سبحانه

وتعالى: "أذع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن.." ³⁷

وفي قوله سبحانه: "فبما رحمة من الله لنت لهم، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر". ³⁸

عند الأطفال:

إن التنشئة الاجتماعية في الأسرة وفي الجماعة التي ينقلها الكبار للصغار ومن السابقين إلى اللاحقين، هي التي ترسخ القيم وتحدد المفاهيم. والاحتفال بالمناسبات الدينية تزود الأطفال بالقيم والمفاهيم الضرورية وتشركهم في إحيائها والتشبع بدلالاتها. وما الاحتفال بشهر رمضان وعرفة وعيدي الفطر والأضحى وعاشوراء وختم القرآن والمولد النبوي، إلا مظاهر تربط الطفل بمحيطه وبمعتقدات الجماعة، والواقع أن الطفل مرآة لوالديه، يمارس حياته تبعاً لما تعلمه ورسخ في ذهنه من ممارسات يعيشها داخل الأسرة والمجتمع.

وقد كان أطفال الجزائر يحيون ذكرى المولد النبوي، إلى عهد قريب، باحتفال خاص مشابه لما هو متداول في مختلف البلاد المغاربية؛ حيث يجتمع أبناء الحي أيام المولد النبوي ويرددون أغان وأناشيد خاصة بهذه الذكرى، فيها مدح للنبي صلى الله عليه وسلم واستعادة ذكرى أمه آمنة ومرضعته حليلة السعدية وابنته فاطمة الزهراء. وهم في ذكرهم ذلك إنما يعتزون بنبيهم ويفخرون به، وبكل من له صلة به، منذ ولادته مروراً بالمشاكل التي اعترضت طريقه حتى التحاقه بالرفيق الأعلى. ³⁹

ومن تلك المقطوعات التي كانت تردد نذكر ما يلي:

صلى الله عليك يا نبينا يا الهاشمي يا رسول الله

صلى الله عليك ديما ديما يا الشريف ولد حليلة

أنت تفكنا من صهدات النار. ⁴⁰

ومنها أيضا:

آ مـولـودٌ آـمـولـود
والملائكة في السما
هذا مـولـودٌ النبي
يفرّحوا بولادة النبي
يا عايشة لا ترقدني
حلي الباب واتصنتي
يا عايشة لا ترقدني
والليلة زاد النبي.⁴¹

والأنشودة نوع من الشعر، وإيقاعية الشعر هي التي تمنحه الدوام والاستمرارية أفضل بكثير من النثر. والأطفال ميالون بطبعهم إلى التغني بالأناشيد، مما يؤدي إلى تنشيطهم وإدخال البهجة لديهم، وبها تطبع أذهانهم ونفوسهم بالقيم المرجوة في تنشئتهم.

يعرف عبد الفتاح عبد الكافي الأغنية أو الأنشودة في كتابه "الأدب الإسلامي للأطفال"، بأنها "نوع من أنواع الإبداع الشعبي، فهي غنية بفكرها، زاخرة بألحانها، عظيمة بمعانيها، إنها الصوت المحب للنفس، والوجدان المتدفق، الذي لا يقبل التزييف. هي للناس جميعا كالأرض والماء والنار."⁴²

يراقب الطفل والديه ويقلدهم في مراسيمهم ويعبر عن ذلك بكل عفوية، إن احتفالية الأطفال بمختلف أعياد المسلمين هي التي تعطي المناسبة مراسيمها وطابعها المميز. كانت الأم الجزائرية تقوم باكرا فجر يوم المولد النبوي، تطل من باب منزلها أو من شرفته لتطلق زغرودة حارة تخترق الجو الصامت فتزيده رهبة ومهابة، إنه مولد الرسول صلى الله عليه وسلم. يرى الأطفال ذلك فيحسون بالمناسبة ويطلقون العنان لغنائهم في تلك الأيام بمختلف التعابير.⁴³

لقد مرت سنون دامسة على الشعوب الإسلامية، ساد فيها الفقر والجهل، وسيطر الأجانب على مقدرات البلاد، الذين حاولوا طمس الهوية الإسلامية ودمج الشعوب المغلوبة على أمرها في بوتقة المستعمر، ولكن الحس الديني والوطني أعطى حصانة لهذه الشعوب، التي حمت نفسها باستعادة أمجادها وتنوير أبنائها وتذكيرهم بعظمتهم، كان أعظمهم محمد

صلى الله عليه وسلم، في انتظار اليوم الذي تتحرر فيه هذه الشعوب وتستعيد حريتها واستقلالها.

ومن حب الجزائريين لنبيهم محمد صلى الله عليه وسلم، ترسيخ اسمه بين الأجيال بإطلاق أحد أسمائه على أبنائهم، فكل عائلة لا يخلو اسم النبي من أحد أفرادها، وسنستعرض بعض هذه الأسماء فيما يلي من الفقرات. من الأسماء المتداولة للرسول محمد صلى الله عليه وسلم في المجتمع الجزائري:

جرت العادة في الجزائر أن يسمي الناس أول مولود لهم من الذكور باسم "محمد"، وقد يسمونه باسم مركب، كمحمد الأمين ومحمد الحبيب ومحمد الشريف ومحمد الصادق ومحمد الصغير ومحمد الطاهر ومحمد الطيب ومحمد الكبير ومحمد ندير.

أما الأسماء المعروفة للرسول في المجتمع الجزائري ومشتقاتها فهي (أغلبها):

محمد- أحمد- محمود- أمحمد- سيدي محمد- سيد أحمد- حميدة- حميد- حمداوي- حميدات- الطاهر- طاهري- طهراوي- طاهيري- الحبيب- حبيبة- محبوبي- مصطفى- مصطفىاوي- الميلود- مولود- ميلودة- ميلودي- المختار- مختارية- مختاري- الطيب- طيباوي- طيي- البشير- بشيري- ندير(نذير)- طه- يس- الماحي- الأمين- بلقاسم- بلقاسمي- بلقاسيمي- قاسم- الهاشمي- بلهاشمي- الهاشمية- عدنان- عدناني- الصادق- صديقي- صادق- المدني- مكي- المكي- مكية- مكاوي- التهامي.

وتختلف دلالات كل اسم من هذه الأسماء، سنحاول التعريف بكل واحد منها على النحو التالي:

****محمد:** هو المحمود حمدا بعد حمد. وهو الاسم المشهور للنبي صلى الله عليه وسلم، الذي ورد في القرآن الكريم. مثل قوله سبحانه: "محمد رسول الله والذين معه أشدء على الكفار رحماء بينهم".⁴⁴ و"وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل..."⁴⁵

****أحمد:** سماه الله سبحانه في صريح القرآن حكاية عن نبيه عيسى عليه السلام: "وإذ قال عيسى بن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يديّ من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد..."⁴⁶

****أمحمد-محمود:** امحمد: تحوير لاسم محمد، أما محمود: فتعني حامد لله ومحمود عند غيره، ويسمي بعض الجزائريين في منطقة القبائل اسم **محمد**.
****الأمين:** سماه العرب بذلك قبل ظهور الإسلام، وهو في الإسلام أمين الله على وحيه ودينه.

****البشير:** أي المبشر لمن أطاعه بالثواب وبالجنة.

****ندير(ندير):** أي المخبر والمخوف من عاقبة الأمور. يقال من أنذر فقد أعذر.
****بلقاسم- قاسم- قاسمي:** اسم عامي لأبي القاسم، وهذا نسبة إلى ابنه القاسم وهو أكبر أولاده، حيث كان الرسول صلى الله عليه وسلم يكنى بأبي القاسم.

****التهامي:** تهامة أرض منخفضة بين ساحل البحر الأحمر وجبال الحجاز واليمن. كما أنها تعني مكة أو بلاد شرقي الحجاز وإلى الجنوب منها، والنبي محمد هو ابن هذا المكان. فهو منسوب إلى تهامة وهي مكة، وعليه يصبح وصف النبي صلى الله عليه وسلم بالتهامي وباليميني بهذا المعنى.
****الحبيب:** هي من صفات النبي، فهو حبيب الرحمن وحبيب المسلمين.

****الصادق:** لقبه قومه بالصادق الأمين، وهو المصدق لما نزل عليه من الوحي.

****الطاهر:** هو الطاهر في نفسه من النقائص الحسية والمعنوية.

****طه- يس:** اسمان وردا في القرآن الكريم، وتسمى سورتان بالاسم نفسه: سورة يس، وسورة طه.

****الطيب:** الطيب من الناس هو كل من تحلى بالفضائل وتخلّى عن الرذائل. وهو طيب الرائحة وطيب الأخلاق.

****عدنان، عدناني:** عدنان هو جد القبائل العربية من إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وهو بالتالي أحد أجداد النبي صلى الله عليه وسلم. وعدناني: نسبة إلى عدنان.

****الماحي:** الماحي للذنوب بفضل شفاعته للمسلمين، والذي محا الله به الكفر. وفي هذا يقول النبي عليه الصلاة والسلام: "لي خمسة أسماء أنا محمد وأحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب."⁴⁷

****المختار:** اختاره الله ليكون رسوله إلى الناس أجمعين.

****المدني:** نسبة إلى المدينة المنورة التي كانت تسمى بـ "يثرب"، مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو الذي سماها بهذا الاسم بعد هجرته إليها، والتي كون فيها دولة الإسلام الجديدة، ومنها كان النصر للدعوة الإسلامية.

****المكي:** المنسوب إلى مكة المكرمة.

****مصطفى- مصطفاوي- مصطفى:** اصطفاه الله من بين خلقه وكلفه بإبلاغ رسالة الإسلام.

****الميلود- ميلودي- مولود:** نسبة إلى احتفالية المولد النبوي.⁴⁸

****الهاشمي وبلهاشمي:** نسبة إلى عشيرته بني هاشم القرشية.

ومن الأسماء المشهورة في العائلة الجزائرية، عن آل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم نجد ما يلي:

****الحسن والحسين:** وهما حفيديه من ابنته فاطمة الزهراء. وغالبا ما يقترن الاسمان عندما يزداد للشخص توأمان ذكران.

****علي، سي علي- سيد علي- علال- حيدار:** تبركا باسم الإمام علي بن أبي طالب، ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم، وزوج ابنته فاطمة، وصاحب السيف البتار الذي يفعل الأفاعيل في الكفار وهو على حصانه السرحاني.

ومن الأسماء الأثوية نجد:

****ميلودة- الهاشمية- مكية- الطاهرة- حميدة- الشريفة- مختارية.**

****خديجة وعائشة:** وهما زوجتا النبي صلى الله عليه وسلم.

**فاطمة-رقية-زينب-أم كلثوم أو كلثوم: وهن من بناته.

**أمنة-يمينة-يامنة: وهذا لاسم أمه أمينة.

**حليمة- حلومة- السعدية- تاسعديت: لمرضعته حليمة السعدية.

حب الرسول

إن الاحتفال بالمولد النبوي هو تذكير بالرسول لإتباع ما جاء به والعمل بسنته. وهو نوع من حبه والتعلق به؛ إذ أن حب النبي فرض على كل مسلم وواجب أكيد من الواجبات الدينية، ولا يتم إيمان أحد حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما. أو كما جاء في الحديث النبوي: "لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وفي حديث آخر: لا يؤمن العبد حتى أكون أحب إليه من أهله وماله والناس أجمعين."⁴⁹

ويؤكد ذلك أحمد حماني، الرئيس السابق للمجلس الإسلامي الأعلى، في قوله: "لا شك أن هدف المسلمين من إقامة هذا العيد والاحتفال فيه هو إعلانهم عن حبهم النبي عليه الصلاة والسلام والإعراب عن وفائهم لذكراه والتمسك بدينه والانتساب إليه."⁵⁰

إن حب المسلمين لنبيهم لا يقدر بعدد ولا مسافة، إن حبه تابع لحب الله تعالى، فمن أحب الله تعالى أحب صلى الله عليه وسلم، وأحب أمره الذي جاء به لأنه أمر من الله تعالى. يحب المسلمون النبي لكمالته، فهو أكمل خلق الله، وهو أعظم الخلق فضلا علينا وإحسانا إلينا.

والنفس تحب من أحسن إليها، ولا إحسان أكثر من إخراجها من الظلمات إلى النور. قال تعالى: "قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم."⁵¹ ويكون الحب بتعظيمه وتوقيره وإتباع سنته والدفاع عنه ونصرة دينه الذي جاء به.

وإذا أردنا أن نأخذ نموذجا للاحتفاء بالنبي وبمولده صلى الله عليه وسلم، في بلاد غير بعيدة عن الجزائر، علينا أن نذكر ما لاقاه إخواننا المسلمون في الأندلس بعد سقوط دولتهم المسلمة، وتحكم الصليبيين في

مصائرهم، وهم الذين أصبحوا يسمون بـ "الموريسكيين". فماذا نعرف عن أساليبهم في المقاومة في مواجهة الصليبيين الأسبان؟ وماذا فعلوا، وهم في ظل الحكم المسيحي، بعد أن تعرضوا للاضطهاد والمتابعة حتى يتخلوا عن دينهم الإسلامي؟ لقد كانت سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ومدحه والدعاء له والاحتفال بمولده، من أهم الوسائل التي اعتمدها في ذلك.

وهكذا انتهجوا في مختلف الموضوعات نهج الترجمة إلى الأعجمية وإلى الأسبانية عن أصولها في المصادر العربية الإسلامية. "ولعل أهم ما اصطنعوه في هذا المضمار هو سيرة ابن هشام كما جاءت في الكتاب المنسوب لأبي الحسن البكري، والموسوم: انتقال أنوار مولد المصطفى المختار ومعجزاته ومغازيه... فضلا عما أنتجوه ابتداء في محمد صلى الله عليه وسلم وفي سيرته، وخاصة ما تمثل عندهم في قصائد بلغتهم: العربية والإسبانية."⁵²

لقد جعل الموريسكيون من الدفاع عن النبي ضد مناوئيه من النصارى دينهم والاعتصام بمحبته. إن تعبيرهم عن الاعتصام بمحبته اتخذ عدة أشكال في الاحتفال بمولده وبتعظيمه، ومما أنتجوه من قصص مولده نثرا وشعرا، كان لهم ذلك لاستمداد القوة على التثبيت بدينهم من خلال التمسك بذكر مولده والتعبير عنه، وكانت أمداحهم لشخصه درعا لهم في وجه الصليبية الإسبانية التي لا ترحم.

كانوا يستغلون كل مناسبة كمساء يوم الجمعة أو عند إقامة حفل عقيقة أو عرس أو تأبين.. للاجتماع على ذكر الله ومدح نبيه. كانوا متابعين من قبل السلطات الإسبانية لمنعهم من ذلك، والمتمثل في محاكم التفتيش⁵³ التي تتعدد أرشيفاتها بقضاياهم ومحاكماتهم، لما كانوا يقومون به للتمسك بتراثهم العقدي.⁵⁴

لقد لقي المسلمون هناك الكثير من العنت والمتابعة والتعذيب الشديد القاسي من قبل رجال محاكم التفتيش. فمجرد الشك في انتماء الشخص إلى المسلمين - المنصرين - يعتبر تهمة. أما الدفاع عن محمد صلى الله عليه وسلم

أو عدم شرب الخمر أو تحاشي أكل لحم الخنزير، من قبل أي شخص، فمآله المحاكمة التي تؤدي إلى التعذيب والإعدام بوسائل مختلفة.⁵⁵ لقد كان تمسك المسلمين بدينهم هناك كالمسك على الجمر، وكان الدفاع عن النبي في وجه من يسبونهم أمرا واردا على الدوام.

لقد مرت الأمة الإسلامية بتجربة مرة في الوقت الحاضر نتيجة تطاول بعض الغربيين المتعصبين على شخص نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، عن طريق رسوم كاريكاتورية أو تعليقات لا تصدر عن أناس متحضرين ولا عن أناس متخلفين بالخلق الإنساني القويم. وكان رد المسلمين في كل مكان ردا واحدا متحضرا، منها التنديد بهذا العمل الشنيع والاحتجاج عليه، ومقاطعة سلع البلدان المؤيدة للعملية.. وبذلك التضامن وبذلك الوحدة عرف الآخرون مدى الحب الذي يكنه المسلمون بمختلف طوائفهم لنبينهم، ومدى استعدادهم للموت دونه. فكان تضامنهم وسعيهم الحثيث هو أن لا تعود مثل هذه الأعمال مستقبلا. وأثبتوا أنهم يحبونه ويعتزون به، وأنهم على أتم الاستعداد للدفاع عنه ومعاقبة كل من تحدثه نفسه بالعودة إلى إثارة المسلمين والمساس بنبينهم محمد صلى الله عليه وسلم.

وسواء واجهنا المسيئين للنبي بالرد الإيجابي أو السلبي، فإن الله ناصره في قوله تعالى: **وإنا لننصر رسلنا... كما أنه سبحانه وتعالى مخلدا ذكره في علو وشموخ على مدى الأيام والسنين في قوله سبحانه: " ورفعنا لك ذكرك."**

الهوامش:

- 1- أنظر: galhom.ahlamontada.net
- 2--جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، حسن المقصد في عمل المولد، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت 1405هـ/1985م، ص: 42.
- 3-جلال الدين السيوطي، من مقدمة المحقق، ص: 63.
- 4-ج. الدين السيوطي. من مقدمة المحقق. ص: 16.
- 5-جلال الدين السيوطي، المصدر السابق، ص: 41.
- 6-جلال الدين السيوطي، المصدر السابق، ص: 56.
- 7-جلال الدين السيوطي، نفسه، ص، 58-59.
- 8-نفسه.

- 9- أحمد حماني، محبة الرسول والأسوة به، مجلة الأصالة، العدد: 31، ربيع الأول 1396هـ/مارس 1976.
- 10- أحمد حماني، المرجع السابق.
- 11- أحمد حماني، المرجع نفسه.
- 12- مولود قاسم نايت بلقاسم، اهتمام الأمم بأيامها، مجلة الأصالة، العدد: 44، ربيع الثاني 1397هـ/أفريل 1977م، كلمة مرتجلة في قاعة "المغرب" لبلدية وهران ليلة المولد النبوي الشريف سنة 1397هـ/المواقف 2 مارس 1977.
- 13- مولود قاسم.. المرجع نفسه.
- 14- جزء من حديث طويل أخرجه أصحاب السنن عن عبد الله بن مسعود.
- 15- يرى الأستاذ كمال بوزيد رئيس مصلحة ماري كوري لأمراض السرطان بمستشفى مصطفى باشا بالجزائر أن الأنواع الجديدة من المفرقات تؤثر سلبا على صحة الإنسان، مؤكدا أن خمسين بالمائة من الأطفال الذين يصابون بحروق بليغة جراء المفرقات، والذين تقل أعمارهم عن 12 سنة هم عرضة لسرطان الجلد بعد 25 سنة من الإصابة(الشروق اليومي في 24-12-2015).
- 16- أحمد حماني، المرجع السابق.
- 17- أبوزكرياء يعي ابن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، جزءان، تقديم وتحقيق وتعليق عبد الحميد حاجيات، عالم المعرفة، الجزائر 2011.
- 18- عبد الملك مرتاض، حركة الشعر المولدي في تلمسان على عهد أبي حمو الثاني، مجلة الأصالة، العدد 26، رجب-شعبان 1395هـ/جويلية-أوت 1975، عدد خاص عن تاريخ تلمسان وحضارتها.
- 19- عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزياتي(حياته وآثاره)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1982، ص: 220-223.
- 20- سعيد بنحمادة، الاحتفال بالمولد النبوي بالغرب الإسلامي: بحث في السياق والدلالات، مجلة عصور الجديدة، العددان: 16-17، شتاء ربيع 1436هـ/2014-2015.
- 20- عبد المالك مرتاض، المرجع السابق.
- 21- أبوزكريا يعي ابن خلدون، المصدر السابق، ص: 39. (كان ذلك سنة 760هـ).
- 22- أبوزكريا، المصدر السابق، ص: 46-47.
- 23- المقناة: ساعة حائطية كانت على باب قصر المشور بتلمسان، من أعاجيبهم في ذلك العصر، لم يبق اليوم سوى مكانها الدال على علو شأن حكام ذلك العصر. ويستعمل المغاربة اليوم الكلمة للتعبير عن الساعة.
- 24- محمد بن عبد الله التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، تحقيق وتعليق محمد بوعياذ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1985، ص: 162.
- 25- أبوزكريا: المصدر السابق، ص 180 و182. (قيلت سنة 768هـ)
- 26- أبوزكريا.. المصدر السابق، ص: 133-134-135. قيلت سنة 765هـ.
- 27- محمد بن الأمير عبد القادر، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، الجزء الثاني، سيرته السيفية، المطبعة التجارية، الإسكندرية 1903، ص: 203-204.
- 28- تربي رابع، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر، طبعة خاصة وزار المجاهدين، (Edition ANEP)، الجزائر 2001، ص: 387 و389.
- 29- تربي رابع، عبد الحميد بن باديس، المؤسسة الوطنية للاتصال، الجزائر 2008، الملحق ص: 529. لم نورد بقية أبيات القصيدة لأنها معروفة.
- 30- مسعود البشير بن الشيخ، أوراق من الذكريات، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر 2011، ص: 58.
- 31- محمد الصالح رمضان، البصائر، العدد 167، الصادر يوم 26-05-1939.

- 32- محمد العيد محمد علي خليفة، الديوان، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع (مطبعة البعث، قسنطينة) 1967، ص: 75-78
- 33-سورة آل عمران، الآية: 103
- 34- محمد بن الحبيب الأمغاري الإدريسي الحسني، ديوان بغية الميردين وتحفة السالكين العارفين، ترتيب وتصحيح أبو حفص عمر، بخط اليد دون تاريخ ولا بلد، يوزع على مريدي الطريقة الدرقاوية بالجزائر والمغرب، ص: 82-83
- 35-محمد بن الحبيب، المرجع السابق، ص: 81-103
- 36-وقد حولت القصيدة إلى أنشودة تردد من قبل بعض الفنانين مهم مسعود كرتس.
- 36-37-سورة النحل 125.
- 38-آل عمران 159-160.
- 39-عبد القادر خليفي، من الموروث الثقافي الجمعي المغاربي، دار الأديب، وهران 2006، ص: 52..
- 40- زهرة خواني، أثر المولديات في الشعر الشعبي للأطفال، مجلة الفضاء المغاربي، إصدار مخبر الدراسات الأدبية والنقدية وأعلامها في المغرب العربي، العددان السادس والسابع، ذو الحجة 1432هـ/نوفمبر 2011م.
- 41-أوردنا بعض القصائد والمقطوعات الشعرية الشعبية التي يغنيها أطفال المنطقة الجنوبية الغربية من الجزائر في المناسبة، في كتابنا: "من الموروث الثقافي الجمعي المغاربي"، الصادر عن دار الأديب بوهران سنة 2006.
- 42-عبد الفتاح عبد الكافي، الأدب الإسلامي للأطفال، دار الفكر العربي، 1418هـ/1997م، ص: 35
- 43-ما تزال النسوة تطلق العنان لأصواتهن بزغرودة مولده صلى الله عليه وسلم كلما حل اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الثاني، هذا ما لاحظته وسمعتة ذات يوم من أيام 12 ربيع الأول من سنة 1435هـ/ الموافق ليوم 14 جانفي 2014 في حي الصباح بوهران، فتذكرت الوالدة وهي تقوم بالعمل نفسه منذ وعيت في الخمسينيات من القرن العشرين.
- 44- سورة الفتح، الآية: 29
- 45- سورة آل عمران، الآية: 144
- 46- سورة الصف، الآية: 6
- 47-صحيح البخاري، المجلد الخامس، باب ما جاء في أسماء رسول الله.. الحديث رقم: 39. عالم الكتب، الطبعة الرابعة 1984، بيروت، ص: 24.
- 48-من مظاهر محبة الرسول الكريم من قبل الجزائريين، تسمية بعض شهور السنة الهجرية (ربيع الأول) باسم شهر ميلاده. حيث يسمي سكان المنطقة الجنوبية الغربية شهري ربيع الأول وربيع الثاني بـ "سيد الميلود والتابع الميلود" على التوالي. وقد أنشأ بعض الرياضيين فرقة في كرة القدم سنة 1921 بمناسبة المولد النبوي سموها "مولودية الجزائر"، تبركا بهذا اليوم وبصاحبه، حيث توافق يوم التأسيس 7 أوت مع يوم 12 ربيع الأول 1339هـ، والأمر نفسه تصادف مع تأسيس ناد رياضي في قسنطينة بحي 40 شريفا، فسمي النادي مولودية قسنطينة (Moc)، لتزامن التأسيس (4 ديسمبر 1939م) مع أيام المولد النبوي الشريف (صالح سعودي- الموسوعة الحرة).
- 49-أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، الجزء الرابع، مطبعة الحلبي وأولاده بمصر، 1347هـ، ص: 253.
- 50-أحمد حماني مرجع سابق.
- 51-آل عمران 31.
- 52--فريدة بنعزوز، دفاع الموريسكيين عن صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وتمسكهم بسيرته واعتصامهم بمحبته، مجلة كلية الآداب، جامعة عبد المالك السعدي، تطوان، العدد: 16 سنة. 2011
- 53-محاكم التفتيش: مؤسسة ظهرت في إسبانيا سنة 1478م، كبديل لمحكمة التفتيش البابوية التي كانت سائدة في القرون الوسطى. كانت تحت السيطرة المباشرة للملكية، وكانت إسبانيا نموذجا لدولة دينية سلطوية، تعين الكنيسة فيها الملوك والأباطرة الذين يحكمون بحاكمية تسمى ظل الله في الأرض أو قاتون الحق الإلهي. استهدفت

إجبار اليهود والمسلمين على التنصر، كما استهدفت المعتقدات المسيحية الأخرى وبخاصة البروتستانتية. وبحلول سنة 1571م أصبح 82 في المائة من المحاكمين من الموريسكو.

54- فريدة بنعزوز، دفاع المورسكيين، المرجع السابق.

55- من الأمثلة على ذلك: عوقبت امرأة تدعى جوانا (Juana) -1567م- وهي أمة بمالقة عندما تسلمت مصعدا حاملة قدرا مملوءة ماء ساخنا. وعندما أوشكت على السقوط والانزلاق صاحت: يا محمدا! مستنجدة بالرسول. "وفي كثير من الأحيان كان الموريسك لا يتحملون من يسب أو يشتم الرسول. من ذلك أن أحد الموريسك عندما وصل ليقتي خمرا من الحانة قد استقبل عند مدخل الحانة بهذه الألفاظ: لتحرق النار الخالدة محمدا، غير أنه لم يتماسك عن الرد: إن محمدا يعد رجلا خيرا وطيبا." من كتاب: الموريكيون الأندلسيون والمسيحيون... لوي كاردياك. تعريب وتقديم عبد الجليل التميمي. منشورات المجلة التاريخية المغربية وديوان المطبوعات الجامعية الجزائر. تونس 1983. ص 22-23.

الدور الثقافي والحضاري لمدرسة مازونة الفقهية خلال العهد العثماني

أ.قدور بوجلال
أ.د دحوفغورور
جامعة وهران 1 أحمد بن بلة.

مقدمة

عرفت مدينة مازونة¹ كغيرها من المدن الجزائرية العريقة خلال العهد العثماني نهضة ثقافية متميزة، ويعود الفضل في ذلك إلى كثرة المؤسسات الثقافية والدينية المنتشرة بها مثل المساجد والجوامع والمدارس والزوايا. حيث كانت هذه المؤسسات من أهم مراكز الإشعاع الثقافي آنذاك ونقطة تحول حاسمة في حياة الطلبة الذين اجتهدوا في طلب العلم والرقى إلى درجة العلماء والفقهاء، ومن بين أهم هذه المؤسسات المدرسة الفقهية التي لعبت دورا كبيرا في هذا المجال.

هذا وتعد مدينة مازونة من المدن التاريخية العريقة والأصيلة، حيث كانت قاعدة تاريخية هامة في قلب جبال الظهرة وملتقى لعناصر مختلفة وحضارات متعددة، وصفت منذ القدم بمدينة العلم والثقافة وسميت "بأم الأحكام المكنونة"، فامتدت بتاريخها إلى جذور الحضارات القديمة². كما لعبت مراكز التعليم بها أدوارا طلائعية رئيسية في تكوين الطلبة وتخرج العلماء الذين كان لهم أيادي بيضاء في إغناء تراث الحضارة العربية الإسلامية والمحافظة عليه في العهد العثماني بالجزائر، وعلى هذا كان بالوطن المازوني كثير من العلماء والفقهاء النابغين في ميدان علوم الحديث والفقه والفتوى على مذهب الإمام مالك، الأمر الذي جعل منهم محط أنظار العلماء من مختلف أقطار المغرب الإسلامي، بدليل ما قاله أبو راس الناصر: "... وقد مررت بطريقي بالشيخ... أبي عبد الله الشيخ محمد بن لبنة... فسألني

عن وجهتي... فقلت له ذاهب لمازونة قال: لم؟ قلت: لقراءة الفقه فقال:
والقرآن؟ فقلت له: نعرفه بأحكامه وأنصاه وما يتعلق به...³.

وبناء عليه وقع اختيارنا في هذا المقال على هذه المؤسسة العريقة لمحاولة
التعريف بها وبدورها الثقافي والحضاري الذي لعبته منذ تأسيسها، والوقوف
على أهم التطورات التي عرفتتها وهذا وفق خطة عمل تتكون من العناصر
التالية:

1- جذور تأسيس المدرسة.

2- العوامل المساعدة في ظهور المدرسة.

3- النظام التعليمي للمدرسة.

4- أهم مشايخ وعلماء المدرسة.

5- خاتمة.

1- جذور تأسيس المدرسة:

تعد مدرسة مازونة الفقهية من أقدم المدارس التي أسست في العهد
العثماني⁴ ، حيث تشير لوحة العديين الموجودة بمدخلها، وإحدى الوثائق
التاريخية التي إطلع عليها الباحث إلى أنها تأسست من طرف الشيخ محمد
بن الشارف المازوني في سنة 1029هـ/ 1619م فسوس بها مؤسسها حوالي
أربع وستين سنة، وعنه تخرج الحافظ مصطفى الرماصي فتوارث أبناؤه
المدرسة وتداولوا على التدريس بها، وأبرزهم الشيخ محمد بن علي المعروف
بأبي طالب الذي أصبح على رأسها منذ سنة 1189هـ/ 1775م وخلفا
لوالده وبقي مدرسا بها أربعة وأربعين سنة إلى وفاته⁵.

ومن الملاحظ أنه قد أشارت إحدى الوثائق بلن مؤسس المدرسة بل وحق
خلفه كانوا يتأصلون نسبا من الأشراف، حيث يمتدون في أصولهم النسبية
إلى البيت النبوي عبر الشجرة الحسينية، وقد جاء فيها: "هو العلامة والمجاهد
والشهيد المرحوم سيدي هني بن محمد بوطالب بن علي بن عبد الرحمن بن
امحمد بن الشارف بن أحمد بن علي بن عبد العزيز بن علي بن منصور بن

محمد بن أعمار البلداوي نسبة إلى جماعة العيديون، الساكنون بإزاء الهبط... وجلهم إسمه محمد بن عبد الله بن موسى بن مسعود بن مسعود بن الحسن بن سليمان بن إبراهيم بن عيسى بن محمد بن أحمد بن إدريس بن إدريس بن عبد الله بن الحسين بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وابن فاطمة بنت محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم⁶.

كما يؤكد هذا النسب الشريف عبد الله بن محمد بن الشارف بن علي حشلاف، أثناء حديثه عن الشجرة الحسينية وفروعها الطيبة بقوله: "...ومن فروع مولانا عبد العزيز حفدة الشيخ أبو طالب بن الشيخ بن الشارف المازوني، فمنهم شيخنا وشيخ إفريقية على الإطلاق المرحوم الشيخ سيدي محمد بن سيدي هي المكنى أبي راس..."⁷.

وعلى ما يبدو أن التعليم بمدينة مازونة قد كان على درجة كبيرة من الأهمية، حيث أن شهرة مدرستها الفقهية تجاوزت الحدود الإقليمية امن المناخ الثقافي الذي ساد المنطقة، وبالخصوص تلمسان وجامع القرويين بالمغرب الأقصى والزيتونة بتونس. وزيادة على هذا، فلقد كانت مدرسة مازونة الفقهية تسع من حيث الحجم ما بين 60 إلى 80 طالبا، حيث اعتبر جاك بيرك Jacques Berque هذا العدد مقياس المراحل الزاهرة للمدرسة⁸.

2- العوامل المساعدة في ظهور المدرسة:

يعد العامل السياسي من أهم العوامل الأساسية في حياة الدول من جهة وفي حياة العلماء والمؤرخين من جهة أخرى، فهو يؤثر في كتاباتهم وتوجهاتهم بطريقة أو بأخرى، فيصبح المؤرخ أو المؤلف يؤرخ لحدث ما انطلاقا من البيئة السياسية التي وجد فيها، ويعر بقلمه عن ذلك الحدث التاريخي الذي يراه مهما وله تأثير كبير على الحياة السياسية في البلاد، بل وحتى على المراكز والمؤسسات الثقافية لأية حضرة ومدى انعكاساته على العلماء والفقهاء في تلك الفترة، وعليه وجدت مجموعة من العوامل والظروف ساعدت على نشأة وتأسيس مدرسة مازونة الفقهية وهي كالاتي:

أ- اختيار مدينة مازونة عاصمة للبايلك الغربي:

بمجيء عهد الأتراك مثلت مدينة مازونة بموقعها الجغرافي الهام وطاقتها الاقتصادية، وسمعتها الفكرية قبلة للعثمانيين. حيث أنه بموجب التنظيم الإداري الذي عرفته الإيالة الجزائرية سنة 1562م والقاضي بتقسيم البلاد إلى ثلاث باييكات أصبحت مازونة عاصمة لبايلك الغرب ابتداء من سنة 1563م⁹.

ومن خلال ذلك التقسيم لعبت هاته الحاضرة دورا بارزا لا سيما في الناحية الغربية من البلاد أين تعاقب على حكمها ثمانية عشر بايا، بدليل ما ذكره الأغا بن عودة المزارى: "... وفي الحقيقة أنه هو الثاني في المرتبة لكون الترك تولوا على الجهة الغربية، وجعلوا فيها باي قبل الجهة الشرقية وقاعدته وهران، وهذا الثالث كان منوعا على نوعين أحدهما مازونة وأول باياتها حسن بن خير الدين باشا وسلم في وظيفته ثم أبو خديجة ثم صواق ومات مسموما من سم سقته له زوجته، ثم السايح وبقي في الملك إحدى عشر سنة ومات ثم ساعد ومنه إلى محمد ابن عيسى تولى بمازونة عشرة بايات، وذهب عن حفطي ما تعلق به منهم ثم محمد بن عيسى وهو السادس عشر من باياتها ثم شعبان الزناقي الذي توفي بالجهاد في وهران..."¹⁰.

وعلى ما يبدو أن اختيار مازونة كعاصمة للبايلك الغربي قد أحدث تغييرا كبيرا على الأحداث السياسية في المنطقة بعامة وعلى المدينة بخاصة، فقد أصبحت مركزا قياديا مهما في مواجهة أبشع الحملات الصليبية الإسبانية اتجاه الإيالة الجزائرية. وزيادة على هذا فلقد وجدت عدة اضطرابات وحوادث تزعمها بعض رؤساء ورجال القبائل والطرق الصوفية ضد السياسة العثمانية بالجزائر كحوادث درقاوة والتيجانية التي جرت البلاد إلى فوضى كبيرة مست شظاياها علماء حاضرة مازونة، خصوصا وأن سقوط مدينة بجاية سنة 1510م إحدى أكبر مراكز الثقافة في الجزائر آنذاك ونزوح علماءها إلى الداخل، أدى إلى ضرورة وجود حيز تعليمي يعطي انبعاثا علميا آخر وجد على الميدان بتأسيس مدرسة مازونة الفقهية¹¹.

ب- التركيبة الإجتماعية المازونية ودورها في تفعيل الحركة الثقافية:

من الملاحظ أن الجانب الثقافي والعلمي لحاضرة مازونة قد طبع بميزات حضرية شكمتها خصوصية التركيبة الإجتماعية للمدينة، حيث أن أهم ميزة إنفردت بها هي التنوع والتعدد في عناصرها العرقية والدينية بل وحق المذهبية¹².

ومما لاشك فيه أن حاضرة مازونة قد عرفت كبقية الحواضر الأخرى علما قدوم جاليات وطوائف مختلفة ومتعددة، أهمها الجالية الأندلسية التي توافدت على المنطقة إثر قرارات الطرد الإسباني لبقايا المسلمين المتواجدين في الأندلس. فاستقرت بالمدينة ابتداء من القرن الخامس عشر الميلادي وتواصلت في توافدها طيلة القرن السادس عشر والسابع عشر الميلاديين، بدليل ما ذكرته الواليش فتيحة: "...وتعتبر الجالية الأندلسية على رأس قائمة الجاليات، وذلك نتيجة ارتفاع عددها وأهميتها في التركيبة الاجتماعية. كما نشير إلى أن الحضر والأندلسيين تقاسموا النشاطات الحرفية والتجارية والثقافية والفكرية، حيث كانت هذه الممارسات والأنشطة هي الصفة الغالبة والمميزة لهذه العناصر..."¹³.

ومقارنة بما سبق نستنتج أن دخول المهاجرين الأندلسيين إلى مدينة مازونة، قد أعطى دافعا قويا للحركة العلمية، حيث استفادت من ثقافتهم وأدبهم وطريقتهم في التعليم نتيجة علاقاتهم القديمة مع المراكز الثقافية والعلمية الموجودة على مستوى البلاد العربية الإسلامية.

3- النظام التعليمي للمدرسة:

لقد استحدث المشرفون على مدرسة مازونة الفقهية عدة قاعات للصلاة وبيوتا للوضوء وأخرى للتدريس وغرف لسكنى الطلبة ومكتبة وبيتا للمدوس، كما جعلوا للمدرسة التي تعمل على تخريج العلماء والفقهاء وأصحاب الوظائف الدينية كالإمامة والخطابة والقضاء والفتوى وغيرها، نظام داخلي محكم ودقيق يضبط أوقات التدريس والعطلة وعدد أحزاب

القرآن المتلوة كل يوم، ومحتوى العلوم الفقهية المدروسة وأجور الموظفين وشروط الإقامة في المدرسة بل وحق شروط الفصل منها¹⁴.

أ- شروط الالتحاق:

تعتبر مدرسة مازونة الفقهية من بين المدارس التربوية التي تخرج منها العديد من العلماء والفقهاء خلال العهد العثماني، لخاصيتها القائمة على تدريس الفقه المالكي ومجموعة من العلوم الدينية والدنيوية المختلفة. حيث أشار مولاي بالحميسي في حديثه عن شعار الطالب بمدرسة مازونة على وجود تسلسل هرمي للموظفين والطلبة والعلماء بها، كان قائما على شروط العلم الأربعة وهي:

شروط العلم أربعة	فأولها التفرغ له.
وثانيها وجود جدّ	تبلغ للفتى أمله.
وثالثها فعن شيخ	يمد للهدى سبله.
ورابعها مذاكرة	مع الإخوان والفضلاء ¹⁵ .

وعليه فلقد كان الالتحاق بمدرسة مازونة الفقهية، يقتضي من العالم أو الطالب الإنصياح لمجموعة من الضوابط والشروط هي كالاتي:

- ضرورة حفظ القرآن الكريم لأنه واجب ديني لا سيما فيما يخص الطلبة المسافرين والمقيمين بالمدرسة، وفي هذا المقام يقول أبو راس الناصر: "... فقلت له ذاهب لمازونة قال: لم؟ قلت: لقراءة الفقه فقال: والقرآن؟ فقلت له: نعرفه بأحكامه وأنصاهه وما يتعلّق به..."¹⁶.
- الانضباط الذاتي وضبط النفس والالتزام الخلقي بالنسبة للطلبة المقيمين بالمدرسة.
- أن يقبل الطلبة المقيمين النوم باستمرار في المدرسة.
- حرمان طالب العلم من كل الخدمات الاجتماعية والتغطيات المالية، وفي هذا المقام يقول مولاي بالحميسي: "... ولم يكن الطلبة آنذاك يحملون بالمنح

- والخدمات الاجتماعية، ولا بالتغطية الطبية ولا بمؤسسات الترفيه شأن إخوانهم اليوم ولعل في الحرمان حافظا للدراسة"¹⁷.
- عدم السماح لأي أحد من الطلبة القاطنين بمازونة، ولا من رجال إدارة العلم بها للتوم في المدرسة ما عدا المسافرين من العلماء والطلبة.
 - ضرورة تكفي المجتمع المازوني بالإتفاق على المدرسة الفقهية وطلبها باعتبارها صدقة جارية، بدليل ما ذكره مولاي بالحميسي: "... ولا يقتصر العون على ما ذكرنا بل تكفلت العائلات بغسل ثياب الطلبة، كما يادر أهل الإحسان بدفع تكاليف الكراء والتدفئة وشراء الشموع للإنارة"¹⁸.
 - احترام مواقيت التدريس (التفرغ للعلم) والمراجعة (المذاكرة).
 - احترام الشيخ المشرف على التدريس وجميع المشائخ الآخرين، والانصياع لأوامر الشيخ واستشارته في الغايات العلمية وغيرها.
 - ضرورة الحفاظ على النظام الداخلي والالتزام به كاللباس الخاص أو الحصول على الطعام والماء والحطب وباقي الاحتياجات، وهذا فيما يتعلق بالطلبة المسافرين المقيمين بالمدرسة"¹⁹.
 - ضرورة التخفيف من مستلزمات العلماء والطلبة، بدليل ما ذكره مولاي بالحميسي: "... ورغم عدد الطلبة، فقد وجد هؤلاء بمازونة من فرج كربهم فلقوا في المجتمع- مهما كانت الظروف- العون الكافي، وكان إحسان المحسنين العامل الأساسي لنجاح التمدرس... لم يكن في وقتهم داخلية تضمن لهم الأكل فتكفل بذلك السكان والأعيان..."²⁰.
 - عدم السماح للمقيم من الطلبة بالخروج من المدرسة إلا عند الضرورة.
 - لا يشترط أن يكون المقيم من المدينة أو البادية.
 - ضرورة فصل الطالب المقيم من المدرسة إذا لم يظهر نبوغه في العلم، فيبعد عنها ويقع اختيار مجاور آخر في مكانه، أو إذا أساء مجاورة صحبة أقرانه أو قام بأعمال أو أقوال غير لائقة"²¹.

ب- مواد التدريس وطرقه:

من خلال إطلاع الباحث على العديد من المصادر الفقهية بخزانة كتب مدرسة مازونة، وجد في ثناياها أسماء عدة كتب اعتمدت في التدريس لسنين طويلة بالمدرسة، وبقيت تدوس حتى عهد أبو راس المازوني²². وكذلك طريقة التدريس القائمة على العلوم الدينية حيث كانت المادة الأساسية فيها- إن لم نقل الوحيدة- هي الفقه المالكي، بدليل ما قاله أبو راس الناصر: "... ثم انصرفت من مازونة وقدمت إلى أم عسكر ما معي شيء من المال ولا غيره سوى معرفة الفقه وحده... قال: هذه عادة طلبة مازونة..."²³. ضف إلى ذلك ما ذكره الشيخ مصطفى الرماصي قائلًا: "أما كان علم الفقه أفضل العلوم بعد كتاب الله وسنة رسول الله إذا به تعرف الأحكام ويتميز الحلال من الحرام، وقد صنّف فيه الأئمة الأعلام دواوين لا تحصى..."²⁴.

وعلى ما يبدو أن الكتاب العمدة في الفقه بالمدرسة قد كان مختصر خليل - مصف - في الفقه المالكي، وتبعاً لذلك لقب مشايخ المدرسة وطلبتها "بالخليليين"، بدليل ما ذكره مولاي بالحميسي: "... والكتاب العمدة في الفقه بالمدرسة هو مختصر خليل، الذي غطى مختلف التصانيف في المشرق وفي المغرب، كرسالة أبي زيد القيرواني وكتاب لباب الألباب وتحفة بن عاصم وغطى موطأ مالك ومدونة سحنون... فاقتصر برنامج التدريس على هذا المصنف دون سواه، وقد أجمع أهل المذهب على عظيم "فائدته..."²⁵.

ومما تجدر الإشارة إليه، أن علماء وطلبة مازونة قد ركزوا على الجزء الأول من المختصر، بدليل إشارة مولاي بالحميسي قائلًا: "... وفي مازونة اشتهر المختصر ومن مازونة نبغ عنصر أسرار خليل وعم نوره في الأقطار، وبقي هذا الكتاب أكثر المتن الفقهية تداولاً في الجزائر، على الرغم من إيجازه الذي يصل إلى الإبهام. وما من شك أن دعاء الشيخ خليل في مقدمة كتابه كانت من الدواعي التي فتحت أعين العلماء والمتعلمين، إذ قال: (نسأل الله أن ينفع به من كتبه أو قرأه، أو حصله أو سعى في شيء منه)، ويلقبه الناس

لشهرته بالكتاب وتسميه العوام سيدي خليل، والكتاب الأصلي في أربعة أجزاء: كتاب الصلاة وكتاب الزكاة، وكتاب البيوع وكتاب الإيجار...²⁶.

ومقارنة بما سبق نستنتج أن علماء وطلبة مدرسة مازونة قد اقتصروا في تكوينهم الفقهي على المذهب المالكي بمختصر الشيخ خليل، لا سيما الجزء الأول من الشرح المعنون بـ "منح الجليل على مختصر العلامة خليل". والذي احتوى على عدة أبواب هي كالآتي:

أ- باب ما يرفع الحدث وحكم الخبث بالمطلق وفيه:

- فصل الطاهر ميت مالا دام له... إلخ.
- فصل في بيان حكم إزالة النجاسة وكيفيةها.
- فصل في فرائض الوضوء وسننه وفضائله.
- فصل في آداب قضاء الحاجة.
- فصل في نواقض الوضوء.
- فصل في موجبات الغسل وواجباته وسننه ومندوباته وما يناسبها.
- فصل في مسح الخف بدلا من غسل الرجلين في الوضوء.
- فصل في التيمم.
- فصل في مسح الجرح أو الجبيرة أو العصابة.
- فصل في الحيض والنفاس والاستحاضة وما يتعلق بها.

ب- باب في بيان أوقات الصلوات الخمس والأذان والإقامة وشروط صحتها وفرائضها وسننها ومندوباتها ومكروهاتها، وأحكام السهو عنها أو فيها وفعلها في جماعة وقصرها وجمعها وشروط الجمعة والسنن وصلاة الجنائز، والتغسيل والتكفين والدفن وما يناسبها وفيه:

- فصل في الأذان والإقامة وما يتعلق بهما.
- فصل في بيان شرطين من شروط صحة الصلاة.
- فصل في ستر العورة.
- فصل في استقبال القبلة.
- فصل في فرائض الصلاة وسننها ومندوباتها ومكروهاتها.

- فصل في القيام وبدله ومراتهما في الفرض.
- فصل في قضاء الفائتة وترتيب الحاضرتين والفوائت في أنفسها ويسيرها مع حاضرة.
- فصل في سجود السهو وما يتعلق به.
- فصل سجدة التلاوة.
- فصل في بيان حكم فعل الصلاة في جماعة.
- فصل في أحكام استخلاف إمام.
- فصل في أحكام صلاة السفر.
- فصل في بيان شروط الجمعة وسننها ومنذوباتها ومكروهاتها ومسقطاتها وما يناسبها.
- فصل في صلاة الخوف.
- فصل في صلاة العيد.
- فصل صلاة الكسوف والخسوف.
- فصل في صلاة الإستسقاء²⁷.

وإلى جانب ذلك احتوى هذا الجزء من المختصر على باب في أحكام الزكاة وباب في الصيام والاعتكاف، وباب في الحج والعمرة وباب في المباح والمكروه والمحرم من الأطعمة والأشربة، وفي الضحية والعقيقة واليمين والنذر والجهاد، وفي بيان أحكام المسابقة التي يستعان بها على الجهاد، وفي أحكام النكاح وتوابعه فكان بذلك مرجعية فقهية لعلماء وطلبة مازونة خلال العهد العثماني²⁸.

وتيسيرا لعملية تدريس المختصر، استند مشايخ وعلماء مازونة على بعض الشروح الموضوعية حوله ومنها شرح "محمد الخرشي" ورسالة "محمد أبي زيد القيرواني"، ومجموعة من التأليف هي لعلماء من المدرسة. حيث ذكر محمد بن علي السنوسي ذلك بقوله: "فمنهم وهو آجلهم وأكملهم وأفضلهم ناصر الدين المعمر الجيهنذ الأكبر الولي الأشهر، مهيع العلوم والمعارف أبو طالب سيدي محمد بن علي بن الشارف، قرأت عليه النصف الأول من

المختصر مرارا قراءة تحقيق وتدقيق، مطرزة بجزيل الفروع النقلية والفوائد السننية يلتزم شرح الخرشي غالبا مع حاشيته عليه...²⁹.

وإلى جانب مختصر الشيخ خليل درس مشايخ وعلماء المدرسة الفقهية مجموعة أخرى من العلوم، كعلم الحديث اعتمادا على صحيح البخاري ومسلم وموطأ الإمام مالك ويؤكد ذلك محمد بن علي السنوسي في قوله: "وقرأت على... أبي العباس أحمد بن هني النصف الثاني من المختصر مرارا... وسمعت عليه مجالس من البخاري ومثلها من مسلم والموطأ..."³⁰. كما عرف المضمون التعليمي الذي تلقاه الطلبة في المدرسة علم التوحيد بالإعتماد على العقيدة الصغرى للشيخ السنوسي، بدليل ما ذكره محمد بن علي السنوسي: "... وقرأت على حفيده من بعده أبي العباس أحمد بن هني... وأخذت عليه علم التوحيد وناولني شرحه الكبير على صغرى الشيخ السنوسي..."³¹.

هذا وقد وجدت أسماء عدة كتب اعتمدت في التدريس بمازونة لسنين طويلة خلال العهد العثماني، لاسيما فيما تعق بالعلوم اللغوية كاللغو العربي بالاعتماد على ألفية ابن مالك والأجرومية، وبعض المصادر اللغوية كلقاموس المحيط للفيروز أبادي، وجوهرة الأخضرية وسلمه. بالإضافة إلى كتب ابن الحاجب وابن عرفة ومجموعة أخرى من التأليف الفقهية التي لقيت إقبالا كبيرا في اقتناءها من طرف علماء مدرسة مازونة الفقهية³².

لقد كانت طريقة التدريس بمدرسة مازونة قائمة على عدة مناهج، خاصة منها قيام أحد الطلبة بقراءة فقرة من الكتاب المقرر تدرسه، ثم يقوم الشيخ بشرحها حسب ما تجود به قريحته وينتهي إليه حفظه وإتقانه، فيفسح المجال خلال الدرس أو عقبه للطلبة للمناقشة والتعقيب وطرح الأسئلة إثراء للدرس وتعميقا للفائدة³³.

وهو ما أكده مولاي بالحميسي حينما أشار إلى ختم المختصر من طرف طلبة مازونة بقوله: "وكان ختم المختصر يوما مشهودا، يحضره الطلبة

والأعيان والأهالي والزوار يأتي الناس راجلين أو راكبين فصار المكان لا يسع هؤلاء، فلا تجد موضعا داخل الجامع أو خارجه أو بجواره... ويطول الحفل لطول البرنامج من تلاوة القرآن وخطب حول المختصر وأشعار بالعامية أو بالفصحى، وأدعية للشيخ الأحياء منهم والأموات. ويتساءل المرء كيف استطاع طلبة ذلك الوقت فهم النص وهضمه وحفظه؟ ولعل الجواب في طريقة التعليم في تلك المدرسة باللغة المبسطة ليفهم الدرس أو التفسير بسهولة، وكان لهذه المنهجية أكبر الأثار فزادها التعليم تحببا وترغيبا، وكانت المحاضرات لا تقتصر على النحاة ورجال الأدب، بل كانت في متناول الجميع... فلا غرابة إذا جاء أهل البلدة- في أوقات فراغهم- إلى الدروس يجنون الفوائد من مشايخ رزقوا العلم الواسع والقدرة وملكة التبسيط والتيسير، وبذلك كان الجو العام لائقا والوسط مواتيا لأغلبية الناس ومن مميزات هذا التدريس أن المشايخ كانوا يسمحون بالمناقشة والسؤال، فيستعدون للرد وللإجابة المقنعة دون انفعال أو جرح للطالب...³⁴.

وعلى ما يبدو أنه قد كانت تدرس شروحات وتقييدات لمهات الفقه المالكي، فيبتدئ الدرس بقراءة الكتاب المراد تدريسه ويقتصر فيه على تقرير المتن وحل المشاكل ويطلبون الدروس مع ذلك، بحيث يجعلون من طلوع الشمس أو قبلها أو بعدها بقليل ليسير إلى قرب الزوال درسا واحدا ومن بعد صلاة الظهر إلى قبيل المغرب درسا، ولا يستطيع ذلك إلا مهرة ممن لا يحتاج غالبا إلى مراجعة في تقرير المتن وحل أشكاله ويسمون ذلك "سردا". فبذلك تيسر إلقاء مثل مختصر الشيخ خليل في أربعين يوما والألفية في عشرة أيام من تجزئة المختصر بأربعين جزءا لكل يوم جزءا، نصفه في درس أول للهار ونصفه في درس آخره، ومن تجزئة الألفية بعشرة أجزاء لكل يوم جزء كذلك إلى غاية انتهاء الطريقة التعليمية لمشايخ وعلماء المدرسة الفقهية³⁵.

وإلى جانب ذلك وجدت طريقة ثانية للتدريس بالمدرسة والقائمة على طريقة التقليد والرواية وترديد أقوال المتقنين وحفظها حفظا سطحيا، بدليل ما ذكره بوكفة يوسف في حديثه عن مدرسة مازونة الفقهية قائلا: "...

فكل من جلس من المشايخ للتدريس يمكن أن يؤفد لطلبته كراسة أو أكثر شرحاً، أو حاشية على علم معين، وكانت تتم بأن يجلس الشيخ في صدر المسجد على الكرسي المرتفع عن الأرضية، حق يرى جميع الطلبة وينظرونه مرتدياً عمامة وجبة وفوقها أحياناً برنس، وكان لباس المشايخ هذا يميزهم عن الآخرين...³⁶.

وبما أن التعليم كان من المستوى العالي بحاضرة مازونة، فلقد كانت الحلقة العلمية بالمدرسة تبدأ بأن يطلب الشيخ من أحد طلبته بقراءة نص من المصنف والذي يمكئ موضوع الدرس، حيث يبدأ الشيخ مباشرة في شرح النص وفي هذا المقام يقول أبو القاسم سعد الله: "يدخل الطالب إذن مكان الدرس فيجد المدرس أو المدرسين وحولهم الطالب في حلق أو نصف دوائر، وكل مدرس يتناول مسألة أو كتاباً معيناً، فإذا كان الطالب قد كون فكرة واضحة عن مدرس بعينه قبل مجيئه، فإنه يقصده مباشرة ويجلس إلى حلقاته ويتابع دراسته معه في المادة التي يدرسها أو المواد..."³⁷.

وعليه فلقد كان للشيخ بالمدرسة الحرية في وضع البرنامج التعليمي وفي تحديد أوقات التدريس وعقد الحلقات العلمية، والتي يكون التركيز فيها من طرف الشيخ على الفكرة العامة من النص، فيأخذ أولاً في شرح المسألة وتوضيحها والاستشهاد لها من محفوظه (المنقول) ومعقوله (الحواشي والتصانيف الفقهية). بحيث قد لا ينهي الشيخ المسألة في نفس الحلقة، ذلك أن ميزة الشيخ الناجح هي الخوض في الجزئية الواحدة عدة مرات ومن عدة وجوه، فكلما أطلال الشيخ في المسألة وأفاض فيها كلما كان ذلك من ميزات نجاحه، وعادة ما كان يختم حلقاته العلمية بإملاء خلاصات على الطلاب فينسخونها بحذق وعناية³⁸.

أما إذا كان الشيخ بالمدرسة قد تمز بتبحره في العلوم الفقهية وسعة فكره غير متقيد بالمنقول والمسموع من المسائل، فلقد كان من الضروري على الطلبة أثناء الحلقة العلمية تسجيل الدرس كله حريصين في ذلك على ألا

يفوتهم شاردة أو واردة من درس شيخهم خلال عملية التلقين، حيث كان بعض المشايخ بالمدرسة الفقهية يحفزون الطلبة على حب الإطلاع والتزود بالمعرفة، وذلك من خلال اعتمادهم على المعقول من التصانيف والشروح والحواشي الفقهية المحتوية على العديد من المسائل الدينية والدينية، ويؤكد ذلك محمد بن علي السنوسي في قوله: "فمنهم... أبو طالب سيدي محمد بن علي بن الشارف قرأت عليه النصف الأول من المختصر مرارا قراءة تحقيق وتدقيق، مطرزة بجزيل الفروع النقلية والفوائد السنوية... وقرأت على حفيده... أبي العباس أحمد بن هني النصف الثاني من المختصر... وناولني شرحه الكبير... كما ناولني... حاشيته المذكورة على الخرشي في جزئين ضخمين... أمرا لي بإقراء ما أقرؤه عليه، وبمراجعة ما يقرؤه ويطلبه لنا حفيده المذكور من شرح الخرشي..."³⁹.

وعلى ما يبدو أن الحفظ والرواية كان من بين المميزات الأساسية لشيخ المدرسة، بإطلاعه على العديد من العلوم وأسانيدها وحفظ الكتب الكاملة كشرح مختصر الشيخ خليل والرسالة وابن الحاجب وغيرها من الكتب والشروح. كما إمتاز بعض مشايخ المدرسة بكثرة التأليف في مختلف العلوم التي درسوها لطلابهم في شكل شروح أو ملخصات أو في شكل كتب ودواوين مستقلة، اعتمد عليها طلاب مدرسة مازونة بدرجة كبيرة في مسيرتهم العلمية وتكوينهم الفكري والديني.⁴⁰

وبالإضافة إلى ذلك عرفت عملية التدريس بالمدرسة الفقهية وجود طريقة أخرى، مثلت بوجودها منهجا تدعيميا واستدراكا معرفيا لدى الطلبة ذوي الفهم البطيء وهي طريقة المراجعة. حيث تضمنت مدرسة مازونة في نظامها التعليمي وجود مشايخ متطوعين يراجعون للطلبة الدرس الذي قرؤوه على مشايخهم في حلقة للتدريس، وقد ساهمت هذه الطريقة بوجودها في تسير الحفظ والفهم وتبسيط المسائل الغامضة على الطلبة.⁴¹

ومما لاشك فيه أن نظام الامتحانات لم يكن معروفا بالمدرسة خلال العهد المدروس، وإفما كان الشائع- حسب العيد مسعود- تكليف الشيخ للطالب الذي أخذ بسهم وافر من العلوم بمساعدة الطلاب على تكوين فكرة عن الدرس الجديد قبل أن يشرحه، وبإعادة الدرس الذي سبق أن ألقاه، فيرفع من جهة مستوى بعض العناصر الضعيفة ويتمرس من جهة أخرى على إلقاء الدروس، في محاولة من الشيخ لترسيخ المعارف العلمية بفتحه لباب المناقشة بعد نهاية كل حلقة علمية، ذلك أن عملية التدريس قد تضمنت في وجودها الفعلي طرفين الشيخ والطالب ومن أجل إنجاحها يجب أن يشترك الطرفان في تسييرها وتسييرها. فعملية الحوار القائمة على طرح أسئلة واستفسارات حول موضوع الحلقة توصل بالطلبة إلى درجة الاستيعاب والفهم، وتعمل باستمرار على توسيع قاعدة المعرفة عندهم، على أنه حين يختم أحد الطلبة الدرس يمنحه أستاذه إجازة خاصة لتدريس علم معين أو عدد من العلوم أو إجازة علمة لتدريس كافة العلوم⁴².

كما تطرق محمد سي يوسف هو الآخر إلى نهاية الدروس قائلا: "تكون نهاية الدروس في تلك المؤسسات عادة بمنح إجازة للمستحق من طرف الشيخ الذي درسه، وهي شهادة تثبت نوع الدراسة والكتب التي درسها لهذا الطالب، وهي تسمح له بمزاولة للتدريس إن كان يريد ذلك"⁴³.

ومما تجدر الإشارة إليه أن مدرسة مازونة الفقهية قد كانت على درجة كبيرة من التنظيم المحكم لهياكلها التعليمية، فلقد وجدت العطلة الأسبوعية والصفية لطلبتها، بدليل ما ذكره مولاي بالحميسي قائلا: "وكانت الدروس لا تتوقف سوى مساء الأربعاء ويوم الخميس، فيستريح الطلبة في العطلة الأسبوعية وما أوجههم إلى ذلك... وكذلك تتوقف الدراسة خريفا وشتاء وربيعا أما الصيف- فصل الحر والاسترخاء- فيتوقف النشاط إلى أن يحل اعتدال الطقس فتستأنف الدروس..."⁴⁴.

4- أهم مشايخ وعلماء المدرسة:

من الطبيعي أن يكون عمدة التعليم هو المعلم باعتباره المرشد الموجه والمصدر الأساسي لأية معرفة علمية وثقافية للطالب، حيث مثلت مدرسة مازونة الفقهية في العهد العثماني حيزاً للتعليم العالي وقبلة للعلماء والمثقفين من الداخل والخارج، بالنظر إلى العلوم الدينية واللغوية التي كانت تلقى بها. وبذلك حمل المعلم بها لقب الشيخ كما اتخذ للتدريس بها صفة وراثية بانتقاله من الأب إلى ابنه وإن فقد إلى حفيده، وهذه الكيفية أصبحت خصوصية المدرسة في أن فئة المشايخ والعلماء كانت تحتكر حق التدريس وهو بذلك مهنة وراثية⁴⁵.

لقد اجتمعت بمازونة نخبة من الشموس الساطعة عكفوا على التدريس متطوعين فأفادوا الأفراد والعباد، كما كانوا أئمة يقتدى بهم في العلم والدين والورع لقنوا طلبتهم متوناً وشروحات ومختصرات وأراجيز ومنظومات وفتاوى وذخائر الحكم، لدرجة أن قال عنهم أبو راس الناصر: "جهاذة... فهم ذوو الخبرة التامة بعلم الشريعة ومختصر خليل حفظاً ولفظاً ومعنى"⁴⁶.

حيث كانت ميزتهم الأولى أنهم من أهل البلد الشيء الذي ضمن لمدرسة مازونة الاستقرار ومكها من مواصلة مهمتها التعليمية، فلا غرابة إذا لُقبت مازونة بمدينة العلماء. وعليه فإن قائمة المشايخ والعلماء الذين أشرفوا على عملية التدريس بمازونة هم كالآتي:

أ- أبو طالب محمد بن علي الشارف المازوني:

يعتبر أبو طالب المازوني من أبرز علماء الحاضرة خلال القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي⁴⁷، لما عن نسبه فهو محمد بن علي أبو طالب بن عبد الرحمن بن محمد بن شارف بن أحمد بن علي بن عبد العزيز بن علي بن منصور بن محمد بن أمير البلدوي نسبة إلى جماعة العيديون، وجلهم اسمه محمد بن عبد الله بن موسى بن مسعود بن الحسن بن سليمان بن إبراهيم بن عيسى بن محمد بن إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر

بن عبد الله الكامل⁴⁸، ولد بمدينة مازونة في بداية القرن الثاني عشر الهجري الموافق للقرن الثامن عشر الميلادي⁴⁹.

هذا ويعد الشيخ محمد أبو طالب من الفقهاء والعلماء النابغين بـمازونة ومن الذين كان لهم إطلاع على العلوم الفقهية والكلامية، حيث اشتهر بنزعتهم الصوفية وحماسه الديني فأثناء المعارك التي خاضها الباي محمد الكبير لتحرير مدينة وهران من الاحتلال الإسباني التحق الشيخ أبو طالب المازوني برباط وهران سنة 1205هـ/1791م وعمره يتجاوز الثمانين سنة رفقة ابنه الوحيد هني على رأس مائتي طالب (200) من طلبة وعلماء مدرسة مازونة الفقهية حيث قصدوا مدينة معسكر ثم إيجها إلى وهران مشيا على الأقدام، أين ألحق الباي محمد الكبير أبو طالب المازوني بقيادة الرباط استعدادا لفتح وهران وتحريرها من الاحتلال الإسباني⁵⁰.

ومن الملاحظ أن أبو طالب المازوني قد فقد ابنه هني في إحدى معارك تحرير مدينة وهران سنة 1791م سميت بمعركة مسرغين وعمره حوالي 22 سنة، وبعد فتح وهران سنة 1792م بنى العثمانيون المدرسة الفقهية وألحقت بها بيوتات لإيواء الطلبة بدليل ما ذكره مولاي بالحميسي: "أعيد بناؤها بأموال الأوقاف، فأصبح للمدرسة قاعة كبرى للصلاة وبيوت لإيواء الطلبة ومرافق عدة وفناء مظلّي تقام فيه الدروس..."⁵¹.

وزيادة على هذا فلقد حبست على المدرسة الفقهية مجموعة من الكتب منها صحيح مسلم الذي أهدها الباي محمد الكبير للعالم والشيخ أبو طالب المازوني- والذي تحتفظ المدرسة بجزء منه لحد الآن-، حيث كان ذلك الفعل الإجرائي العثماني مكافئة على إسهاماته الحربية والعلمية، خصوصا وأنه فقد ابنه الوحيد هني وإسهاماته السابقة الذكر في إرساء قواعد السلطة العثمانية وتثبيت الأمن والاستقرار في البلاد، بل وحتى دوره العلمي والزعامة الروحية التي أكسبته مكانة كبيرة حظي بها عند علماة السكان وأيضا عند حكام زمانه⁵².

ومما تجدر الإشارة إليه أن حياة أبو طالب المازوني العلمية قد كانت مليئة بالمجالسات للمشايخ والعلماء والفقهاء المختصين في الفقه والأدب وجميع العلوم العقلية، حيث درس أبو طالب علي والده علي بن عبد الرحمن باعتباره أحد المدوسين في المدرسة الفقهية. كما تتلمذ على جده بن امحمد بن الشارف وأبو طاهر محمد عبد السميع بن أبي العرفان إبراهيم الكوران، ومحمد بن علي بن أحمد بن عبد الرحمن الشريف نسبا الجعدي وطنا وحسن بن علي بن محمد بن عمر العجيجي المكي دارا⁵³.

كما تولى أبو طالب المازوني للتدريس بالمدرسة الفقهية بعد وفاة والده سنة 1189هـ/1775م فنال شهرة ومكانة مرموقة بين علما الناس والحكام لغزارة علمه، حيث دامت فترة تدريسه مدة 44 سنة إلى أن توفي سنة 1233هـ/1818م⁵⁴ مخلفا وراءه مجموعة من العلماء قد أشرف على تدريسهم ولعل من بينهم: حفيده أحمد بن هني ومحمد بن علي السنوسي، أبو عبد الله محمد بن عبد السلام بن أبي زيد اليازمي وأحمد بن عيسى المستغانمي. تاركا أيضا لمجموعة من التأليف الفقهية منها شرحه لقصيدة الصغرى للشيخ السنوسي التلمساني في التوحيد سماها "درة الحواشي في حل ألفاظ الخرشي" بدليل ما ذكره محمد بن يوسف الزياتي: "... وفيهم العلامة ولي الله الشيخ سيدي محمد بن أبي طالب المازوني، صاحب الحاشية التي أسماها دارة الحواشي في حل ألفاظ الخرشي..."⁵⁵ ، كما ألف كتابا في علم التوحيد اعتبر من التأليف التي إستند عليها طلبة وعلماء مدرسة مازونة الفقهية خلال العهد العثماني⁵⁶.

ب- عبد الرحمن بن علي بن الشارف المازوني:

يعتبر عبد الرحمن بن علي بن الشارف المازوني الأخ الثالث لمحمد أبو طالب بن علي بن الشارف⁵⁷ ، وهو من الأعلام البارزة بمازونة حيث كان معاصرا لابن حمادوش عبد الرزاق الذي شهد له كتابه الذي ألفه على مختصر السنوسي، وهذا نصه: " الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا أثيرا إلى يوم الدين، أشهد بأن العالم العلامة

للخبر الفهامة سيدي الحاج عبد الرزاق أصلح كتابه الذي ألقاه على مختصر السنوسي على الشيخ البركة المتبرك به العالم العلامة للخبر سيدي أحمد الورززي، كما كتبه الشيخ المذكور بخطه وقت تاريخه المذكور وقيد شهادته عبد الرحمن بن علي بن الشارف المازوني وفقه الله أمين⁵⁸.

ج- الصادق الحميسي المازوني:

يعد الشيخ الصادق الحميسي بن علي بن أبي عبد الله المغيلي المازوني حفيد أبي يحيى زكرياء المغيلي أحد علماء حاضرة مازونة خلال العهد العثماني، وهو ينتمي إلى أسرة توارث أفرادها القضاء والتدريس. كما أخذ محمد الصادق الحميسي عن كثير من علماء بلدته- مازونة- ثم التحق بمعسكر فدرس على عبد الله المشرفي، ليرحل بعدها إلى الأزهر فأكمل دراسته ثم عاد إلى مازونة، حيث تولى القضاء واستقر فيها بعد وهران لنفس الوظيفة بعد فتحها سنة 1206هـ/1792م⁵⁹.

ومن الملاحظ أن الصادق الحميسي المازوني قد كان يملك أعظم مكتبة علمية ورثها عن أجداده هذا من جهة، ومن جهة أخرى فتاريخ ميلاد هذا العالم غير معروفة شأنه في ذلك شأن جل أعلام هاته الفترة. أما عن وفاته فلقد توفي حوالي سنة 1828م⁶⁰، كما جاء في إشارة الأغا بن عودة المزاري في كتابه طلوع سعد السعود على أنه من أعلام وهران ومن فقهاء البارزين⁶¹، لدرجة أن قام عبد الله المشرفي قاضي معسكر بمدحه أثناء زيارته لمازونة قائلاً فيه:

وأهلها خير أناس	مازونة خير القرى
إلا كريما أو مواس	لم تلق فيهم جنينا
حاز الفخار والثراس	لا سيما قاض بها
والمجد خبر لا يقاس	العلم صار طبعه
سما بفكر ودرس	أكرم به من عالم
ولغة أبا نواس ⁶²	ضاهى بفقته مالكا

كما ترك الصادق الحميسي عدة إنجازات علمية وفقهية منها مجموعة من الأحكام له ولإبن عمه الميلود قاضي المحلة بـمازونة، من بينها حكم أثبت فيه نسب أبناء سيدي الهواري نشره الجنرال المؤرخ ديدي (Didier) حسب إشارة أحد أحفاده المؤرخ الدكتور مولاي بالحميسي⁶³.

د- الحسن بن محمد مصطفى المازوني:

يعتبر الشيخ سيدي الحسن من علماء مازونة المشاهير عاش في القرن الثاني عشر الهجري. ألف كتابين وهما:

- تحفة الملوك في حصر أصول الإرث المتروك.

- منهاج السلوك في شرح معاني تحفة الملوك⁶⁴.

هـ- الشيخ إبن علي بن الشيخ أبي عبد الله المغيلي:

وهو والد الصادق الحميسي المازوني⁶⁵ وأحد شيوخ أبو راس الناصر العسكري الذي قال فيه: "ثم إنتقلت من قراءة شيوخ أبي علوفة المذكورين وهم أربعة كما مرلنا إلى القراءة على شيوخ مازونة، فجلست في حلقة العالم الكبير الفقيه الشهير الأحظي الأرضي الأمضي الأفضل الأنبل الأمل الأقبل الذي ركض في ميدان المجاهدة، ووقف في مقام المشاهدة السني السني الخاشي الخاشع الأمدج الأنجد: شيخنا الشيخ إبن علي إبن الشيخ أبي عبد الله المغيلي ذي القراءة الصحيحة المؤسسة، والطلبة على بابه مقبلة ومعرسة كأه عبد الحميد أو أبو الفتح محمد إبن دقيق العيد، فكنت من جملة تلامذته ومعدودا من طلبته فقعدت في طرف الحلقة للزحام الكاض والضيق الفاحش الهاض، فكانت في الأعيان كحلقة إبن تيمية التي مدحها محمد أبو حيان وليس الخبر كالعيان، فاستفدت طرفا نافعا وأنا في السن يافعا، ثم نهض بي علي وفهني ما لديه إلى أن جلست بين يديه، وكنت في درسه دولا وللصواب في صور المختصر قولا فكأن لي منه بركة ونوالا ومنالا ومهابة وجلالا وصار يلحظني بعين الرضى ولم أر منه قط إغضاء..."⁶⁶.

و- الشيخ محمد بن عبد السلام المازوني:

- يعد الشيخ محمد بن عبد السلام أحد قضاة وفقهاء حاضرة مازونة وأحد مدرسي مدرستها الفقهية الشهيرة⁶⁷، حيث تخرج على يديه كثير من العلماء والطلبة أمثال أبو راس الناصر الذي قال عنه: "وكان القاضي محمد بن عبد السلام لا يحصل له الشاط في البحث والقراءة بالكد والحث إلا إذا رأى ذا التحقيق والمعرفة، وهو تلميذه الإمام محمد ابن عرفة فكثيرا ما يعترض فتواه بلحنه وفحواه مع أنها على قواعده تجرى كمسألة إسهاد الشفيع في غيبة المشتري، كذلك كنت أتكلم في مجلس شيخنا المذكور وأناقشه بما في الأمهات مزبور كمسألة دين المهريسقط الزكاة وإن أجل إلى موت أو بتات، وكمسألة خمر يتخلى رهن في دين عليه من أن ذلك رزق ساقه الله إليه إلى غير ذلك مما لا يحصى بعد ولا ينضب بحد"⁶⁸.

ز- الشيخ السيد العربي بن نافلة:

- لقد كان الشيخ العربي بن نافلة من العلماء الذين تصدوا للتدريس بمدينة مازونة خلال القرن الثاني عشر الهجري (18م)⁶⁹ وفي هذا المقام يقول عنه تلميذه أبو راس الناصر: "ومنهم شيخنا المسن وليس به توان ولا كسل ولا وهن، الذي أروى قلوب الطلبة برحيق مختوم تقريره، وزين إفهامهم بنظم قلائد تحبيره وحلى ظواهرهم بأداب نهيه وأمره، وملاً بواطهم بنفائس سره ليكون حصنا من كيد الشيطان ومكره. فلا يحوم حولهم معارض بسهمه ولا ساحر بسحره، الذي أفنى عمره بين تلاوة ودراسة وذكر ونافلة: شيخنا السيد العربي ابن نافلة صاحب الأصول والفروع، لها غروب في الأفئدة وطلوع وبراهين لها ظهور وسطوع، بين لهم ما خفي من معاني المختصر وألفاظه ويجيبهم بما تقر به أعين قرائه وحفاظه، وكان رضي الله عنه إذا أملى عليه قول المصنف "إن قدر على شيء فله أخذه" يقول: ما تقدم أيها الطلبة؟ فيبادره الحذاق بقول المصنف: "وليس له الأخذ منها لمن ظلمه بمثلها" فيتبسم قرأت عليه ثلاث سردات في ثلاث سنين فلا يمسك

كتاباً ولا يقرؤه في مجلسه وإنما حوى ثاني المختصر حفظاً ومعنى
ولفظاً.....⁷⁰.

- ومن الملاحظ أنه قد كان للشيخ العربي بن نافلة شهرة واحتراماً
كبيرين بين أوساط الطلبة والعلماء، حيث أفنى عمره بين تلاوة القرآن
ودراسة العلم فكان صاحب الأصول والفروع وحافظ معاني الشيخ خليل بن
إسحاق المالكي. كما درس أبو راس الناصر على ابن الشيخ العربي بن نافلة
المسمى أحمد، بدليل ما ذكره في فتح الإله: "... وكان ابنه: السيد أحمد من
شيوعي أيضاً فكل ما أشكل علي في مجلس أبيه فهمه لي أتم فهم لله دره، ما
أعلمه، وما أفهمه، وما أتمه في تأمله وبيانه، لولا رقة في لسانه له تقرير
لطيف تبين لي فيه ما صعب علي بلا تكلف ولا تكليف، ما أحسنه من شيخ
زاهد وورع عابد صاحب برهان وإتقان ومعرفة وإيقان...⁷¹.

ح- الشيخ أحمد بن نافلة:

يعتبر الشيخ أحمد بن نافلة من فقهاء وعلماء القرن الثاني عشر الهجري
(18م) وهو شقيق العربي بن نافلة⁷² درس بمازونة وكان من شيوخ العلامة
أبي راس الناصر الذي قال عنه: "... ومنهم شيخنا الورع الزاهد المستحضر
لنظائر المختصر والمعاهد السيد أحمد بن نافلة المشهور، أخو شيخنا الأستاذ
سيدي العربي المذكور ونظرت عليه في الثاني فكان له به خبرة كخبرته
بالمثاني، واسع المجال في تحقيق الصرف وبيوع الأجال يعرفهما على التفصيل
والإجمال...⁷³.

ط- الشيخ محمد بن عبد القادر القاضي:

يعتبر من أجل قضاة مازونة⁷⁴ قرأ عليه الشيخ أبو راس الناصر نفائس
من باب القضاء والشهادات وأحكام الدماء، بدليل ما ذكره في فتح الإله: "...
وحضرت مجلس السيد محمد بن عبد القادر القاضي المسهل به التقاضي
المؤيد به المتقاضي، أجل قضاة مازونة المستقبل منهم والماضي، فقرأت عليه

نفائس كانت في لي كالقش في صورة من عاج في الدمى من باب القضاء والشهادات وأحكام الدماء⁷⁵.

ي- الشيخ بن عوالي الزلماطي:

يعد الشيخ بن عوالي الزلماطي من جملة شيوخ أبو راس الناصر بمازونة والذي وصفه قائلا: "... وحضرت أيضا مجلس الصالح الوالي شيخنا السيد محمد بن عوالي الزلماطي المحب الزاهد الأنيس، كان يسرد لنا يوم الجمعة والخميس وقد اسر تفدت على صغر سني مثل سن ابن جني من كثير من الطلبة يشق حصرهم...⁷⁶.

ك- الشيخ بلقاسم بن محمد:

يعتبر من علماء مازونة تصدى للتدريس بالجزائر العاصمة ثم بمازونة ووهران، كما أصبح من كتاب أحمد باي بمدينة قسنطينة⁷⁷.

ل- الشيخ الزناتي محمد المازوني:

يعد الشيخ محمد الزناتي المازوني أحد العلماء الذين برعوا في حفظ المختصر رفقة كل من العالم مصطفى بن هني المازوني والشيخ مصطفى بن يونس والشيخ محمد بن إبراهيم، حيث كان أولئك الشيوخ يتقنون مختصر الشيخ خليل في الفقه وهم شيوخ بوعلوفة بمازونة كانوا يسكنون بها على حد قول أبو راس الناصر. كما اشتهر بعض أولئك الشيوخ بمعرفة الأول أي الجزء الأول من المختصر والبعض الآخر بمعرفة الثاني من المختصر، والبعض مقصور على الفرائض لا يتعدها ولا يعرف سواها إلا أن المقصور عليها هو وحجة فيها. إلى جانب ذلك فلقد ذكر عنهم الحافظ أبو راس الناصر: "وقد وقفت على شرح مطول في الفرائض للشيخ الزناتي، وقد توفي رحمه الله قبل مجيئي فقرأت على الشيخ البدالي وهو معروف بالفرائض...⁷⁸.

م- الشيخ محمد الصادق بن أفغول:

يعد الشيخ محمد الصادق بن أفغول أحد العلماء الصوفية البارزين في مازونة، ومن الشيوخ الأجلة لأبي راس الناصر المعسكري، هذا الأخير الذي وصفه بشيخ الإسلام والخبير بعلم الشريعة والجامع بين العلم والدين، صاحب مدرسة مازونة الشهيرة. كما وصفه أيضا: "بالأكثر حفظا وأتقن العلماء لمصنف خليل معنى ولفظا، وهو الحافظ الزاهد الورع الناقد للقي الناسك الصو في السالك ذو الخبرة للتامة بعلم الشريعة، فكل مسألة صعبت على غيره فهي له مطيعة، كان قد جمع بين العلم والدين فكان المقتضي في سبيل الهادين المهتدين من الأقدمين وأكمل المتأخرين"⁷⁹.

وزيادة على هذا فهي أبو راس الناصر يواصل في مدح شيخه الجلي بقوله: "... لم أرى مثله فيمن رأيت ولا حلمت على أجل منه فيما رويت ورويت، وكان للعلوم جامعا وفي فنونها بارعا، شئت إليه الرجال من حوالي زواوة وغريس، مقدا في معرفة الحديث على أقرانه منفردا بهذا الفن اللفيس في زمانه، أركى المعية وأذل اللوذعية لا يشق له غبار ولا يجري معه سواه في مضمار حسن، فهم السنة والكتاب بنكة تسحر الأبواب وفكر يفتح له غيره ما إستغلق من الأبواب، مستعينا برواية علوم ومدارك فهم أوقف نفسه على تدريس العلوم وقصرها، ولو شاء العاد أن يحصر كلماته لحصرها ومع ذلك له بالتجريد تعق وبكرامات الصالحين تحقق، وله مع ذلك في الأدب باع وكرم طباع لم يخل في بعضها من حسن إنطباع رحمه الله"⁸⁰.

ومقارنة بما سبق نستنتج أن العالم والشيخ محمد الصادق بن أفغول كان قد جمع بين الحديث والسنة والفقه وأخلاق الفكر، ملما لكامل العلوم والفنون وبارعا في معرفة الحديث على أهله منفردا بهذا الفن اللفيس في زمانه ومعاصرا للشيخ أبو راس الناصر المعسكري. وعليه فلقد اشتهر ابنه محمد مثله أيضا بدليل ما ذكره عنه الحافظ أبو راس الناصر: "... شيخنا الأسد الأمجد الأنجد الأرشد... فمن رآه قال: ما أشبه الشبل بالأسد فإنه رحمه الله كثيرا ما يفتح علي ما صعب في مجالس أبيه، فكننت جعلت معولي

عليه، ولا أجلس في حلقة أبيه إلا إليه فحصل لي منه حظ كبير وخير في ثاني المختصر كثير مبارك أثير"⁸¹.

خاتمة:

من خلال ما سبق يمكن التأكيد على أن مدرسة مازونة الفقهية قد كانت على درجة كبيرة من الأهمية في النواحي الغربية للإيالة الجزائرية لاكتسابها لنظام راسخ وتقاليد متينة استمدها من صلتها بالتعليم في تلمسان والأندلس والمغرب الأقصى، فاستمرت تشع بالمعرفة حق بعد انتقال عاصمة البايك الغربي من مازونة إلى معسكر ثم إلى وهران، فكانت مقصد طلاب النواحي الغربية لاسيما من ندرومة ومستغانم وتنس وتلمسان ووهران.

الهوامش:

- 1 - مازونة: مدينة عتيقة تقع نحو أربعين ميلا من البحر المتوسط، ذات حدود فلكية بين خطي عرض 36.03° و 36.07° درجة شمال خط الإستواء وخطي طول 0.45° و 0.53° درجة شرق خط غرينتش. وهي بذلك تعد بوابة الإقليم الغربي، إختلف الباحثون في تاريخ تأسيسها فوجدت عدة آراء منها أنها بلدة قديمة أسسها الرومان، بدليل ما قاله الرحالة الإسباني مارمول Marmoul الذي جال في المغرب خلال القرن السادس عشر الميلادي، حيث اعتمد في ذلك على وجود الآثار الرومانية واللوحات المنقوشة. في حين وجد رأي مفاده أن المنطقة كانت معمورة منذ العهد النوميدي بدليل وجود القبائل البربرية وبالخصوص قبيلة مغراوة ذات الصيت الكبير في بلاد المغرب الإسلامي، وهو الرأي المرجح لحد الآن. مولاي بالحميسي، مازونة مقصد الدارسين وقلعة الخليليين، منشورات المجلس العلمي، الجزائر، 2005، ص: 03.
 - 2- جنان الطاهر، مازونة عاصمة الظهرة: ثغر حربي ومركز إشعاع حضاري، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2005، ص: 09.
 - 3- أبوراس الناصر، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته: حياة أبي راس الذاتية والعلمية، حققه وضبطه وعلق عليه محمد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990، ص: 20.
 - 4- صالح بوشيش، المدارس الفقهية في الجزائر خلال العهد العثماني، مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، جامعة الجزائر، العدد الأول، 1425هـ-2004م، ص: 142-143.
 - 5- مولاي بالحميسي، المرجع السابق، ص: 21.
 - 6- وثيقة تاريخية موجودة بخزانة كتب المدرسة الفقهية في مازونة مؤرخة يوم: 09 فيفري 1910 إلى السيد المتصرف بدائرة أرنو سيدي محمد بن علي-غليزان حاليا.
 - 7- عبد الله ابن محمد بن الشارف ابن علي حشلاف، سلسلة الأصول في شجرة أبناء الرسول، المطبعة التونسية، تونس، 1929، ص: 141.
- 8-Jacques Berque, « Retour à Mazouna », in: Annales, économiques, sociétés, civilisation, n: 01 janvier- février 1972, p: 153.
- 9-Henri Leonfey, Histoire d'Oran, la domination espagnole, Edition dar el-Gharb, Alger, 2002,p: 287.

- 10- الأغا بن عودة المزابي، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، ج 1، تحقيق: يحيى بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990، ص: 270-271.
- 11- بوكفة يوسف، مدرسة مازونة الفقهية: النهضة والسقوط، رسالة ماجستير في علم الاجتماع، الجزائر: كلية العلوم الاجتماعية بجامعة وهران، 2002-2003، ص: 28.
- 12- الواليش فتيحة، الحياة الحضرية في بايلك الغرب الجزائري خلال القرن الثامن عشر، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 1993-1994، ص: 105.
- 13- المرجع نفسه، ص: 106.
- 14- بوكفة يوسف، المرجع السابق، ص: 85-87.
- 15- مولاي بالحميسي، المرجع السابق، ص: 30.
- 16- أبوراس الناصر، المصدر السابق، ص: 20.
- 17- مولاي بالحميسي، المرجع السابق، ص: 31.
- 18- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
- 19- بوكفة يوسف، المرجع السابق، ص: 31.
- 20- مولاي بالحميسي، المرجع السابق، ص: 31.
- 21- مولاي بالحميسي، معلم القرآن في التاريخ والفقه والأدب، منشورات المجلس العلمي، الجزائر، 2007، ص: 38.
- 22- أبو راس المازوني: هو محمد بن أحمد بن هني بن محمد أبو طالب المازوني بن علي بن عبد الرحمن بن أحمد بن الشارف المازوني، المعروف بأبي راس المازوني نسبة إلى جده لأمه أبو راس الناصر العسكري، ولد بمازونة حوالي منتصف القرن 19 م من أم تدعى زولة بنت الشيخ أبي راس الناصرومن أبناءه المعروفين أحمد، محمد، ومحمد الشانبيط تولى منصب الإفتاء، كما كان مشتركا في جريدة كوكب إفريقية العربية من شيوخه والده محمد بن أحمد بن هني وعبد القادر بالحميسي وجده أحمد بن هني. حيث تولى التدريس بعد وفاة والده محمد بن أحمد بن هني، وقد كان ذا علم ووجاهة عند الناس بتمكّنه بواسطة دوره التعليمي على أن يبقى الإشعاع لمدرسة مازونة الفقهية بالبايلك الغربي فدامت فترة تدريسه أكثر من 50 سنة. مولاي بالحميسي: مازونة مقصد الدارسين...، المرجع السابق، ص: 27، 28.
- 23- أبوراس الناصر، المصدر السابق، ص: 21.
- 24- مولاي بالحميسي، مازونة مقصد الدارسين...، المرجع السابق، ص: 32.
- 25- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
- 26- المرجع نفسه، ص: 33.
- 27- المرجع نفسه، ص: 34-35.
- 28- المرجع نفسه، ص: 35.
- 29- الأغا بن عودة المزابي، المصدر السابق، ص: 262.
- 30- ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، الجزائر في التاريخ: العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص: 197.
- 31- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
- 32- بوجلال قدور، العلم والعلماء في بايلك الغرب 1711-1830م: معسكر ومازونة نموذجا، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة معسكر، 2008-2009، ص: 198.
- 33- Bousquet, promenade sociologique: « une medersa dechueMazouna » in: revue africaine, 1947, pp: 412-413.
- 34- مولاي بالحميسي، مازونة مقصد الدارسين...، المرجع السابق، ص: 36.

- 35- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
- 36- بوكفة يوسف، المرجع السابق، ص: 52.
- 37- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي: من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري 16-20م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ج 1، 1981، ص: 348-349.
- 38- بوكفة يوسف، المرجع السابق، ص: 53.
- 39- ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص: 196-197.
- 40- بوكفة يوسف، المرجع السابق، ص: 52.
- 41- المرجع نفسه، ص: 55.
- 42- العيد مسعود، "حركة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني"، مجلة سيرتا، العدد: 03، رجب 1400هـ-ماي 1980م، ص: 67.
- 43- محمد سي يوسف، "نظام التعليم في بلاد زواوة بإيالة الجزائر خلال العهد العثماني"، ملتقى الحياة الفكرية في الولايات العثمانية، تقديم: عبد الجليل التميمي، منشورات مركز الدراسات في البحوث العثمانية والمورسكية والتوثيق والمعلومات، تونس، 1990، ص: 206-207.
- 44- مولاي بالحميسي، مازونة مقصد الدارسين...المرجع السابق، ص: 38.
- 45- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص: 348.
- 46- مولاي بالحميسي، مازونة مقصد الدارسين...المرجع السابق، ص: 24.
- 47- المرجع نفسه، ص: 26.
- 48- جنان الطاهر، المرجع السابق، ص: 60-61.
- 49- بوكفة يوسف، المرجع السابق، 59.
- 50- أحمد ابن سحنون الراشدي، الثغر الجماني في إبتسام الثغر الوهراني، تحقيق وتقديم: المهدي البوعبدلي، مطبعة البعث، الجزائر، 1973، ص: 235.
- 51- مولاي بالحميسي، مازونة مقصد الدارسين...المرجع السابق، ص: 22.
- 52- بوكفة يوسف، المرجع السابق، ص: 60.
- 53- المرجع نفسه، ص: 60-61.
- 54- Moulay Belhamissi, histoire de Mazouna, des origines à nos jours, S.N.E.D, Alger, p.p.: 45-49.
- 55- محمد بن يوسف الزياتي، دليل الحيران وأئيس السهران في أخبار مدينة وهران، تقديم وتعليق: المهدي البوعبدلي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978، ص: 165.
- 56- مولاي بالحميسي، مازونة مقصد الدارسين...المرجع السابق، ص: 10.
- 57- جنان الطاهر، المرجع السابق، ص: 62.
- 58- عبد الرزاق إنعمادوش، رحلة إنعمادوش الجزائري المسماة: لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والجال، تقديم وتحقيق وتعليق، أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 1983، ص: 262.
- 59- مولاي بالحميسي، مازونة مقصد الدارسين...المرجع السابق، ص: 41.
- 60- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
- 61- الأغا بن عودة المزابي، المصدر السابق، ص: 106.
- 62- مولاي بالحميسي، مازونة مقصد الدارسين...المرجع السابق، ص: 41.
- 63- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
- 64- جنان الطاهر، المرجع السابق، ص: 65.

- 65- المرجع نفسه، ص: 67.
- 66- أبوراس الناصر، المصدر السابق، ص: 44.
- 67- جنان الطاهر، المرجع السابق، ص: 67-68.
- 68- أبوراس الناصر، المصدر السابق، ص: 44.
- 69- جنان الطاهر، المرجع السابق، ص: 68.
- 70- أبوراس الناصر، المصدر السابق، ص: 44-45.
- 71- المصدر نفسه، ص: 45.
- 72- جنان الطاهر، المرجع السابق، ص: 69.
- 73- أبوراس الناصر، المصدر السابق، ص: 46.
- 74- جنان الطاهر، المرجع السابق، ص: 69.
- 75- أبوراس الناصر، المصدر السابق، ص: 46.
- 76- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
- 77- يوجلال قدور، المرجع السابق، ص: 230.
- 78- أبوراس الناصر، المصدر السابق، ص: 43.
- 79- المصدر نفسه، ص: 45.
- 80- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
- 81- المصدر نفسه، ص: 46.

مسألة تجنيد الاستعمار لأبناء شمال إفريقيا في حروبه الاستعمارية والمواقف المحلية منها

أ. شيخ لعرج

أ.د. دحوفغورور

جامعة وهران 1 أحمد بن بلة

إن النزعة الاستعمارية التي طبعت سياسة الدول الأوروبية الكبرى خلال القرنين التاسع عشر والعشرين ولدت لدى هذه الدول حاجة ماسة إلى القوة العسكرية التي تمكنهم من تحقيق اغراضهم التوسعية، وخاصة في إفريقيا التي كانت ترى فيها خزاناً استراتيجياً للموارد البشرية الشابة، التي يمكن استغلالها في توسعاتها الاستعمارية، وبالأخص أبناء شمال إفريقيا والذين عرفوا بنزعتهم القتالية، وقدرتهم على تحمل الظروف الصعبة، ومن هنا ظهرت بعد احتلال بلدان المنطقة مسألة التجنيد العسكري لهذه الطاقات البشرية الضخمة.

أولاً مسألة التجنيد في الجزائر

بعد نزول القوات الفرنسية في سيدي فرج غرب العاصمة في 14 جوان 1830م، وتمكنهم بعد أقل من شهر من ارغام الداوي حسين على توقيع معاهدة الاستسلام في 05 جويلية 1830م، كان الفرنسيون يعتقدون بأن التوسع في بقية مناطق الجزائر سهل المنال، وأن الأتراك كانوا العقبة الوحيدة أمامهم، ولكن اشتداد المقاومة الشعبية ضدهم، بعد محاولة مد نفوذهم خارج العاصمة جعلهم يتأكدون من الصعوبات المنتظرة، وهو ما أقره الجنرال دوباريل بنفسه في مذكراته التي ورد فيها: "إن الفرنسيين ارتكبوا خطأ فادحاً عندما طردوا الجيش الانكشاري، فهؤلاء المماليك كانوا على استعداد لمساعدتنا في قضيتنا، والبقاء في خدمتنا، فلقد حطمتنا الإدارة

التركية، ولم نتمكن من وضع شيء بديل آخر عنها، ومن حسن الحظ أن هناك بعض الكراغلة ما يزالون في البلاد ويمكن الاعتماد عليهم.¹

وبالتالي وأمام صعوبة إخضاع القبائل الثائرة، كان على القادة الفرنسيين ربط علاقات مع الأهالي، وظهرت فكرة تجنيد من هم على استعداد للتعاون معه، وخاصة القبائل التي كانت متعودة على تقديم خدماتها للسلطة الحاكمة في العهد العثماني، على غرار قبيلة زواوة والصبايحية مثلا.

أول قبيلة اتصل بها دوبرومون كانت قبيلة زواوة²، وتمكن من تجنيد 500 فارسا منها، بقيت معسكرة في مدينة الجزائر³، وهؤلاء في الواقع بقايا فرقة عسكرية كانوا في خدمة الأتراك وبدأت مهامها الجديدة ابتداء من 25 أوت 1830، وظهر لكلوزيل بعد دوبرومون أن المجندين الجزائريين يمكنهم تعويض عناصر جيش الاحتلال، إذا ما تم تخفيض عددهم، وبالتالي يسمح هذا الإجراء بالحفاظ على ميزانية الدولة، والتقليل من نفقاتها الحربية، ويستفاد منهم أيضا في معرفة تضاريس الجزائر، ولذلك كتب إلى وزير الحربية الفرنسية في 06 سبتمبر يستشيريه في الأمر، وقبل مقترحه بتخفيض عدد أفراد الجيش إلى الثلث ليبقى بالجزائر 10 آلاف جندي، والبقية غادرتها إلى فرنسا، وفي 01 أكتوبر اتخذ قرارا بإنشاء فيلقين من المجندين الجزائريين، وسمح لكل جزائري يريد التعاون مع الجيش الفرنسي بالانضمام إليهما، وكانا يتشكلان من "الزواف" وانضم إليهما فعلا الكثير من المغامرين والشباب المجرد من وسائل العيش، وصنع منهم قوة عسكرية متمرسة وقوية، يمكن الاعتماد عليها في المهمات الصعبة، خاصة وأن عناصرها كانوا متعودين على السير لمسافات طويلة دون ماء ولا نوم، وبقيت عمليات التجنيد العسكري للجزائريين مستمرة على مدار سنوات الاحتلال، لتتخذ شكلا تعسفيا بعد إقرار صيغة التجنيد الإجباري عام 1912م.

طرق تجنيد الجزائريين

يمكن تقسيم هذه الطرق إلى صيغتين أساسيتين هما صيغة التجنيد الإرادي (التطوعي) وصيغة التجنيد الإجباري ابتداء من صدور قانون التجنيد الإلزامي في 03 فبراير 1912م.

التطوع الارادي للأفراد والجماعات

فتحت السلطات الاستعمارية أبواب التجنيد أمام الجزائريين، وكانت تدرك أن الظروف المعيشية الصعبة وخاصة في الجبال ستدفع بالشباب إلى طلب الانخراط التطوعي في الجيش الاستعماري، وقد حاولت فرنسا إغراءهم بالمنح وبعض الامتيازات، ورغم الأجور المتدنية التي كان المجندون يتقاضونها إلا أنها في نظر الجزائريين كانت تخفف عنهم وطأة العيش، فالخيالة مثلا في فرق المخزن لا تزيد منحهم عن فرنكين يوميا، وهي أعلى مقارنة بمنحة المشاة المقدره بفرنك واحد⁴، أما منحة أفراد جهاز الشرطة الذي تم إنشاؤه سنة 1843 فكانت في حدود 15 فرنك شهريا للمشاة و30 فرنك للخيالة، أما الامتيازات فاقترنت على الإعفاء من بعض الضرائب وعود بضمنان التقاعد، ولو أن هذه الوعود لم تتحقق إلا نسبيا وفي بعض الحالات فقط، لأن اغلب المجندين لم يستفيدوا منه بما في ذلك من شاركوا في الحربين العالميتين ودافعوا عن فرنسا وأبلوا البلاء الحسن، كما وعدت فرنسا المجندين بمناصب اذا قدموا خدماتهم لها بولاء وإخلاص.⁵

وحتى تضمن السلطات الاستعمارية حسن سير عملية التجنيد الإرادي، لجأت إلى استمالة رؤساء القبائل بتقريبها من الشخصيات المحلية ومنحها مناصب، إغراء لها لتشجيع أبناء القبائل على التعاون معها، مثلما حدث مع بعض شيوخ القبائل في مقاطعة قسنطينة، أين قام الماريشال فالي بتنصيبهم قيادا لاستمالتهم، وضمن تعاونهم للقضاء على المقاومة الوطنية، وفيما يتعلق بانضمام الجماعات حافظت فرنسا على صيغ التجنيد العثمانية، بالابقاء-كما ذكرنا سالفًا - على فرقة الزواف، والتقرب من قبائل المخزن المشكلة من الزمالة والدواير في الغرب الجزائري، وعقدت معها معاهدة في

16 جوان 1835م، تنص المادة السابعة منها على القتال الى جانب الجيش الفرنسي، حتى ضد الجزائريين مقابل تسليح أفرادها وإعفائهم من بعض الضرائب.⁶

التجنيد الإجباري بموجب قانون 03 فبراير 1912

لم تكن نية تجنيد الجزائريين إجباريا في الجيش الفرنسي وليدة سنة 1912 ولكن الفرنسيين حاولوا مرارا تطبيق هذه الصيغة، وكانوا يفكرون في ذلك منذ عام 1832 غير أنهم بتعهداتهم التي وردت في معاهدة 05 جويلية 1830، ولكن مشاريعهم واجهتها عدة صعوبات على رأسها - كما أورد اجرون - صعوبة إحصاء الشباب القابل للتجنيد، في ظل غياب قوائم مضبوطة للحالة المدنية، وكذا الخوف من حركات التمرد في حالة تدريب الجزائريين وتسليحهم⁷، وكان الضباط الفرنسيون يتقدمون من فترة لأخرى باقتراحات لتطبيق التجنيد الإجباري، فكان منها اقتراح الجنرال موليير سنة 1845، ثم الجنرال مارتميري 1864، ثم نداءات أخرى في 1872 و1874 بعد المشاركة الفعالة للرماة الجزائريين في حرب 1870 ضد بروسيا رغم انهزام فرنسا وفقدانها لالزاس واللورين، وتجددت مطالب العسكريين الفرنسيين بحاجتهم للمجندين الجزائريين سنتي 1881-1882م.⁸

ابتداء من سنة 1889 دخلت مسألة التجنيد الإجباري أروقة البرلمان الفرنسي وناقشها النواب، ولكن القانون لم ير النور بسبب معارضة المعمرين من جهة، وعدم تحمس المسؤولين للقضية من جهة أخرى، غير أن سنتي 1907-1908 كانتا حاسمتين في مسألة التجنيد بعد اقرار قانون 1905 تقليص مدة الخدمة العسكرية للفرنسيين إلى سنتين بدل ثلاث سنوات، وادى ذلك إلى تناقص عدد أفراد الجيش الفرنسي، وقت ظهور مستجدات تجعل مسألة التجنيد الإجباري للجزائريين ضرورية كالتنافس الاستعماري، وخاصة في تلك الفترة حول المغرب الأقصى إضافة إلى التوتر في العلاقات الأوروبية⁹، وما رافقها من سباق نحو التسليح قد يفضي إلى قيام

حرب عالمية، وذلك ما جعل ميسيبي مقرر الميزانية الحربية يلج سنة 1907 على ضرورة تطبيق صيغة التجنيد الإجباري على الجزائريين.¹⁰

صدور القانون:

في 03 فبراير 1912 وبعد مناقشته في البرلمان الفرنسي صدر القانون الذي لطالما انتظره القادة العسكريون الفرنسيون، والذي ينص على التجنيد الإجباري للجزائريين باعتبارهم رعايا فرنسيين¹¹، وجاء بذلك هذا القانون لتتويجا لمشاريع كثيرة سبقت الإشارة إليها لمضاعفة عدد المجندين الجزائريين بعد أن عرفت ظاهرة التطوع الإرادي نوعا من الركود، ونشر هذا القانون في الجريدة الرسمية المبشر¹² يوم السبت 02 مارس 1912م، وهو يحتوي على 30 مادة موزعة على أربعة أبواب.

مضمون القانون

الباب الأول: أحكام عامة، المادة الأولى منه تنص على تجنيد الأهالي المسلمين بصيغة الاختيار أو إعادة التجنيد إعادة.

الباب الثاني: التأكيد على الأحكام الواردة في الباب الأول.

الباب الثالث: يحتوي على ثمانية فصول تضم 23 مادة من المادة 03 إلى المادة 26 وتتضمن هذه المواد ما يلي:

الفصل الأول: 04 مواد (من 03 إلى 06) وهو يتعلق بكيفية استدعاء المسجلين.

الفصل الثاني: 05 مواد (من 07 إلى 11) وهو يتعلق بإحصاء الجزائريين.

الفصل الثالث: 03 مواد (من 12 إلى 14) ويبين الأشخاص الذين لهم الحق في الإعفاء والتأجيل.

الفصل الرابع: 07 مواد (من 15 إلى 21) ويتعلق بالقرعة وجمع الأشخاص.

الفصل الخامس: خاص بالبديل.

الفصل السادس: يضم المادتين 23، 24 وهو خاص بجمع العسكريين.

الفصل السابع: خاص بالمرتب اليومي والجوائز وهو ما تنص عليه المادة 25.

الفصل الثامن: ويتعلق بالأحكام الجزائية ويشمل المادة 26. الباب الرابع: ويحتوي على أربع مواد (من 27 إلى 30) ويتعلق بالامتيازات وتنظيم الجنود والقانون ساري المفعول في المناطق المدنية دون غيرها من المناطق العسكرية. وقد وقع في النهاية على هذا القانون رئيس الجمهورية الفرنسية البرفاليار ووزير الحربية ميلران.

تطبيق القانون وردود لفعل المحلية

شرعت السلطات الاستعمارية في تطبيق هذا القانون في جوان 1912م بعد تعيين فرق مكلفة بالإحصاء والقرعة والتجنيد، وترافق هذه الفرق في أداء مهمتها قوات عسكرية من الرماة والصبايحية والمشاة لتفادي اي حادث قد يواجه تلك اللجان، وبعد تحديد الولاية العامة وقيادة الجيش تقرر البدء بتجنيد 2550 جزائريا موزعين على العمالات الثلاثة كما يلي:

عمالة الجزائر: المسجلون البالغون 18 سنة: 8483. العدد المطلوب: 753 جنديا

عمالة قسنطينة: المسجلون: 13532، العدد المطلوب: 1331 جنديا
عمالة وهران: المسجلون: 4707، العدد المطلوب: 466 جنديا¹³

أما ردود الفعل المحلية تجاه هذا القانون فقد اتخذت عدة أشكال بعضها سياسي والآخر عسكري. من المظاهر السياسة نذكر:

أ- المظاهرات: عمت مختلف مناطق البلاد احتجاجا على تطبيق هذا القانون الجائر، ومن أمثلة ذلك ما وقع في منطقة بوقرة (روفيغو سابقا) بضواحي البليدة أين احتج أكثر من 300 شخص أمام دار البلدية، ولم يغادروها الى غاية أن وعدهم رئيس البلدية بدراسة القضية.¹⁴ كما وقعت مظاهرات عنيفة في عين توتة بضواحي باتنة لما همت اللجان الفرنسية باجراء القرعة شهر جوان 1912، ونفس المظاهرات عرفتها منطقة القنطرة ببسكرة في 24 جوان 1912 تعبيرا عن رفض التجنيد الإجباري.¹⁵ كما عبر سكان خنشلة عن عزمهم اللجوء إلى الجبال إذا ما طبق عليهم هذا القانون والقيام بثورة¹⁶.

ب-تقديم العرائض: وهي شكل من أشكال الاحتجاج على هذا القانون، حيث قامت لجنة الدفاع عن مصالح المسلمين والتي كان الأمير خالد احد أعضائها بإرسال عريضة الى الحكومة الفرنسية والمجلس الوطني الفرنسي، اعتبروا فيها هذا القانون منافيا للديمقراطية ومهينا للجزائريين، إذ لا يطبق إلا على الفقراء ولا تزيد منحة المجند عن 250 فرنكا، وأيضا غير عادل باقراره مدة ثلاث سنوات خدمة للجزائري وسنتين للفرنسي. ومن جهتها جماعة النخبة ارسلت وفدا من الدكتور بن تهمي ومختار حاج سغيد وبوشريط علاوة والدكتور موسى وحاج عمار وجودي وبن عصمان الى رئيس الوزراء بوانكاري وقدم له عريضة احتجاجا على هذا القانون.¹⁷

ت-الهجرة والفرار إلى الجبال: حيث هرب الكثير من الشباب إلى المنطق الجبلية للتخلص من هذا القانون وفي نفس الوقت اتسع نطاق الهجرة وخاصة إلى البلدان الإسلامية كتركيا وبلدان المشرق العربي وعلى رأسها الشام، أين كان الجزائريون يستقبلون كأبطال رفضوا الخضوع للكفار، وكانت اكبر هجرة من تلمسان، تلمها معسكر، سيدي بلعباس وسطيف وبرج بوعريج.

ردود الفعل العسكرية: وتمثلت في قيام عدة ثورات ضد التجنيد الإجباري كان أهمها ثورتي بني شقران 1914 والأوراس 1916 واللتين اتخذتاها كنموذج لهذا الرفض الشعبي لقانون التجنيد.

أ- ثورة بني شقران: سبتمبر- اكتوبر 1914

في إطار تطبيق قانون التجنيد الإجباري على الجزائريين عرفت منطقة بني شقران كغيرها من المناطق حالة تدمير شديدة، وحسب تقرير لرئيس بلدية معسكر بروني Prunier مؤرخ في 15 اكتوبر 1914 عثرنا عليه في مصلحة أرشيف ما وراء البحار باكس اون بروفانس بفرنسا فان دوار سيدي دحو كان أول من عرف ضجة كبرى بسبب هذا القانون، امتدت مباشرة المداشر بني شقرانن كما اشار التقرير إلى اختلاف درجة الاضطرابات، فدوار سجرارة -حسبه- سارت فيه عملية التجنيد دون

صعوبات بعد مقابلة نائب رئيس البلدية برانقروبر للاعيان واقناعهم بمزايا القانون، ولكن بقية المداشر رفضت رفضا قاطعا تجنيد ابنائها، ووقعت عمليات التمرد بدءا من الاثنين 28 سبتمبر 1914¹⁸.

حاول رئيس البلدية ومساعدته تهدئة الوضع بمقابلة أعيان المداشر يوم 02 أكتوبر وتقديم شروحات حول القانون لم تقنع أهالي المنطقة، واستمرت الاضطرابات وخاصة كما ورد في التقرير في دوار بني نسيغ والفراقيق مما دفع السلطات الاستعمارية إلى إرسال قوة عسكرية من القناصة تحت قيادة الجنرال لابيت. وحاولت هذه القوة فرض التجنيد على الأهالي وارغامهم على حضور إجراء القرعة، وقامت تلك الفرقة العسكرية المكونة من 50 فارسا و05 دركيين باستعمال العنف ضد السكان رد عليهم الأهالي بإطلاق النر وتحولت المنطقة إلى ساحة انتفاضة مسلحة امتدت بين 02 و05 أكتوبر إلى جل مناطق بني شقران: بني نسيغ ناوولد سعيد، بني خنيفيس، والفراقيق رغم محاولة استمالة بعض الشخصيات المحلية كشيخ قبيلة الفراقيق شعالة حمزة.¹⁹

وحسب ميني فان الجنرال لابيت اقتحم المنطقة في 07 أكتوبر لاختماد هذه الانتفاضة من جديد وهذه المرة ب1600 جنديا و قام بحرق جميع الدواوير، والقي القبض على 04 اعيان من المنطقة من أصل الستة المطلوبين، وتوقيف 79 شابا وفي اليوم الموالي القي القبض على الاثنين المتبقين، وبعد ذلك شرعت السلطات الاستعمارية في إجراء القرعة لاختيار العدد المطلوب.²⁰ وهذه الانتفاضة بعد قمعها دفعت الفرنسيين إلى الإبقاء على كل الكتائب المتبقية من الزواف في الجزائر تخوفا من حوادث مماثلة، و سارعت فرنسا إلى إصدار عدة أحكام لمعاينة المتمردين منها: نزع رخص حمل السلاح، فرض غرامة مالية، مصادرة أملاك المتهمين، الحكم على 13 شخصا بالإعدام، وعلى البقية بالسجن باحكام متفاوتة وبعد طلب العفو من وزير الحرب خففت أحكام الإعدام بالسجن المؤبد.²¹

ثورة الأوراس 1916

هي تعبير آخر عن رفض الجزائريين للتجنيد الإجباري، رغم القمع الذي ووجهت به الانتفاضات السابقة في بني شقران، وتيارت وفرندة والونشريس والظهرة والجنوب القسنطيني وسوق اهراس وغيرها منذ سنة 1914، وهذه الانتفاضات كلها أخدمت لأنها كانت تفتقر للتنظيم والتأطير. وقد ركزت السلطات الاستعمارية على المناطق الجبلية مراقبة شديدة لتفادي انتفاضات مماثلة، ومن هذه المناطق إقليم الأوراس الذي كانت تجوبه وحدات عسكرية باستمرار لإرهاب السكان، ودفعتهم إلى الاستجابة لقرارات الاستعمار والقبول بأمر التجنيد.²²

هذه الإجراءات كلها لم تكن من عزيمة سكان الأوراس الذين تصدوا لتطبيق قانون التجنيد الإجباري على أبنائهم بالاحتجاجات الواسعة منذ نهاية شهر سبتمبر 1916. فالإدارة الاستعمارية حاولت في هذه الفترة مضاعفة العدد المطلوب من المجندين الجزائريين، تطبيقا لمرسوم 07 سبتمبر 1916، والذي أصدرته وزارة الحرب في باريس، يجيز للحاكم العام للجزائر استدعاء كل الجزائريين المولودين عام 1890 وما تلاها، والبالغين سن 18 سنة وما فوق، أي الشباب الذين تم تعليق أسمائهم على قوائم الإحصاء منذ سنة 1909، شرط توفر الصحة الجيدة.²³ إضافة إلى مرسوم 14 سبتمبر 1916 والذي يفرض التجنيد على العمال، وكان يقضي بتجنيد 17500 عامل في هذه السنة.²⁴

وبموجب هذين المرسومين تم تكليف الاعيان باختيار العدد المطلوب للتجنيد، وانتشرت الرشوة بينهم، واعفي كل أبناء العائلات الميسورة، لدفعهم كمية من الذهب أو الأموال، و اقتصر الاختيار على أبناء الفقراء فقط، وسادت موجة من الغليان في أوساط هذه العائلات. تبعا لذلك لما عرض رئيس بلدية بريكة قائمة المطلوبين للتجنيد، وأمر بضرورة حضورهم لنقلهم الى فرنسا للمسلمة في المجهود الحربي، دفاعا عن فرنسا، توسعت

رقعة الاحتجاجات، وفر الشبان كلهم إلى الجبال، ومن هناك بدأت الانتفاضة.

بادر الثوار إلى شن هجمات عديدة على المعمارين وعملاء الاستعمار من الأهالي، وعلى المراكز الاستعمارية، عسكرية وإدارية وشملت الانتفاضة رقعة واسعة حيث عمت بلديات بلزمة، عين توتة، خنشلة، عين القصر، وعين مليلة، تم فيها إحراق مزارع المعمارين وقطع خطوط الهاتف، وقتل العديد من الشخصيات الاستعمارية ومنهم المتصرف أفراد بعين توتة، والحاكم أفراد بباتنة، زيادة على عدد من المعمارين.²⁵ وقد قابلت السلطات الاستعمارية هذه الانتفاضة كعادتها بالقمع الشديد، معتمدة بالدرجة الأولى على فرق الزواف، فقامت بالقتل العشوائي للسكان واعتقلت الآلاف منهم، وأحرقت العديد من القرى، وصدرت ضد المعتقلين أحكام بالإعدام وأخرى بالأشغال الشاقة، وصودرت رؤوس الماشية، وفرضت على السكان غرامات مالية باهضة لم يكن بمقدور أغلبهم دفعها.²⁶

و رغم كل هذه الانتفاضات فإن السلطات الاستعمارية استمرت في تجاهلها لرفض الجزائريين هذا القانون الجائر، بل وصممت على الاستمرار في تطبيقه ولو باستعمال العنف والقهر، وذلك ما نقرأه من تصريح الحاكم العام للجزائر في 08 مارس 1917م والذي دفعته وقاحته الى وصف الجزائريين بالمتخلفين عقليا، حيث ورد في تصريحه هذا كتعقيب على انتفاضتي بني شقران والأوراس ما يلي: " انها عودة الى البربرية القديمة، تلك التي كنا ننتظرها من الأهالي الذين لم تصلهم المدنية بعد، وهو حال المناطق الجبلية المنعزلة التي وقعت بها تلك الانتفاضات. لقد قلت لا يمكن لاي حادث او هزة ان تدفع فرنسا الى الانحراف عن مسار النور والانسانية الذي تتبعه هنا، ولا دورها كوصية على شعب متخلف عقليا."²⁷

ثانيا: تونس

خضعت تونس للحماية الفرنسية منذ توقيع الباي التونسي محمد الصادق على معاهدة باردو مع المفوض الفرنسي الجنرال بريار في 12 ماي

1881م، وبموجب هذه المعاهدة تم إقرار تجنيد التونسيين لصالح فرنسا.²⁸ وقد شرعت فرنسا في تجنيد التونسيين بوتيرة متسارعة منذ سنة 1911م عقب اتخاذها قرار إرسال حملتها العسكرية للمغرب، وقد اشرك الاستعمار التونسيين رفقة الجزائريين في حملة احتلال فاس في تلك السنة، ثم تضاعفت وتيرة التجنيد بعدها في ظل حاجة فرنسا للمزيد من القوات بعد تدهور العلاقات الأوروبية واحتمال قيام حرب عالمية.

و بقيام الحرب العالمية الأولى سنة 1914م سارعت فرنسا إلى إرسال الفرق العسكرية المشكّلة من الصبايحية والقناصة والرماة، ومنهم ثمانية فرق تونسية تحت قيادة الجنرال هامبار (Humbert) وذلك مع نهاية أوت 1914م.²⁹ وشجعت فرنسا التونسيين كغيرهم من أبناء شمال إفريقيا على التطوع في صفوف قواتها بإصدار امرية 07 سبتمبر 1914م والتي نصت على إعطاء ذوي المجند منحة 1،25 فرنك يوميا يضاف إليها 50 سنتيما عن كل طفل لدى المجند، ثم جاء مرسوم 15 أكتوبر 1914م ليرفع منحة المجندين من 250 فرنكا الى 400 فرنكا³⁰. وفي نفس الوقت ظهرت تجارة أخرى من قبل الإدارة الاستعمارية تمثلت في شراء الجنود من الأعيان بثمن معين، وكان المجند يتقاضى مبلغا ماليا وفق وزنه، ويرجع ذلك أساسا إلى الفقر الذي كان أهالي المغرب العربي يتخبطون فيه.³¹ وكل ذلك شجع التونسيين على الإقبال على التجنيد ليصل عدد المجندين مع نهاية سنة 1914 إلى 80 ألف شابا.³²

هذا الإقبال على التجنيد في صفوف الجيش الفرنسي لم تقابله فرنسا بالتقدير بقدر ما اعتره الضباط الفرنسيون مجرد استنزاق وطلب للمال في ظل حالتهم الاجتماعية المزرية كما اسلفنا، ولم تأخذهم الرأفة حتى باولئك الذين جندوا إجباريا وتركوا عائلاتهم تتحسر على فقدانهم، ودفعوا بهم إلى الجهات الأمامية للقتال، وكان عدد القتلى في صفوفهم مرتفعا جدا، ففي الخمسة أشهر الأولى فقط سقط من أبناء المغرب العربي 35900 قتيل منهم 27،55 بالمائة تونسيون. وهذه الخسائر البشرية المرتفعة ولدت لدى

المجندين نفورا من الجيش الفرنسي، وحاولوا تذكير قادة الجيش بمأساتهم، وذلك في 15 ديسمبر 1914 م، واعتبر ذلك عصيانا لابد من قمعه حتى لا يتجراً المجندون الأهالي مرة أخرى على التعبير عن تدمرهم، واصدر الجنرال دوربال (D'urbal) قائد الجيش الثامن أوامره بإخراج واحد من الرماة التونسيين من كل عشرة، ويتجولون في الجهة وقد كتب على ظهورهم كلمة جبان، وإذا لم يسقطوا بنيران الألمان يعدمون من قبل زملائهم. أما بقية الجنود التونسيين ففرضت عليهم الأشغال الشاقة ليكون هذا العقاب عبرة لجميع المجندين.³³

وفي نفس اليوم أيضا، على الساعة الخامسة مساء، قام الجنرال دوبازلار (Debazelare) بإعدام عشر تونسيين لا لذنوب ارتكبوها ولكن فقط لتأثيرهم بالبرودة الشديدة، وعجزهم عن الحركة في منطقة فريبراندن (Verbranden) بباجيكا والتي كانت مكسوة بالثلوج³⁴. وهذه الظروف المأساوية دفعت في نهاية سنة 1916 التونسي محمد باش حامبة إلى تأسيس لجنة سياسية بجنيف، أصدرت مجلة المغرب لتشجيع جنود إفريقيا الشمالية على الفرار من الجيش الفرنسي، وكانت توزع منشور في جهات القتال سريا على المجندين، ونجحت فعلا في دفع الكثيرين إلى الفرار إلى الجيش الألماني والعثماني، أين تم جمعهم في عدة مراكز منها مركز فزردورف قرب برلين والذي جمع 500 جنديا تونسيا من مجموع 3200 جنديا مغاربيا.³⁵

استمرت فرنسا في تجنيد التونسيين - على غرار بقية أبناء شمال إفريقيا - خاصة بعد ظهور الخطر النازي في ألمانيا وتهديده لها، ثم قيام الحرب العالمية الثانية سنة 1939 م. فقد جندت سنة 1936 م 45 ألف تونسيا في وقت لم يكن عدد السكان يزيد عن 2.395.000 نسمة.³⁶ ليصل عدد المجندين التونسيين سنة 1939 م حوالي 80 ألف شخصا.

وفي 14 نوفمبر 1942 م وأياما قليلة بعد انزال قوات الحلفاء في شمال إفريقيا، أعلنت التعبئة العامة من قبل الاميرال دارلان قائد القوات الفرنسية في إفريقيا، وتم استدعاء كل الاحتياطيين من سنوات 1922م إلى

1942م وكانت أعمارهم تتراوح بين 19 سنة و42 سنة، وكانت نسبة التونسيين منهم 14,3 بالمائة بعدد يصل إلى 26 ألف مجندا.³⁷

ثالثا: المغرب الأقصى

بدأت مغامرات فرنسا في المغرب الأقصى منذ عام 1907 م بعد احتلالها وجدة والدار البيضاء، وكان المغاربة يرون في عزل السلطان عبد العزيز وتولية أخيه عبد الحفيظ سنة 1908م حلا لمشكل الانهيار الذي وصل إليه المغرب، لكن الأوضاع الداخلية ازدادت تفاقما حيث كثرت الاضطرابات الداخلية، وتأزم الوضع الاقتصادي، ولجأ السلطان عبد الحفيظ بدوره إلى الاقتراض من الدول الأوروبية مما زاد من ضعف المغرب، واضطر إلى الاعتراف بقرارات مؤتمر الجزيرة، والتي كانت في معظمها لصالح فرنسا بعد ضمان تأييدها عن طريق معاهدات وقعت سابقا مع إيطاليا 1902، بريطانيا 1904، إسبانيا 1905.

وبعد احتلال فرنسا لفسس عام 1911م، وتمكنها من أبعاد ألمانيا من طريقها بعد حل أزمة أغادير في نفس السنة، فرضت حمايتها على المغرب في 30 مارس 1912م واقتسمته مع إسبانيا تطبيقا للاتفاقية السابقة بين الطرفين، وبذلك استكملت مد هيمنتها على كامل المغرب العربي.

و نحن نتكلم عن التجنيد العسكري لأبناء المغرب لآبد أن نذكر بأن هذا التجنيد لم يقتصر على الفرنسيين، بل طبقتة أيضا إسبانيا، فخلال الحرب العالمية الأولى تمكنت من استقطاب عدد كبير من الفارين من الجيش الفرنسي، وشكلت منهم 20 طابورا و15 سرية، وهذه الفرق العسكرية استعملها إسبانيا في قمع معظم الاحتجاجات التي وقعت في بلادهم فيما بعد، مثل إخماد انتفاضة عمال المناجم في استورياس بالشمال سنة 1934م.³⁸

و أبرز من استغل المغاربة الجنرال فرانكو أثناء الحرب الأهلية الإسبانية منذ وصوله إلى تطوان في 19 جويلية 1936م مستغلا الظروف الاجتماعية

للمغاربة، مقدما راتبا شهريا أعلى مما هو عليه مرتب المجندين في الجيش الفرنسي، مما دفع المغاربة إلى الاقبال الكبير على جيشه، ووصل عدد من جندهم إلى غاية سنة 1937م 36 ألف رجلا.³⁹

أما بالنسبة للاستعمار الفرنسي، فإن معاهدة الحماية التي أشرنا إليها لم تنص على التجنيد الإجباري للمغاربة بل نصت فقط على فتح باب التطوع في الجيش الفرنسي.⁴⁰ وشجعت فرنسا هذا التطوع بالاعتماد أكثر على السلطان، وخاصة أثناء الحرب العالمية الأولى، حيث تمكنت من تجنيد 28 كتيبة من المغاربة مع نهاية شهر أوت 1914م تم نقلهم إلى فرنسا للمشاركة في القتال إلى جانب القوات الفرنسية. لقد كان لنداء السلطان يوسف بن الحسن (1881م-1927م) في 15 نوفمبر 1914م وقع كبير على عملية التطوع في الجيش الفرنسي، فقد تدفق المغاربة بشكل كبير على مراكز التجنيد للانخراط في صفوف الجيش الفرنسي بالمتنات، بعد ان دعاهم السلطان للدفاع عن فرنسا، وحث الجنود المغاربة في جبهات القتال على الصمود في وجه من سماهم أعداء الإنسانية والحرية والمدنية، ويقصد بهم الألمان وحلفاءهم واصفا الألمان بالمتجبرين، والعثمانيين بالمغفلين.⁴¹

و لم تقتصر فرنسا على استغلال المجندين المغاربة في الدفاع عنها في الحرب العالمية الأولى كغيرهم من أبناء المستعمرات، بل دفعت بهم إلى محاربة أبناء وطنهم وقمع الثورات الداخلية، تماما كما فعلت مع الجزائريين في القضاء على المقاومات الشعبية في ربوع الوطن. فقد استعملتهم في محاربة عبد الملك بن عبد القادر الجزائري أثناء ثورته بإقليم تازة سنة 1915م، ثم عبد الكريم الخطابي في الريف المغربي أثناء ثورته ضد الاسبان والفرنسيين بين 1921م و1926م، وقد أكد عبد الكريم بنفسه وجودهم رفقة الجزائريين والتونسيين في كل المعارك التي خاضها ضد أعدائه.⁴²

استمرت فرنسا في تجنيدها للمغاربة بين الحربين ليصل عددهم سنة 1936م الى 85 ألف مغربيا. ومع قيام الحرب العالمية الثانية عادت فرنسا من جديد لتشارك السلطان المغربي في حث المغاربة على التطوع بقوة في

صفوف جيوشها. فوجه السلطان محمد الخامس بن يوسف (1909م- 1961م) نداء هو الأخر للمغاربة للوقوف الى جانب فرنسا في حربها ضد دول المحور وعلى رأسها عدوها التقليدي ألمانيا، واستجاب للنداء الكثير من المغاربة على عاداتهم وخاصة من الجهات الريفية مثل منطقة الأطلس المتوسط (منطقة مراكش وجهة زمور) التي تضم قبائل عديدة، وتدفع الشباب من جديد على الجيش الفرنسي طلبا للانخراط حتى وصل عدد المسجلين الى 233 ألف متطوعا مغربيا.⁴³

وفي هذه الأثناء حاولت فرنسا الاحتفاظ بهذه الدرجة الكبيرة من الاقبال على التطوع لرفع عدد المجندين، فرفعت مستحقات التجنيد بالنسبة للمغاربة الى 20 فرنكا يوميا للقومي درجة ثانية وبين 31 و36 فرنكا للقناصة درجة ثانية سنة 1943م، يضاف إليها منحة التجنيد ومستحقات التكفل بالعائلة، وهي مبالغ مرتفعة مقارنة باجر عامل يومي في المغرب والذي لم يكن يتجاوز 16 فرنكا آنذاك.⁴⁴

وهكذا يتضح لنا أن الاستعمار الفرنسي بالخصوص لما خطط لإخضاع بقية دول شمال إفريقيا لسيطرته، تضمنت استراتيجيته الاعتماد على أبناء المنطقة سواء في توسعته الداخلية للهيمنة على كل شبر من مساحة هذه الدول، أو في حروبه الخارجية، مستفيدا من تجربته مع الجزائريين منذ سنة 1830، حيث كان لفرق الزواف او المخزن أو القناصة والصبايحية والقوم دور أساسي في إخضاع القبائل الثائرة، والقضاء على مختلف المقاومات الشعبية، وتثبيت جذور هذا الاحتلال. وقد أحسن الاستعمار استغلال الظروف الاجتماعية المزرية التي كان سكان المنطقة يعيشونها، لصالحه لتجنيد مئات الآلاف من شباب المغرب العربي في صفوف قواته، ودفعتهم إلى الجهات الامامية للقتال، في حروب لا تهم سوى الاستعمار، وكانت النتيجة أن قتل الآلاف منهم، البعض منهم وردت أسماءهم في سجلات القتلى والبعض الآخر مات مجهولا دفاعا عن فرنسا. وحتى لو أخذنا برأي أغلب الضباط الفرنسيين الذين كانوا ينظرون إلى

معظم المجندين من أبناء شمال إفريقيا كمرتزقة أخذوا نصيبهم (المتدني جدا) من المال وماتوا من أجل لقمة العيش كما يدعون، فما ذنب أولئك الذين جندوا قسرا وأبعدوا عن ذويهم تاركين أغلبهم بلا معيل، ورغم ذلك لم يحظوا بأدنى ذكر أو تقدير بمثل ما حظي به الأوروبيون.

الهوامش:

- 1-Dubaril, Mes souvenirs, tome 1, ed. Collection Georges Barba, Paris, 1894 p 49.
- 2- قبيلة زواوة: أو الزواف: أشاع الفرنسيون انها تنتمي الى منطقة القبائل بعد تعاونها معهم. وقد اثبتت دراسات حديثة ان هذه النسبة هي مغالطة فقط من قبل الفرنسيين، لاستمالة سكان القبائل الى صفوفهم، وان قبائل زواوة الحقيقية كانت قاطنة بجبال الظهرة بالأطلس التلي، شمال غرب مدينة المدية. والكل يعلم ان منطقة القبائل قاومت الاستعمار بشدة ولم تتعاون معه وان الاستعمار لم يتمكن من اخضاعها الا سنوات 1857، 1864م. ينظر: بجاوي محمد، المجندون الجزائريون في الجيش الفرنسي، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 2006
- 3- محمد الصالح بجاوي، متعاونون ومجندون في الجيش الفرنسي، 1830-1918 ط 1. دار القصة للنشر، الجزائر، 2009، ص 33.
- 4- محمد الصالح بجاوي، نفسه، ص 164.
- 5- عاشور شرفي، معلمة الجزائر، دار القصة للنشر، الجزائر، 2008، ص 778.
- 6- عمار هلال، ابحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة، 18-0-1962، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995 ص 235.
- 7- محمد الصالح بجاوي، متعاونون ومجندون، م. س، ص 34.
- 8- شارل رويبراجرون، الجزائريون المسلمون وفرنسا، 1871-1919، ترجمة حاج مسعود، { 2، دار الرائد للكتاب، الجزائر 2007، ص 722.
- 9- نفسه، ص 724.
- 10- رايح لونيبي وبشير ملاح، تاريخ الجزائر المعاصر، دار المعرفة، الجزائر، 2010 ص 87.
- 11- ناصر بلحاج، مواقف الجزائريين من التجنيد الإجباري 1912-1916، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر، جامعة الجزائر، 2005، ص 14.
- 12- عبد الرحمن بن ابراهيم بن العقون، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصرة 192-à 1936 ج 1، ط 1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984، ص 33.
- 13- المبيشر، رقم 5436، بتاريخ 1912/03/02.
- 14- ناصر بلحاج، م س، ص 108.
- 15- ابو محمد عبد الله الشافعي، ثورة الأوراس 1916 ضد التجنيد الإجباري الفرنسي للجزائريين، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر 1984، ص 85.
- 16 - Gilbert Meynier, l'Algerie reveillée, la guerre de 1914-1818 et le 1^{er} quart du 20eme siecle, librairie Droze, Genève 1981, p. 98.
- 17 - Charles Robert Ageron, les algériens musulmans et la France, 1871-1919, t2, P. U. F ; Paris, 1968 p. 1082.
- 18- عبد الرحمن بن العقون، م س، ص 37.

- 19- تقرير رئيس بلدية معسكر حول أحداث بني شقران بتاريخ 15-10-1914، نسخة من الارشيف الفرنسي لما وراء البحار باكس اون بروفانس. ص 1
- 20- نفسه، ص 4
- 21- Meynier, op. cit. , p. 283.
- 22- يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين 19 و20، ط 2 دار البصائر، الجزائر 2009، ص83.
- 23- Meynier , op. cit. ,p. 283.
- 24- جريدة الميشر العدد 5912 بتاريخ 1916/09/23
- 25- الميشر، عدد 5914 بتاريخ 1916/09/30.
- 26- محمد الصالح بجاوي، متعاونون، م س، ص377.
- 27- محمد الصالح بجاوي، نفسه، ص 377.
- 28 - Jean Melia, l'Algérie et la guerre 1914-1918. 4^e edition , librairie Plon et Cie , Paris, 1918, p. 276.
- 29 –Cahiers de l'Orient , revue d'études et de reflexion sur le monde arabe et musulman. n 119, Juin 2015,S. E. D, Paris, France. P. 95.
- 30 -Meynier , op. cit. ,p. 259.
- 31- ناصر بلحاج، دور الدعاية العثمانية الالمانية في رفض التجنيد الإجباري بالجزائر والدعاية الفرنسية المضادة خلال الحرب العالمية الأولى 1914-1918 ، مجلة الواحات للبحوث والدراسة العدد 3، 2008، غرداية الجزائر، ص17
- 32- نفسه، ص 17
- 33- Meynier ,op. cit. ,p. 262.
- 34- Meynier , Ibid. ,p275
- 35- Meynier ,Ibid. , p. 275.
- 36- بلحاج ناصر دور الدعاية الالمانية، م س، ص4
- 37- Cahiers de l'Orient , op. cit. ,p. 102.
- 38-ibid ,p 94
- 39- مارياروزا مادارياغا، مغاربة في خدمة فرانكو، ترجمة كتزة الغالي، منشورات الزمن، ط 1. 2006 ص 35
- 40- نفسه، ص 165
- 41- Cahiers de l'Orient , op. cit. , p. 95.
- 42- Revue du monde musulman, A 8 ,t 29 , Déc. 1914 , p. 304;
- 43 -ينظر: محمد قنانش، نجم الشمال الافريقي وثائق وشهادات لدراسة الحركة الوطنية الجزائرية، ط 2 ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1994 ص 26 (وردت فيه رسالة عبد الكريم الخطابي)
- 44- Cahiers de l'Orient , op. ci. , ,p. 96.

التنظيم العسكري لفيدرالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا

الطالبة: قرناشي إيمان
جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان
أ.د. جيلالي بلوفة عبد القادر
جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان -

التنظيم العسكري لفيدرالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا:

جمعت فيدرالية جبهة التحرير الوطني بين النشاط السياسي والعسكري، فقامت بتعبئة الجالية الجزائرية لاختيار إطارات منهم، مما جعلها تصطدم بالحركة الوطنية الجزائرية التي خافت أن تنتقل اشتراكات المهاجرين الجزائريين إلى الفيدرالية، وكان هذا الاصطدام عنيفا مما جعل الفيدرالية تشكل فرقا للتدخل دفاعا عن نفسها، وكذلك تأسيس منظمة خاصة على غرار المنظمة الخاصة لحركة انتصار الحريات الديمقراطية للقيام بنشاطاتها العسكرية.

1- تعبئة الجماهير ومواجهة المصاليين:

1-1- تعبئة الجماهير:

لقد وصفت سنة 1957 بسنة تنظيم وتعبئة¹، فقد تبين أن تنظيم مجموع الجالية الجزائرية المهاجرة كان أمرا معقدا، ذلك أن الجالية الجزائرية في فرنسا تميزت بنفس الخصوصيات التي تميز مناطقها الأصلية في الجزائر، فهي لم تشكل كلا منسجما، وهذا ما صعب من تعبئتها من أجل الانخراط في جبهة التحرير الوطني.

ومما زاد التعبئة صعوبة هو وفاء معظم أفراد الجالية الجزائرية لأفكار مصالي وكان معظمهم من المسنين والعمال والتجار، أما عن الفئات الاجتماعية الأخرى من ثانويين وجامعيين ومهن حرة وغيرها، المنتمية للهيكل

السياسية القديمة، فقد كان أعضاؤها أحسن اطلاعا على مجريات الأمور من خلال الصحافة أو النشرات الإخبارية.

أثناء السداسي الثاني لسنة 1957 كان الهدف الأساسي هو الإسراع في تنظيم المهاجرين، ولتحقيق هذا الهدف كان لا بد من القيام بعمل تمشيطي يغطي أكبر قدر من المناطق²، عمليا تم تشكيل فرق تكلف بالتوجه في أيام السبت والأحد، وفي أيام عطل العمال إلى الفنادق الجزائرية في باريس وضواحيها³، وكانت الخطة تتمثل في إسكان مناضلي جبهة التحرير الوطني في الفنادق التي يشغلها جزائريون لم يتم تطيرهم بعد. عند وصول المناضلين إلى المقهى يقومون بجمع الزبائن ليشرحوا لهم الأوضاع السائدة في الجزائر ويقنعوهم بأن الوقت قد حان للمساهمة الفعلية في الثورة وذلك عن طريق الانضمام لجبهة التحرير الوطني وجمع الأموال الضرورية لدعم الثورة، وإذا كان الحوار إيجابيا، في نهاية الاجتماع تقترح المجموعة إنشاء خلية لجبهة التحرير الوطني لدى سكان الفندق، وتلتزم متطوعين لذلك، إلا أنهم يترددون عادة، عندئذ يتدخل أحد المناضلين في جبهة التحرير الوطني المندسين داخل الجمع ويقترح أربعة أو خمسة أسماء من المناضلين المقيمين من أجل تكوين خلية تابعة لجبهة التحرير الوطني وبذلك يتشجع المترددون وينضمون إلى الخلية.

وهكذا تمكنت الفيدرالية في ظرف ثلاثة أشهر من التحكم في أكبر عدد من الجزائريين في باريس والضاحية الباريسية لتتوسع الحملة لتشمل كل التراب الفرنسي وبذلك تم وضع قاعدة نظامية متينة منذ نهاية 1957 غير أن سنة 1958 هي التي ستعرف هيكلة القسم الأكبر من الجالية الجزائرية المهاجرة في فرنسا⁴.

إن تطير الجالية أدى إلى تجنيد شامل لأفراد الجالية وكان لا بد من ترتيبهم حسب درجات إيمانهم بالقضية الوطنية وقدرتهم على الالتزام وقابليتهم للكفاح، ويسمح هذا التصنيف أيضا للمجدد الجديد عند انتقاله

من تصنيف إلى آخر، بتقوية إرادته وترسيخ أفكاره أو الوقوف على حدود إمكانياته، وهكذا فإن العنصر المجند حديثا يمر عموما على مراحل متتابعة: متعاطف⁵، فمنخرط⁶، ثم مناضل⁷.

تمثل فئة المتعاطفين العدد الأكبر من القوة العددية للجهة، أي 50%، كما يمثل المتعاطفون حماية لا بد منها للمناضلين، فإن المتعاطفين يمثلون ستارا للمناضلين الملتزمين، خصوصا الإطارات والمجموعات المسلحة. وإذا ترقى المتعاطف درجة صار منخرطا، وتعد هذه مرحلة فرز يتم خلالها اختيار المناضلين من بين المنخرطين، وبالإضافة إلى المقاييس التي يفترض أن تتوفر في المتعاطفين، فإن المنخرطين يقبلون المشاركة في التكوين النظري والعلمي الذي يسمح بانتقاء أفضل العناصر وترقيتهم إلى مناضلين، فالمتعاطفون مؤطرون من طرف المنخرطين وهؤلاء من طرف المناضلين.⁸

1-2- مواجبة المصاليين:

خلال السنوات الأولى التي تلت اندلاع الكفاح المسلح في الجزائر، كان موقف المناضلين الوطنيين الجزائريين المتواجدين بفرنسا موقفا مؤيدا بشكل كبير لمصالي عدا بعض الاستثناءات، من بينها مدينة سوشو⁹، فلقد انحازت جميع فروع حركة انتصار الحريات الديمقراطية للحركة الوطنية الجزائرية¹⁰، وبذلك كان حوالي 8000 مناضل مؤطر من قبل هذه الأخيرة، وكانوا يقدمون مساهماتهم المالية لحسابها وقد توزع مناضلو الحركة على النحو التالي: ولاية شمال بلجيكا وهي أقوى ولاية من بين الولايات الأربعة التابعة للحركة الوطنية الجزائرية، كانت تضم 5000 مناضل، أما ولاية شمال ساري فكان لديها 1200 مناضل، وولايتي الجنوب-وسط وباريس-نورمانديا كانت كل منهما تضم 1000 مناضل¹¹.

بين 1954 و1956 كان المناضلون الذين ينسبون أنفسهم إلى جبهة التحرير الوطني بفرنسا أقلية صغيرة في الجالية الجزائرية المهاجرة بفرنسا فلم يكونوا إلا نواة منظمة ذات وسائل قليلة، ولقد انطلقوا في ظروف

صعبة جدا دون مناضلين مقتدرين، كي يفسروا بأي ثمن أن أفراد جبهة التحرير الوطني هم الذين يكافحون في الجزائر، من خلال توزيع أدبيات ووثائق، ومن الواضح أنه مع مرور الوقت كان التقدم الذي حققه مناضلو جبهة التحرير الوطني في مناطق يسيطر عليها المصاليون يعني أن الحركة الوطنية الجزائرية أخذت تتراجع وأصبح مناضلو الجبهة يشكلون عائقا أمامها، فبدأت الحركة تقوم بتهديد الناس بالقتل إن لم يدفعوا مساهماتهم المالية، وبالفعل كانت تقوم بقتلهم محاولة إعاقة تقدم جبهة التحرير الوطني بفرنسا¹².

كانت الفترة ما بين 1955 و1956، بإجماع جبهة التحرير الوطني تجربة رهيبية، ويذكر بنجامين سطورا مرتكزا على التقرير الذي قدمته وزارة لويس جوكس أمام مجلس النواب الفرنسي في 13 جانفي 1962، حصيلة 76 مقتولا و510 جريحا لسنة 1956، و817 مقتولا و3088 جريحا لسنة 1957¹³.

كان يجب انتظار سنة 1957 لما زادت جماعات الحركة الوطنية الجزائرية من مضاعفة اعتداءاتهما حتى رأت قيادة جبهة التحرير الوطني بضرورة وضع الأساليب والوسائل الكفيلة بالرد على المصاليين، فقد بات من غير المقبول ترك هؤلاء يستمرون في اعتداءاتهم الدموية واغتيال مناضلي الجبهة هكذا دون رد¹⁴. ومن هذا المنطلق قررت منظمة فيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني وضع أجهزة دفاع ذاتي أطلقت عليها اسم "فرق التدخل"¹⁵ لمواجهة هذا التصاعد الخطير للعنف المصالي¹⁶.

تم تقسيم مجموع القوات القتالية إلى ثلاث فرق مفصول بعضها عن بعض بشكل صارم، وضعت تحت مسؤولية كل من أحمد عمراني وأحمد عيساوي وبوقرة المدعوسقات، كانت المجموعات المستقل بعضها عن بعض تماما موجودة في باريس وكان أحمد دوم اتصالها الوحيد بالفدرالية¹⁷. وكانت تتكون كل مجموعة من ثلاثة إلى أربعة أفراد أو أكثر، كل جماعة

تنشط تحت إمرة قائد الناحية الذي تتلقى منه التعليمات من جهة وتفيده بتقاريرها من جهة أخرى، ولا تربطها أية علاقة مع الهياكل الأخرى التنظيمية: الخلية والفوج والقسم والقطاع. وذلك نابع من ضرورة الحفاظ على سرية التنظيم ككل لأن الشرطة الفرنسية كانت تحاول دائما دس مخبريها الذين يصعب كشفهم.

تغطي الناحية بباريس مساحة إقليم الدائرة الواحدة وهذا يعني أنه يوجد نظريا عشرون مجموعة تنشط على مستوى العاصمة الفرنسية. بدأ تشكيل أولى المجموعات القتالية بالدائرتين 18 و19 لأن حضور المصاليين بهتين المنطقتين كان قويا فلزم صدهم¹⁸.

كان قادة المجموعات يتمركزون بالدائرة 18 حيث نجد هروي محمد المدعو موح ومساعدته عزاب محند المدعو مصطفى، وبالدائرة 19 نجد سليمان عميرات والأخوين ولد حمو عبد القادر وبرايم ومجبور محند السعيد المدعو بوقرو والحاج سليمان المدعو شيبيلوف يحي سانت دوني¹⁹.

تم إنشاء "فرق التدخل" للدفاع عن مناضلي جبهة التحرير الوطني ولإثبات أن جبهة التحرير الوطني قادرة على خوض الحرب في فرنسا كما كان عليه الشأن في الجزائر²⁰، كما كانت تقوم مهمتها على ضمان أمن الأماكن التي يتردد إليها مناضلو جبهة التحرير الوطني بكثرة وعلى وجه الخصوص تلك التي يعقدون فيها الاجتماعات واللقاءات، وكذلك حماية تنقل الأموال المحصلة عن طريق الاشتراكات وإيصال الوثائق السرية²¹، وكانت مهمتهم تتمثل أيضا في جمع المساهمات المالية من المهاجرين المعاندين - عمالا وتجارا - باستخدام القوة، وكانت تتمثل كذلك في الدفاع عن المناطق المكتسبة، كما كانت فرق التدخل مكلفة بإلزام المتمردين الذين يتناولون الكحول أو يرفضون الانتساب إلى الجبهة باحترام الأوامر²².

لكن المهمة الأساسية التي تشكلت من أجلها فرق التدخل هي الرد على اعتداءات عناصر الحركة الوطنية الجزائرية²³ وإبطال تحركاتهم هم

والمخبرين الآخرين الذين يعملون لصالح الشرطة الفرنسية²⁴ وكذلك التصفية الجسدية للمسؤولين المصاليين والخونة²⁵.

عمليات فرق التدخل:

- أصدرت اللجنة الفيدرالية أمرا بقيام الجماعة المهاجرة بإضراب لغرض تقدير مدى قوة جبهة التحرير الوطني، إلا أن حركة الإضراب لم تتبع إلا بنسبة ضئيلة في مدينة ليون بسبب جزائر جزائري مشهور بتعاونه مع الشرطة وكان يزرع الرعب في أوساط الجزائريين مدعوما بمصالح القمع، تسبب هذا الجزار في تعكير حركة الإضراب بالتوجه إلى أرباب المقاهي والتجار من أجل ترهيبهم، محرضا إياهم على فتح متاجرهم، فكلف عيساوي بإعدام هذا الخائن بعدما حصل على السلاح وكلمة السر ومبلغ مالي وعنوان الشخص من طرف أحمد دوم الذي حصل على معلومات عن هذا الواشي من طرف قسمة ليون وقد تمكن عيساوي من قتله²⁶.

- تمت عملية أخرى في غرونوبل تم خلالها تصفية أحد الوشاة²⁷.
- جرت عملية أخرى في محل بقالة صغير ببويني، كان أحد قادة الحركة الوطنية يلعب الدومينو حين وصل بوبول ومكي وفي هذه اللحظة ذهبت إليه عائشة عليوات التي كانت تعمل كخادمة في هذا المحل وسألته إن كان يفوز ووضعت يدها على كتفه وكانت هذه هي الإشارة التي سمحت للمتدخلين بالتعرف عليه وإطلاق النار²⁸.

لقد اكتملت هذه العمليات في خريف 1957 بمضاعفة التصفية الجسدية لقادة الحركة الوطنية الجزائرية، وبهذا سقط بالرصاص كل من أحمد سماش وهو مسؤول الاتحاد النقابي للعمال الجزائريين الخاضع للمصاليين في 20 سبتمبر، وفيلاي عبد الله المدعو لخفيف وهو ملازم مصالي وقائد سابق لحزب الشعب الجزائري في 23 سبتمبر وملولي سعيد وهو مسؤول بالاتحاد النقابي للعمال الجزائريين بشركة رونو في 24 سبتمبر، وحسين مروك وهو قائد سابق لحزب الشعب الجزائري في 7 أكتوبر وأحمد

بكات الأمين العام للاتحاد النقابي للعمال الجزائريين وقائد الحركة الوطنية الجزائرية بباريس في 26 أكتوبر²⁹.

تفوق الجبهة:

خرجت جبهة التحرير الوطني منتصرة في الصراع من أجل السيطرة على المهاجرين، لكن هذا الانتصار يعود إلى التدايعات السياسية لعمليات جبهة التحرير الوطني في الجزائر على الساحة الدولية أكثر منه إلى المجاهبات الجسدية على التراب الفرنسي بين الحزبين³⁰.

اتضححت الوضعية في نظر المهاجرين بمناسبة إضراب 8 أيام، فبينما حددتها قيادة الجبهة بثمانية أيام نادى الحركة الوطنية الجزائرية بإضراب لمدة يوم واحد فقط. كان المهاجرون يتابعون باهتمام كبير مجريات الأمور بالجزائر، فلاحظوا أن الإضراب قد تمت برمجته وأتباعه لمدة ثمانية أيام، مما جعلهم يستخلصون بسرعة بأن الشعب يسير وفق التعليمات الصادرة إليه من طرف جبهة التحرير الوطني، وبأن الجبهة هي التي تقود الكفاح في الميدان. لما تبين ذلك بالبرهان الملموس خرج المناضلون من صفوف الحركة بأعداد كبيرة³¹.

2- المنظمة الخاصة:

1-2-1- المنظمة الأولى 1956-1957:

في نهاية 1956 وبداية 1957، بدأ الصراع للإشراف على المهاجرين الجزائريين يتحول لصالح جبهة التحرير الوطني التي أصبحت فرق التدخل التابعة لها أكثر فعالية يوما بعد يوم، ويرجع العديد من مناضلي وإطارات المنظمة الخاصة لإنشاءها للمرة الأولى إلى هذه الفترة³².

وما يثبت أن المنظمة الخاصة لجبهة التحرير الوطني تأسست في الفترة المذكورة هو شهادة بن صدوق محمد الذي قبل في المنظمة بعد أن فر من الألزاس إلى باريس في صيف 1956 وعين في إحدى فرق المنظمة الخاصة في جانفي 1957³³، ويذكر عيساوي³⁴ في توضيح قدمه بجريدة المجاهد أن

المنظمة الخاصة ولدت سنة 1956 وليس سنة 1957³⁵ ويؤكد آيت مختار نصر الدين الأمر الذي حدد هو بدوره مسألة تأسيس المنظمة الخاصة في نهاية سنة 1956³⁶.

خلال الفترة الأولى شكلت فرق التدخل الاحتياطي الرئيسي الذي لجأ إليه دوم وسويسي لإنجاز المهمة الجديدة التي كلفتهم بها قيادة جبهة التحرير الوطني السياسية على أتم وجه. لم تكن الحدود التي تفصل الهيكلين السياسي وشبه العسكري واضحة تماما وغالبا ما كان قائد الولاية أو مسؤول المنطقة هو الذي يعين قادة الفرق ويحدد لهم الأهداف.

يظهر خلال هذا التأسيس الأول لمنظمة خاصة أنه تمت مواصلة نفس الأساليب القديمة التي كان يتبعها حزب الشعب الجزائري، فكان كل مناضل يعين من قبل مسؤول ولاية أو منطقة، يقوم بتشكيل خليتين تضمان شخصين ليشكل فرقة يتولى قيادتها.

إذن فتحت الجبهة الثانية بفرنسا لأول مرة سنة 1956-1957 مع مناضلين مصممين لكنهم قليلو الخبرة، لا يعرفون جيدا استعمال الأسلحة ولا هم مطلعون على أساليب الحرب التخريبية في أرض العدو، وكانت روح التضحية عند رجال ونساء هذه المنظمة الأولى نادرا ما تتمكن من تعويض نقص التحضير والاحترافية³⁷.

عملية اغتيال شكال علي:

في صبيحة 26 ماي 1956، قام عيساوي بإبلاغ بن صدوق عن مهمته الجديدة والمتمثلة في اغتيال شكال علي وهو نائب رئيس سابق بمجلس النواب الجزائري³⁸.

منذ فيفري 1955 سعى جاك سوستال³⁹ إلى تنفيذ السياسة المسماة بسياسة إدماج الشعب الجزائري في فرنسا، وعندما أعلن الممثلون الجزائريون في سبتمبر 1955 بعد اجتماع تمسكهم بفكرة الأمة الجزائرية بأغلب الأصوات {61 صوتا من أصل 90}، بقيت هناك أقلية تؤيد بشدة

فكرة الإدماج ومن بينهم بن سونة الطيب من تيارت ونقيب المحامين شكال علي وجبور أحمد والطبيب سيد قارا وبركروك عبد القادر كاتب دولة بالشؤون الخارجية⁴⁰، وقد شكل هؤلاء عددا من الأهداف المثالية بالنسبة لمنظمة خاصة عازمة على نقل الحرب إلى فرنسا وعلى تحقيق المسار الذي رسمه عبان رمضان ولجنة التنسيق والتنفيذ⁴¹.

كان عيساوي قد أعطى بن صدوق رقم تسجيل سيارة شكال علي ورقم المكان الذي كان سيجلس فيه بملعب كولومب حيث كان سيحضر مباراة في كرة القدم برفقة الرئيس روني كوتي، وبعد انتهاء المباراة قام بن صدوق بإطلاق النار على شكال علي من خلال جيب سترته واستقرت الرصاصة في منطقة القلب، وسقطت الضحية وأثار سقوطها القاتل ضجة في الصحافة الفرنسية والدولية وبهذا تمكن قادة الثورة من تحقيق هدفهم⁴².

2-2- المنظمة الخاصة الثانية 1957-1958:

أصبح موسى قبايلي منذ نهاية 1956 مسؤولا عن المنطقة الباريسية بعد أن عينه دوم أحمد، كان هو الذي أشرف بأمر من رئيسيه دوم وسويسي على العمليات المسلحة الأولى ضد أهداف فرنسية⁴³.

وفي ربيع 1957، عندما التقى ببوعزيز⁴⁴ في حضور العدلاني قدور، أدرك عندها أن هدف القيادة السياسية هو تأسيس هيكل عسكري حقيقي مختلف تماما عن هيكل المنظمة الخاصة الأولى⁴⁵.

كان يجب على هذا الهيكل الجديد أن يكون مستقلا عن المنظمة السياسية وأن يتشكل من مناضلين مستعدين، وكان دراجي قد وضع نصب عينيه نوع الرجال اللازمين للمنظمة الخاصة وكان آيت مختار نصر الدين⁴⁶ وعمار بن عدود⁴⁷ وهما طالبان في الطب، من بين هؤلاء الرجال⁴⁸.

ومن المعايير التي حددت من أجل اختيار الرجال نذكر:

من ناحية التكوين والانضباط:

- الانضباط الحديدي.

- المقاومة الجسدية والمعنوية.
 - التكتّم التام على الأسرار.
 - التحلي بشجاعة تصل حد التضحية القصوى.
 - العيش في السرية التامة.
 - الجدية والتحرر من أي رابط عاطفي أو عائلي أو غيره.
 - الحصول على تكوين سياسي.
 - معرفة الميدان الذي سينشط فيه.
 - البقاء في حالة تأهب دائم.
 - الحصول على تكوين عسكري.
 - أن يكون رياضياً أو يكون في حالة صحية جيدة ولبعض المهمات أن يكون يشبه الأوربيين.
 - من ناحية قواعد الأمن والقيادة:
 - استعمال أسماء مستعارة.
 - ارتداء أقنعة في الاجتماعات.
 - المسؤول: قائد عسكري ومنظم في نفس الوقت.
- الشعار:**

- التخطيط والتقرير والعمل في الخفاء بانضباط وفي صالح الوطن⁴⁹.

انطلاقاً من ربيع 1957، تقلد الثنائي بوعزيز وآيت مختار⁵⁰ قيادة المنظمة الخاصة بدلاً من الثنائي سويسي وقبايلي.

المشكل الوحيد الذي طرح هو أن المنظمة الخاصة لم ترث هياكل تخصصها، انطلقت مما كان يمكن أن تقدمه المنظمة السياسية⁵¹، سيحول إليها أولاً الناجون من المنظمة الخاصة الأولى من قبل سويسي عبد الكريم عضو اللجنة الفدرالية وهكذا تعرف آيت مختار على عمراني أحمد وعيساوي محمد أو محمد وبن صدوق محمد بالنسبة للمنطقة الباريسية، وحراني عمر وبن دالي حسين بالنسبة لجنوب فرنسا، وسرعان ما استدعي هؤلاء الرجال الأولون ليرسوا هياكل جديدة ويختاروا منتسبين جدد⁵².

1-2-2- فروع المنظمة الخاصة:

كانت المنظمة الخاصة مقسمة إلى ثلاثة فروع هي:

فرع التخريب والنشاط المسلح {الكومندوس}:

كانت المهمة الملقاة على عاتق هذا الفرع هي القيام بعمليات فدائية ذات طابع عسكري كالهجوم المسلح على مراكز الشرطة، وتخريب المنشآت سواء العسكرية أو الاقتصادية.

وإذا كان تجنيد هؤلاء الفدائيين لم يسبب مشكلا لقيادة المنظمة لأن أغلبيتهم اختيروا من أعضاء فرق التدخل⁵³، ومشاركة العديد منهم في مختلف الحروب {1939-1954 وحرب الهند الصينية}⁵⁴، إلا أن طبيعة العمليات المعقدة التي سيقومون بها وفق الاستراتيجية الجديدة للعمل الفدائي سيتطلب من القيادة تكوينهم تكوينا متميزا. و من أجل هذا اتصل عمر بوداود بقيادة الولاية الخامسة المتمركزة في وجدة لغرض استقبال أفواج من الفدائيين قصد تدريبهم⁵⁵.

تدريب الكومندوس:

لقد استقبلت مراكز التدريب بالمغرب⁵⁶ أربعة أفواج من فدائيي فيدرالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا على فترات متقطعة: 1957-1958-1959-1960، وكانت هذه الأفواج تصل عبر مسالك مختلفة فبالنسبة للفوج الأول والمتكون من اثني عشرة فردا⁵⁷ فقد وصل المغرب عن طريق إسبانيا ليصلوا إلى طنجة أين كان بوداود وقدرود بانتظارهم، تم اقتيادهم على متن عربة نقل إلى تيطوان ثم من هناك التحقوا بمعسكر العرايش أين خضعوا للفحص الطبي ثم أرسلوا إلى مزرعة مركز تدريبهم التي تبعد 15 كلم عن القاعدة⁵⁸. في حين أن الفوج الثاني والمتكون من عشرة أفراد، فقد انتقل كل فرد على حدة إلى ألمانيا ومنها نقلوا على متن طائرة مروحية إلى برشلونة وثانية بواسطة طائرة نقلوا إلى الدار البيضاء ومنها إلى وجدة ليصلوا إلى مركز كبداني عن طريق شاحنات، وكانت الطرق مختلفة أيضا بالنسبة

للفوجين الآخرين {1960-1959} وعند وصول هذه الأفواج إلى مراكز التدريب، كانت تقدم إلى مدربيها وغالبا ما كان هؤلاء جزائريين.

وكان التكوين ينقسم إلى قسمين:

تكوين نظري: من خلاله كان الجنود يتلقون دروسا في التقنيات الحديثة لحرب العصابات والتخريب وكذا التعرف على مختلف أجزاء الأسلحة التي سيستعملونها مستقبلا⁵⁹.

تكوين تطبيقي: أما فيما يخص التكوين التطبيقي فكان الجنود يخضعون لتمرين جسدية وتعلم استخدام الأسلحة وكل ما يرتبط بتحضير الوحدات الخاصة، كانوا يتسلقون الجبال ويعبرون واجهات المباني من طبقة إلى أخرى، وكانوا يتعلمون تركيب المتفجرات واستعمالها، وكذا القفز والسلاح في أيديهم من سيارة منطلقة بأقصى سرعة، كما كانوا يتعلمون الرمي بالبندقية والمسدس، تفكيك الأسلحة وإعادة تركيبها وأعينهم مغطاة⁶⁰.

بعد ستة أشهر من التدريبات المتواصلة تعود هذه الأفواج إلى فرنسا بعد خضوعهم لمعاينة طبية وتسلم لهم جوازات سفر مغربية والمال للسفر.

فرع الإمداد:

لقد كان مشكل التموين من أهم العقبات التي اعترضت الأفواج المسلحة في فرنسا ومن أجل حل هذه المشكلة عمدت قيادة فدرالية جهة التحرير الوطني إلى توفير الأسلحة، وقد مرت هذه العملية بفترتين:

الفترة الأولى: عندما انطلقت في 1957 العمليات الأولى ضد أهداف مدنية وعسكرية في الأراضي الفرنسية، كانت الإمدادات في الأسلحة لا تزال في بدايتها، كانت الأسلحة القليلة الموضوعة تحت تصرف المنظمة الخاصة تأتي من المنظمة الأم أو من فرق التدخل، وإلى غاية اندلاع هجوم أوت 1958، كان كل قسم من أقسام المنظمة الخاصة يتدبر أموره كما يستطيع للحصول على الأسلحة⁶¹.

ولهذا بدأت الاتصالات مع أوساط مهربي الأسلحة وكان هذا الأسلوب لا يخلو من المخاطر وغالبا ما كان هؤلاء المهربون يستلمون الأموال دون تسليم

الأسلحة أو تسلم للمناضلين أسلحة قديمة ومغشوشة⁶²، وهذا ما جرى مثلا لعيسى النوي مسؤول ناحية ليون الذي عوض أن يستلم شاحنة محملة بالأسلحة، استلم شاحنة محملة بالخضر والفواكه، وقبضت عليه الشرطة هو وزملاؤه وهم يقومون بتفريغها لعلهم يجدون الأسلحة مخبأة بين الخضر⁶³.

وهكذا فإن هذه الطريقة التي اعتمد عليها لجلب السلاح باتت تشكل خطرا على المنظمة ولذلك سرعان ما استغني عنها.

الفترة الثانية: وتبدأ بمجيء عمر بوداود إلى فرنسا، عند وصوله إلى باريس وجد نفسه عاجزا عن تأدية المهمة المكلف بها من قبل لجنة التنسيق والتنفيذ دون وسائل ملائمة، فقام بالاتصال بالقاعدة الخلفية بالمغرب الأقصى بواسطة أخيه منصور⁶⁴، ومع احتمال إجراء عمليات واسعة النطاق بفرنسا، كانت فدرالية فرنسا لجهة التحرير الوطني بحاجة ماسة للأسلحة والمتفجرات وبطبيعة الحال لجأت إلى القاعدة الخلفية بالمغرب، ويبدو أن الشحنة الأولى لمؤونة الأسلحة والذخيرة أرسلت في ربيع 1958⁶⁵، وبما أنه لا يمكن للأسلحة أن تأتي إلا من الخارج، كان يجب التفكير في أنجع طريقة لنقل هذه الحمولة الخطيرة دون أن تمسك في الحدود.

فانكب الجميع على المهمة، وفكروا في بعث سيارتين سياحيتين انطلاقا من المغرب، ولكن لتحقيق ذلك كان يجب القيام بتهيئة السيارتين، فحولت السيارة الأولى بالدار البيضاء، فقاموا بصنع صندوق متكيف مع المقعد الخلفي وعدلوا خزان الوقود لوضع خمس رشاشات ومسدسين وذخائر⁶⁶، أما السيارة الثانية فوضعوا بها متفجرات⁶⁷.

أما الصفقة الثانية فقد تكفل بها عمر حداد⁶⁸، هذا الأخير اتصل بتيريز وهي مواطنة ألمانية واتفق معها على صفقة تتضمن شراء 3000 مسدس و6000 خزان مزود بالذخيرة⁶⁹، هذه الكمية ستحل مؤقتا الأزمة التي تمر بها أفواج المواجهة والمنظمة الخاصة⁷⁰.

وهكذا فمن 1959 إلى غاية الاستقلال دخلت كميات هائلة من الأسلحة بمختلف أنواعها إلى فرنسا دون أن يكتشف أمرها ⁷¹.

فرع المخابرات:

لأن نجاح أي حرب متعلق بمدى معرفة قوة العدو وبتحركاته، فإن فيدرالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا كونت شبكة للمخابرات بسيطة في تشكيلها ووسائلها لكنها لعبت دورا مميزا في إعطاء المعلومات الضرورية لمواصلة نشاط الفدرالية.

شبكة أبولكر: وضعت مسؤولية المخابرات تحت عاتق نائب مسؤول المنظمة الخاصة آيت مختار نصر الدين، الذي كلف باسم فيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني بأن يتصل بفارس عبد الرحمان الرئيس السابق لمجلس النواب الجزائريين، الذي قبل المهمة التي كلفته بها جبهة التحرير الوطني، وانتحل الاسم المستعار "أبولكر" وهو الاسم الذي أطلق على الشبكة.

وسرعان ما بدأت الشبكة تنشط وكانت المعلومات التي تسمح برصد روحيات وغدوات شخصيات سياسية أمثال بورجو لويس ⁷² و دوسريني آلان ⁷³ وهي التي سمحت بإعداد عملية اغتيال شكال علي ⁷⁴.

ومع مرور الزمن انضم إلى شبكة أبولكر كل من بن يونس أحمد مفوض لدى مجلس النواب الجزائري والمحامي بومنجل أحمد وانضم إليهم شريف فارس في الثلاثي الثاني من سنة 1959 وزهير فارس سنة 1960، كما انضم إليهم كل من عمروش جون وخميستي محمد ⁷⁵ وبوطالب ومحمد فارس ومصباح وولد عودية أمقران وإيملحان ⁷⁶.

* كما تمكنت المنظمة من حقن مراكز الشرطة الفرنسية بعناصر من البوليس الجزائري ⁷⁷، هؤلاء لعبوا دورا هاما في تزويد المنظمة الخاصة بمعلومات خطيرة منها إعطاء قوائم تحمل أسماء الشرطة المكلفة بمقاومة جبهة التحرير الوطني، هذه القوائم كانت مصحوبة ببطاقات تحمل أوصافهم وصورهم وعناوينهم ولم يكشف أمرهم إلا في جوان 1960 حين عثر في

حوزة زينة حرايق على وثائق وصور تخص مفتشي الشرطة القضائية وأصبحت هذه الشبكة الثانية للمخابرات⁷⁸.

شبكة صادق:

في بداية 1958 استدعي بن دالي حسين إلى باريس لمهتم بإقامة شبكة استخبارات ثالثة مكونة من نواب وعناصر خاصة وطلبة.

عندما وصل إلى باريس استقبل من قبل مجيد وسعيد اللذين أعلماه بمهمته الجديدة وأعفي من وظائفه الأخرى التي كان يشغلها في المنظمة الخاصة وأصبح يدعى "صادق"، وقد ضمت هذه الشبكة عددا من الأفراد نذكر منهم كلال محمد⁷⁹، ورجل أعمال جزائري كان يدعى ويسكي⁸⁰، وبن هارون عبد المالك⁸¹ وغيرهم.

كانت المعلومات في المجمل تتعلق مباشرة بالمنظمة، وعلى وجه الخصوص تلك التي ترتبط بأمن المناضلين ومسؤولي اللجنة الفيدرالية، كانت شبكة صادق تستلم بانتظام أسماء المناضلين المعروفين لدى أجهزة الشرطة وأماكن إقامتهم، مما يسمح للشبكة بتمرير المعلومة للأفراد المعنيين. وبعيدا عن المخابرات كان صادق مكلفا بإقامة علاقات مع طلبة من بلدان إفريقيا السوداء، حيث كانت جهة التحرير الوطني تحاول دفع بعض البلدان الإفريقية لتثور على فرنسا وتحمل هذه الأخيرة على توزيع قواتها⁸².

2-2-2- التنظيم الإداري للمنظمة الخاصة:

التقسيم الإداري:

بعد رجوع الفوج الفدائي الأول من مراكز التكوين بالمغرب، شرعت قيادة الأركان في دراسة تقسيم جغرافي خاص بمناطق نشاط المنظمة آخذة بعين الاعتبار النقاط المستهدفة وكذا إمكانية التجنيد في عين المكان⁸³. خلال المرحلة الأولى التي دامت حتى شهر أبريل 1958 تم تركيز الجهود على باريس ومنطقتها وكذلك وسط فرنسا وجنوبها أما قادة الفرق فهم عمراني أحمد ومحمد عيساوي أحمد المدعو "ساكت" ومحمد بن صدوق

بالنسبة لمنطقة وسط باريس وضواحيها ولقد تم استبدال هذه الإطارات جزئيا بين ماي وجويلية 1957 بالعربي حميدو المدعو "عمار" وديافي محمد والطيب إدريس وعمار سعداوي المدعو "بوعلام" بالنسبة لباريس وضواحيها، وفي الوسط أي منطقتي ليون-سان إتيان، تم تعيين عمار حرايق في حين وضعت مرسيليا ومنطقتها تحت مسؤولية بن دالي حسين⁸⁴.

حسب آيت مختار كانت المنظمة في جويلية وأوت 1958 قد شكلت حسب التقسيم الإداري التالي:

*** باريس:**

المنطقة العسكرية الأولى {الضفة اليسارية}: المسؤولون حميدي العربي ومحمد ديافي.

المنطقة العسكرية الثانية {الوسط}: قائد فرقة الكوماندوس أوراغي مولود. المنطقة العسكرية الثالثة {الضفة اليمينية}: المسؤول سعداوي محند أورمضان المدعو "صابر"، كان سداوي عمر المدعو "بوعلام" نائب رئيس هذه المنطقة.

*** الجنوب:**

المنطقة العسكرية الأولى {مرسيليا- وسط}: قائد المجموعة عبد الرحمان مزيان شريف المدعو "علاوة"

المنطقة العسكرية الثانية {مرسيليا- شرق}: قائد المجموعة بوشينة علي. المنطقة العسكرية الثالثة {مرسيليا- غرب}: قائد المجموعة بلحوسين علي. المنطقة العسكرية الرابعة {بورردو- لاروشيل- تولوز}: قائد المجموعة بطروني علي المدعو "عبد العزيز".

المنطقة العسكرية الخامسة {ليون- غرنوبل- سانت إتيان}: القائد عمار.

*** نورمانديا:**

حولت نورمانديا إلى منطقة عسكرية عشية اندلاع هجوم أوت ووضعت تحت قيادة تازبينت أعمار المدعو "عبدو" ونائبه عينوز أعراب وتضم قطاع هافر والبوف وروان وإفرو وقطاع بتي وجراند كوفي.

* الشمال الشرقي:

تضم مورث وموزيل والألزاس واللورين، المسؤول عنها بن علي علي⁸⁵.

الهيكلية الإدارية للمنظمة الخاصة:

- الخلية: وتتكون من فدائين ومسؤول.
- الفوج: ويتكون من خليتين ومسؤول.
- الفصيلة: وتتكون من فوجين ومسؤول.
- السرية: وتتكون من فصيلتين أو أكثر بالإضافة إلى مسؤول.
- الكتيبة وتشمل سريتين أو أكثر بالإضافة إلى مسؤول⁸⁶

لقد كانت مساهمة فيدرالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا مساهمة فعالة - خاصة في شقها العسكري في الثورة التحريرية وخاصة فيما يتعلق في نقل الثورة إلى الأراضي الفرنسية لجعل هذه الأخيرة تقوم بتقسيم قواتها بين الجزائر وفرنسا وبالتالي التخفيف من الحصار الذي كان مفروضاً على الشعب والمجاهدين في الجزائر.

الهوامش:

- 1- كان على الفيدرالية أن تقوم بتأطير الجالية الجزائرية في صفوف جبهة التحرير الوطني وكان على هذا التأطير أن يضع حداً للتجنيد العشوائي الذي كان مطبقاً قبل 1957، خصوصاً التجنيد الشفوي أو عن طريق العلاقات، كانت هذه الطريقة في التجنيد تعتمد على مقاييس شخصية وليست جغرافية، فقد كان كل واحد ينخرط في الخلية المكونة من معارفه. إن مثل هذه التكتلات لا تسمح بالتأكد من أن جميع الجزائريين الساكنين في القطاع مقيدون في قوائم الفيدرالية.
- 2- هذه الطريقة كانت مطبقة من طرف حزب حركة انتصار الحريات الديمقراطية، حيث يذكر أحمد دوم أنه كان يتقصى آثار الجزائريين في المدن الواقعة في قسمة سوشو قصد تنظيمهم وتوعيتهم أو تلقي اشتراكهم، ينظر إلى: أحمد، دوم؛ أحمد دوم - من حي القصبة إلى سجن فرين 1945. 1962. مذكرات مناضل، تر: أحمد بن محمد بكلي، دار القصبة للنشر، 2013، الجزائر، ص. 64.
- 3- كان معظم أفراد الجالية الجزائرية بفرنسا متواجدين في باريس والضاحية الباريسية.
- 4- عمر، بوداود: خمس سنوات على رأس فدرالية فرنسا، من حزب الشعب الجزائري إلى جبهة التحرير الوطني، مذكرات مناضل، تر: أحمد بن بكلي، دار اليقظة للنشر، الجزائر، 2007، ص. 102. 106
- 5- المتعاطف هو الذي يطلب أو يقبل الانضمام إلى جبهة التحرير الوطني ويحضر الاجتماعات التي تعقد في مستواه، ويقراً وينشر كتابات المنظمة، ويدفع اشتراكه ويقبل بانضباط الجبهة وسلطتها.
- 6- تقوم فئة المنخرطين بخدمات جلييلة في مجال أمن الإطارات التي يتم اختيارها من بين المناضلين
- 7- المناضلون هم الذين لعبوا الدور الرئيسي في فيدرالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا، حيث كانوا ينجزون المهام المختلفة الأشد خطورة، مما جعلهم العنصر المحرك للجالية الجزائرية التي كانوا طليعتها في المعركة.
- 8- علي، هارون: الولاية السابعة - حرب جبهة التحرير الوطني داخل التراب الفرنسي 1954-1962 -، تر: الصادق عماري ومصطفى ماضي، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2012، ص. 62. 63

- 9- قررت لجنة قسمة سوشو التزام الحياض حتى تستوضح الأمور مع تأكيد الموافقة على العمل المسلح، ينظر إلى: أحمد، دوم، المصدر السابق، ص. 70
- 10- دحو، جريال: دحو، جريال: المنظمة الخاصة لفيدرالية فرنسا لجهة التحرير الوطني-تاريخ الكفاح المسلح لجهة التحرير الوطني في فرنسا(1956-1962)-.تر: سناء، بوزيدة، منشورات الشهاب، باتنة، 2013، ص. 38
- 11-Benjamin,Stora: Ils venaient d'Algérie,l'immigration algérienne en France 1912 1992,Paris,Fayard,1992,p.p.:152.153.
- 12- دحو، جريال، المرجع السابق، ص.39.40.
- 13 -Bnjamin,Stora,OP.Cit,P.206.
- 14 - محند آكلي، بن يونس: سبع سنوات في قلب المعركة-حرب الجزائر في فرنسا-تر:عبد السلام عزيزي، دار القصة للنشر، الجزائر، ص. 55
- 15- محند آكلي بن يونس يطلق عليها اسم "الجماعات المسلحة" واسم "جماعات الصدام القتالية" بينما أحمد دوم يطلق عليها اسم "مجموعات الصدام".
- 16- دحو، جريال، المرجع السابق، ص. 40.
- 17- أحمد، دوم، المصدر السابق، ص. 179.
- 18- محند آكلي، بن يونس، المصدر السابق، ص. 55.56.
- 19- يذكر جريال في كتابه مجموعة من مسؤولي فرق التدخل منهم عمار سعداوي، سعداوي محند أورمضان المدعو "صابر" المسؤول عن فرق التدخل في الباريسية وكان قبله تواتي دريس المدعو "بومدين" في الدائرة 13، وفي منطقة مرسيليا كان عثمان المدعو "سي عبد الله". أما فرق التدخل الريفي فكانت تحت إمرة علي وكانت تضم كل من عائشة عليوات ومكي وبوبول قاسي.
- 20- أحمد، دوم، المصدر السابق، ص. 179.
- 21- محند آكلي، بن يونس، المصدر السابق، ص. 57.
- 22- دحو، جريال، المرجع السابق، ص. 41.
- 23- من هذه الاعتداءات اغتيال سي محي الدين وهو مسؤول في جهة التحرير الوطني، والهجوم على معسكر عمال بفرمبي الذي كان من نتائجه مقتل عشرات الجزائريين، وكانت المقاهي ترمى بالرشاش وكان الناس يتعرضون للاختطاف ويعثر عليهم مقتولين، ينظر إلى: دحو، جريال، المرجع السابق، ص. 42.43.
- 24- محند آكلي، بن يونس، المصدر السابق، ص. 57.
- 25- دحو، جريال، المرجع السابق، ص. 41.
- 26- أحمد، دوم، المصدر السابق، ص. 181.182.
- 27- نفسه، ص. 182.
- 28- دحو، جريال، المرجع السابق، ص. 43.
- 29 Messaoud, Maadad: Gerre d'Algérie, chronologie et commentaires , ENAG, Alger, 1992
- 30- دحو، جريال، المرجع السابق، ص. 44.
- 31- عمر، بوداود، المصدر السابق، ص. 111.
- 32- دحو، جريال، المرجع السابق، ص. 71.
- 33- شهادة بن صدوق محمد في كتاب دحو جريال، المرجع السابق، ص. 71.
- 34- المسؤول عن العمليات المسلحة للمنطقة الباريسية.
- 35- دحو، جريال، المرجع السابق، ص. 71.
- 36- N.Ait Mokhtar: L'organisation spéciale de l'ALN, manuscrit inédit, P.1
- انظر: دحو، جريال، المرجع السابق، ص. 72.
- 37- دحو، جريال، المرجع السابق، ص. 72.73.
- 38- نفسه، ص. 76.

- 39 - جاك سوستال: عين واليا عاما على الجزائر سنة 1955 وهو صاحب مشروع سوستال نصب نفسه مدافعا عن "الجزائر الفرنسية" وسياسة الإدماج عينه ديغول سنة 1958 بوزارة الإعلام ثم الوزارة المنتدبة للصحراء. G.Pervillé: Les étudiants algériens de l'université française 1880-40. 1962,Cnrs,Paris,1984,P.220.
- 41- كان الهدف سد الطريق على عملية إنشاء قوة ثالثة وفرض حزب جبهة التحرير الوطني على أنه الممثل الوحيد للشعب الجزائري.
- 42 - دحو، جريال، المرجع السابق، ص.ص.77، 78.
- 43 - من هذه العمليات: محاولة حرق مكتب سوستيل، الهجوم على فندق كان سيجتمع فيه رؤساء بلديات الجزائر، محاولة اغتيال بورجو لويس، محاولة اغتيال دو سيريني آلان، محاولة اغتيال لأكوست روبر، وكذلك عملية اغتيال شكال علي الناجحة. ينظر إلى شهادة بن صدوق ومولود أوراعي في كتاب دحو جريال.
- 44 - جاء تعيين سعيد بوعزيز في فيفري أو في مارس 1957، ليعزز التنظيم وليؤسس منظمة خاصة شبه عسكرية حقيقية، وقد كان مناضل في حركة انتصار الحريات الديمقراطية من 1952 إلى 1954، ألقى القبض عليه في سبتمبر 1955 وسجن ببربروس، في 1957 وضع تحت تصرف فدرالية فرنسا.
- 45 - دحو، جريال، المرجع السابق، ص.79.
- 46 كان قد انتخب بمكاتب جمعية الطلبة المسلمين لشمالي إفريقيا واتحاد الطلبة الجزائريين لباريس والاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، وهو أحد الذين اتبعوا شعار الإضراب العام عن الدروس والامتحانات حتى النهاية، وبعد أن خاب ظنه بسبب ماطلة الوسط الطلابي قرر اختيار العمل المباشر.
- 47 - عمار بن عدود: عضو سابق بالكشافة الإسلامية الجزائرية لحي بلكور الشعبي بالجزائر العاصمة. وكان قد غادر الجزائر في 1952 لمواصلة دراسته بمونبولي بفرنسا، وأصبح عندها عضوا بمكتب جمعية الطلبة المسلمين لشمالي إفريقيا لهذه المدينة، وفي ماي 1956 خلال إضراب الطلبة، عاد إلى الجزائر العاصمة وانخرط في جبهة التحرير الوطني، وفي جويلية 1956 عاد إلى مونبولي.
- 48 - دحو، جريال، المرجع السابق، ص.80.
- 49 - دحو، جريال، المرجع السابق، ص.124.
- 50 - أصبح يدعى "مجيد" لمتطلبات السرية.
- 51 - شهادة موسى قبايلي في كتاب دحو جريال.
- 52 - دحو، جريال، المرجع السابق، ص.82.
- 53 - لخضر، زويدي: فدرالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا 1957-1962، رسالة ماجستير في تاريخ الثورة الجزائرية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2006-2007، ص.43.
- 54 - دحو، جريال، المرجع السابق، ص.125.
- 55 - عمر، بوداود، المصدر السابق، ص.108.
- 56 - من بين أهم مراكز التدريب:
- مركز العرايش: المتواجد في منطقة الريف التي كانت محمية إسبانية إلى غاية 1957، مهمته تكوين وحدات جيش التحرير، كان هذا المركز مختص في التدريب على الأسلحة المتطورة وحرب العصابات وكذا التدريب السريع لاستعمال المتفجرات.
- مركز كبداني: تأسس في صائفة 1959 بالقرب من الناظور، استحوذت عليه جبهة التحرير الوطني بعد خروج الإسبان منه، هذا المركز مختص في التدريب على استعمال المتفجرات وصناعتها.
- مركز خميسات: وهو موجود بين مكناس والرباط في مزرعة تملكها جبهة التحرير الوطني، اختصاص هذا المركز: التكوين العسكري الشامل. ينظر إلى: لخضر، زويدي، المرجع السابق، ص.44.
- 57 - يذكر دحو جريال اعتمادا على شهادات حية أن الفوج الأول كان مكونا من اثني عشرة فردا منقسمين إلى ثلاث

مجموعات كانت المجموعة الأولى مكونة من سعداوي محند أورمضان "صابر" ومحمد عيساوي "ساكت" ومبروك بن زورقي "بشير" وشروق عبد الحفيظ أما المجموعة الثانية فكانت مشكلة من أوراني مولود وعبد القادر بكوش المدعو "عيسى" وعمار سيبيعي ولعواربي عمار، وأما المجموعة الثالثة فكانت مكونة من تازيبنت أعمار "عبدو" المدعو "مزاي" واسماعيل عدور وثامي عبد العزيز "عبد الوهاب" ولعماري علي، ينظر إلى: دحو، جريال، المرجع السابق، ص.127.

- 58 - شهادة مولود أوراني في كتاب دحو جريال، ينظر أيضا: عمر، بوداود، المصدر السابق، ص.108.
- 59 - لخضر، زويدي، المرجع السابق، ص.45.
- 60 - شهادة مولود أوراني في كتاب دحو جريال.
- 61 - دحو، جريال، المرجع السابق، ص.100.
- 62 - عمر، بوداود، المصدر السابق، ص.108.
- 3-6 - علي، هارون، المصدر السابق، ص.265.
- 64 - يذكر علي هارون أن عمر بوداود اتصل بمهدي معبد، ينظر إلى: علي، هارون، المصدر السابق، ص.266.
- 65 - يذكر علي هارون أن أول شحنة وصلت كانت في نهاية 1957، ينظر إلى: نفسه، ص.267.
- 66 - يتحدث علي هارون عن 50 مسدسا و10 مسدسات رشاشة وحوالي 2500 خرطوشة، ينظر إلى: نفسه، نفس الصفحة.
- 67 - دحو، جريال، المرجع السابق، ص.107.
- 68 - مبعوث العقيد أوامرمان المكلف بالتسليح من قبل لجنة التنسيق والتنفيذ
- 69 - يذكر عمر بوداود أن الصفقة تضمنت 5000 مسدس، بعد التزود بما يحتاجه المناضلون في فرنسا تم بعث الفائض إلى الجزائر، ينظر إلى: عمر، بوداود، المصدر السابق، ص.109.
- 70 - علي، هارون، المصدر السابق، ص.268.
- 71 - لخضر، زويدي، المرجع السابق، ص.50.
- 72 - مستوطن كبير وزعيم الحزب الاستعماري بمجلس النواب الفرنسي وعضو بمكتب مجلس النواب الجزائري في زمن رئاسة عبد الرحمان فارس.
- 73 - وداعا ل"الجزائر فرنسية"، L'echo d'Alger مدير جريدة
- 74 - دحو، جريال، المرجع السابق، ص.87، ص.88.
- 75 - رئيس سابق في الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين.
- 76 - Abderrahmane, Fares: La cruelle vérité, ed. Plon, Paris, 1982, P.28 .
- 77 - نذكر منهم بويحي محمود وشريف آيت مختار أخ نصر الدين آيت مختار.
- 78 - لخضر، زويدي، المرجع السابق، ص.51.
- 79 - مفتش لدى إدارة البرق والبريد والهاتف الفرنسية وعضو في نقابة سعاة البريد وعضو في الفرع الفرنسي للدولية العمالية.
- 80 - كان يقدم معلومات مهمة جدا لدرجة دفعت مسؤولي المنظمة الخاصة إلى الشك في أنه عميل مزدوج.
- 81 - وكيل أعمال في الخمسينيات، كان لديه مكتب بشارع جون جوريس وكانت له علاقات وثيقة بالبرلمانيين الفرنسيين الجزائريين لباريس.
- 82 - شهادة بن دالي حسين في كتاب دحو جريال.
- 83 - علي، هارون، المصدر السابق، ص.
- 84 - دحو، جريال، المرجع السابق، ص.82، ص.83.
- 85 - شهادة آيت مختار نصر الدين في كتاب دحو جريال.
- 86 - Mohamed, Guentari, Organisation politico-administrative militaire de la Révolution Algérienne 1954.1962, P.101

المحور الثاني

التشريع الأرشيفي في الجزائر

د.ة بحوصي رقية

جامعة وهران 1 أحمد بن بلة

مقدمة

يحتل التشريع عموما، مركز الصدارة في أغلب دول العالم. فهو ضروري لتنظيم سلوك الأفراد في المجتمع، إذ يرمي إلى تحقيق النظام والمحافظة عليه، كما يرمي إلى كفالة المصالح العامة في المجتمع إذ لولا وجوده لعمت الفوضى واضطربت العلاقات¹ وللتشريع الأرشيفي كغيره من مجالات التشريع أهميته البالغة سواء بالنسبة للأرشيفي أو الأرشيف أو المؤسسة الأرشيفية.

1- أهمية التشريع-

1-1- بالنسبة للأرشيفي: تعتبر معرفة التشريعات الأرشيفية أمر ضروري للأرشيفي وذلك لمجموعة من الأسباب أهمها:

- ✓ مزاولة المهنة في إطار القانون
- ✓ ممارسة المهام بأكثر أريحية وذلك بمعرفة الأرشيفي ماله وما عليه، أي جميع حقوقه وواجباته بكل وضوح وبدون لبس.
- ✓ إن استخدام النصوص التشريعية والتنظيمية هو استفادة بطريقة ما من التجارب السابقة لأن هذه الأخيرة لا توضع عادة إلا بعد دراسة معمقة، كما أنها تأتي أحيانا لحل مشكلة معينة.
- ✓ التعرف على النصوص القانونية التي تتحكم في الأرشيف، فلا أحد يعذربجهل القانون
- ✓ استثمار النصوص القانونية فيما يعود عليه وعلى مؤسسته والأرشيف بصفة عامة بالنفع.
- ✓ اكتشاف الثغرات القانونية إن وجدت، واقتراح تعديلها بما يراه مناسبا عبر القنوات والسبل الشرعية.²

1-2- بالنسبة للأرشيف والمؤسسة الأرشيفية

يرى المجلس الدولي للأرشيف بأن تشريعات الأرشيف " ترسي الأساس القانوني والإداري الذي يوزع الوظائف والصلاحيات والمسؤوليات ويعبر عن المواطنين وتوقعاتهم فيما يخص المعلومات المسجلة والتراث الوثائقي، كما تحدد الشروط المسبقة لإدارة الأرشيف والسجلات وصيانتهما، وتمنح التفويض اللازم للسلطات الأرشيفية وتضع قوانين سير عملها، كما تحدد أي جزء من ذاكرة البلاد الجماعية ينبغي الاحتفاظ بها وحفظه، والجهات المسموح بالاطلاع تحت أي شرط".³

أما الجمعية الفرنسية للأرشيف ممثلة في ليمون بوني⁴ Limon-Bonnet فتري أن القانون هو إشارة إلى نضج سياسي، يلي حاجيات المجتمع، فبالتشريع يمكن للدولة أن تترجم المبادئ التي تتشبهت بها أكثر. فالتشريع الأرشيفي هو عبارة عن:

- إجراء يعبر عن إرادة سياسية
- الاعتراف بمهمة مؤسسة الأرشيف
- يوضح وضعية مؤسسة الأرشيف داخل الإدارة
- حماية التراث الأرشيفي

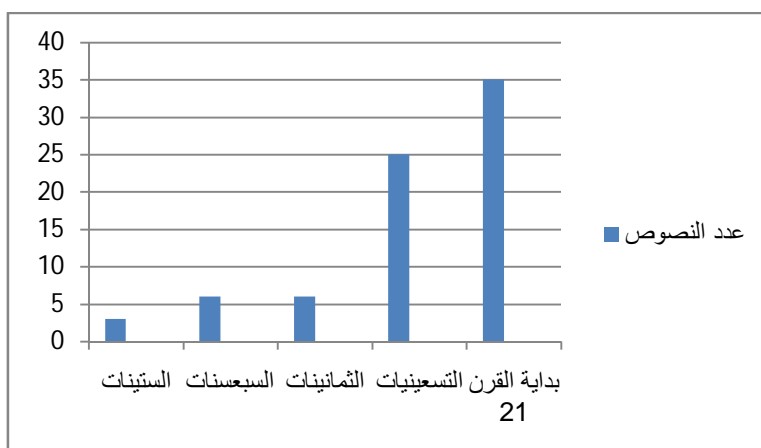
أما كارول كوتير فيري في إحدى الدراسات الخاصة بالتشريع الأرشيفي بأن التشريع، جزء أساسي لا يمكن فصله عن أي سياسة لتسيير الأرشيف، والتي يمكن تحقيقها في أي بلد عن طريق سياسة وطنية للأرشيف. فكما أننا نجد من العادي أن نضع سياسية للتنمية الاقتصادية أو للبيئة، أو التربية، أو الثقافة فإنه من الممكن وضع سياسة لتسيير الأرشيف وهي تعرف على أنها: "الطريقة الملموسة والممعة النظر لوضع الوسائل التي تسمح بتنظيم ومعالجة مجموع الوثائق التي تنتجها هيئة في إطار ممارسة نشاطها، بطريقة فعالة ومثمرة".⁵

2- تشريعات الأرشيف في الجزائر: دراسة كمية

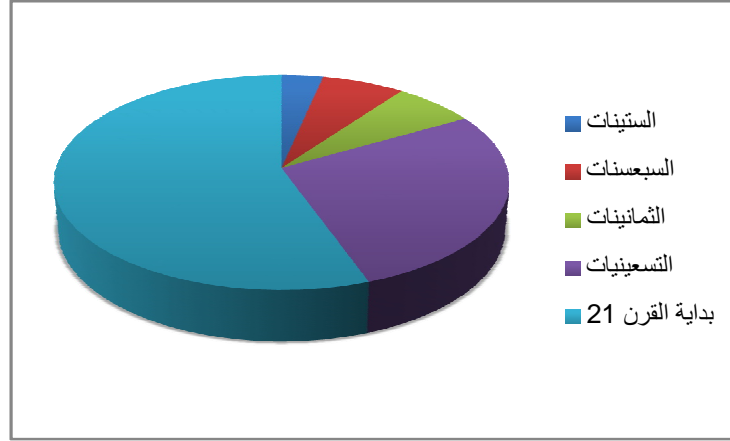
في دراسة إحصائية للنصوص التشريعية والتنظيمية الخاصة بالأرشيف في الجزائر، وذلك بفرز الجريدة الرسمية في الفترة الممتدة ما بين 1962-2015، وكذا المدونات المختلفة سواء الصادرة عن المديرية العامة للأرشيف⁶ الوطني أو عن المصالح الولائية⁷، وبعد استبعاد النصوص التي لا قيمة⁸ لها تذكر، تم إحصاء 75 نصا قانونيا خاص بالأرشيف توزعت كرونولوجيا حسب طبيعتها على خمس عشرات كما يلي:

العشرية	مجموع النصوص الخاصة بالأرشيف	النسبة المئوية %
الستينيات	03	%04
السبعينيات	06	%8
الثمانينيات	06	%8
التسعينيات	25	%33,33
بداية القرن 21	35	%66,46
المجموع	75	%99,99

الجدول رقم 1 - النصوص الخاصة بالأرشيف في الجزائر كرونولوجيا



الرسم البياني رقم 01 : توزيع عدد النصوص حسب العشرات



الرسم البياني رقم 02 توزع النسب المئوية للنصوص حسب العشرية

تضح من الجدول رقم 01 والرسمين البيانيين رقم 01 ورقم 02 أن النصوص التشريعية والتنظيمية في الجزائر والخاصة بالأرشيف كانت من الناحية الكمية قليلة جدا في العشرية الأولى من الاستقلال أي في الستينات إذ لم نسجل في هذه العشرية سوى (03) نصوص بنسبة (04%)، لكن قلة النصوص التشريعية في الستينات وبداية السبعينات، لا تخص مجال الأرشيف وحده بل هي ظاهرة عامة، على اعتبار أن السلطات الجزائرية بعد الاستقلال وحتى تضمن استمرار تسيير الدولة بعد خروج المستعمر، وتمنح لنفسها فرصة بناء تشريعات مبنية على قناعات ومبادئ جزائرية⁹، اتخذت قرار استمرار العمل بالتشريعات الفرنسية التي لا تتعارض مع السيادة الوطنية. أما في السبعينات ورغم تضاعف عدد التشريعات، إذ بلغت (06) نصوص بنسبة (8%)، ألا أنها بقيت ضعيفة، أما في العشرية التي تليها فنلاحظ أن هذه النصوص لم تتطور كميا، بحيث حافظت على نفس العدد ونفس النسبة في الثمانينات أي (06) نصوص بنسبة (8%)، إلا أن الأمور لم تبق على حالها إذ تضاعف العدد السابق الذكر بحوالي أربع مرات في التسعينات، إذ بلغ (25) نصا بنسبة (33،33%)، واستمر في التطور كميا في

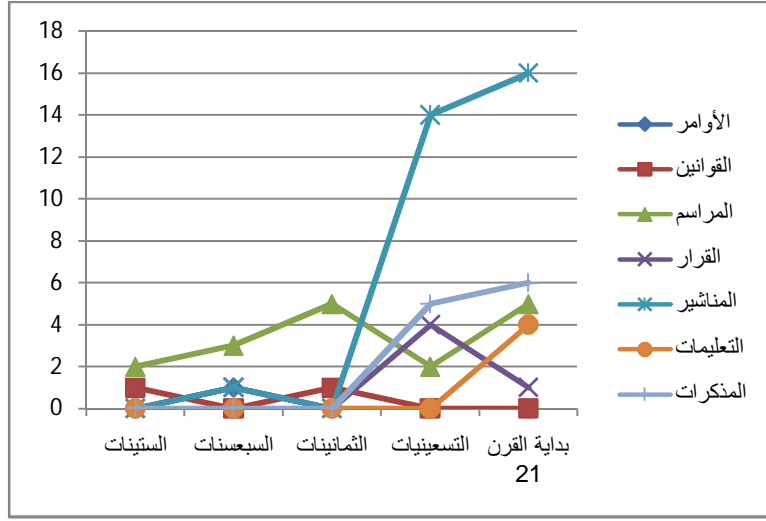
العشرية التي بعدها إذ بلغ (35) نصا بنسبة (66،46%) و خلاصة القول أن التشريع الأرشيفي من الناحية الكمية عرف أوجه في التسعينات والعشرية الأولى من القرن 21.

3- تطور التشريع الأرشيفي في الجزائر: حسب طبيعة النصوص

لكن إذ أردنا أن نعرف أي نوع من النصوص القانونية كان له السبق وكيف تطورت، فلا بد من إعادة ترتيبها كرونولوجيا أيضا ولكن على حسب طبيعتها، كالتالي:

العشرية	الأوامر	القوانين	المراسيم	القرارات	المناشير	التعليمات	المنذرات	المجموع
الستينات	0	1	2	0	0	0	0	3
السبعينات	1	0	3	1	1	0	0	6
الثمانينات	0	1	5	0	0	0	0	6
التسعينات	0	0	2	4	4	0	0	10
العشرية الأولى من القرن 21	0	0	5	1	6	4	9	25
المجموع	1	2	7	6	11	4	9	55

الجدول رقم 02 طبعة النصوص الخاصة بالأرشيف كرونولوجيا



الرسم البياني رقم 03: توزيع النصوص حسب طبيعتها على العشرية

نلاحظ من خلال الجدول رقم 02 والرسم البياني رقم 03 أن عدد النصوص التشريعية المتعلقة بالأرشفة في الجزائر هو ثلاثة نصوص، وهي الأمر الصادر في السبعينات من القرن الماضي وقد كان ذو أهمية بالغة، وقانونين صدر الأول في الستينات وليس له قيمة تشريعية تذكر، بينما صدر الثاني في الثمانينات وهو الأهم على الإطلاق لأنه أساس التشريع الأرشفة في الجزائر، وهو ما زال ساري المفعول رغم التغيير والتطور الكبيرين اللذان عرفتهما الجزائر.

أما بالنسبة للنصوص التنظيمية فنلاحظ أن المراسيم وهي أهم أنواع هذه النصوص، عرفت تطورا عدديا مستمرا، ويظهر ذلك من خلال المنحى البياني، بحث انتقل من مرسومين (02) في الستينات إلى (03) في السبعينات، إلى (05) في الثمانينات، ثم عرفت تقهقرا في التسعينات (02)، إلا أنه عاد في بداية القرن 21 ليصل إلى (05).

أما فيما يخص النصوص التنظيمية الأخرى فنلاحظ أنها جميعا وليدة التسعينات والعشرية الأولى من القرن 21 وهو أمر طبيعي باعتبار هذا النوع من النصوص يأتي لشرح المراسيم تبعا للقانون، كان أكثرها عددا هي المناشير

إذ بلغ عددها (31) نصا ظهر(14) منها في التسعينات أما البقية (16) فظهرت في العشرية التي تليها، يأتي في المرتبة الثانية المذكرات وعددها الكلي (14) ظهرت (05) منها في التسعينات و(09) في العشرية الأولى من القرن 21، ثم القرارات والتعليمات بلغ عدد الأولى (06) بينما بلغ عدد الثانية (04) ظهرت كلها في الألفينات.

4- تشريعات الأرشيف في الجزائر: حسب مضمونها

و للتعرف أكثر وبدقة عن مضامين النصوص الخاصة بالأرشيف يمكن ترتيبها كرونولوجيا على حسب تواريخ صدورها كما يلي:

4-1- مضمون النصوص الخاصة بالأرشيف في الستينات

الرقم	طبيعة النص	رقم النص	تاريخ النص	مضمون النص	الصادر	رقم الجريدة	تاريخ	الصفحة
01	القانون	6-4	11 يناير 1964	يهدف إلى إعادة تشكيل الأرشيف الخاص بمكاتب الرهون لوهراي وسيدي بلعباس المتلفة أثناء الحرب التحريرية.		90 F	28 يناير 1964	78
01	مرسوم	6-4	24 أبريل 1964	يتضمن إنشاء إجازة فنية لخزانات الكتب والمحفوظات DTBA	وزارة الإرشاد القومي	10	28 مايو 1964	9
03	مرسوم	6-6	08 يونيو 1966	يتضمن نقل المحفوظات الموجودة بالجهات القضائية	وزارة العدل	50	31 يونيو 1966	773

الجدول رقم 03: النصوص في الستينات

من الملاحظ أن الجزائر قد اهتمت بالأرشيف منذ استقلالها، حيث نجد إرهاصات التشريع في هذا ميدان في الستينات وذلك بظهور ثلاث نصوص

وهم عبارة عن قانون ومرسومين، أما مضمون هذه النصوص فهو يتعلق بموضوعين اثنين، الأول الحفاظ على أرشيف الرهون والأرشيف القضائي لما لهما من قيمة ثبوتية عالية، أما الموضوع الثاني فهو يتعلق بإنشاء دبلوم بتخصص المكتبات والأرشيف، وهو أمر ايجابي للغاية، لا معنى له سوى تفتن الجزائر مبكرا لمسألة جوهرية لا تستقيم الأمور إلا بوجودها وهي مسألة التكوين.

2-4- مضمون النصوص الخاصة بالأرشيف في السبعينات

الرقم	طبيعة النص	رقم النص	تاريخ النص	مضمون النص	الصادر	رقم الجريدة	تاريخ	الصفحة
01	مرسوم	7-0 175	04 نوفمبر 1970	يتضمن إحداث مديرية فرعية بمديرية المستندات والمحفوظات.	رئاسة مجلس الوزراء	9 8	24 نوفمبر 1970 16 Novembre	1 455
02	أمر الحماية، الاقتناء	7 36-1	03 يونيو 1971	يتضمن إحداث مؤسسة للوثائق الوطنية	رئاسة المجلس	4 9	18 يونيو 1971 جوان	7 94
03	منشور	0 1	08 نوفمبر 1971	يتعلق بإدارة الوثائق	رئاسة المجلس	9 3	16 نوفمبر 1971	1 558
04	مرسوم	7 75-4	25 أفريل 1974	يتضمن تأسيس مجلس استشاري للمحفوظات الوطني	رئاسة المجلس	3 5	30 أفريل 1974	4 76
05	قرار	ممضي	25 جويلية 1975	فتح فرع محفوظات في ليسانس العالي واقتصاد	وزارة التعليم العالي والبحث	6 5	15 أوت 1975	8 79

			العلمي	المكتبة				
4	56	3	رئاسة الجمهورية	متعلق بالأرشيف الوطني معدل بالمرسوم 11-87	20 مارس 1977	7	مرسوم 67-7	0
		2	7					6
		أفريل 1977						

الجدول رقم 04: النصوص في السبعينات

تعتبر النصوص الصادرة في السبعينات نصوصا خاصة بالأرشيف بالمعنى الحقيقي للكلمة، وعددها ستة نصوص، خصص ثلاثة منها لإنشاء هياكل خاصة بالأرشيف (مديرية فرعية، مؤسسة وثائق وطنية، مجلس استشاري) بينما تناولت النصوص الثلاثة الأخرى مسائل مختلفة لا تقل أهمية، بحيث خصص أحدها لإدارة الوثائق، أما الثاني فركز على قضية التكوين وذلك بفتح فرع للمحفوظات في الجامعة، أما الثالث فهو متعلق بالأرشيف الوطني، بحيث حدد أهدافه بدقة وتنظيمه الإداري وكذا اختصاصاته وميزانيته وهيئاته.. الخ

و بالعودة إلى قيمة هذه النصوص فيجب الإشادة بالأمر 71-36 المؤرخ في يونيو 1971، والمنشور الصادر ب08 نوفمبر 1971. فالنسبة للأمر 71-36 ورغم قصر مواده والبالغة 07 مواد إلا أنه استطاع أن يضع اللبنة الأولى للتشريع الأرشيفي في الجزائر بما كان يتوافق والمرحلة التاريخية، بحيث كرست مادته الأولى: إنشاء رصيد للأرشيف الوطني للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، باللغة العربية تحدث مؤسسة للوثائق الوطنية للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

أما مادته الثانية فجاءت لتحديد مكونات الرصيد أو تحديد مهمة هذه المؤسسة ألا وهي جمع الأوراق والوثائق المنتجة أو المستلمة، كما قام المشرع بتحديد بل وتعداد المنتجين المعنيين بهذه المادة وهم: الإدارات والجماعات والهيئات والشركات الوطنية والمكاتب والمقاولات والمؤسسات والمصالح العمومية والحزب والمنظمات الوطنية مهما كانت الفترة التي تنتهي

إليها، وكذلك الأمر بالنسبة للأوراق والوثائق الخاصة التي صارت ملكية عمومية بعد تأميمها وتصيرها جماعية أو شراءها أو التبرع بها أو هبتها أو استنساخ أصولها المعارضة لذا الغرض. كما نلاحظ من الفقرة السابقة أن المشرع حدد في نفس المادة وفي سياق الموضوع طرق جمع الرصيد الأرشيف فبعد التأميم أباح لشراء والتبرع والهبة والإعارة.

من ناحية أخرى يجب التذكير أن الأمر يتعلق هنا بالأرشيف العمومي لأنه في تلك الفترة، كل شيء كان ملكية جماعية للشعب، بحيث لا تظهر الملكية الفرية الخاصة إلا نادرا وهذا بالضبط ما تكرسه المادة الثالثة في الأمر بوضع الرصيد الأرشيفي الوطني ملك للشعب¹⁰.

أما المادة الرابعة في الأمر فقد خصصها المشرع للإطلاع، فبين مجانية الاطلاع وحرية مع وضع بعض القيود فيما تعلق بشرف المواطنين أو النظام العام أو اختصاصات الحكومة، أما المادة الخامسة فجاءت للتأكيد على الاستغلال العلمي للأرشيف ومعالجته فذكرت أهم العمليات وهي: التسيير، الحماية، الاقتناء، والحفظ ولا ننسى التبليغ في المادة السابقة. لكن هذا الأمر ألغي بموجب القانون 88-09 الصادر سنة 1988 والمتعلق بالأرشيف الوطني.

أما المنشور الصادر ب 08 نوفمبر 1971 والذي جاء لتعزيز الأمر السابق الذكر، فحمل عبارات قوية أعطت للأرشيف أهمية بالغة إذ اعتبره "قطاع حيوي للوطن والذي يعتمد عليه حسن سير وتقدم البلاد ومستقبلها"، كما وضع إهمال الأرشيف والاستخفاف بقيمته التاريخية في خانة "الأغلاط الخطيرة التي لا يمكن تحملها بعد" ثم قدم مجموعة من التدابير لإدارة الأرشيف كانت بمثابة الدرس الموجز الذي يتناول نظريته الأعمار الثلاثة.

3-4- مضمون النصوص الخاصة بالأرشيف في الثمانينات

الرقم	طبيعة النص	رقم النص	تاريخ النص	مضمون النص	الصادر	رقم الجريدة	تاريخ	الصفحة
01	مرسوم	889-3	15 يناير 1983	يتضمن الغاء المرسوم 75-74 المؤرخ في 25 أبريل 1974 والمتضمن تأسيس مجلس استشاري للمحفوظات الوطنية	وزارة الثقافة	03	18 يناير 1983	237
02	مرسوم	811-7	06 يناير 1987	يتضمن إنشاء مركز للمحفوظات الوطنية	وزارة الثقافة والسياحة	02	07 يناير 1987	61
03	القانون	809-8	26 يناير 1988	يتعلق بالأرشيف الوطني.	رئاسة الجمهورية	04	27 يناير 1988	139
04	مرسوم	845-8	01 مارس 1988	يتضمن إحداث المديرية العامة للأرشيف الوطني ويحدد اختصاصاتها		09	02 مارس 1988	368
05	مرسوم	846-8	01 مارس 1988	يتعلق بالمجلس الأعلى للأرشيف الوطني	رئاسة الجمهورية	09	02 مارس 1988	370
06	مرسوم	847-8	01 مارس 1988	يعدل المرسوم رقم 11-87 المؤرخ في 6 يناير سنة 1987 والمتضمن إنشاء مركز المحفوظات الوطنية.	رئاسة الجمهورية	09	02 مارس 1988	371

الجدول رقم 06: النصوص الخاصة بالأرشيف في الثمانينات

صدرت في الثمانينات كما يظهر من خلال الجدول السابق ستة نصوص أيضا، أما عن مضمونها فنلاحظ أن خمسة منها تتعلق بتأسيس أو إنشاء أو

إحداث إما مجلس أو مركز أو مديرية وهي نصوص ايجابية لأن الأرشيف يحتاج إلى مؤسسات قوية لحمايته ومتابعة تسييره وحفظه. أما النص السادس فهو عبارة عن قانون يتعلق بالأرشيف مازال ساري المفعول وهو أهم النصوص التشريعية في الجزائر حاليا على الإطلاق، لذا كان لابد من دراسته دراسة تحليلية.

لكن وقبل تحليل هذا القانون يجب إبداء ملاحظتين وهما:

ملاحظة 1- أن نص القانون باللغة الفرنسية أكثر وضوحا ودقة من النص باللغة العربية، مما قد يعني بأن المشرع وضع النص الأصلي باللغة الفرنسية وبأن النص العربي ما هو إلا ترجمة. لكن هذه الترجمة لم تكن موفقة أحيانا، - مثال 1: أن كلمتي publiques و générales كعناوين للأبواب ترجمتا بكلمة واحدة هي عام، من ناحية أخرى فإن نفس الكلمة publiques ترجمت في عنوان الباب أرشيف عام وفي صلب النص في المادتين 5 و6 بكلمة عمومي وهما مفهومان مختلفان. كما نشير أن هناك نص للقانون باللغة العربية موزع من طرف المديرية العامة للأرشيف الوطني لا يحمل لا كلمة عام ولا عمومي في عنوان الباب ويكتفي بكلمة أرشيف.

- مثال 2- المادة الأولى في النص بالفرنسية تتحدث عن الهدف من القانون وهذا لا يظهر مطلقا في النص باللغة العربية. والأمثلة كثيرة في هذا الصدد. ملاحظة 2- من ناحية أخرى وبالنظر إلى التشريع الأرشيفي العالمي وتوصيات اليونسكو والمجلس الأعلى للأرشيف فإن أقرب دراسة صادرة عنهما لقانون 1988 هي دراسة كوتلر " برنامج تسيير الوثائق والأرشيف " ¹¹ ETUDE RAMP والذي صدر سنة 1986 لذا فلا عجب أن نجد المبادئ العامة وحتى بعض المواد مأخوذة عنه.

أما عن مضمون القانون 88-09 الصادر في 26 يناير 1988 والمتعلق بالأرشيف فهو يتكون من 30 مادة موزعة على (06) ستة أبواب وهي على التوالي:

1- أحكام العامة: 04 مواد (من 1 إلى 04)

- 2- الأرشيف العام: 07 مواد (من 05 إلى 11)
- 3- الأرشيف الخاص: 07 (من 12 إلى 18)
- 4- تحويل وحفظ الأرشيف: 05 مواد (من 19 إلى 23)
- 5- أحكام جزائية: 05 مواد (من 24 إلى 28)
- 6- أحكام ختامية: 02 مادة (من 29 إلى 30).

بالنسبة للباب الأول والمخصص للأحكام العامة، نلاحظ أنه جاء عموما مطابق لتوصيات اليونسكو والمجلس الأعلى للأرشيف اللذان يؤكدان على ضرورة توضيح الهدف من القانون وهذا ما جاءت به المادة الأول.

أما ما يقال عن المادتين الثانية والثالثة فإن المشرع أراد التفرقة بين مفهومي الوثيقة والأرشيفية والأرشيف، لكن المادة الثانية في تعريفها للوثيقة الأرشيفية جاءت مطابقة تماما للتعريف الذي قدمه كتلر في الدراسة المذكورة آنفا. لكن المادة الثالثة فهي أيضا لم تخرج عن التعاريف الأكاديمية المعروفة لكن لمسة المشرع الجزائري تبقى واضحة في اضافته للحزب مثلا. والمهم بالنسبة لهاتين المادتين أن الوثيقة الأرشيفية غير مرتبط بالشكل أو التاريخ أو الحامل ولكن يجب أن تكون منتجة أو مستلمة من طرف شخص طبيعي أو معنوي أثناء ممارسة النشاط.

أما المادة الرابعة: فنعود فيها إلى أخطاء الترجمة لأن كلمة fonds لا تترجم بكلمة صندوق بل بكلمة رصيد. تكرر هذه المادة أحد أهم المبادئ في علم الأرشيف وهي أن يوضع الأرشيف في متناول الجميع.

أما في الباب الثاني والمخصص للأرشيف العمومي فبدا بالمادة الخامسة والتي شرحت بأن هذا الأخير يتكون من :

- الوثائق التاريخية: يقصد بها الوثائق التي تتمتع بالقيمة الثانوية والتي تحفظ بصفة دائمة مثل الأرشيف العثماني وأرشيف الفترة الاستعمارية.

- هيئات الحزب: القانون يتحدث عن الفترة التي كان فيها حزب واحد يسير البلاد وهو حزب جبهة التحرير الوطني، ولكن الأمور تغيرت الآن وأصبحت هذه المادة غير سارية المفعول لأن الجزائر تعيش عهد التعددية الحزبية.
- الدولة: ويقصد بها هنا الحكومة بمختلف الوزارات والمديريات التنفيذية.
- الجماعات المحلية: المجالس الشعبية الولائية والبلدية.
- المؤسسات: يقصد بها المؤسسات الاقتصادية.
- الهيئات العمومية: يقصد بها مختلف الهيئات التابعة للقطاع العام وغير مشار إليها فيما سبق كالمجالس القضائية والمحاكم والمجلس الشعبي الوطني
، الخ

أما المادة 06 فتظهر هي الأخرى أحد المبادئ الأساسية في الأرشيف وهو عدم قابلية الأرشيف العمومي للحجز أو التصرف فيه أو تملكه بالتقادم. كما تحفظ للدولة حقها في استرجاع الأرشيف العمومي في أي وقت إذ ما ثبت أنه عمومي.

يضع المشرع في الماد 07 من المؤسسة المكلفة بالأرشيف الوطني مرجعا ووصيا وجيدا على الأرشيف بحيث يلزم جميع الهيئات بممارسة أعمالها تحت تعليماتها وتوجيهاتها كما يلزمها بالاهتمام بالأرشيف وذلك بأعداد الوثائق للحفظ المؤقت.

أما في المواد 8 - 9 - 10 - 11 فقد وجه المشرع عنايته إلى المعالجة العلمية للأرشيف فبدأ بالفرز ثم الإقصاء ثم الدفع وأخيرا الاطلاع.

أما الباب الثالث فقد خصصه المشرع إلى الأرشيف الخاص وقد جاءت تسميته صريحة لأن العديد من التشريعات تسميه الأرشيف غير العمومي، وهو في الحقيقة اعتراف من المشرع الجزائري بأحقية الخواص في امتلاك الأرشيف. تناول المشرع هذا النوع من الأرشيف في 07 مواد، بحيث عرفه في المادة 12 وذلك على أساس الحيازة دون توضيح طرق الحيازة، كما ألزم الخواص بالتصريح بالوثائق الأرشيفية ذات القيمة أو القابلة أن تكون لها قيمة تاريخية للمؤسسة المكلفة بالأرشيف المادة 13، أما في المادة رقم 14

فأقر إمكانية تصنيف الأرشيف الخاص من طرف المؤسسة المكلفة بالأرشيف مع بقاءه ملكية خاصة وهذا المعمول به في كثير من التشريعات، أما المواد 15 16 17 و18 فجاءت لتوضيح حقوق المالكين الخواص للأرشيف والتجاوزات التي قد يقعون بها، الحقوق مثل حق أخذ نسخة مجانية في حالة الإيداع وكذا حق السحب متى قرر ذلك (الإيداع المؤقت)، أخذ رخصة منه في حالة فتح الأرشيف المودع للاطلاع،

أما التجاوزات أو النواهي فتتمل في عدم أماكينة مالك أو جازر الأرشيف الخاص نقل هذه الملكية إلى شخص ذو جنسية أجنبية دون موافقة المؤسسة المكلفة بالأرشيف كما لا يحق له إتلاف الأرشيف دون موافقة منها. كما يمكن للدولة أن تسحب الأرشيف من مالكة إذ ما ثبت بأنه يعرض الأرشيف إلى أخطار التلف.

أما الباب الرابع فكان من الممكن ترجمة كلمة transfert إلى كلمة ترحيل بدل كلمة تحويل. وهو يضم خمس مواد أهم ما جاء فيها، مهام مؤسسة الأرشيف الوطني، وتأسيس مجلس أعلى للأرشيف الوطني، ثم جاء الباب الخامس بالأحكام الجزائية.

4-4- مضمون النصوص الخاصة بالأرشيف في التسعينات

الرقم	طبيعة النص	رقم النص	تاريخ النص	مضمون النص	الصادر	رقم الجريدة	تاريخ	الصفحة
	قرار	ممضي	27 فيفري 1990	يتضمن اعتماد الجمعية المسماة "جمعية المكتبيين والأرشيفيين والتوثيقيين الجزائريين"	وزارة الداخلية	2 7	4 جويلية 1990	9 17
	قرار	ممضي	10 يونيو 1991	يتضمن التنظيم الداخلي	رئاسة الجمهورية	3 5	24 يوليو 1991	1 321

				لمركز الأرشيف الوطني.				
1 322	24 يوليو 1991	3 5	رئاسة الجمهورية	يتضمن إنشاء ملحقة لمركز الأرشيف الوطني تدعى "مركز الأرشيف التمهيدي للإدارات المركزية."	10 يونيو 1991	ممضي	قرار	
0 8	15 مايو 1996	3 0	وزارة العدل	يحدد كيفية تسيير الأرشيف القضائي وحفظه.	13 مايو 1996	9 -6 168	مرسوم تنفيذي	
0 9	10 ماي 1998	2 9	وزارة المالية	تحويل أرشيف المدرسة الوطنية للجمارك إلى المركز الوطني للتكوين الجمركي	10 ماي 1998	9 -8 141	مرسوم تنفيذي	

الجدول رقم 07: النصوص الخاصة بالأرشيف في التسعينات

الجدول رقم 07 النصوص الخاصة بالأرشيف في التسعينات (تابع)

الرقم	طبيعة النص	رقم النص	تاريخ النص	مضمون النص	الصادر	رقم الجريدة	تاريخ	الصفحة
6	قرار	ممضي	03 يونيو 1998	يحدد طبيعة الأرشيف القضائي ومدة حفظه لدى الجهات القضائية	وزارة العدل	5 3	2 يوليو 1998	1 1

				وأجال إتلافه أو إيداعه لدى المؤسسة المكلفة بالأرشيف الوطني.				
				المتعلق بتنظيم وتسيير الوثائق المشتركة والمنتجة من طرف الإدارات المركزية	سبتمبر 1990	0 1	منشور	7
				المتعلق بدفع الوثائق التي أصبحت غير مستعملة في المصالح الإدارية	سبتمبر 1990	0 2	منشور	8
				الخاص بتسيير وثائق الأرشيف	02 فبراير 1991	0 3	منشور	9
				المتعلق بمركز الحفظ المؤقت لأرشيف الإدارات المركزية	26 أكتوبر 1991	0 4	منشور	1 0
				المتعلق بفتح الأرشيف العمومي للاطلاع	08 مارس 1992	0 5	منشور	1 1
				الخاص بحذف بعض أنواع الأرشيف الولائي	26 سبتمبر 1994	0 6	منشور	1 2
				الخاص بإنقاذ الأرشيف المنتج ما قبل 1962	02 أكتوبر 1994	0 7	منشور	1 3

				الخاص بتسيير الأرشيف الإداري	24 جاز في 1995	0 8	منشور	1 4
				خاص بعمل تطهير قطاع الأرشيف وتعزيزه (20 أوت 1996)	20 أوت 1996	0 9	منشور	1 5
				المتعلق بظروف عمل الوثائقين الأرشيفيين	14 ديسمبر 1998	1 2	منشور	1 6
				متعلق بمحلات الأرشيف	19 ديسمبر 1998	1 3		1 7
				متعلق ببناء مراكز الأرشيف	02 مار س 1999	1 5	منشور	1 8
				المتعلق بتنظيم أول جلسات حول الأرشيف الوطني بالجزائر: الواقع والآفاق	03 مارس 1999	1 6		1 9
				المتعلق بتنظيم المسابقات والامتحانات المهنية لسنة 1999	17 مار س 1999	1 7	منشور	2 0
				الموجه إلى كل المؤسسات والإدارات العمومية وتتعلق بالزيارات والميدانية لتقييم إنجازات المخطط التنموي	18 أكتوبر 1998	1 0	مذكرة	2 1

				والخاص بالأرشيف الوطني 2000-1996				
--	--	--	--	---	--	--	--	--

الجدول رقم 07 النصوص الخاصة بالأرشيف في التسعينات (تابع)

			حول حصيلة توظيف الوثائقيين - الأرشيفيين من سنة 1999 (إلى) 1998 وإفاق 2000-1999	19 أكتوبر 1998	1 1	مذكرة	2
			المتعلقة بالاعتداء على مراكز الأرشيف	12 جانفي 1999	1 3	مذكرة	3
			والمترقب ببرنامج الأعمال الإحصائية لقطاع الأرشيف	23 فبراير 1999	1 4	مذكرة	4
			المتعلق بشروط توظيف الوثائقيين الأرشيفيين المساعدين	03 جويلية 1999	1 8	مذكرة	5

رغم أن التسعينات كانت فترة عصيبة في الجزائر، أعطيت فيها الأولوية لمكافحة الإرهاب وإعادة السلم والأمن للبلاد، مما نجم عنه جمودا حقيقيا في أغلبية القطاعات، إلا أن قطاع الأرشيف كان محظوظا بصدور أهم النصوص التشريعية والتنظيمية الخاصة في نهاية الثمانينات، أي قبل الأزمة، لهذا كانت التسعينات بالنسبة لمديرية الأرشيف الوطني مرحلة للتقييم والتشخيص، ثم محاولة العلاج والتقويم من خلال نصوص قانونية، لذا شهدت التسعينات تضاعف عدد النصوص الخاصة بالأرشيف كما يوضحه الجدول رقم 07.

بلغ عدد النصوص في هذه الفترة 25 نصا، وكما هو ملاحظ أغلبها صادر عن مديرية الأرشيف الوطني من خلال مذكرات ومناشير، مما يعكس مثابرة ونشاط هذه المديرية.

أما عن مضمون هذه النصوص، فقد تعلق معظمها بتسيير وتنظيم ومعالجة الأرشيف، إلا أن بعضها تناول الأرشيف القضائي نظرا لخصوصيته، كما خصصت بعض النصوص لمركز الأرشيف سواء لتنظيمه الداخلي أو لإنشاء ملحقة له، كما تناولت نصوص أخرى محلات الأرشيف ومعايير بناء مراكز الأرشيف، كما ركزت بعض النصوص على الأرشيفين سواء تعلق الأمر بإنشاء جمعية خاصة بهم أو ظروف عملهم أو إجراءات فتح المسابقات والامتحان المهنية وكذا شروط التوظيف.

5-4- مضمون النصوص الخاصة بالأرشيف في بداية القرن 21

الرقم	طبيعة النص	رقم النص	تاريخ النص	مضمون النص	الصادر	رقم الجريدة	تاريخ
1	مرسوم رئاسي	01-207	23 Juillet 2001	يتضمن التصديق على اتفاق التعاون بين الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية وفيدرالية روسيا في ميادين الثقافة والعلوم والتربية والرياضة والسياحة والأرشيف	وزارة الشؤون الخارجية	4 1	2 9 Juillet 2001
2	مرسوم تنفيذي	08-245	03 Août 2008	Fixant les conditions et modalités de gestion et de conservation des archives notariales.	وزارة العدل	4 5	06 Août 2008
3	قرار	ممضي	2 1 أبريل 2010	يحدد تصنيف مركز الأرشيف الوطني وشروط الالتحاق بالمناصب العليا التابعة له.	رئاسة الجمهورية	5 1	05 سبتمبر 2010
4	مرسوم رئاسي	-1 433	1 1 ديسمبر 2011	يتضمن التصديق على اتفاق التعاون بين حكومة الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية وحكومة دولة الكويت، في مجال الأرشيف وتبادل المطبوعات والمعلومات والخبراء والتدريب، الموقع في الجزائر بتاريخ 22 نوفمبر سنة 2008.	وزارة الشؤون الخارجية	7 1	28 ديسمبر 2011
5	مرسوم رئاسي	-2	1 3 يونيو	يتضمن التصديق على بروتوكول التعاون في مجال	وزارة	3 8	2 4 يونيو

	2012		الشؤون الخارجية	الأرشيف بين حكومة الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية وحكومة دولة قطر، الموقع بالجزائر بتاريخ 24 يناير سنة 2010	2012	261		
	1 2 ديسمبر 2012	6 7	وزارة العدل	يتضمن إنشاء مراكز جهوية للأرشيف القضائي وتحديد كفاءات تنظيمها وسيرها.	0 8 ديسمبر 2012	1 -2 409	مرسوم تنفيذي	6
				المتعلق بتسيير الأرشيف	2 0 أوت 2000	1 9	منشور	7
				المتعلق بحذف بعض أنواع الأرشيف	0 1 أفريل 2001	2 0	منشور	8
				المتعلق بحذف الأرشيف ذو الطابع التنظيمي	2 1 أفريل 2001	2 1	منشور	9
				المتعلق بالقوائم الشاملة لوثائق الأرشيف	1 6 جويلية 2001	2 2	منشور	0
				الخاص بتطبيق بطاقة التشخيص	1 جويلية 2003	2 3	منشور	1
				المتعلق بإقصاء الأرشيف	2 003	2 4	منشور	2
				المتعلق بالحملة التحسيسية	6 جوان 2007	2 5	منشور	3

-الجدول رقم 08: النصوص التشريعية الخاصة بالأرشيف في بداية القرن 21

-الجدول رقم 08: النصوص التشريعية الخاصة بالأرشيف في بداية القرن 21 (تابع)=

			حول تبليغ الأرشيف	جويلية 2007	26	منشور	4
			المتعلق باعتماد نشاط المؤسسات الخاصة في مجال الأرشيف	27 أكتوبر 2008	29	منشور	5
			حول إجراءات إقصاء الوثائق الأرشيفية	22 أكتوبر 2009	31	منشور	6
			حول دفع الأرشيف	22 أكتوبر 2009	32	منشور	7
			إثراء الرصيد الأرشيفي الوطني	22 أكتوبر 2009	33	منشور	8
			حول عملية دفع أرشيف الفترة الاستعمارية إلى مركز الأرشيف	22 أكتوبر 2009	34	منشور	9

			الوطني				
0	منشور	37	17 أكتوبر 2010	حول توحيد إجراءات إعداد جداول تسيير وثائق الأرشيف			
1	ملحق المنشور	37	17 أكتوبر 2010	المتعلق بإجراءات إعداد جداول تسيير الوثائق الأرشيفية			
2	منشور	39	21 نوفمبر 2010	تكوين الفهرس الأرشيفي الوطني			
3	مذكرة توجيهية	30	17 نوفمبر 200	المتضمنة احترام الإجراءات الوقائية لصيانة الأرشيف			
4	مذكرة	01	17 نوفمبر 2008	المتعلق بإجراءات إقصاء بعض أصناف الأرشيف المحفوظ على مستوى مركز الأرشيف			
5	مذكرة	/// /////	18 مارس 2009	المتعلق بإقصاء أرشيف الصندوق الوطني للتأمينات الاجتماعية للعمال			
6	مذكرة توجيهية	03	29 ديسمبر 2009	حول العملية الاستيعابية للتكفل بالأرشيف المحفوظ على مستوى مخازن مركز الأرشيف الوطني			
7	مذكرة توجيهية	34 مكرر	25 أكتوبر 2009	حول اعتماد مبدأ احترام الرصيد في معالجة الأرشيف			
8	مذكرة توجيهية	35	15 نوفمبر 2009	حول إجراءات التكفل بأرشيف المؤسسات العمومية الاقتصادية			
9	مذكرة توجيهية	36	08 أوت 2010	حول هيكله وظيفية الأرشيف في المؤسسات العمومية			
0	مذكرة توجيهية	38	21 نوفمبر 2010	إجراءات ترجيل الأرشيف			
1	مذكرة	40	10 مارس 2011	نموذج تطبيق إجراءات تكوين الفهرس الأرشيفي الوطني			
2	تعلية	27		حول الذاكرة الوطنية			
3	تعلية	28	13 أكتوبر 2008	المتعلق بإجراءات الإقصاء			
4	تعلية	30 مكرر	17 نوفمبر 2008	التكفل بالأرشيف في القطاعات الصحية			
5	تعلية	41	09 جانفي 2011	إقصاء بعض أصناف الأرشيف الولائي			

لقد شهدت العشرية الأولى من القرن الواحد والعشرين تضاعفا هي الأخرى في عدد النصوص القانونية الخاصة بالأرشفة كما هو واضح في الجدول رقم 08، إذ بلغ عددها 35 نصا.

أهم ما يلاحظ بالنسبة لمضمون هذه النصوص هو تعافي الجزائر من الأزمة الأمنية وخروجها من العزلة وعودتها إلى الواجهة، ويتضح ذلك من خلال المراسيم الرئاسية الثلاثة التي تتضمن التصديق على اتفاقيات تعاون بين كل من روسيا والكويت وقطر في مجال الأرشفة.

كما نلاحظ من ناحية أخرى العدد الهائل من المناشير والمذكرات والتعليمات المتعلقة بتسيير ومعالجة الأرشفة، الصادرة عن مديرية الأرشفة الوطني، والتي تعكس مواصلة المديرية نشاطها الدءوب لتطوير قطاع الأرشفة في الجزائر.

الهوامش

- 1- فوضيل نادية. دروس في المدخل للعلوم القانونية: (النظرية العامة في القانون الجزائري). الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1994. ص. 4.
- 2- للتشريع معنيين: - الأول ضيق: ونقصد به القانون أي سن القواعد القانونية وإخراجها مكتوبة، محددة، بألفاظ معينة، بواسطة سلطة مختصة بذلك هي- في الغالب- السلطة التشريعية. - الثاني واسع: ونقصد به القواعد القانونية العامة التي تشمل إلى الجانب القوانين، مختلف الأنظمة واللوائح الصادرة عن السلطة التنفيذية مثل المراسيم والقرارات..... الخ. راجع بهذا الخصوص (محمد الصغير بعلي. المدخل للعلوم القانونية.. عناية: دار العلوم، 2006، ص36) وقد تبيننا في هذه الدراسة مصطلح التشريع بمعناه الثاني أي الواسع.
- 3- المجلس الدولي للأرشفة. مؤسسة حرية الفكر والتعبير. مبادئ تشريعات الأرشفة والسجلات. ترجمة سارة تشوي. 2006 على الموقع التالي:
http://afteegypt.org/wp-content/uploads/2014/06/ICA_Study-19-Committee-on-Archival-Legal-Matters-AR.pdf
- 4 - Marie-Françoise Limon-Bonnet. la loi sur les archive. Site PIAF.[en ligne]. URL: <http://www.piaf-archives.org/espace-formation/course/view.php?id=3> (le 22/10/2014)
- 5- carole couture. Rôle et champ d'application de la législation archiviste., p. 3(doc PDF)
- 6- الجزائر. المديرية العامة للأرشفة الوطني. مدونة النصوص التنظيمية: 1990-2011. الجزائر: الأرشفة الوطني، 2011. ص. 148.
- 7- وهران (ولاية). مصلحة الأرشفة. النصوص التشريعية والتنظيمية المتعلقة بالأرشفة. مدونة غير منشورة.

8- م استبعاد 27 مرسوم كان يتعلق بإحداث مختلف الأسلاك المتعلقة بالمحفوظات والمكتبات والمتاحف، و30 ما بين قرار وقرار مشترك كان يتعلق بفتح مسابقات وإجراء امتحانات مهنية خاصة بمختلف الأسلاك المتعلقة أيضا بالمحفوظات والمكتبات وكذا تكوين لجان متساوية الأعضاء خاصة بالأسلاك السابقة الذكر.

9- راجع خطاب الرئيسي الراحل هواري بومدين في هذا الشأن في المرجع التالي:

Sayah lahouari. L'Information et la culture en Algérie: 1962-1976 ;Documentation législatives. Alger :ministère de l'information et de la culture ,1978.p 14.

10- ورد في الجريدة الرسمية باللغة العربية أن " المؤسسة الوثائقية الوطنية ملك للشعب" وهذا يختلف تماما مع مفهوم "لرصيد الأرشيفي الوطني ملك للشعب" الوارد باللغة الفرنسية

11- Ketelaar , Eric. LEGISLATION ET REGLEMENTATION EN MATIERE D'ARCHIVES ET DE GESTION DES DOCUMENTS: ETUDE RAMP, ACCOMPAGNEE DE PRINCIPES DIRECTEURS. Paris: Organisation des Nations Unies pour l'éducation, la science et la culture, 1986.89 P.

أدوات ومحركات البحث في الإنترنت وخبرات التعامل معها في البحث العلمي

د. بن عمروش فريدة
جامعة الجزائر 3

مقدمة:

تحتوي شبكة الإنترنت على كم هائل من المعلومات، وعدد لا يحصى من الصفحات والمواقع، حيث أدى النمو الكبير في الشبكة إلى تطور التطبيقات والخدمات، فأصبح من الصعب البحث عن معلومة ما في هذا الوسط الهائل من المعلومات، لذلك برزت عدة أدوات، وطرق بحث لتسيير عمليات البحث والتنقيب، خاصة لأغراض البحث العلمي هذا ما سنتناوله بالتفصيل في هذا المقال.

1- أدوات البحث في الانترنت

تعتبر شبكة الإنترنت أضخم تطبيق لتكنولوجيا المعلومات في العالم، حيث تتيح للباحثين إمكانية الدخول إلى مصادر المعلومات، في مواقع عديدة من الشبكة للبحث عن المعلومات والنصوص واسترجاعها أو الوصول إلى قواعد البيانات والمنتديات الإلكترونية والمجلات الإلكترونية¹.

وهذا بفضل أدوات البحث كالمحركات وما مثلها، نذكر منها ما يلي:

1- محركات البحث les moteurs de recherche: تعتبر محركات البحث من البرمجيات المختصة في البحث عن المعلومة على الإنترنت، حيث تعرف على أنها "برامج تجمع البيانات وتعرضها أمام مستخدم الشبكة في شكل فهرس بحيث يكون البحث فيها يسر وسهولة"². بمعنى أن محركات البحث هي أدوات بحث تعمل من خلال استراتيجيات محددة (البحث البوليني)، أو إستراتيجيات مفتوحة (البحث باللغة الطبيعية) وذلك للبحث في حقول Fields أو وثائق نصية texte document، والأكثر من ذلك أنها يمكن أن تبحث

عن أشياء objets (صور ورسوم، وخرائط وأصوات)، في بيئة محددة هي بيئة شبكة الإنترنت، وذلك يعني أنها تبحث في ملايين المواقع ومليارات الكلمات في وقت محدد وتتميز بسرعة الاستجابة، وعادة ما تكون إجابتها إما مواقع على الإنترنت تتوافر فيها كل المصطلحات التي تم البحث عنها أو بعضها أو مواقع محددة سلفا من خلال ما يعرف بقائمة أو دليل البحث: Search Directory.³

وهذا يجرننا للحديث عن الفرق بين محركات البحث و الأداة.

- الفرق بين محركات البحث و الأداة:

يسخر مستخدمو الإنترنت أدوات البحث المختلفة على الويب للوصول إلى المعلومات المفيدة الموزعة على ملايين الأجهزة الخادمة على الانترنت، وهذه الأدوات هي. محركات البحث Search engine والأدلة directories التي تساعد في تسريع عملية البحث بدرجة كبيرة، وفي هذا السياق لابد من تقديم تعريف لهاتين الأداةين لفهم العلاقة التي تربطهما لفائدة مستخدمي الشبكة.

- محركات البحث: هي عبارة عن قواعد بيانات ضخمة بعناوين ومواقع، مع وصف مصغر لصفحات الإنترنت المختلفة، والتي بواسطتها. أي محركات البحث، يمكن البحث عن موضوع معين في حقل من الحقول المختلفة في الشبكة بشكل دائم بغرض إيجاد دليل معين لمثل هذه الصفحات، ولأنها تعمل بشكل آلي وتقوم بفرز وفهرسة كم هائل من الصفحات، فسيلاحظ أي شخص يستخدم هذه المحركات على أنها تحتوي على كثير من المعلومات غير المتوفرة في الأدلة Directories، وقد يمثل ذلك جانب إيجابي يجعل من محركات البحث أداة فعالة في البحث في الشبكة العنكبوتية أكثر من الأداة.⁴

أما الأدلة Directories فلا تعمل بشكل آلي بل تتم إدارتها من قبل أشخاص متخصصين، حيث أن العديد من المواقع يتم تسليمها إلى دليل ما، ومن ثم يتم فرزها وتبويبها تحت تصنيف معين، و لأن هذه الأدلة يتم إدارتها بشكل بشري فإنها قادرة دوما على توفير معلومات أكثر دقة وموقع Yahoo المشهور ما هو لإمثال واحد لهذه الأداة.

و تقدم هذه الأداة للمستخدم طريقة سريعة للبدء بعمليات البحث عن المعلومات بواسطة تفحص المواضيع المصنفة التي يعرضها، إذ يندرج تحت كل موضوع لائحة من المواضيع الفرعية، فيمكن للمستخدم أن يتصفحها تباعا إلى أن يصل إلى المعلومات المطلوبة، وفي حال عدم وجود المعلومات تحت الموضوع الذي اختاره المستخدم، يتراجع ويختار موضوعا رئيسيا آخر ليقوم بالبحث في تفرعاته من جديد وهكذا. ..، وفي هذا السياق لابد من توضيح أن هناك العديد من أداة البحث تعمل أيضا كمحركات منها: (Yahoo - Excite - AltaVista)..).

- مكونات محركات البحث وكيفية عملها:

يوجد على شبكة الإنترنت كميات ضخمة من المعلومات تتوزع على شكل صفحات وتنمو بشكل سريع، في أوائل سنة 1998، كان هناك ما يتعدى 300 مليون صفحة متوفرة على النسيج، وفي أواخر عام 2004، قدر عدد الصفحات بأكثر من مليار صفحة، وهو الآن يقدر بأن يكون حوالي 3 مليار صفحة، وهذا يدل على معدل نمو الإنترنت الذي يتضاعف كل سنة.

ويتألف محرك البحث من ثلاثة أجزاء:

1- برنامج العنكبوت Program Spider

2- برنامج المفهرس Program Index

3- برنامج محرك البحث Search Engine Software

1- برنامج العنكبوت Program Spider: تستخدم محركات البحث برنامج العنكبوت لإيجاد صفحات جديدة على الويب، ويسمى هذا البرنامج أيضا الزائر لأنه يبحر في الإنترنت بهدوء، لزيارة صفحات الويب والإطلاع على محتوياتها، ويأخذ هذا البرنامج مؤشرات المواقع من عنوان الصفحة Page Title والكلمات المفتاحية Key Words التي تحتويها، إضافة إلى محتويات محددات الميتا Meta tags فيها.

ولا تقتصر زيارة برنامج العنكبوت على صفحات الموقع بل يتابع البرنامج تعقب الروابط (links) الموجودة فيها لزيارة صفحات أخرى، أما الغاية من

هذه الزيارات فهي وضع النصوص المتاحة على تلك المواقع على فهرس محرك البحث ليتمكن المحرك من العودة إليها فيما بعد.

2- برنامج المفهرس: Program Index

كل مرة يتم فيها زيارة أي موقع على الإنترنت من قبل الزاحف أو العنكبوت يقوم فيها هذا الأخير ببناء قائمة شبه آلية، يجمع المصطلحات التي وردت في الصفحات التي تمت زيارتها، وعلى ذلك فهذه القائمة هي أشبه بمكنز آلي (قاموس ذو بناء معين) ، يتم تحديثه في كل مرة يقوم فيها الزاحف بزيارة الموقع على الإنترنت، وإذا حدث أي تغيير بين الزيارة الأولى والثانية للزاحف، أو أنشأت صفحات جديدة فلن هذه التغييرات لن تكون محسوبة (لن يتم تكشيفها وفهرستها)، إلا مع انتهاء الزيارة الثانية للموقع، حيث يتم إضافة المصطلحات الواردة بهذه الصفحات الجديدة، أو التي تتم تغييرها إلى هذا الكشاف (قائمة بالمصطلحات المستخرجة من المواقع مرتبة هجائياً)، أو هذا الفهرس، ومن ثم ننتقل إلى الجزء الثالث من محرك البحث⁵

3- برنامج محرك البحث: Search Engine Software

يبدأ دور برنامج محرك البحث Program Search Engine عند كتابة كلمة مفتاحية في مربع البحث box search⁶ إذ يأخذ هذا البرنامج الكلمة المفتاحية ويبحث عن صفحات الويب التي تحقق الاستعلام، الذي كونه برنامج المفهرس، في قاعدة بيانات المفهرس، ثم يعرض نتيجة البحث المتمثلة بصفحات الويب التي تحقق الاستعلام، الذي كونه برنامج المفهرس في قاعدة بيانات المفهرس، ثم يعرض نتيجة البحث المتمثلة بصفحات الويب التي طلبها المستخدم في نافذة المستعرض (browser Windows)، ويقوم أيضا بعملية الترتيب لهذه الصفحات.

وتختلف محركات البحث عن بعضها في أسلوب العمل، فمثلا تحتفظ قاعدة بيانات AltaVista بكل تفاصيل صفحة الويب المخزنة عليها، أما

محركات البحث الأخرى فقد تحتفظ بالعناوين الرئيسية للصفحة فقط، مما يؤدي إلى اختلاف شكل نتائج البحث الظاهر للمستخدم.

- أهمية محركات البحث:

تعود محركات البحث في أهميتها إلى أنها تكاد تكون أهم وسيلة للبحث على شبكة البحث خاصة بالنسبة للباحثين.

و على ذلك يمكن القول بأن أهمية محركات البحث تكمن في:

1- توسع دائرة المؤسسات التي يمكن أن تجذب خريجي الجامعات للعمل بها خارج إطار المؤسسات التقليدية.

2- تلبية احتياجات المستفيد من المعلومات في المجتمع الافتراضي بالتعرف على سمات وخصائص هذه المحركات.

3- التعرف على الخصائص البحثية لكل محرك وبالتالي معرفة متى يمكن استخدام محرك معين في موقف معين.

4- تطوير المقررات الدراسية بالجامعات بحيث تحتوي على الموضوعات ذات العلاقة بالإنترنت لتلي الموقف العالمي الجديد.

5- الحصول على إجابات سريعة وواضحة على كل الأسئلة التي يمكن أن يتوجه بها أي باحث إلى الإنترنت، وبالتحديد إلى محرك بحث بعينه⁷.

تبين مما سبق أن محركات البحث هي برامج آلية صممت للعمل في بيئة الإنترنت، وهي في الحقيقة: " نظم لإدارة قواعد البيانات تم تطويرها لإدارة البيانات وقد طورت بصفة خاصة للعمل على الانترنت"⁸.

وهي وسيلة للبحث عن المعلومات في مجال البحث العلمي، ومن أهم هذه

المحركات على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

1- محرك بحث جوجل: Google

قام اثنان من طلبة الدكتوراه بجامعة ستانفورد وهما " سيرجي برين " و " لاري بيدج "، بتأسيسه عام 1998، وهو من أكثر محركات البحث قدرة على

البحث في ملايين الصفحات على شبكات الإنترنت، كما أنه من المحركات التي تستخدم لأغراض البحث البسيط.

يستخدم هذا المحرك مجموعة من التصنيفات الشهيرة ليعطي للمستعمل النتائج المطلوبة، ويعد هذا المحرك من أحسن الفهارس وأسهلها. وتعتبر الشركة المالكة لهذا المحرك أن هدفها هو تنظيم معلومات العالم والوصول إليها من أي مكان وبالتالي توسيع قاعدة الإفادة منها.

وربما ينبغي الإشارة إلى أن معنى كلمة Google هي تلاعب على كلمة googol، التي اخترعها (ملتون سيروتا)، للدلالة على رقم 1 تتبعه 100 صفرويعكس استخدام Google لهذه الكلمة إصدار الشركة على تنظيم الكميات الهائلة من المعلومات المتوفرة على الشبكة وفي العالم.

- خصائص المحرك Google:

يقوم هذا المحرك بالبحث في أربع فئات متوافرة على شبكة الإنترنت كالتالي:

1/ الشبكة العنكبوتية web.

2/ الصور Images .

3/ مجموعات Groups (يغطي هذا المحرك نحو 700 مليون رسالة تم تبادلها من خلال مجموعات يوزنت Usenet خلال العشرين سنة الماضية.

4/ دليل جوجل Directory (دليل بستة عشر موضوعا عريضا يمكن البحث فيها وفقا لما ترغب به هذه الموضوعات)⁹.

ويتم البحث مباشرة على المجموعة الأولى من الخيارات الأربعة وهي الشبكة العنكبوتية، إلا إذا أراد الباحث في مجموعة أخرى من المجموعات الثلاث الباقية.

وتجدر الإشارة هنا إلى مفارقة هامة يجب أن يحتاط لها كل من يقوم بالبحث على شبكة الانترنت، وهو أن هناك ما يعرف بدليل أو شجرة البحث، وذلك بجانب محرك البحث، بمعنى أن المجموعة الرابعة من جوجل تمثل وسيلة فعالة للمبتدئين بالبحث على شبكة الإنترنت.

- خصائص البحث في المحرك (Google):

إن محرك البحث جوجل يعتبر محركاً ذو صيغة عالمية حيث يوفر واجهة استخدام بعدد 79 لغة منها العربية، وهو ما قد لا يتوافر في محركات بحث أخرى على شبكة الإنترنت.

يستخدم جوجل بعض علامات التمييز في اللغة مثل رموز الإضافة + والناقص - والشارحة إضافة إلى استخدام بعض الحروف التي تعني شيئاً محدداً كالتالي:

1/ استخدام علامة الإضافة +: لتعني البحث عن عبارة محددة تريدها أن تظهر في نتيجة البحث كما هي.

2/ استخدام علامة الناقص (-) (الطرح): لتعني بها استبعاد بعض الكلمات التي لا تريدها أن تظهر في نتيجة البحث.

3/ استخدام علامة الشارحة: لتعني بها البحث عن موقع محدد ليأتي بعدها اسم الموقع الذي تريده، وتكتب هكذا: Site: sampledomain.com.

4/ استخدام علامة التنصيص " " لتعني بها البحث عن عبارة محددة تريدها أن تأتي كما كتبتها.

5/ للبحث عن معلومات صحفية: يمكن للباحث أن يكتب التالي:
www.google.com/Press site ثم يضغط على مربع Go فيجد معلومات صحفية داخل موقع جوجل¹⁰.

- المحرك جوجل والبحث العلمي:

يتميز جوجل بقدرته الهائلة على البحث في لغات متعددة، والنتائج التي يخرج بها غالباً ما ترضي الباحث، إضافة إلى بعض المميزات الأخرى المتعلقة بإمكانية البحث في الصور ومجموعة من الملفات النصية مثل ملفات PDF، وهنا لا بد أن نذكر ما يشير إليه القائمين على هذا المحرك عند البحث بالصور:

إن البحث عن الصور في جوجل "هو الأشمل في الويب، إذ يوجد أكثر من 250 مليون صورة مفهرسة وجاهزة للعرض، لكي تستعمل للبحث عن الصور"¹¹.

و غالباً ما تكون الصور التي نجدها عبر خدمة البحث عن الصور في Google خاضعة للحماية بموجب حقوق الطبع والنشر، هذا يعني أنه بإمكان الباحث الوصول إلى هذه الصور عن طريق هذه الخدمة، لكن هذا لا يمنحه أية حقوق في استعمالها لأي غرض غير مشاهدتها في الويب web، إلا في حالة الحصول على إذن صاحب الصورة.

أيضاً من مميزات هذا المحرك في البحث العلمي هو إمكانية جوجل القيام بالترجمة لبعض نتائج الموقع.

كما يتمكن جوجل Google من التعرف على الصفحات المختلفة المكتوب بها النص، فإذا كان مكتوباً ببرنامج Acrobat PDF، فسوف يتمكن الباحث من التعرف على محتوياته، طبعاً إذا كان هذا البرنامج محملاً على جهازه أو ينقله إلى موقع Acrobat ليتمكن من تحميله ومن ثم استخدامه،

وتظهر علامة PDF بجانب الصفحات التي يمكن أن يكون مكتوباً بها في نتائج الموقع التي تبدو أمام الباحث¹².

كما تجدر الإشارة إلى أن جوجل يقوم بعرض صفحات مخبأة عن المواقع التي قد تظهر في نتيجة البحث، ولا يمكن للباحث الولوج إليها، هنا عليه استخدام الوصلة "نسخة مخبأة" حيث يقوم جوجل بالاحتفاظ بصورة من الصفحة في مخزنه الإلكتروني، ليتمكن الباحث من مشاهدتها.

كما أنه يستخدم أيضاً مصطلح "ضربة حظ" ليتمكن الباحث من إجراء بحث سريع للغاية يحمل نتائج سريعة قد يحتاجها بسبب ضيق الوقت، أو لسبب آخر.

يتبين جليا مما سبق أن المحرك Google، هو من المحركات التي يستخدمها الباحث لأغراض البحث العلمي، حيث يستخدم مجموعة من التصنيفات الشهيرة ليعطي للمستعمل النتائج المطلوبة، فيعد هذا المحرك من أحسن الفهارس وأسهلها.

2- محرك البحث ياهو Yahoo:

يعتبر هذا المحرك من أشهر محركات البحث المتوفرة على الواب (Web) ويمكن الولوج إلى هذه الخدمة بالعنوان التالي: <http://www.yahoo.com> وعند اختيار هذا العنوان تظهر الشاشة الافتتاحية لخدمة (Yahoo) تشمل لائحة (Yahoo) على فئات يمكن النقر على أهدافها، وعندها تظهر شاشة تبين الفئات الثانوية للفئات المختارة¹³.

وبإمكان الباحث اختيار عملية البحث والتي من خلالها يمكن تحديد أحد خيارات (البحث عن الموقع أو عن مجموعة أخبار والبحث عن عناوين البريد الإلكتروني).¹⁴

ويرتكز هذا المحرك في هيكلته على فهرس مصنفة حسب المواضيع ويعتبر أكبر دليل يقوم بتشغيل (80) ناشرا في الولايات المتحدة الأمريكية و(02) في إسبانيا، و(06) في ألمانيا...¹⁵ ويحتوي على مليون موقع على قائمته، ويعتمد في تشغيله على تقنية (Inktomi) وهو محرك أنجز بجامعة (Berkley)، واستعمل من طرف Hot bot وأصبح مستعملا في معظم محركات البحث العالمية والأدلة.

و عندما يفشل الدليل (Yahoo) في إيجاد الجواب لطلب مستعمل، فإن (Inktomi) يواصل عملية البحث، وظهوره على الإنترنت كان سنة 1994، وعملية البحث فيه تكون حسب الأصناف الثانوية... وهو من بين القواعد الهامة في قاعدة البيانات الأكثر شمولية، فهي تقدم صفحات (web) حسب عناوينها (URL) متبوعة بتفسيرات مختصرة في سطر أو اثنين تعرف بها.

يعتبر هذا الموقع الأكثر شعبية وانتشارا في الانترنت خاصة بعدما تم اختياره ليكون أداة البحث المعتمدة Default لبرنامج MS Explorer، وهو يحتوي على إمكانات متطورة للبحث باستخدام الكلمات المفتاحية Key words، كما يحتوي على دليل جيد لتنظيم محتويات جميع صفحات نظام web، مرتبة ترتيبا متسلسلا بحسب الموضوعات، كما يتضمن دليلا لصفحات web الأكثر شعبية والمثيرة للاهتمام خاصة في مجال البحث العلمي.

3- محرك البحث Lycos:

تم إطلاق هذا المحرك للمرة الأولى في ماي 1994، وقد قام بتطويره كل من (مايكل مولدين)، ثم باعه لشركة أمريكا أونلاين "American on line" وفي عام 1995 أصبحت "لايكوس" شركة مساهمة يساهم فيها كل من شركة CMG وجامعة كارنيجي، وفي عام 1996 تم وضعها في البورصة وفي فبراير 1998، قامت شركة الشبكات الأمريكية USA NETWORKS بشراء حوالي 61% من أسهم لايكوس بقيمة تبلغ 18 بليون دولار، وأصبحت هذه الشركة تعرف الآن باسم USA/LYCOS INTERACTIVE NETWORK.

يحتوي كشاف هذا المحرك على 38 مليون موقع تقريبا¹⁶ ويمكن استخدام وسيلتين عند البحث في لايكوس وهما:

- البحث مباشرة في قائمة مكونة من أكثر من 21 موضوعا.
- استخدام محرك البحث (أو إطار البحث) حيث يوفر فرصة البحث في كل الوثائق، أو في مجموعة محددة من المواقع، أو في عناوين الموقع فقط. وتضم خيارات البحث في أي نوع من المحتويات: مثل البحث عن عناوين، أو مؤلفو كتب معينة مع إمكانية شرائها عبر شبكة الإنترنت أو البحث بهدف تحميل برمجيات، أو البحث في الأخبار...

- خصائص البحث في المحرك: يتعامل هذا المحرك مع 85 لغة منها العربية وبذلك فهو يعد أقوى المحركات المتاحة بلغات مختلفة، كما أنه تمكن من استبعاد مواقع معينة، حيث يمكن للباحث ذكر اسم الموقع ونطاقه، أو تضمين مواقع معينة، يمكن البحث فيها مباشرة، كما أنه يوفر

وسيلة لتفتيح نتائج البحث باستبعاد المواقع التي لا تحتوي على صفحات خارجية بدرجات محددة من التنقيح، كأن يقوم المحرك بالاستبعاد الكلي لهذا الموقع، أو تركها كما هي أو اختيار بعضها والاحتفاظ به في نتائج البحث.¹⁷

4- محرك البحث ALTAVISTA:

يعد هذا المحرك من أشهر محركات البحث في العالم لمستخدمي شبكة الأنترنت، حيث أنه يوفر مواقع ومعلومات أكثر اتصالاً بموضوع البحث، بسرعة وكفاءة، وينعكس ذلك على نتائج البحث التي تتراوح ما بين صفحات الواب، وملفات وسائط متعددة (صور/ صوت/ مقاطع فيديو)، مواقع تسوق، أخبار، بالإضافة إلى أنه يوفر خدمة ترجمة مجانية لنتائج البحث بأكثر من لغة، ويتميز محرك بحث ALTAVISTA بتكنولوجيا عالية الأداء لخدمات البحث في النص الكامل.

- خصائص البحث في المحرك:

- يمكن استخدام طريقتين أو رسالتين للبحث في هذا المحرك هما:
 - 1- محرك البحث الذي يوفر طريقة للبحث في لغات معينة على الشبكة العنكبوتية لأكثر من 25 لغة منها الصينية والسويدية وغيرهما، ويتميز هذا المحرك بإمكانية البحث المباشر بجمل طبيعية، بمعنى عدم أهمية إسقاط حروف الوقف وغيرها، كما أنه يعمل بأساليب البتر السابقة واللاحقة.
 - 2- من خلال قائمة البحث الموضوعية أو المجالات الرئيسية البحث والتي تبلغ 14 مجالاً رئيسياً.

كما تتوفر خدمات إخبارية مباشرة من خلال العناوين الإخبارية التي يوفرها مباشرة أمام المستخدم، ويعتبر هذا المحرك ثاني أكبر محرك على الأنترنت.¹⁸

5- محرك البحث إكزايت EXCITE:

يحتوي كشاف محرك البحث "EXCITE" على 30 مليون موقع تقريبا، وغالبا ما يبحث في المواقع التي تحتوي على صفحة واحدة، وهو يقدم مجموعة جيدة من أدوات البحث والتجول عبر الإنترنت، وتحتوي قائمة البحث على 18 رأس موضوع يمكن البحث من خلالها مباشرة، ويمكن القول بأن البحث في مثل هذه القوائم عادة ما يكون مقيدا بنتائج محددة سلفا، ويقول مؤسسو محرك "Excite" على موقعهم على الإنترنت بأنه: "محرك بحث مبني بطريقة منهجية ثورية للبحث على الإنترنت، والحصول على نتائج يتوقعها مستخدمو الإنترنت.¹⁹

- خصائص البحث في المحرك:

يقوم محرك إكزايت بالبحث في أربعة أنواع من مصادر المعلومات على شبكة الإنترنت هي:

- 1- صفحات الشبكة العنكبوتية Web Pages.
- 2- الصور Photos.
- 3- دليل إكزايت Directory.
- 4- الأخبار News.

في هذا المحرك يمكن للباحث في إطار البحث عن المعلومات. كتابة موضوع البحث الذي يريده، على أن يختار كذلك أسلوب البحث في المعلومات العلمية، أو الإخبارية.

أما بالنسبة للبحث في الصور لا يختلف كثيرا عن البحث في مجالات أخرى، حيث يكفي كتابة الموضوع المطلوب البحث عن صور له، ويسبق ذلك تحديد أسلوب البحث في الصور.

و بالنسبة للبحث في دليل " إكزايت " فيجب أن يكون الباحث على معرفة كافية وتامة بما يقوم بالبحث عنه وذلك في القائمة الشجرية للموضوعات directory، وهو دليل بمجموعة من الموضوعات المختارة من قبل العاملين في

المحرك يمكن الاختيار منها والتنقل من موضوع لآخر فيها بشكل هرمي، بمعنى أن يقوم بالبحث في كل الموضوعات المرتبطة بالموضوع الرئيسي الذي يرى أنه قد يحتوي على الموضوع الذي يريد البحث عنه.

يستخدم إكزايث أيضا العامل المنطقي البولياني " و " and ويمكن للباحث استخدامها في شكلها اللغوي كحروف أو استخدامها على شكلها الرمزي كعلامة +، وكذلك استخدام حر " أو " or للتخيير بين موضوعين أو مصطلحين، كذلك يستخدم إكزايث المعامل البولياني "ليس" not مثل: الريحان ليس الياسمين، بمعنى استبعاد الموضوع الثاني لأن الباحث لا يريد ظهوره في نتائج البحث، بينما يريد نتائج البحث كلها أن تحتوي على الريحان فقط على سبيل المثال²⁰.

6- محرك البحث أول ذي ويب (All the web):

يسمى هذا المحرك باسم " أول ذي ويب " أو بالعربية: " كل ما على الصفحات العنكبوتية"، كما أنه أحيانا يحمل اسم الشركة التي قامت بتصميمه وتنفيذه وإطلاقه وهي شركة فاست (Fast search and Transfer).

يمتاز هذا المحرك بأنه يمكن البحث فيه باستخدام مجموعة من الخيارات، ويمكن البحث بلغة معينة (يضع 49 لغة يمكن البحث بأي منها، أو بها جميعا)، كما أنه يبحث في حوالي 21 بليون صفحة ويقول مؤسسوه أنه يحتوي على صفحات أكثر من جوجل يمكن البحث فيها²¹.

- خصائص المحرك:

يوفر هذا المحرك فرصة تحديد البحث عن صفحات الويب أو الصور أو الفيديو، أو ملفات الصوت MP3، وكذا تحميل برمجيات معينة عبر بروتوكول نقل الملفات FTP، بالإضافة أنه يوفر مجموعة قوية من طرق البحث منها: البحث بكلمة مفردة أو جملة معينة، أو البحث في عنوان محدد، أو البحث في موقع معين، أو عن وصلة معينة داخل أحد المواقع، ويمكن لمستخدمي

هذا المحرك تحديد طريقة البحث المناسب لاحتياجاتهم وهو يضم مجموعة من الفئات يمكن البحث عنها هي:

- 1- صفحات الشبكة العنكبوتية WEB PAGES.
- 2- الأخبار NEWS.
- 3- الصور PICTURES.
- 4- أفلام الفيديو VIDEO.
- 5- الملفات الصوتية من نوع MP3.
- 6- ملفات بروتوكول نقل الملفات FTP FILES.

يجب الإشارة إلى أن هذا المحرك يبحث في جميع أنواع أوعية ومصادر المعلومات سواء المقروءة أو المسموعة أو المرئية، الثابتة والمتحركة²².

7- محرك البحث أنفوسيك (INFO-SEEK):

تتوفر هذه الخدمة بشكل مجاني أو مدفوع الأجر، ولا تعطي الخدمة المجانية أكثر من 100 عنوان، كنتيجة للبحث، أما الخدمة المدفوعة الأجر، فسرّعة وتعطي عددا من العناوين قد تصل إلى 2000 عنوان، وتأتي العناوين مرتبة حسب درجة الصلة المتوقعة لموضوعاتها مع مادة البحث، وعنوان هذه القاعدة هو: <http://www.infoseek.com>²³.

8- محرك البحث ماجولان: (Magellan)

توفر خدمة Magellan دليلا مصنفا لعدد هائل من المعلومات في أجهزة نظم web، والأجهزة الخادمة FTP وGOPHER، ورسائل مقالات المجموعات الإخبارية News groups، ويشمل ذلك تقديم نبذة عن كل موقع وأهميته في شبكة الإنترنت.

ويمكن استعراض محتويات الدليل بمتابعة فروع شجرة الموضوعات، أو البحث فيها، باستخدام الكلمات المفتاحية Key words أيضا تستخدم خدمة Magellan ضوءا أخضر للإشارة إلى أن محتويات الموقع تجعله ملائما لعموم المستخدمين، كخلوه مثلا من المواد الإباحية وعنوان هذه القاعدة هو: <http://www.mchinely.com>²⁴.

9- محركات البحث العربية:

أهم ما يميز المحركات باللغة العربية، أنها قليلة مقارنة بمحركات البحث باللغات الأجنبية، ونتائج البحث التي يمكن الحصول عليها محدودة جداً، وهذه بعض الأمثلة على عناوين المحركات باللغة العربية:
أ- محرك البحث آين (Ayna):

هو محرك ودليل باللغة العربية على مواقع الواب (web)، ويتكون من هيكلية ترتيبية، تمكن المستعمل من تحديد موقع المعلومة التي يريد استغلالها، يسهل للمتصل بالإنترنت استخدامه دون اللجوء إلى تشغيل نظام شامل باللغة العربية على أجهزتهم، ويحتاج هذا المحرك لبرمجيات قليلة تعالج اللغة العربية، ونجده بالموقع التالي على شبكة الأنترنت:
²⁵
<http://www.ayna.com>

ب- محرك البحث ابحث: (Ebhath)

و هو محرك بحث باللغة العربية والإنكليزية، أنجزته شركة (EGS) الأمريكية منذ مارس 1998، لتطوير تقنية الإعلام في الوطن العربي على الإنترنت وخصوصاً في مجال مواقع الواب باللغة العربية، ويمكن تشغيله على جميع أنظمة التشغيل لأنه أنجز بلغة (PERL)، ونجده في الموقع التالي:
<http://elbahth.com>

ج- محرك البحث الإدريسي (Idrissi): يحتوي على العديد من الإمكانيات المتقدمة التي صممت خصيصاً باللغة العربية، ويمكن له فهرسة وتحديث البيانات تلقائياً مما يتيح للمستفيد الحصول على أحدث المعلومات²⁶.

إلى جانب مواقع أخرى مهمة كذلك مثل:

www.konouz.com

<http://www.nassej.com>

<http://www.kashefnet.com>

www.arabia.com

<http://nathra.com>

أما بالنسبة لكيفية عمل هذه المحركات، فهي تتم عن طريق تخزين المعلومات عن عدد كبير من صفحات الواب، التي يستعيدوها الباحثين من الشبكة العالمية، حيث يتوجه المستفيد إلى محرك البحث، يكون ذلك باستخدام الكلمات المفتاحية، ثم يقوم بعدها المحرك بالتفتيش في الفهرس المخزن فيها المعلومات، ليقدم قائمة بصفحات الواب المناسبة للمعايير التي وضعها الباحث، وذلك في زمن قياسي.²⁷

و تجدر الإشارة، فإن البحث عبر محركات البحث يمكن أن يكون بحثا بسيطا، أو بحثا متقدما.

- البحث البسيط: Recherche simple

يستخدمه معظم الناس، وخاصة المبتدئين، وممن يجهلون تقنيات البحث المتقدم، ويكون عن طريق وضع كلمة، بدون أي علامات أو إطارات، ثم البحث عنها.

- البحث المتقدم: Recherche avancée

هي خاصية توفرها الكثير من محركات البحث، وهي تمكن العثور على المعلومات بطريقة فعالة ومحددة، (بتحديد، مكان النشر، اللغة..)²⁸ وهو من طرق البحث الأكثر استخداما لدى الباحثين الجامعيين.

2- محركات البحث الشاملة: Les méta moteurs

ظهرت عام 1995، تعمل على استجواب العديد من المحركات و الأداة في آن واحد، بمعنى أنها تبحث في كشافات المحركات الأخرى، ومن ثم إعطاء النتيجة للباحث بحذف التكرارات.

عندما يستخدم المستفيد محرك البحث الشامل فإنه يتحصل على نتائج فورية لمحركات بحث مختلفة، حيث رغم قلها إلا أنها مفيدة جدا، هذا بالإضافة إلى أن هذا النوع من المحركات يقوم بتنظيم النتائج أو الأجوبة

بطرق تصنيف خاصة، والبحث من خلال المحركات الشاملة يكون بمراعاة مختلف طرق البحث المعروفة، كالمنطق البولياني، البحث التقاربي..

لمحركات البحث الشاملة مفاهيم أخرى "méta tiles , méta chercheurs, moteur" 29»
de meta recherché

تتوفر المحركات الشاملة على الإنترنت وتسمى محركات البحث الشاملة المتاحة عن بعد (meta motor en ligne)، لكن هناك نوع آخر، وهي عبارة عن برمجيات تتركب على جهاز الحاسوب للمستخدم دون الحاجة إلى الارتباط بالإنترنت وتسمى المحركات الشاملة العميلة (meta motor hors ligne) بحيث تقدم إمكانية تخزين البحوث.

من المحركات الشاملة نذكر: meta crawler ..إلخ.

يتبين جليا أن المحركات هي أكثر المواقع التي تلقى إقبالا من المستخدمين بحيث تعتبر طريق هام للوصول إلى المعلومات.

3- الأداة الموضوعية: les annuaires thématiques

تتعلق الأدلة اليدوية، بمعنى أنها تعتمد على العنصر البشري في عملها وذلك سواء في عملية الكشف أو التصنيف، بحيث تشتغل بواسطة المعلومات المخزنة يدويا والتي تغطي بيانات حول المواضيع المراد بحثها، تتم عملية البحث في الأداة بطريقتين:³⁰

- حسب الموضوع: حيث يتم ترتيب المواقع بطريقة تسهل عملية البحث انطلاقا من موضوع عام، ثم تصنيف هذا النطاق إلى مواضيع متفرعة.
- حسب الكلمات المفتاحية: تعتبر هذه العملية أسهل من عملية البحث من خلال موضوع معين، ومن خلالها نستطيع كتابة كلمة مفتاحية لموضوع نود البحث عنه، حيث تتم عملية إظهار أسماء المواقع التي تهتم بهذه الكلمة المفتاحية.

ومن أكبر وأشهر الأداة الموضوعية نذكر:

"yet another hierarchically organized oracle":Yahoo

يمكن من خلاله التغطية الشاملة والكاملة بكافة نواحي موضوع البحث حيث يضم هذا الدليل عدد من الأدلة المفهرسة حسب المواضيع يعدها محررون وعاملون، ويكون البحث في Yahoo من خلال الاتصال بالعنوان التالي: <http://www.yahoo.com>

4- العميل الذكي: Agent intelligent

ظهرت هذه التقنية أو الأداة كنتيجة لتطور تكنولوجيا المعلومات وكحل للتنيم التدفق المعلوماتي، بحيث حسب التعريف المقنن الذي إقترحه Afnor "association française de normalisation" العميل الذكي هو "أداة تستعمل تقنيات الذكاء اللإصطناعي: حيث يتعود على سلوك المستفيد ثم يقوم بحفض في الذاكرة كل تجاربه، وبالتالي يعتبر العميل كأنه نظام فرعي قادر على التعلم (apprentissage) يثري النظام الذي يستعمله بإضافة مع الوقت وظائف آلية خاصة بالمعالجة والمراقبة والحفظ أو نقل المعلومة"³¹.

من خلال هذا التعريف يتضح أن العميل الذكي هو أداة تعمل من خلال سلوكيات الباحث أو المستفيد، بحيث هو برنامج قادر على جمع ومعالجة المعلومات بهدف تقديمها للمستعمل.

أما عن عمل العميل الذكي هو يقوم بجمع البيانات لكل مستفيد، يلتقط عادات البحث عنده ثم يحلل طلباته المتكررة وبعدها ينشأ قائمة بتصرفات الباحث عن المعلومة، تقابلها قائمة أخرى من المواقع الخاصة باهتماماته والمتصلة ببحثه، حيث بإمكان الباحث، استغلالها من أجل تدقيق إستراتيجية بحثه، وقد تذهب بعض البرمجيات إلى توقع مراكز اهتماماته المستقبلية انطلاقاً من سمة البحث عنده

(profil de recherche) ثم تعطيه بالمقابل كل المواقع المطلوبة والتي تظهر أكثر ملائمة لاحتياجاته³²، وذلك بعد تنظيمها كحذف التكرارات الواردة مثلاً.

هناك عدة تصنيفات للعميل الذكي، ويقترح كل من: (Mark Nissem و Berskly) التصنيف التالي.³³

1- عميل التجارة الإلكترونية: (Agent négoce)

هذا العميل قادر على مقارنة المنتجات في السوق وإيجاد أحسن الأسعار لمقال ما، حيث أن التجارة بإمكانهم حماية أنفسهم من المنافسة وذلك بمعرفة الأسعار المطبقة، من طرف منافسيهم.

2- عميل البحث عن المعلومات: Agent de recherche d'informations

هو قادر على البحث عن المعلومة بكل ذكاء، والمثال على ذلك: هذا العميل يمكنه القيام ببحوث معقدة ومركبة في الإنترنت، بتطبيق واصفات البحث الذكي المعرفة من طرف المستفيد، مثل EXCITE، هذا العميل قادر على البحث عن الوثائق حتى ولو كانت لا تحتوي على الكلمات الدالة الواردة في واصفات البحث، هذا النوع من عميل البحث عن المعلومات يقوم بعدة وظائف وهي:³⁴

- حذف أو إقصاء الوثائق المتكررة.
- تصنيف المعلومات.
- جعل صفحات الواب محليا.
- إنشاء مستخلصات.
- تنظيم نتائج البحث حسب الترتيب الملائم للموضوع.
- مراقبة التعديلات وتغييرات المواقع بوتيرة قابلة للقياس.

3- عميل المساعدة: agent d'aide

هو قادر على تحقيق وظائف بصفة مستقلة، بدون تفاعل مع الإنسان، أغلبية هؤلاء الأعوان تستعمل في مجالات تسيير الشبكات بحيث هذا النوع يمكنه مثلا إيجاد سبب عدم وصول بريد إلكتروني.

4- العميل المستقل والمتحرك: Agent autonome et mobile

هذا العميل يملك استقلالية التنقل على الشبكة، حيث من خلاله يمكن إنجاز عدة وظائف خاصة، بدون مراقبة المستعمل، مثال على ذلك: تسيير وإنجاز برمجيات العميل على موزعات الواب.

5- العميل الشخصي: Agent personnel

يجيب هذا العميل على إشكالية التخفيض الذكي لحجم المعلومة التي تتحصل عليها الباحث وتوزيعها حسب الطلب، يقدم هذا النوع أيضا إمكانية تصفية المعلومات مهما كانت، جرائد إلكترونية، برمجيات، إعلانات. يسمح هذا النوع الباحث باكتشاف جزء من الواب واقتراح انتقادات وملاحظات تتعلق بالوثائق التي يدخل إليها المستعمل.

من أشهر أنواع العميل الذكي:³⁵

(1) Web Secker: هو أداة تسمح بتحقيق أو إنجاز أبحاث حول محركات البحث الفرنكوفونية.

(2) Copernic: الذي يعتبر هاما، حيث يتكون من 30 مصدر معلومات مجمعة في ثلاث ميادين: الواب، مجموعات المناقشة، عناوين البريد الإلكتروني وهو مجاني، يوفر هذا العميل " معلومات هائلة في مختلف المجالات، الأعمال، العلوم، الرياضة، الصحافة، التكنولوجيا الصحة³⁶ ...

يمكن استعمال عميل Copernic الذي يعمل على استجواب العديد من محركات البحث في آن واحد للوصول إلى مصادر الإنترنت من خلال العنوان:

<http://www.coperniv.com>

- خصائص الأعوان الذكية agents intelligents: أهم خدمة تقوم بها الأعوان الذكية تتمثل في حفظ هوية وخصائص مستعملها للاستجابة لخدماتهم أليا دون تدخل مسبق منهم، فبعد تسجيل كل المعطيات حول المستفيد تتولى الأعوان الذكية القيام بعمليات البحث والانتقاء ثم إيداع النتائج الأخيرة في علبة رسالة إلكترونية أو توجيهية أليا إلى المواقع التي تحتوي على البيانات

المطلوبة، وإذا كانت هذه طريقة عمل الأعوان الذكية في البحث عن المعلومات المتبعة خصوصا من قبل نظم الدفع الآلي للمعلومات (push technologie) فللأعوان الذكية عدة وظائف أخرى تمتاز بها كالقيام بالأعمال الروتينية التي يسعى المستفيد التخلص منها كالإجابة عن رسائله الإلكترونية، القيام بعمليات الحجز الآلي، التصرف الموقوت في التنبيه والتذكير وأخذ المواعيد.

تتكون الأعوان الذكية من جملة من البرمجيات تتداول في إنجاز مختلف الوظائف الخاصة به وتتداخل على مستويات عدة لإتمام عملية محددة.

للقيام بكل هذه الخدمات، تمتاز الأعوان الذكية بالخصائص التالية:

- الاستقلالية الذاتية في التصرف وأخذ القرار والمتابعة المحكمة لكل العمليات.³⁷
- التعاون والعمل المشترك مع أعوان ذكية أخرى أو التفاعل مع المستفيد لاستجابة أمثل لطلباته.
- القدرة على التدريب والتكيف مع حاجيات المستفيد بالملاحظة المستمرة للخدمات السابقة.
- المعالجة الموجهة للأشياء من خلال تعبيرات البحث للمستفيد.
- التدريب الذاتي وذلك بالتكيف مع تغيرات خصائص المستفيد التي هي بصدد خدمته.³⁸

5- تكنولوجيا دفع المعلومات: Push information

تهدف هذه التقنية إلى توفير المعلومة للمستفيد بصورة مباشرة بدون الحاجة للإيجار في شبكة الإنترنت لطلب المعلومة في الموزع، بحيث يكفي على المستعمل أن يسجل نفسه عند الموزع، فيقوم هذا الأخير بالبحث عن ما هو جديد ويدفعه للباحث، هذا ما يسمى بـ data push وهي عكس التقنية، أي استعمال الإنترنت والمسماة بـ pull ولأن تقنية data push تطرح مشكل تراكم

المعلومات لدى المستعمل، ظهرت تقنية pull push والمقصود بها هو أن المستعمل يتجه نحو الموزع ويطلب المعلومات التي يريدها وله الحرية في الاختيار وهذا يحد من طريقة الحصول على المعلومات بصفة تراكمية.

بهذا نقول أن الدفع المعلوماتي تقنية جديدة تعمل على تقديم المعلومة المناسبة للمستفيد بصفة مباشرة، بمعنى لا يذهب المستفيد للبحث عن المعلومة وإنما هي التي تأتي إليه وما عليه سوى تحديد حاجاته، حيث يتحصل المستفيد على المعلومة في وقت قياسي³⁹.

4- خبرات التعامل مع محركات البحث في البحث العلمي:

إن محركات البحث المختلفة تخضع للكثير من التعديلات والتغييرات والتنافس فيما بينها، ويتطلع بعضها بعضا، ويتم دائما إدخال العديد من التحسينات على إمكانيات البحث وخدمة مستخدمي الإنترنت بلغات مختلفة، وقد أضيفت الفهارس المنسقة والمتخصصة اعتمادا على تطور تقنيات الإنترنت إضافة إلى خدمات مختلفة، وبناء على ذلك، فمن الصعب الإجابة عن السؤال: ما هو أفضل محرك بحث من بين المحركات المذكورة سابقا؟ لأن المحركات تختلف في خدماتها وسرعة ترتيب بياناتها، كذلك من الصعب الجزم بجدارة في اختيار محرك واحد في عملية البحث عن المعلومات المطلوبة، وبالتالي ينصح المختصون الباحث بتجريب عدد من المحركات للحصول على نتائج أفضل، وكذلك لأن الاعتماد على أكثر من محرك بحث في موضوع معين تعطي نتائج أعمق مما لو تم استخدام محرك واحد فقط.

وفي العادة يتم تصنيف مواقع البحث في المجالات التي تهتم بهذه المواقع، إما لأنها تستخدم كثيرا من طرف الباحثين أو لأن أدائها يتسم بأعلى درجات الاعتمادية، أو لأن خدماتها كثيرة التنوع، أو لأنها تستخدم أفضل التقنيات والنظم المستحدثة التي تحسن إمكانية الحصول على المعلومات، ولأنها أيضا مصونة بشكل جيد ومستمر، فبالنسبة للباحث فهي الجديرة بالثقة وتعطيه دائما نتائج جيدة كان يسعى ويبحث عنها في وقت وجيز.

أما لدى المسئولين عن المواقع فهي بالنسبة لهم تلك الأماكن التي تقدم تصنيف مواقعهم وصفحاتهم ضمن نتائج البحث.

وبناء على ذلك هناك الكثير من الاعتبارات التي يجب أن يضعها الباحث في حياته عند التعامل مع محركات البحث ومنها:

1- أن الغالبية العظمى من الباحثين لا يقومون عادة بإدخال الاستفسارات أو الكلمات المفتاحية الصحيحة في محركات البحث والتي تؤدي إلى الحصول على النتائج المطلوبة.

2- أن الإنترنت تنمو بطريقة أسرع مما قد يستطيع أي محرك بحث بالتكنولوجيا الحالية فهرسته، ويتم تحديث ملايين الصفحات باستمرار، مما يدفع محرك البحث لزيارتها مجددا بشكل دوري.

3- أن عمليات البحث التي يقوم بها الباحثون للحصول على المعلومات، محصورة حاليا في البحث بواسطة الكلمات المفتاحية والتي قد تأتي بالكثير من النتائج الزائفة.

4- أن الكثير من المواقع المولدة آليا غير قابلة للفهرسة بواسطة محركات البحث، وهذه الظاهرة تعرف باسم، " الشبكة غير المرئية " لذا لا يمكن استرجاع المعلومات من الكثير منها.

5- أن بعض محركات البحث لا تعرض النتائج حسب الصلة بموضوع البحث، وإنما طبقا لحجم المبلغ الذي دفعته هذه الجهة أو تلك إلى المحرك.

6- أن بعض المواقع تحتال على محرك البحث ليعرضها في النتائج الأولى وربما يؤدي هذا، إلى إضعاف بعض نتائج البحث وتأخر الروابط الأقوى صلة في ترتيب قائمة النتائج المعروضة⁴⁰.

خلاصة:

تعد محركات البحث بمثابة كشافات شاملة للإنترنت، حيث تقوم بتكشيف ما يقارب 60-80 % من المعلومات المتوفرة على الشبكة، وتقوم بذلك آليا بعد تجميع صفحات باستخدام برمجيات: منها الإنسان الآلي

والعناكب وزواحف الواب، وتعتبر محركات البحث من الأدوات التي تساعد الباحث في كل ما يرغب في الحصول عليه من الإنترنت عن طريق البحث في أعماق المعلومات الهائلة الموجودة في الإنترنت ووضع محتوياته بين يديه لخدمة البحث العلمي، موفرة بذلك الوقت والجهد للوصول إلى المعلومة المناسبة، الآتية والدقيقة.

يتضح جليا أن الإنترنت يتيح إمكانية نشر أي معلومات بصرف النظر عن مجالها أو أهميتها أو الجمهور المستهدف بحيث تكون متاحة لأي شخص في أي موقع في العالم يستطيع استخدام الحاسب ويتمكن من الدخول على موقع الإنترنت، وتأخذ المعلومات أشكالاً متعددة تتراوح بين التقرير والمقالة والبحث كما تتفاوت أغراضها وأحجامها وتتسم المعلومات المتوفرة على الإنترنت بالتراكم والزيادة المضطربة يوماً بعد آخر، وعلى خلاف المعلومات المنشورة في الأشكال التقليدية ومن كتب ودوائر معارف، ومقالات في دوريات علمية محكمة، فإن ما يغلب على الكثير من المعلومات المتوفرة في العديد من مواقع الإنترنت عدم توفر ما يدل على مصداقيتها، من جهة توفر اسم المحرر أو المراجع أو اسم جهة أكاديمية أو بحثية راعية لتلك المعلومات ناهيك عن توفر البيانات البيبليوغرافية التي يمكن من خلالها الاستدلال على حداثة المعلومات والتحقق من توفر عنصر الثقة فيها، وهنا تكمن أهمية المعايير التي وضعها الباحثون أو المعلوماتيون لقياس درجة الثقة والمصداقية في مصادر المعلومات المتاحة على شبكة الإنترنت بغرض الاستفادة منها لكتابة الأبحاث العلمية.

الهوامش

¹ جودت أحمد سعادة، عادل فايز السرطاوي، استخدام الإنترنت والحاسوب في ميادين التربية والتعليم، (ط1)، الأردن، دار الشروق للنشر والتوزيع، (2003)، ص 123.

² شاهين بهاء، الانترنت والعوامة، (ط1، القاهرة: عالم الكتب، (1999)، ص 232

³ عبد الهادي زين، محركات البحث على الإنترنت للمكتبات ومراكز المعلومات، (ط1، القاهرة، إبيس كوم للنشر والتوزيع، (2007)، ص4.

- ⁴ فاطمة الزهراء محمد عبده، محركات البحث على شبكة الإنترنت، (cybrarians journal)، ع2 سبتمبر 2004)، متاح على <http://www.cybrarians.info/journal> تاريخ الولوج للوثيقة: 2014/11/21، ص2
- ⁵ عبد الهادي زين، مرجع سبق ذكره، ص8
- ⁶ نبيل بدر شبل، "مقدمة إلى محركات البحث في الشبكة"، (الرياض، جامعة الملك فهد، 2002)، تاريخ إنشاء الوثيقة 2002، متاح على: <http://users.kfupm.edu> تاريخ الإطلاع: (02 مارس 2015)
- ⁷ محمد رضا البغدادي، *تكنولوجيا التعليم والتعلم*، (ط1، القاهرة: دار الفكر العربي، 1998)، ص57.
- ⁸ عبد الهادي زين، مرجع سبق ذكره، ص3
- ⁹ زين الدين محمد عبد الهادي، مرجع سبق ذكره، ص28.
- ¹⁰ أمنية طلعت، "الطريق الآمن لدخول عالم الإنترنت"، *جريدة البيان*، (27 فيفري 2002)، متاح على: www.albayan.co.ae/albayan/2002.html تاريخ الإطلاع على الوثيقة: (10 مارس 2014).
- ¹¹ Philippe hert: «les arts de lire le réseau: un cas d'innovation technologique et ses usages quotidiens dans les sciences»، (www.larecherche.fr), page consulté le: (09/08/2014).
- ¹² زيادة القاضي وآخرون، *مقدمة إلى الإنترنت*، (ط1، عمان: دار الصفاء للنشر والتوزيع، 2000)، ص38.
- ¹³ <http://www.yahoo.com>, page consulté le: 13/01/2015.
- ¹⁴ زيادة القاضي وآخرون، *مقدمة إلى الإنترنت*، (الطبعة الأولى، عمان: دار الصفاء للنشر والتوزيع، 2000)، ص ص 37-38.
- ¹⁵ المهندس زايد، "محركات البحث العربية في شبكة الإنترنت، *المجلة العربية للمعلومات*، (ع2، مج 20، تونس، 1999)، ص156.
- ¹⁶ زين الدين محمد عبد الهادي، مرجع سابق، ص48.
- ¹⁷ فضيل جمال كليب، "مدى إفادة الإنترنت للباحثين في مجال البحث العلمي"، متاح على الموقع: www.arabcin.net، ليوم: (12 ماي 2014)
- ¹⁸ شريف كامل شهبين، *مصادر المعلومات الإلكترونية*، (ط1، القاهرة: دار المصرية اللبنانية، 2000)، ص284.
- ¹⁹ عباس محمد صادق، *الإنترنت والبحث العلمي*، (ط1، أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، 2007)، ص45.
- ²⁰ حسين عبد المحسن، "معالجة معلوماتية أذكي"، موجود على الموقع، www.doroob.com، تاريخ الإطلاع على الوثيقة، (20 أوت 2014).
- ²¹ عبد الهادي زين، مرجع سبق ذكره، ص45.
- ²² الدار العربية للعلوم، *محركات البحث العربية والعالمية على شبكة الويب*، ترجمة: مركز التعريب والبرمجة، (ط1، المغرب: الدار العربية للعلوم، 2002)، ص179.
- ²³ Henry Samier, *la recherche intelligente sur internet et intranet: outils et méthode*, (Paris: Hermès science publication, 2006, p.63).
- ²⁴ رولاند روبين، *الدليل المبتكر للبحث عبر الإنترنت*، (ط1، القاهرة: مجموعة النيل العربية، 2003)، ص296.
- ²⁵ <http://www.ayna.com>، تاريخ إنشاء الوثيقة: 2008/08/09، تاريخ الإطلاع على الوثيقة، (12 جوان 2014).
- ²⁶ ربيعي مصطفى العليان، يسرى أبو عجمية، *تنمية وتقييم المجموعات في المكتبات ومؤسسات المعلوماتية*، (ط1، عمان: دار الفكر المعاصر، 2003)، ص27.

- ²⁷ بهاء شاهين، الإنترنت والعولمة، (ط1، القاهرة: عالم الكتب، 1999)، ص 233.
- ²⁸ البحث في الإنترنت، لغة العصر، متاح على: www.ahtam.org.eg تاريخ الإطلاع عليه، (20 février 2014).
- ²⁹ "Qu'est ce qu' un méta moteur", disponible sur <http://www.ecolebibboc.blogs.com>, consulté le (19.03.2014)
- ³⁰ طرق البحث في الإنترنت، متوفر على <http://websy/leurn/internet/ginfo/11htm>. تم الإطلاع عليه، يوم: (12 سبتمبر 2014).
- ³¹ Henry, Samier, la recherche intelligente sur l'internet et l'intranet: outils et méthodes. P.63.
- ³² شرشالي فة. " مصادر الإنترنت عن الجزائر": دراسة نظرية وتطبيقية". مذكرة ماجستير: علم المكتبات والتوثيق: الجزائر: 2003، ص 85.
- ³³ Henry, Samier, op.cit. p67.
- ³⁴ Les agents intelligents, disponible sur, <http://www.decisionnel.net>, consulté le: (19-03-2015).
- ³⁵ Les agents intelligents, opcit
- ³⁶ Viterbo. Levis, meta crawler: Définition and recommended, links, disponible sur: <http://www.ecglossary.com/metacrawler.htm>consulté le:(16/03/2014).
- ³⁷ المختار بن هندا، مرجع سبق ذكره، ص 24.
- ³⁸ عبد القادر الفتوح، الإنترنت للمستخدم العربي، (ط1، الرياض: مكتبة العبيكان، 2002)، ص: 45.
- ³⁹ المختار بن هندا، " البحث الذكي وخدمات القيمة المضافة للمعلومات على شبكة الإنترنت"، مجلة النادي العربي للمعلومات عربين، (العدد: 2001/04)، ص. 23.
- ⁴⁰ عباس مصطفى صادق، مرجع سبق ذكره، ص 62.

استخدامات الشباب لوسائل الاتصال الحديثة: دراسة ميدانية في المؤسسة التربوية

د.ة فاطمة ميدان

جامعة وهران 2

مقدمة:

من أهم التحولات الجذرية لتكنولوجيات الاتصال الحديثة بتعدد وسائلها وفروعها، والتي أخذت أبعادا فاقت التصورات التي وضعت لها، تلك الاستخدامات التي أضحت من أساسيات الحياة المعاصرة، بل باتت تشارك مؤسسات التنشئة الاجتماعية في صنع الكثير من المتغيرات الأخلاقية والإيديولوجية والسلوكية والسياسية، والثقافية لدى معظم فئات المجتمع.

تهدف هذه الدراسة إلى طرح بعض القضايا التي تخص الشباب من خلال ظاهرة أخذت بعدا لا يستهان به وجب التوقف عندها ومحاولة فهمها، ألا وهي ظاهرة استخدام الشباب لوسائل الاتصال الحديثة؛ ونخص بالذكر الانترنت والهاتف النقال والتي أصبحت تلعب دورا هاما في واقعهم اليومي.

لقد غيرت التكنولوجيات الحديثة من سلوك الشباب وتصرفاتهم وعلاقتهم بأسرهم وبعضهم البعض، كما غيرت من نمط حياتهم وأساليب تعاملهم مع المحيط الاجتماعي الذي يتواجدون فيه ويتعاملون معه. لقد فرضت هذه التكنولوجيات نفسها على الشباب (ونعني هنا تلاميذ طوري المتوسط والثانوي) وملأت أوقاتهم بكثير من الأنشطة الذهنية والأفكار والرسائل والمعاني الجديدة، وأصبح من الصعب عليهم التمييز بين العالم الواقعي الذي يعيشون فيه والعالم الافتراضي الذي ينشطون ويتواصلون من خلاله. ويتشكل الواقع الجديد للشباب

وفق هذه المعادلة التي أصبحت بمثابة الاطار المرجعي لسلوكهم، ينسج الشباب علاقة خاصة مع وسائل التواصل الحديثة بشتى أنواعها، ويرتبط بها "حميميا" عبر الشاشة بشكل غير إرادي؛ حيث أن النشاط الاتصالي أخذ مساحة هامة في حياتهم وبات جزءا رئيسيا من نشاطهم اليومي.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في أنها تتطرق إلى موضوع بالغ الأهمية يعنى بالمخاطر التي تنطوى عليها ظاهرة استخدام الشباب المفرط لتكنولوجيات الاتصال الحديثة بجميع أنواعها. انها محاولة للفت الانتباه، خاصة انتباه الأولياء والمعلمين (أى المسؤولين على عملية التنشئة الاجتماعية)، إلى خطورة الظاهرة التي تفشت كالوباء في أوساط البنين والبنات.

أسباب اختيار الموضوع:

ان انتشار وسائل التكنولوجيا الحديثة في أوساط الشباب والأطفال، ومن بينهم التلاميذ، أثار فضولنا العلمى للاقتراب من الظاهرة ومحاولة معرفة استخدامات المراهقين لهذه الوسائل، ومعرفة مدى الاتساق بين الواقع الذي تعكسه والواقع الفعلى المعاش. أي أن اهتمامنا انصب على استخدامات التلاميذ لتكنولوجيات الاتصال الحديثة بين الواقع الافتراضى والواقع الاجتماعى. وقد انطلقنا من التساؤل الرئيسى التالى:

- في إطار ثنائية الاستخدامات والإشباع، ما مدى الاتساق بين الواقع

الاجتماعى الذي يعيشه التلميذ أو الشاب في الجزائر وبين الواقع الذي تنقله وسائل الاتصال الحديثة (الواقع الافتراضى)؟

إلى جانب التساؤل الرئيسى طرحنا تساؤلات فرعية قصد الالمام أكثر

بمختلف جوانب الموضوع:

• ما الذي تقدمه تكنولوجيات الاتصال الحديثة للتلميذ أو الشاب، كيف تتصورهم فتصورهم؟

- هل يؤدي الواقع الافتراضي الذي يبحر فيه الشاب إلى الانفصام عن الواقع الاجتماعي الذي يعيشه؟
- ما هي المساحة التي يخصصها الشاب لهذه الوسائل في حياته اليومية، وما هي الإشباعات التي تقدمها له؟

فرضيات الدراسة:

- تنطلق فرضيات الدراسة من بعض فروض مدخل الاستخدامات والإشباعات، وهي على النحو التالي:
- جمهور الشباب جمهور نشط، يختار التعرض للوسيلة التي تشبع حاجاته والمضمون الذي يتفق وتوقعاته.
- الواقع الاجتماعي في وسائل الاتصال مغاير ومختلف تماما عن الواقع الفعلي.
- تتحكم متغيرات نفسية واجتماعية في عملية استخدام جمهور الشباب للتكنولوجيات الحديثة.

منهج الدراسة:

اعتمدنا في دراستنا هذه على المنهج الوصفي التحليلي والذي يسمح لنا بوصف ما هو موجود في الواقع من زوايا مختلفة، وتفسير المعطيات المستقاة من الدراسة حيث أن الظاهرة تنتهي للحاضر. كما استعنا بالمنهج الكمي الذي يساعدنا على تحليل النتائج والبيانات الرقمية، ووظفنا مدخل الاستخدامات والإشباعات لفهم الأسس النفسية-الاجتماعية لاستخدام هذه الوسائل من طرف التلاميذ.

عينة الدراسة:

أجريت الدراسة على عينة يقدر حجمها ب 300 مفردة ممن تتوفر فيهم خصائص معينة تتلاءم وموضوع الدراسة، وقد تم اختيارها بطريقة العينة العشوائية وهذا لصعوبة استخدام العينة الحية مع فئة التلاميذ دون سن السادسة عشر، وكذلك لصعوبة الحصول على قوائم التلاميذ من المؤسسات التعليمية.

شملت العينة على تلاميذ من مؤسسات تعليمية في الجزائر العاصمة وهران، وقد تم تمثيل المتغيرات الديموغرافية في عينة الدراسة بهدف التنوع في العينة، حيث ضمت الإناث والذكور من السنة الرابعة متوسط وتلاميذ السنوات الثلاث الثانوية والتي تتراوح اعمارهم بين 14 و18 سنة.

وزعت العينة بالتساوي بين الولايتين بحجم 150 مفردة لكل ولاية، وبالتساوي بين الذكور والإناث بعدد 75 مفردة لكل نوع.

المجال المكاني والزمانى للدراسة:

اجريت الدراسة على التلاميذ الذين يزاولون دراستهم بولاية الجزائر العاصمة باب الوادي وباش جراح، وفي هران بعي الصديقية وحى سيدى البشير.

اختيرت المؤسسات التربوية عشوائيا حسب امكانية اجراء المقابلات وحسب اعتبارات أخرى كالمعرفة الشخصية بالمدراء أو المعلمين أو عمال المؤسسة.

وزعت الاستمارات عن طريق بعض الأساتذة الذين أشرفوا على عملية ملئها وجمعها. وقد تم توزيع 400 استمارة وبعد عملية ملئها وجمعها تم استبعاد 100 استمارة لعدة أسباب منها الامتناع عن الإجابة، وعدم الإجابة على بعض الاسئلة المحورية، والخروج عن الموضوع، والإجابات الخارجة عن الآداب العامة.

أجريت الدراسة الميدانية خلال الفصل الثانى من العام الدراسى 2009-2010 والفصل الثالث من العام 2010-2011.

أدوات جمع البيانات:

جمعت البيانات المتعلقة بموضوع الدراسة عن طريق الاستمارة التي ضمت 70 سؤالا بين أسئلة مغلقة وأخرى مفتوحة، تمت صياغتها حسب المحاور التالية:

- استخدام التلاميذ لوسائل الاتصال الحديثة كالحاسوب، والانترنت، والهاتف النقال.
- مدى الاستفادة من الاستخدام في الحياة اليومية والدراسية.
- مدى نقل وسائل الاتصال للواقع الاجتماعي.
- الإشباع المحققة من جراء استخدام وسائل الاتصال.

معالجة الاحصائية للبيانات:

لقد تم تفريغ الاستمارات عن طريق الحاسوب الآلي قصد معالجة البيانات إحصائيا باستخدام برنامج SPSS، وتم تصنيفها في جداول بسيطة ومركبة بهدف تحليلها واستخراج نتائج الدراسة.

الدراسات السابقة:

1- الدراسات الأجنبية:

أهم خطوة في إنجاز الدراسات العلمية والأبحاث هي الاطلاع على الدراسات التي تناولت الموضوع بهدف تزويد الباحث بمعلومات تكون خافية عنه، كما تفتح أمامه آفاقا تستفيد منها الدراسة وتزوده بأهم الأفكار التي كتبت حول الموضوع وأهم النتائج التي توصلت إليها الدراسات السابقة. ومن بين تلك الأبحاث التي اطلعنا عليها دراسة نانسي أن جينينغ Jenning Ann Nancy عام 2000 بعنوان: "الأطفال والأسرة والمدارس في مجتمع المعلومات"⁽¹⁾. حاولت هذه الباحثة التعرف على استخدام الأطفال لوسائل الاتصال، خاصة القنوات الفضائية والحاسوب والانترنت، من خلال دراسة ميدانية على عينة قوامها 250 مفردة من التلاميذ في نهاية المرحلة الابتدائية و125 مفردة من عائلاتهم، و27 مفردة من المعلمين من ذوى الدخل المحدود في ولاية تكساس بالولايات المتحدة الأمريكية، وكلهم ممن يستخدمون الحاسوب والانترنت في المدرسة أو في البيت والمدرسة معا. وقد توصلت الدراسة إلى عدة نتائج، منها:

• تمتلك نسبة 62.45 % من عينة الدراسة حاسوباً تستخدمه بشكل مكثف على عكس العينة التي لا تمتلك جهاز كمبيوتر. كما أن نسبة 44.72 % من العينة لها اتصال بشبكة الانترنت.

• هناك علاقة بين مستوى الدخل للأسرة وامتلاكها جهاز كمبيوتر، حيث أن 75.5 % من الأسر مرتفعة المستوى الاقتصادي والاجتماعي تملك جهاز كمبيوتر.

• بالإضافة إلى ذلك، استنتجت الباحثة وجود علاقة بين نوع الطفل Gender ومكان تعامله مع الحاسوب، حيث أن الإناث تفضلن التعامل مع الحاسوب في المنزل أكثر من المدرسة. وتبين الدراسة كذلك أن مواقع القنوات الفضائية هي أهم ما يتعرض له الأطفال عبر شبكة الانترنت.

الدراسة الثانية هي لبيتر نيكين Nikken, Peter التي صدرت عام 2000 بعنوان: "استخدام الأطفال الهولنديين للانترنت وألعاب الفيديو"⁽²⁾، ركزت على عينة قوامها 427 مفردة من الأطفال الهولنديين من الفئة العمرية 9-12 سنة في عدة مدارس ابتدائية، وقد أسفرت الدراسة فيما يخص القنوات الفضائية على وضع عدة توصيات ومعايير لبرامج الأطفال التي تبث على هذه القنوات، منها:

• ضرورة معالجة البرامج لمشاكل الأطفال وحياتهم اليومية بشكل يوحى بالمصداقية واحترام طريقة تفكيرهم، واستخدام لغة تدفع إلى الرقي اللغوي بعيدة عن السذاجة وخالية من العنف ومشاعر الخوف.

• وجوب عكس صورة الطفل الحقيقية في برامج الأطفال - أي أنه يظهر في هذه البرامج كطفل زائد الوزن، أو عادي الذكاء، أو يرتدى نظارات، أو خجول، إلخ.....-

حتى يرى الطفل نفسه مجسداً في الفضائيات مما يزيد من مصداقية البرامج ويدفع بالطفل إلى مشاهدة برامج الأطفال ولا ينصرف عنها لبرامج الكبار.

- المطالبة بملاءمة هذه البرامج مع أعمار الأطفال وأن تتغير باستمرار بما يلبي رغباتهم الذهنية وميولهم الترفيهية.

الدراسة الثالثة هي للباحثين شيرلى Cherly وجونزلى Jones Lee نشرت عام 2000 بعنوان: "تأثير تدخل الوالدين على استخدام الأطفال للمواد الترفيهية في التلفزيون والانترنت والالعاب الفيديو"⁽³⁾ شملت عينة قوامها 304 مفردة من تلاميذ المدارس الذين يتعرضون للقنوات الفضائية والانترنت وألعاب الفيديو، وهدفت إلى الإجابة على عدة أسئلة، منها:

- ما هي الآليات التي يستخدمها الوالدان في تقنين عملية متابعة الأطفال للوسائل الجديدة؟
- هل هناك وسائل بعينها - من الوسائل الجديدة- يتم بواسطتها التقنين؟

- هل تؤثر العوامل الديموغرافية، وسن الطفل، والنوع، ودرجة تفوقه في الدراسة في مدى تدخل الأهل في التعرض للوسائل الجديدة؟
- هل يؤثر حجم الأسرة والمستوى الثقافي للوالدين في وعيهم واهتمامهم بالتدخل فيما يتعرض له أولادهم؟
- وقد توصلت الدراسة إلى عدة نتائج منها:
- أن غالبية الأسر تستخدم آليات لضبط علاقة الطفل بالوسيلة ولكن تختلف آليات الضبط من وسيلة لأخرى.
- أن أغلبية الأسر عينة الدراسة تضع قيودا على استخدام الأطفال للقنوات الفضائية والانترنت أكثر من ألعاب الفيديو.

- أن الاطفال الأصغر سنا يتعرضون لقيود أكثر من الاطفال الأكبر سنا في استخدامهم لوسائل الاتصال الحديثة كالقنوات الفضائية والانترنت، وأن الأطفال الذين يعيشون في الأسر كبيرة الحجم يتعرضون لقيود أكثر من غيرهم في استخدامهم لهذه الوسائل.

الدراسة الرابعة للباحثة ماري كاترين كوران Curran, Marie Catherine نشرت بعنوان: "استخدام الأطفال للإعلانات التي تعرض في التلفزيون

والانترنت"⁽⁴⁾ سنة 2008، وقد أكدت الدراسة أن التقنيات الحديثة التي تستخدم في صناعة الإعلانات التي تعرض في التلفزيون والانترنت، بالإضافة إلى زيادة أعداد القنوات الفضائية بصورة عامة، ضاعف من حجم جمهورها، ويعد الأطفال شريحة هامة من ذلك الجمهور. وهدف البحث إلى:

- التعرف على استخدام الأطفال للإعلان في الانترنت والتلفزيون
 - التعرف على فروق هذا الاستخدام بين الأطفال الأكبر والأصغر سنا.
- وقد توصلت الدراسة إلى أن متغير السن له تأثير على استخدامات الجمهور للوسائل وعلى الإشباعات المتحققة لهم وكذا استخداماتهم.

2- الدراسات العربية

وصلت دراسة حسن على محمد (2004) بعنوان: "استخدامات الشباب الجامعي للقنوات الفضائية الغنائية والإشباعات المتحققة"⁽⁵⁾ على عينة عمدية من شباب الجامعات المصرية قوامها 150 مفردة إلى عدة نتائج، من أهمها:

- ارتفاع معدلات مشاهدة القنوات الفضائية بين طلاب جامعة 6 أكتوبر لتصل إلى 100 % من عينة الدراسة، تليها نسبة مشاهدة 90 % بين طلاب جامعة القاهرة، بينما يلاحظ انخفاض ملحوظا في معدل المشاهدة لدى طلاب جامعة المنيا بنسبة 78 %.
- أهم دوافع مشاهدة الشباب الجامعي عينة الدراسة للفضائيات الغنائية الحكومية، هي بالترتيب: دافع التسلية، يليه دافع مراقبة البيئة الاجتماعية.
- تغلب الدوافع النفعية لدى شباب الجامعات الحكومية في علاقتهم بالفضائيات الغنائية الحكومية، مقارنة بتعاظم الدوافع الترفيهية لدى شباب الجامعات الخاصة.

الدراسة الثانية لصفا فوزي (2003) بعنوان: "علاقة الطفل المصري بوسائل الاتصال الالكترونية"⁽⁶⁾ على عينة طبقية عشوائية قوامها 400

مفردة من الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين 12 و18 سنة في محافظة القاهرة الكبرى. وقد توصلت الدراسة إلى عدة نتائج أهمها:

- تمتلك أسر 20.5 % من الاطفال عينة الدراسة جهاز استقبال القنوات الفضائية، وأهم القنوات المشفرة التي يشتركون فيها هي:الأوائل 31.07%، وأوربيت 12.1%، و Showtime 11%، ويشاهد القنوات الفضائية بوجه عام 30 % من الأطفال عينة الدراسة، منهم 9.7 % بشكل دائم و20.3% بشكل متقطع.

- يشاهد 3.3 % من عينة الدراسة القنوات الفضائية أقل من ساعة يوميا، ويشاهدها 24.2% من ساعتين إلى أقل من 3 ساعات، و22.5% لأكثر من 3 ساعات يوميا.

اهم المواد والبرامج التلفزيونية التي يفضل الأطفال عينة الدراسة مشاهدتها الأفلام الأجنبية لنسبة 18.1 %، والمقاطع فيديو موسيقية بـ 15.6%، والأفلام العربية بـ 11.4%، ونشرات الأخبار والبرامج الإخبارية بـ 8.5%، والمسلسلات الأجنبية بـ 6.3%، والبرامج التعليمية بـ 6%.

الاستفادة من الدراسات السابقة:

لقد تم الاستفادة من الدراسات السابقة في المواضيع التالية:

- تحديد مدخل الاستخدامات والإشباع كإطار نظري للدراسة، علما أنه لا توجد على حسب إطلاعنا - وإلى غاية كتابة هذه الأسطر - دراسات سابقة تناولت استخدامات الشباب في المجتمع الجزائري لتقنيات الاتصال الحديثة والإشباع المتحققة من جراء التعرض.

- المساعدة على تصنيف الحاجات بشكل مفصل ومبسط
- المساعدة على تصنيف الاستخدامات والإشباع
- التوزيع المتساوي لأفراد العينة، ليس بغرض المقارنة وإنما بغرض تنوع مجتمع البحث طبقا للخلفية الاجتماعية لأفراد العينة.
- صياغة فروض الدراسة في إطار مدخل الاستخدامات والإشباع.

لقد تنوعت الدراسات والأبحاث التي تناولت الموضوع، غير أننا اقتصرنا على الدراسات التي بحثت في مجال علاقة الأطفال والمراهقين بوسائل الاتصال واستخداماتهم لها والإشباع التي تحققها لهم. إلا أنها تبقى شحيحة فيما يخص الوطن العربي والجزائر خاصة.

مدخل الاستخدامات والإشباع:

قبل التطرق لنتائج الدراسة الميدانية نحاول ان نعطي لمحة تاريخية عن بدايات مدخل الإستخدامات والإشباع. كانت بدايات ظهور مدخل الإستخدامات والإشباع في اربعينيات القرن الماضي وجاء هذا نتيجة للقصور في الاتجاه البحثي القديم القائم على فكرة أن السلوك البشري يتحدد طبقا للألية البيولوجية الموروثة، أي أن الطبيعة الأساسية للكائن الحي متشابهة تقريبا وبالتالي استجاباتهم للمثيرات المختلفة مماثلة⁽⁷⁾. ركز المدخل على أهمية ادراك الفروق الفردية والتباين الاجتماعي الذي يؤثر على ادراك السلوك المرتبط بوسائل الاتصال⁽⁸⁾.

لقد لعبت الرسالة الاعلامية دورا مهما في تغيير النظرة الأحادية الكلاسيكية لوسائل الاتصال فالنظريات التي كانت تعتبر الجمهور متلق سلبي أمام قوة الرسالة، قد انتهت وحل محلها مفهوم الجمهور النشط الذي يقوم بعملية الاختيار والتحكم في الرسائل التي يريد التعرض لها⁽⁹⁾، ومن هنا ظهر مدخل الإستخدامات والإشباع usages et gratifications كرد فعل لمفهوم "قوة وسائل الاتصال الطاغية"⁽¹⁰⁾، كما اشارت هويت Houit إلى أن هناك عوامل تدفع بالأفراد لاستخدام وسائل الاتصال ومن هنا انبثق مصطلح الإستخدامات usages كما أن احتياجات الأفراد يمكن أن تشبع من التعرض لوسائل الاتصال فبالتالي ظهر مصطلح الإشباع gratifications فانتقل التركيز من القائم بالاتصال إلى التركيز على المستقبلين ومن ثم اطلق عليه لفظة الجمهور⁽¹¹⁾، الذي يفترض أن الأفراد ليسوا سلبيين، أو ضحايا لتأثيرات وسائل الاتصال، وإنما يختارون بوعي وإتقان وسائل الاتصال التي يرغبون في

استخدامها ونوع المضمون الذي يلبي حاجاتهم النفسية والاجتماعية من خلال قنوات المعلومات والترفيه المتاحة في المجتمع⁽¹²⁾.

ومن ثم فإن الأفراد يقومون بدور ايجابي في عملية الاتصال، حيث يطوعون الوسائل لتلبية احتياجاتهم، وليست الوسائل هي التي تسيطر عليهم، فالفرد يولي اهتماما للوسائل التي تحقق له حاجاته وتساعد على اشباع رغباته⁽¹³⁾.

نشأة مدخل الاستخدامات والإشباع:

تعد دراسة هيرتا هرزوك Herta, Herzog المنشورة سنة 1944 أول بحث يقدم اختبارا لإشباع وسائل الاتصال والمعنون "دوافع الاستماع للمسلسل اليومي واشباعاته"، حيث اجرت الباحثة مقابلات مع عينة تقدر بـ 200 مستمعة للمسلسل اليومي الذي يقدمه المذيع نهارا وتوصلت إلى نتيجة مفادها وجود اشباع أساسية من جراء الاستماع لهذه النوعية من المسلسلات. ركزت الباحثة على تقييم أسباب الاستماع لهذه المسلسلات واستخداماتهم لها والإشباع المتحققة لهم على عكس التيار الذي كان سائدا انذاك والذي يرمي إلى قياس تأثير متابعة المسلسلات على المستمعات⁽¹⁴⁾.

ان الاسس التي اعتمد عليها مدخل الإستخدامات والإشباع، تتمثل في سؤال الجمهور مباشرة عن توقعاتهم ودوافعهم واستخداماتهم واحتياجاتهم التي يريدون اشباعها من خلال التعرض لوسائل الاتصال.

ولقد ركز كل من كاتز Catz وبلمار Belmar وجيرفيتش Gurvitch على تعبير أفراد الجمهور عن احتياجاتهم كطريقة مثلى لقياس احتياجات واستخدامات الجمهور لوسائل الاتصال. ويفترض هؤلاء الباحثون أن أفراد الجمهور على وعي باحتياجاتهم بطريقة كافية يعبرون عن أنفسهم بجانب وعيم بما تقدمه لهم كل وسيلة اعلامية على حدة⁽¹⁵⁾.

لقد انتهج الباحثون في مجال الإستخدامات والإشباعات عدة طرق في دراسة استخدامات الجمهور لوسائل الاتصال منها⁽¹⁶⁾.

• النموذج الأول: دراسة ادوني Adoni الذي قام بمقارنة استخدام الشباب لكل من الكتب والصحف اليومية، والسينما، والراديو والتلفزيون ودور كل وسيلة في عملية التنشئة السياسية لديهم.

• النموذج الثاني: دراسة جرينبرج Greenberg وهي دراسة لوسيلة واحدة والإشباعات المتحققة من وراءها حيث درس استخدامات أطفال المدارس للتلفزيون في بريطانيا.

• النموذج الثالث: دراسة ليفي Lévy الذي قام بتحليل استخدامات الجمهور للأخبار المذاعة بالتلفزيون.

• النموذج الرابع: دراسة كل من شالفا Shalva وساندرز Sanders التي استهدفت التحقق من مقارنة الإشباعات الفعلية الناجمة عن مشاهدة برنامج (خلف الأبواب المغلقة). اتبع الباحثان في هذه الدراسات أربع طرق أساسية تتمثل في:

أ. استخدام أكثر من وسيلة ومقارنة كل وسيلة بأخرى ودورها في عملية التنشئة السياسية

ب. استخدام وسيلة اعلامية واحدة والإشباعات التي تحققها.

ج. دراسة برامج محددة ومضامين معينة في وسيلة واحدة أو أكثر، وكيفية استخدامها.

د. دراسة الإستخدامات لوسيلة واحدة محددة. لكن في كثير من الاحيان يجمع الباحثون بين الطرق الاربعة في دراسة استخدامات الجمهور لوسائل الاتصال⁽¹⁷⁾.

الدراسة الميدانية:

ظهرت مستحدثات تكنولوجيا الاتصال في الجزائر في مرحلة كانت مليئة بالأحداث والأزمات خارجيا وداخليا حيث عرف العالم تغيرات جذرية جيو-

سياسية مثل انهيار المعسكر الاشتراكي، سقوط جدار برلين، أزمة البلقان وعلى الساحة العربية والاسلامية نشوب حرب الخليج، الانتفاضة الفلسطينية الأولى، تصاعد التيار الاسلامي السياسي وحرب افغانستان والشيشان.

اما داخليا اشتداد الأزمة الاقتصادية وعجز ميزانية الدولة: ظهور العنف السياسي، تفاقم الأزمة الاقتصادية والاجتماعية، تصاعد تيار الاسلام السياسي، كما عرف المجتمع تغيرات عميقة على كافة المستويات السياسية الثقافية الاقتصادية والاجتماعية تمثلت في انتهاء عهد الحزب الواحد وظهور التعددية الحزبية، خفض قيمة الدينار جدولة الديون لدى صندوق النقد الدولي، رفع الدعم عن المواد الاستهلاكية الأولية، بيع المؤسسات العمومية وتسريح العمال، ارتفاع نسبة البطالة وأزمة السكن. اعادة طرح المسألة الأمازيغية في ثوب ثقافي سياسي، الاعتراف بالأمازيغية، المطالبة بالهوية البربرية حرية التعبير، التراجع عن قانون التعريب وفوق كل هذا منع دخول الصحف والمجلات والكتب الأجنبية الأمر الذي انجر عنه انسداد في المشهد الثقافي والسياسي في الجزائر. اكتسحت الفوضى المجتمع الجزائري من كل الجوانب ابتداء بأحداث أكتوبر 1988 وظهور الجبهة الاسلامية للإنقاذ كحزب كان له دور حاسم في صنع الأحداث، وصولا إلى اضطرابات 1991 التي شلت هياكل الدولة والمجتمع مرورا بقانون حالة الطوارئ ثم اغتيال الرئيس محمد بوضياف وانفجار الأوضاع فتزايدت الاغتيالات والتفجيرات وانتشر العنف في كافة مجالات الحياة الاجتماعية.

في خضم هذه الأحداث عرفت الساحة، بداية دخول مستحدثات تكنولوجيا الاتصال وهذا بظهور الهوائيات المقنعة والبث الفضائي، وبدأت أجهزة الاتصال الآلي تدخل الاسواق وتعرف اقبالا من طرف الكبار والصغار، واخذ استخدام هذه الوسائل يزداد يوما بعد يوم ولعبت دور الوسائط لنقل التفاعل بين أفراد المجتمع الكبير أو ما يطلق عليه روبرت اسكريبت Robert Escarpit⁽¹⁸⁾، اسم المجتمع ذو الحجم الضخم Hyper dimension، وقد شمل هذا

الإستخدام معظم الفئات الاجتماعية من بين هذه الفئات تلاميذ المدارس والثانويات الذين وجدوا ملاذا لأشباع فضول المرحلة العمرية التي يمرون بها. وأصبحت هذه الوسائل اليوم بمثابة المعلم الأول، أن نتساءل عن طبيعة هذه الاستخدامات، وما هي المساحة التي يخصصها المراهق في حياته اليومية لها؟ ماذا تمثل بالنسبة له؟ وما هي الإشباعات المحققة من خلال هذا الاستخدام؟ وهل تساعده على التعرف على الواقع؟ هل دخل التلاميذ مرحلة الأدمان على وسائل الاتصال؟ وهل أصبحت هذه الوسائل بديلا تعويظيا Un objet transitionnel وللاقتراب من الظاهرة ومحاولة إيجاد اجابات لتساؤلاتنا توجهننا خلال انجازنا لهذه الدراسة إلى الأفراد الذين يعيشون الظاهرة بأنفسهم، وهم التلاميذ.

شملت العينة على 300 مفردة موزعة بالتساوى بين النوعين الاناث والذكور اى بنسبة 50% لكل نوع يزاولون دراستهم في اقسام السنة الرابعة متوسط:الأولى، الثانية والثالثة ثانوى.

اما المستويات التعليمية لأولياء التلاميذ أفراد العينة تتوزع إلى ثلاثة فئات وقد ارتأينا أن نركز على هذا الجانب لأن المستوى التعليمى للوالدين مهم في رأينا حيث أن الآباء هم المشرفون الأساسيون على عملية التنشئة الاجتماعية.

الامهات:

- الفئة الأولى: 14.1% ذات مستوى عالي.
- الفئة الثانية: 35.4% ذات مستوى متوسط.
- الفئة الثالثة: 50.5% ذات مستوى ضعيف.

الآباء:

- الفئة الأولى: 18.6% ذات مستوى عالي.
- الفئة الثانية: 66.8% ذات مستوى متوسط.
- الفئة الثالثة: 14.6% ذات مستوى ضعيف.

إن المستوى التعليمي لآباء افراد العينة متقارب مع المستوى التعليمي للأمهات في المستوى الأول، أي العالي أما نسبة الأمهات في المستوى الثالث فهي أعلى من نسبة الآباء أي أن نسبة الأمهات ذوات المستوى التعليمي الضعيف أعلى من الآباء، بينما نسبة المستوى المتوسط بين الآباء أعلى منها لدى الأمهات.

للأمهات دور هام في الرقابة على استخدامات ابنائهن لوسائل الاتصال، حيث يستطعن توجيه اختيارهم كما يمكنهن من النقاش معهم حول مشاهداتهم واستخداماتهم.

والسؤال الذي يطرح نفسه هو كيف يمكن للأمهات بهذا المستوى التعليمي المتدني مواكبة التطورات الحاصلة في ميدان تكنولوجيايات الاتصال ومن ثمة فهم وتوجيه ومراقبة، بل مشاركة هؤلاء التلاميذ؟

أسفرت الدراسة عن عدة نتائج من بينها:

إجماع أفراد العينة على استخدامهم لوسائل الاتصال الحديثة منها والقديمة، ويعتبر التلفزيون الوسيلة الأكثر استخداما بين أفراد العينة، وهي الوسيلة الوحيدة المتوفرة في جميع المنازل بنسبة 100% ذكورا وإناثا، بصرف النظر عن التباينات السوسيو- ثقافية. من جهة أخرى، بلغت نسبة الحواسب الآلية في المنازل 45% ونسبة المرتبطين بالانترنت 31.1%، رغم أن نسبة استخدامه خارج المنازل بلغت 74.9% كما أن نسبة 63.8% من أفراد العينة يملكون هاتفا نقالا، وهو الوسيلة الثانية بعد التلفزيون المتوفرة لدى أفراد العينة.

يستخدم التلفزيون بملحقاته الحديثة وهو الوسيلة المفضلة لدى أفراد عينة الدراسة لملء وقت الفراغ تعتبر مشاهدة التلاميذ عينة الدراسة للتلفزيون مشاهدة كثيفة حيث ان 52.6% من أفراد العينة تشاهد التلفزيون لمدة 6 ساعات يوميا.

يستخدم الهاتف النقال بطريقة فردية حيث يعتبر ملكية خاصة، يلجأ إليه التلاميذ في كل الأوقات. انه الوسيلة التي يتفاعل معها التلاميذ أكثر من الوسائل الأخرى حيث تستخدم طوال النهار وفي كل مكان.

للهاتف النقال استخدامات متعددة من طرف تلاميذ عينة الدراسة فهو يستعمل للعب، التقاط الصور، الاستماع للموسيقى، مشاهدة صور وفيديوهات مسجلة، لإرسال واستقبال الرسائل القصيرة، معاكسة الآخرين... تستخدم نسبة كبيرة من عينة الدراسة وهي 79.54% الحاسوب والانترنت يوميا، فاستخدامات أفراد العينة للحاسوب تتمثل في اللعب والتسلية عندما لا يكون موصولا بالانترنت. بينما يتنوع استخدامه عند ارتباطه بالشبكة العنكبوتية فيستخدم كوسيلة للحصول على المعلومات أو للدراسة والاتصال عن طريق البريد الالكتروني للدردشة البحث عن أصدقاء جدد، التسلية واللعب، الهروب من الواقع.

ان كثافة الإستخدام والمشاهدة صارت أحد عناصر عملية التنشئة الاجتماعية، بفعل نقل الشاشة (التلفزيون، الحاسوب، الانترنت، الهاتف النقال) لمجموعة من العناصر الثقافية والقيم والمعايير للمستخدم.

ان استخدام وسائل الاتصال من طرف المراهقين أصبح سلوكا يوميا منتظما. وقد أجمع أفراد العينة على أنهم يستخدمون يوميا التلفزيون والهواتف النقالة، وانقسمت الاجابات بين من يستخدم الحاسوب والانترنت يوميا وهناك من يفعل ذلك أسبوعيا.

لقد أصبح استخدام التلفزيون ومستحدثات التكنولوجيا سلوكا منتشرا بين النوعين، بغض النظر عن مختلف المتغيرات التي يخضعون لها.

38.9% تشاهد التلفزيون لمدة 6 ساعات يوميا، 45.5% تستعمل الانترنت أكثر من 4 ساعات يوميا.

76% تمتلك هواتف نقالة، 62.3% تأخذها معها للمدرسة فهي أصبحت جزءا من حياتها لا يمكنها الاستغناء عنها. ومن النتائج الملفتة للانتباه التي توصلنا اليها أن 66.7% من عينة الدراسة ترى أن هناك فرقا بين العالم الافتراضي والعالم الواقعي، 37.6% اعلنوا انهم تغيروا اتجاه جيرانهم، 53.2% اتجاه زملائهم بينما أقر 51.1% أنه لم يحدث لهم تغير نحو عائلاتهم و63.8% نحو معلمهم.

ان استخدامات التلاميذ لمستحدثات التكنولوجيا تمثلت في التالي:

- استخدامات تعليمية: مثل تعليم الذات، كسب التجارب، تشكيل السلوك، وتقديم الأدوار البديلة.
- استخدامات اتصالية: استخدام مستحدثات التكنولوجيا كأداة تفاعل اجتماعي.
- استخدامات وظيفية: من أجل تحقيق الاشباع، تلبية الاحتياجات حيث ينتقي التلميذ الوسيلة إلى تشبع حاجاته حسب خصائص كل وسيلة والسياق الاجتماعي الذي يتم فيه الإستخدام.
- استخدامات ترفيهية: بوصفها مهمة في حد ذاتها لاشباع الحاجة إلى التغيير والاسترخاء والهروب من الواقع، البحث عن علاقات جديدة.

اما فيما يخص الإشباع المتحققة من استخدام وسائل الاتصال في هذه الدراسة فهي على النحو التالي:

* اشباع الحاجات المعرفية، الرغبة في البحث والدراسة، الاستفادة من التجارب، محاكاة الواقع، الامام بالأخبار والأحداث، الهروب من مشاكل الحياة اليومية، اللعب والترفيه، الحاجات الاجتماعية، التميز عن الآخرين، ملء الفراغ.

ان محتوى مضامين التعرض والإستخدامات تختلف من تلميذ لآخر، ومحتوى مضمون معين يحقق اشباعا معرفيا لأحد الأفراد بينما يحقق اشباعا تنفيسيا لفرد آخر. ومن ثمة فان اختلاف الاحتياجات النفسية

والاجتماعية للتلاميذ تشكل متغيرا وسيطا يؤثر في اختيار كل مراهق لوسائل الاتصال ومحتواها.

وعليه يمكن القول أن المستحدثات التكنولوجية التي يستخدمها التلاميذ تحقق لهم اشباعا متعددة يعد بعضها تعويضا عن النقص الذي يشعرون به في علاقاتهم مع الكبار.

الاستنتاجات:

استنتجنا من خلال الدراسة الميدانية ان مستحدثات التكنولوجيا التي يستخدمها التلاميذ اصابتهم بالعزلة والابتعاد عن العائلة والأصدقاء، فالإستخدام الفردي قضى على العلاقات العائلية حيث أن التلميذ يعيش مرحلة انهيار مع الشاشات العديدة المتوفرة لديه.

فالبيوت أصبحت تتوفر على أكثر من وسيلة تكنولوجية، نجد في البيت الواحد أكثر من جهاز تلفزيون، أكثر من حاسوب واحد، وهواتف نقالة بعدد أفراد الأسرة وأصبح بمقدور التلميذ مشاهدة ما يشاء عن طريق الانترنت ان لم يكن في البيت ففي مقاهي الأنترنت دون مراقبة ويمكنه تحميل جواله بما يشاء من الأنغام والصور والفيديوهات والتي أصبح يتفنن التلاميذ في تبادلها بعيدا عن أعين الكبار.

ان الإستخدام المكثف لهذه الوسائل جعل التلاميذ يعتزلون الحياة الاجتماعية والاسرية وحتى التخلي عن المشاهدة الجماعية للتلفزيون.

يقضى تلاميذ عينة الدراسة وقتا طويلا بين الشاشات المتوفرة لديهم: شاشة التلفزيون، وشاشة الحاسوب وشاشة الهاتف النقال، انه وقت يجدون فيه ترويجا واسترخاء، يعفيهم من متطلبات الحياة، ويبعدهم عن وصاية الراشدين. ان مستحدثات التكنولوجيا تجعل

التلاميذ يعيشون في واقع بعيد عن واقعهم لا يستطيعون حتى فهمه أحيانا الامر الذي يعزز الشعور لديهم بالاغتراب مما يدفع بهم إلى الانعزال عن المجتمع من جهة والادمان من جهة أخرى.

أصبحت مستحدثات التكنولوجيا منافسا للأسرة والمدرسة في نقل انماط ثقافية تؤثر على تنشئة الطفل داخل المجتمع وبعملية حسابية بسيطة يمكننا أن نعرف الوقت الذي يقضيه التلميذ في استخدام مستحدثات التكنولوجيا.

لم تعد عملية التنشئة الاجتماعية محصورة في الأسرة والمدرسة فحسب إنما هي أوسع من ذلك، بحيث أصبحت تضم نظما وعلاقات ومؤثرات كثيرة ومتنوعة. ولهذا فمستحدثات التكنولوجيا هذه بمختلف أنواعها تعتبر من أهم مؤسسات التنشئة الاجتماعية -الثقافية وأخطرها على التلاميذ بما تتضمنه من معلومات وخبرات وما تقدمه من سلوك وأحداث.

قد تعود كثافة الإستخدام من قبل التلاميذ لهذه المستحدثات إلى الرغبة الملحة في التمرد على الأسرة، المدرسة والمجتمع، نتيجة عوامل الكبت والاحباط التي يتعرضون لها، ونتيجة فقدانهم للمكانة الاجتماعية.

أثبتت الدراسة تراجع دور الأهل والمدرسة كمؤسسة في علاقة المراهق بمستحدثات التكنولوجيا فانشغال الأم أحيانا وعدم اهتمام الأب بأبنائه، دعم علاقة المراهق بهذه المستحدثات حيث تنشأ بين الطفل وهذه الوسائل علاقة خاصة تحدد طبيعة الاستخدام، فالتلميذ ونظرا لخصوصية المرحلة العمرية التي يمر بها وحساسيتها مشغول بالعديد من الأمور التي تتعلق به وبنموه الجسدى وبعواطفه، واحاسيسه ولا يجد لها أجوبة مقنعة وكافية في محيطه الأسري والمدرسي، ففي تحقق له أغراضا خاصة به تبعده عن عالم تعود السلطة فيه للكبار. انه يجد في هذه المستحدثات حرية الإستخدام والتفاعل، فإلى جانب التسلية والترفيه تفتح له مجالات للحوار وإنشاء صداقات جديدة الشيء الذي يفتقده في محيطه.

يستطيع التلميذ من خلال الاستخدام والاشباع الذي تقدمه له هذه المستحدثات بناء عالم جديد مختلفا عن العالم الذي يعيش فيه، كما يستطيع ان يحدد جزئياته بمفرده كما يحدد أفراده وطبيعة الحوار.

لقد تبنت مستحدثات التكنولوجيا التلاميذ ورسمت لهم الأدوار والسلوكيات الاجتماعية فهل تخلى المربون من اولياء ومعلمين طوعا عن القيام بمسؤولياتهم ازاء هؤلاء التلاميذ أم أن مستحدثات التكنولوجيا لها منطقتها الخاص؟

لا يتعامل التلميذ مع وسائل الاتصال باعتباره فردا منعزلا عن واقعه الاجتماعي وانما باعتباره فردا في جماعة يتأثر ويؤثر فالحاجات المرتبطة بمستحدثات التكنولوجيا لدى التلميذ تنشأ من وجوده وتفاعله في بيئته الاجتماعية.

ان المواقف التي يتعرض لها التلميذ والحاجات النفسية التي تنتج عنها، تدفع به إلى البحث عن حاجات معينة عن طريق استخدام مستحدثات التكنولوجيا وهذه العملية تشكل في حد ذاتها نوعا من الاشباع.

ان التلاميذ عينة الدراسة جمهورا نشطا في اختياره للوسيلة واستخدامه لها بما يحقق له الاشباع المطلوب. توفر مستحدثات التكنولوجيا للتلاميذ الاسترخاء والمتعة كما تزودهم بالمعلومات لتقمص الادوار المستقبلية. كما نبعدهم عن الواقع الذي يعيشونه.

خاتمة:

تشجع مستحدثات التكنولوجيا حاجة التلاميذ إلى قضاء أوقات الفراغ ومساعدتهم على الاحاطة علما بما يقع حولهم من أحداث، كما أنها تساعدهم على التخلص من حالات الفشل في تحقيق قبول جماعة الرفاق من خلال ما يملكونه وما يستخدمونه من وسائل، ومن خلال ما يستهلكونه من مواد وهي بهذا تلعب دور الرفيق وتساعد على خفض التوتر والشعور بالعزلة.

تشجع مستحدثات التكنولوجيا رغبة ااثبات الذات فالمدة التي يقضيها المستخدم قابعا أمام هذه الوسائل تزيد شعوره بذاته وقدرته على التحكم والسيطرة.

ان استخدامات التلاميذ لمستحدثات التكنولوجيا ابعدهم عن ثقافة اللغة والكلمة وأدخلتهم في ثقافة الصورة، والتي تعتبر إحدى الوحدات الرمزية والأساسية في لغة الشاشات، فأصبح التلميذ يفكر من خلال الأشكال والاشارات والأصوات والألوان والحركات،

فالشاشات التي يتعرض لها لا تتيح لمستخدمها تكوين صور ذهنية عن الأحداث والأفكار والواقع المعاش. ولا يسعنا إلا أن نقول كما قال زيمرمان Zimmerman أن الافواه سكنت اما الصورة، وتوقف المتحدثون عن الكلام. Stop talking فالمستخدم أصبح يضبط سلوكه أمام الآلة التي تدخله إلى ثقافة الآخر الذي يشاهده. وخطورة الصور هنا أنها تعتبر رموزا لا يوفق التلميذ في فهمها لأنها تحمل خصوصية صانعيها وبعيدة عن خصوصية مجتمعه.

الهوامش:

- 1-نانسي آن جينينغ Jenning, Nancy Ann. "الأطفال والأسرة والمدارس في مجتمع المعلومات"، دراسة ميدانية بولاية تكساس، الولايات المتحدة الأمريكية، 2000.
- 2-نيكن بيتر Nikken, Peter. "استخدام الأطفال الهولنديين للإنترنت وألعاب الفيديو" دراسة ميدانية بالمدارس الابتدائية لمستردام، هولندا، 2000.
- 3-دراسة شيرلي Cherly وجونز لي Jones, Lee. "تأثير تدخل الوالدين على استخدام الأطفال للمواد الترفيهية فالتلفزيون والإنترنت وألعاب الفيديو"، دراسة ميدانية بمدينة نيويورك، الولايات المتحدة الأمريكية، 2000.
- 4-ماري كاترين كوران Curran, Marie Catherine. "استخدام الأطفال للإعلانات التي تعرض على التلفزيون والإنترنت"، فرنسا، 2000.
- 5-حسن علي محمد. "استخدامات الشباب الجامعي للقنوات الفضائية الغنائية والإشباع المتحققة"، دراسة ميدانية للشباب الجامعي بالقاهرة، مصر، 2004.
- 6-صفا فوزي. "علاقة الطفل المصري بوسائل الاتصال الإلكترونية"، دراسة بمحافظة القاهرة الكبرى، مصر، 2000.
- 7-ديفلير، ملفين؛ ل. روكيتش؛ ساندرا، بول: نظريات وسائل الاعلام، ترجمة عبد الرؤوف كمال، ص. ص: 235-236.

8-Black, Jay and Brayant, Jenning: Introduction to mass communication, Understanding the past experience in the present, Sage, London, 1984, p.33.

9-Houit, D. Mass media an social problems, Academic Press, New York, 2nd ed, 1983. pp.21-24.

10-Edelstein, Alex and Kepplinger, Mathias: Communication and culture, a comparative approach, USA Prentice Hall, ND. p.26.

11-Black and Brayant: op. cit., p.26.

12-Severin, Warner J, and Tankard, W: Communication theories, Origins, Methods, Hasting Houses: New York, 1979. p.248.

13-S.A, Westinyer and R.L. Dieiccio and R.B. Rubin: "Appropriateness and Effectiveness of communication channels in competent interpersonal communication", Journal of Communication Vol.48. N°33. 1988, p. 28.

14-Baran, Standey and Dennis, Davis: Mass communication, theory foundation ; Present and Future, Belmont, Sydney, 2000. p212.

15-Gerald, Kline and Peter, V. Miller and Morrison A.J: Adolescents and family planning information, the uses of mass communication, Sage Publication: London, 1989. p. 115.

16-Bantz, Charles R.: Exploring uses and gratifications, Communication research, Vol.9. N°3, 1982. pp. 353-354.

17-Ibid: p. 355.

18-Escarpit, Robert: Théories Générale de l'information et de la communication, Hachette, 1976. p. 74.

استخدام قواعد بيانات النظام الوطني للتوثيق على الخط في الجامعة الجزائرية

أ: صغيري الميلود
جامعة محمد خيضر/ بسكرة

مقدمة:

باعتبار مصادر المعلومات هي أدوات جمع المعلومات في البحث العلمي وتطوره، فقد تعددت أنواعها وطرق وأنماط إتاحتها ولغات صدورها. ومن هذه المصادر نجد قواعد البيانات التي تعد أحد المفاهيم الهامة التي يجب التعرف عليها من قبل كل من يتعامل مع نظم المعلومات، بحيث أصبحت قواعد المعلومات فرعا أساسيا من فروع المعلوماتية. ولقد غدت قواعد البيانات سمة العصر، حيث أصبحت تتسابق المؤسسات والشركات العاملة في مختلف القطاعات لبناء هذه القواعد من حيث تجميع البيانات وتنظيمها واسترجاعها لغرض معالجتها وجعلها صالحة للأغراض المختلفة والمتخذي القرارات. ويلمس موضوع دراستنا هذه: " استخدام قواعد بيانات النظام الوطني للتوثيق على الخط في الجامعة الجزائرية."

لقد كان حل مشكلة المعلومات والإفادة منها أمرا مستحيلا، بعد ظهور ثورة المعلومات التي نعيشها، نتيجة للتزايد الهائل والسنوي للإنتاج الفكري، مما دفع بضرورة التفكير الجدي في تبني أساليب وطرق جديدة لتجهيزها والإفادة منها، بما يحقق السيطرة على مشكلة المعلومات.⁽¹⁾

1- تعريف قواعد البيانات:

التعريف اللغوي: تعرف القاعدة (Base): بأنها الأساس أو الدعامة التي يبني عليها الشيء. أما البيانات (Données) لغة: هي مجموعة الأفكار، المؤشرات، المعطيات المختلفة، أي الدعامة التي تسجل وتخزن فيها البيانات التي هي كل الأفكار والمؤشرات وغيرها.⁽²⁾

التعريف الاصطلاحي: هي مجموعة من التسجيلات بشكل إلكتروني تمثل مصادر معلومات مطبوعة مرئية، ومسموعة ومكتوبة؛ كما تعتبر ركيزة أو مستودع للبيانات المخزنة في الحاسوب ترتب فيها البيانات وفق أسلوب علمي منطقي علائقي يضمن حفظ واسترجاع البيانات ويسهل مهمة تحديثها واسترجاعها إلكترونياً.^(٦)

التعريف التقني: تقنيا تعرف قواعد البيانات بأنها عبارة عن مجموع بطاقات (fichiers) تشمل على بيانات معدلة ومنظمة تسمح باقتطاع البيانات حسب مشيئة المستعمل.^(٧)

2- أنواع قواعد البيانات: يمكن تقسيمها إلى الأنواع التالية:

1-2- حسب طبيعة البيانات: من أهم أنواعها:

1-1-2- قواعد البيانات الببليوغرافية: توفر البيانات الأساسية للكتب، والمقالات، والرسائل الجامعية، وأوعية المعلومات الأخرى.

2-1-2- قواعد بيانات فهرس الكتب: هذا النوع من قواعد البيانات الذي يشمل مقتنيات مكتبة ما أو شبكة مكتبات.

3-1-2- قواعد بيانات المستخلصات: توفر معلومات ببليوغرافية مع خلاصة مكونة من 50 إلى 300 كلمة حسب قاعدة المعلومات.

4-1-2- قواعد بيانات النص الكامل: تعتبر المهم الذي يحتاجه الباحث والمستفيد، ألا وهو النص الكامل للمقالة أو البحث، والكتاب، إضافة إلى البيانات الببليوغرافية والمستخلص.

5-1-2- قواعد البيانات الرقمية: هي قواعد رقمية تتوافر في العلوم، وإدارة الأعمال، والاقتصاد بوجه خاص، وتستخدم هذه القواعد لاسترجاع الحقائق الرقمية بطريقة مباشرة مثل مجموعة إحصائيات عن الاقتصاد، والصناعة والمالية.

6-1-2- قواعد بيانات الصور: تختص فقط في إعطاء المعلومات عن الصور، فهي مزيج من قواعد البيانات الببليوغرافية والصورية معا.

2-1-7- قواعد البيانات المرجعية: تتضمن المراجع الرقمية مثل الموسوعات والأدلة والمعاجم، التي أصبحت تستخدم بطريقة رقمية مختلفة تماما عن الشكل التقليدي، تضم النصوص الكاملة، والربط بين النصوص والأشكال والرسوم والمجلدات على مستوى عالٍ.^(٦)

3- نماذج عن قواعد البيانات العالمية:

3-1- قاعدة البيانات Science direct: تصدرها شركة Elsevier، حيث يبلغ عدد القواعد التي تغطيها 24 قاعدة تغطي 42 تخصص، ويصل عدد دورياتها الإلكترونية 2000 دورية متخصصة في المجالات العلمية والعلوم الإنسانية، وتقدم النصوص الكاملة للمقالات والأبحاث منذ عام 1996 حتى اليوم، حيث يكلف الاشتراك الكلي في كل القواعد حوالي 50 ألف دولار لمدة سنة كاملة وإصدارات أربع سنوات إلى الخلف.^(٧)

3-2- قاعدة بيانات مدلاين Medline: هي قاعدة البيانات الطبية الأمريكية عدة تخصصات في الطب، التمريض، طب الأسنان، الطب البيطري. توفر مدخلات للملخصات الأبحاث، ومقالات علمية طبية نشرت في 4000 دورية من مختلف أنحاء العالم، وتوفر كثير من المؤسسات الطبية والجامعية مداخل لقاعدة البيانات هذه، وبأشكال وطرق مختلفة.^(٨)

3-3- قاعدة البيانات العربية AskZad: قاعدة بيانات أسك زاد تقوم بإنتاجها الشركة العربية لنظم وبرامج الحاسبات الآلية بجمهورية مصر، تغطي ما يزيد على 700 صحيفة ودورية ورقية تم تحويلها إلكترونياً من مختلف الدول العربية، حيث تتيح خدمة بنك المعلومات الصحفية الاطلاع على النصوص الكاملة للمقالات التي نشرت في الصحف والمجلات العربية خلال الفترة من 1998-2005. تحوي كشافاً تحليلياً لمعظم المقالات المنشورة في هذه المجلات والصحف وتوفر النصوص الكاملة للمقالات، كما نشرت تماماً من خلال رقمتها وتحويلها إلى صفحات PDF.^(٩)

3-4-4 قواعد البيانات في الجزائر: فيما يتعلق بتطور قواعد البيانات الوطنية في الجزائر، فإننا سنشير أولاً بأن المؤسسة التي تتكفل بإنشاء هذه القواعد هي: "مركز البحث في الإعلام العلمي والتقني CERIST"^(٩)، حيث في هذا السياق نجد مفهومين: مركز البحث كمنمول للمعلومات، مركز البحث كمنتج لقواعد بيانات وطنية. وفي هذا الإطار نجد أن المركز أنتج عدة قواعد بيانات وطنية أهمها:

3-4-1- الرصيد الوطني للأطروحات FNT:^(١٠) تم انجاز هذا الرصيد عام 1995 بهدف جمع الأطروحات، وذلك بالتعاون مع المكتبات؛ هذا الرصيد عبارة عن قاعدة بيانات مرجعية في متناول المستفيد وذلك على المستوى الوطني تم انجاز هذا الرصيد بتعاون: مركز البحث في الإعلام العلمي والتقني ومؤسسات التعليم العالي والبحث العلمي، والمكتبات الجامعية ومكتبات مراكز البحث. ضم هذا الرصيد (إلى غاية جوان 2005) أكثر من 5000 أطروحة لما بعد التدرج؛ 19 مكتبة منخرطة.^(١٠)

3-4-2- قاعدة البيانات للأبحاث الجارية: هي قاعدة بيانات تحصر الأعمال البحثية الجارية لما بعد التدرج، والمؤسسة المكلفة بإنجازها هي مركز البحث في الإعلام العلمي والتقني. ومن أهداف إنتاج هذه القاعدة:

- تطوير أداة لتقويم البحث العلمي.
 - تقويم وتحديد موضع القدرات الإنسانية.
 - إنشاء علاقة بين البحث والمحيط السوسيو اقتصادي.
 - تجنب تكرار أو إعادة نفس البحوث والمواضيع.
- قد تم انجاز هذه القاعدة بالشراكة مع وزارة التعليم العالي والبحث العلمي والجامعات والمراكز الجامعية.^(١١)

4- أساليب الحصول على المعلومات من خلال قواعد البيانات:
هناك طريقتان للاتصال بقواعد البيانات، الاتصال المباشر وغير المباشر.

1-4- البحث بالاتصال المباشر ON-LINE Recherche: يعرفه حسان حسين عبادة بأنه: قواعد بيانات محوسبة يمكن البحث فيها بطريقة تفاعلية تحاوريه عن طريق مطراف موصول بالحاسب الرئيسي، وأحيانا يكون المطراف على مسافة بعيدة من الحاسب المركزي^(١٢)، وعلى هذا الأساس فإن مصطلح الاتصال المباشر يستخدم للإشارة للإجراءات والعمليات التي تستخدم فيها المحطات الطرفية والحاسب للتفاعل والتحاور مع قواعد المعلومات، في محاولة لتلبية الحاجات إلى المعلومات المطلوبة^(١٣).

2-4- الاتصال غير المباشر (الأقراص المضغوطة CD-ROM): تعرف الأقراص المضغوطة بأنها وعاء من أوعية المعلومات تستخدم فيه أشعة الليزر عند تسجيل المعلومات وعند استرجاعها، ويمتاز هذا الأسلوب في تسجيل المعلومات بإمكانات الاستيعاب الفائقة وسرعة الاسترجاع العالية وقلة التكاليف. كما تعرف أيضا: الأقراص الضوئية تستعمل لتسجيل المعلومات بواسطة شعاع الليزر في مسار حلزوني وبسرعة خطية ثابتة^(١٤).

5- ماهية التوثيق: مصطلح التوثيق من أحد المساهمات الأساسية لبول أوتليه Paul OTLET على وجه التحديد، فالوثيقة Document كلمة لاتينية أنشأت من Documentum دوكيومنتيوم، وبحلول القرن السابع عشر كانت تستخدم في المعاني القانونية بمعنى الدليل أي كانت مرادفا للبرهان تم دمجها في معاني التعليم والتواصل؛ ظهرت كلمة التوثيق في عام 1870م المستمدة من كلمة الوثيقة المعرفة حسب بول اوتليه على أن "الوثيقة ماهي إلى وسيلة لنقل البيانات الإعلامية لمعرفة المهتمين بها، التي بعيدة في الوقت وفي المكان، أو الذي منه العقل استدلالي ومنطقي بحاجة إلى أن نعرض عليه الروابط الواضحة للأشياء". كما يشير أوتيله في كتابه Traite De Documentation على أنه: نظمت من أجل أن تشمل على كل الأعمال والمعارف الخاصة بالمعلومات الموثقة لذا يجب أن تعرض كلها بالترتيب: عالمية من حيث موضوعها، سريعة التحديث، سهلة الحصول عليها، جمعت مسبقا ومهيأة للنقل لنقل والاتصال، متاحة لعدد من الناس. ونشر أول دليل عام 1934م للتوثيق مع

المبادئ التوجيهية لتنظيم مراكز المعلومات، واستبدال كلمة البليوغرافيا بالتوثيق الذي وصفه بأنه ليس مجرد استبدال فقط للكلمات بل في إطار جزء من عملية تصميم مفهوم جديد ومصطلحات جديدة لحقل جديد من المعرفة.^(١٥)

1-5- تعريف التوثيق Documentation: تعني كلمة التوثيق في مجال المعلومات، كل الإجراءات الفنية الخاصة بمصادر المعلومات المختلفة، التي تشتمل على التنظيم والتصنيف والفهرسة والتكشيف والاستخلاص^(١٦)؛ وكذلك ما يعرف بتحليل المعلومات بغرض استرجاعها، وفي مجال الحوسبة هي دليل المستخدم، أو مرجع يزود مستخدمي الحاسوب والبرمجة على وجه الخصوص بمواصفات مشروحة ومصورة لبرنامج محدد^(١٧)؛ كما يعرفها محمد أمين البنهاوي: بأنه العمليات الفنية اللازمة لتوفير أقصى استخدام ممكن للمعلومات في المطبوعات العلمية والتقنية، القومية والعالمية بقصد التوفير في الجهد والوقت، وتشمل جمع ونسخ وتحليل وتنظيم وتخزين ونشر واسترجاع المعلومات.^(١٨) وكما تعريف إجرائي للتوثيق على الخط هو كل مصادر المعلومات من كتب، دوريات، أطروحات، مواقع الكترونية، قواعد بيانات، متاحة على الخط المباشر، فهو كل مصادر المعلومات المتاحة على الخط، والذي يهدف إلى إتاحة المعلومات للباحثين من خلال عرضها بطرائق تيسر وصولها للمستفيدين.

6- الجامعة الجزائرية والحاجة إلى التوثيق على الخط: من الأسباب التي أدت إلى ظهور التوثيق على الخط ما يلي:

1-6- الثورة المعلوماتية la révolution de l'information:^(١٩) تعتبر ظاهرة التخمة المعلوماتية التي أصبح يعيشها الفرد نتيجة الانفجار المعرفي الذي أصبح يستنزف قدراتهم ويشعرهم بالإجهاد، مما يؤثر في عملهم وتوظيفها في حل مشكلة قائمة أو اتخاذ القرارات.^(٢٠)

2-6- طبيعة الحاجة للمعلومات: نظرا لتطور المعرفة وتداخل موضوعاتها وظهور موضوعات متخصصة جديدة ودقيقة، تغيرت طبيعة الحاجة إلى المعلومات بالبساطة والسهولة، حيث أصبحت الحاجة إلى معلومات غاية في التخصص.⁽²¹⁾

3-6- تطور تكنولوجيا المعلومات: تكنولوجيا المعلومات تعاملت مع مختلف أنواع المعلومات، ومصادرهما خزنا ومعالجة واسترجاعا، والتي سهلت الطريق أمام الباحثين والمستخدمين في الوصول إلى ما يحتاجونه من معلومات بسرعة ودقة وشمولية وافية بشكل كبير وسريع.⁽²²⁾

7- مشروع النظام الوطني للتوثيق على الخط (S.N.D.L.):

مشروع النظام الوطني للتوثيق على الخط كان الهدف من إنطلاقه هو توحيد الاشتراك في قواعد البيانات لتمكين كل الأساتذة والباحثين والطلبة على المستوى الوطني من الولوج لقواعد البيانات الوطنية والعالمية، ومنحهم فرصة الحصول على المعلومات العلمية والتقنية⁽²³⁾؛ وتسهيل ولوج مجتمع الأكاديمي في الجزائر لهذه القواعد، جاء النظام بناء على مشروع تطوير البحث العلمي في الجزائر، والذي نص عليه المرسوم التوجيهي في أكتوبر 2008م، تحت وصاية المديرية العامة للبحث العلمي والتطوير التكنولوجي وبالتعاون مع مركز البحث في الإعلام العلمي والتقني ومخابر البحث والمكتبات الجامعية، حيث دخل حيز التنفيذ كفترة تجريبية لمدة ثلاث أشهر في 15 أكتوبر 2010 إلى غاية 15 ديسمبر 2010، متاح للجميع (أساتذة، باحثين، مكتبيين، طلبة)، أصبح النظام متاح للباحثين في جانفي 2011 من خلال رؤساء المخابر ومراكز البحث ومحافظي المكتبات المركزية.⁽²⁴⁾

1-7- الأطراف المشاركة في النظام الوطني للتوثيق على الخط: عملت الجهات المسؤولة والمشاركة في مشروع النظام الوطني للتوثيق على الخط على توزيع المهام والأدوار، والتي يمكن حصرها في:

1-1-7- المديرية العامة للبحث العلمي والتطور التكنولوجي (DG RSDT):

تعتبر الهيئة المشرفة والوصية عن النظام تتولى:

- اقتناء والاشترك في القواعد والمصادر الرقمية المتاحة على الخط (قواعد البيانات).

- التعريف بعدد القواعد المشترك بها والتعريف بمحتوى هذه القواعد لدى مستعملي كل قاعدة بيانات.

2-1-7- مركز البحث في الإعلام العلمي والتقني (CERIST): المركز يهتم بالجانب

التقني لمشروع النظام حيث يعمل على:

- وضع التجهيزات الأساسية للمشروع من (خوادم، برمجيات، شراء التراخيص...).

- تسيير المستعملين وتوضيح كيفية الوصول إلى المصادر، وتحسين وتطوير النظام من ناحية الشكل والتصميم والخدمات الملحقة بالاستعمال من إحصائيات وأرقام.

- خدمة المستفيدين من خلال فريق عمل للإجابة على استفساراتهم سواء عن طريق البريد الإلكتروني أو الهاتف.

3-1-7- الناشر Editeurs: تعمل دور النشر على تيسير الوصول إلى مصادر المعلومات لكل المشتركين في النظام.

4-1-7- المكتبات المركزية الجامعية: تعمل المكتبات على:

- فتح حسابات للأعضاء الغير مشتركين في المخابر الجامعية وتمس الفئات التالية: الأساتذة الغير مسجلين في المخابر الجامعية، طلبة الدراسات العليا (ماجستير، دكتوراه)، طلبة السنة الثانية ماستر، طلبة السنة الخامسة مهندس.

5-1-7- مدراء مخابر البحث: العمل على تسيير حساب المخبر والأعضاء التابعين له وفتح حسابات للأعضاء الحاليين والمستقبليين.

8- المصادر الرقمية المتاحة من خلال النظام الوطني للتوثيق على الخط: يتيح النظام الوطني ثلاثة أنواع من قواعد البيانات

1-8- قواعد البيانات المشترك فيما: يتم الاشتراك فيها من خلال موردي قواعد البيانات العالمية أو عن طريق الهيئات الوصية مباشرة، والتي يتم اختيارها باقتراح من:

- المجتمع الأكاديمي لمؤسسات التعليم العالي والبحث العلمي، ومن أساتذة وطلبة وهيئات علمية والباحثين على مستوى مركز البحث في الإعلام العلمي والتقني واقتراحات مدراء المكتبات الجامعية ورؤساء مخبر البحث.

2-8- قواعد البيانات قيد الاشتراك: تعتبر قواعد بيانات متاحة مجاناً من طرف موردي قواعد البيانات العالمية لمدة زمنية محددة قيد اقتنائها من طرف الهيئات الوصية عن النظام الوطني للتوثيق على الخط. وهذا من خلال معرفة نسبة الإقبال والولوج لهذه القواعد من طرف المجتمع الأكاديمي للمؤسسات الأكاديمية، ثم يقوم المسئولين بالتدقيق والتمحيص في تلك القواعد، من حيث السمعة التي يتمتع بها هذا الناشر، هل هو متخصص في هذا المجال، ما هو عدد الدوريات في القاعدة الواحدة، وهل القاعدة متخصصة في موضوع محدد، هل القاعدة عامة أو شاملة لموضوعات مختلفة ليتم اقتنائها فيما لتتاح للمستفيدين على بوابة النظام الوطني للتوثيق على الخط.

3-8- قواعد بيانات الوطنية (المنتجات الوطنية): هي القواعد التي تم إنتاجها من طرف المركز الوطني للبحث في الإعلام العلمي والتقني (CERIST) والمتاحة على بوابة النظام الوطني من خلال الصفحة الرئيسية للنظام باختيار نافذة Portails ثم اختيار قاعدة البيانات المراد البحث فيها من خلال الروابط التشعبية وأشهر المنتجات الوطنية المتاحة من خلال النظام الوطني للتوثيق على الخط:

1-3-8- الفهرس الموحد للأرصدة الوثائقية CCDZ: بدأت فكرة إنشائه انطلاقاً من مشروع الشبكة الجهوية للمكتبات الجامعية (RIBU) من خلال مشروع MEDA TEMPUS حيث تعتبر قاعدة بيانات بيبليوغرافية للأرصدة

الوثائقية للمكتبات الجامعية المشاركة في مشروع الشبكة كما يتيح للمكتبات الغير منضوية بإتاحة البيانات الببليوغرافية لأرصدتها وهنا يظهر الدور الرائد للمركز الوطني للبحث في الإعلام العلمي والتقني.

8-3-2- البوابة الوطنية للإشعار عن الأطروحات (PNST): هي فهرس مركزي للمذكرات والأطروحات، يتكون من فهرس وقاعدة للبيانات النصية حيث يمكن الوصول إليها عبر موقع البوابة، من أهداف انجاز هذه القاعدة:

- إلزام المؤسسات الجامعية بالإبلاغ عبر البوابة الوطنية لوصف الأطروحات والمذكرات التي تم قبولها من طرف المجلس العلمي للمؤسسة، مباشرة بعد انتهاء عمليات التسجيل الإداري.

- إيداع نسخة رقمية عن المذكرات والأطروحات بعد مناقشتها مقابل وصل إيداع.

- يسمح لكل المستعملين الاطلاع على مضمون الفهرس، ويخصص الاطلاع على مضمون قاعدة البيانات للمؤسسات الجامعية ومؤسسات البحث والأساتذة الباحثين والباحثين الدائمين وطلبة ما بعد التدرج⁽²⁵⁾، ولهذا الغرض يمنح لهم رمز تعريف شخصي في إطار النظام الوطني للتوثيق الالكتروني على الخط.

8-3-3- البوابة الالكترونية للدوريات العلمية الجزائرية (Web Reviews): هي أيضا من المنتجات الوطنية للمركز الوطني للبحث في الإعلام العلمي والتقني (CERIST)، وهي قاعدة بيانات قيمة من حيث المحتوى العلمي والفكري للدوريات العلمية الجزائرية خصوصا العلمية منها، ويمكن الولوج إليها من خلال النظام الوطني للتوثيق على الخط من خلال الدخول إلى نافذة Portails ثم نختار قاعدة البيانات Web Reviews.

9- إستراتيجية استخدام والولوج إلى النظام الوطني للتوثيق على الخط:
فتح الحسابات للمستخدمين يتم على مستوى المكتبة المركزية وعلى مستوى مخبر البحث حيث يمنح لكل من مدير المكتبة المركزية ومدير المخبر حسابين الأول للاستعمال الشخصي والثاني الذي يمكن من خلاله فتح حسابات للمستخدمين من النظام.

9-1- نوافذ الولوج لنظام الوطني للتوثيق على الخط: بعد الدخول إلى النظام من خلال واجهة النظام نقوم بالنقر على: Connexion؛ بعد النقر على كلمة Connexion تظهر واجهة نقوم بإدخال اسم المستخدم وكلمة المرور في مربع الحوار الذي سيظهر. بعد الدخول إلى الواجهة الرئيسية للنظام نلاحظ وجود ثلاثة أقسام، الأولى هي صفحة الاستقبال، الثانية صفحة الإدارة، الثالثة المصادر المتاحة على الخط. أما لوحة قيادة النظام في مربع الإدارة نجد الأقسام مرتبة كالتالي: القواعد، المجالات المنتجات الوطنية، وهي عبارة عن روابط تشعبية للمستخدمين من النظام الوطني إلى القواعد المراد الولوج إليها.

10- حاجة البحث العلمي لنظام وطني للمعلومات على الخط:

يقوم الباحث في إطار نشاطه العلمي بمهمتين. إنتاج المعرفة التي يتوصل إليها في بحوثه واستخدام المعرفة التي يتوصل إليها الآخرون انه يتواجد في موقعين عندما يمتلك المعلومات يكون في موقع المستقبل لها للحصول عليها. انه يعيش وضعيتين متلازمين ويتصرف بطريقتين مختلفتين بوصفه مؤلفا، وبوصفه قارئاً.⁽⁶⁾

تلعب المعلومات دور مهم في مجال البحث العلمي، فهي تعتبر المادة الأولية والأساسية التي يعتمدها الباحث في بناء مشروعه. إذ أن بناء معرفة جديدة يتطلب معارف سابقة يركز عليها، فنقص الابتكار أو انعدامه يكون في حالة عدم امتلاك واستحواذ المعلومات المتراكمة والمعالجة في جميع المجالات وإتاحتها للاستخدام؛ إذ تشكل المعلومات مع البحث العلمي ثنائي متكامل لا يمكن فصلهما عن بعضهما البعض، وتعتبر المعلومات الغذاء الأساسي

للبحث العلم، وهذا الأخير يعتبر المادة الأولية لإنتاج معلومات جديدة في إطارها العلمي والتقني مادام هدف أي بحث علمي هو خلق معارف وعلوم جديدة تضاف إلى المعارف السابقة.⁽²⁷⁾

11- واقع المكتبات الجامعية الجزائرية والنظام الوطني للتوثيق على الخط:

تعد المكتبة الجامعية الشريان النابض للبحث العلمي والباحث، لكن هذا الشريان سيتوقف جريان دمه عندما يجف مورد الدم وهو المعلومات، إن توقفت المكتبة الجامعية عن توفير مصادر المعلومات للباحث، فهذا يعني الحكم بالإعدام على هذا الباحث وعلى إنتاجه الفكري؛ تواجه المكتبة الجامعية تحديا يتمثل في عدم وجود ما يعرف بمخطط التمويل بالعملية الصعبة الأجنبية على مستوى ميزانية التوثيق يسمح للمكتبات بتحويل جزء من ميزانيتها الوطنية إلى العملات الأجنبية لتمكين الجامعات وبخاصة الكبرى منها للقيام بالاشتراك في عدد من عناوين الدوريات العلمية المهمة الصادرة في الخارج وقد كان وجود هذا المخطط المالي في السابق بمثابة متنفس للجامعات الكبرى، لمواجهة احتياجات أساتذتها وباحثيها من الدوريات العلمية والتقنية، وفي غياب مخطط التمويل بالعملات الصعبة فإن المكتبات الجامعية الجزائرية مثلا تكون قد أوقفت جميع اشتراكاتها للدوريات العلمية والتقنية، وما ينجم عن هذا التوقف من الآثار السلبية على التعليم والبحث العلمي في الجامعة.⁽²⁸⁾

أمام افتقار المكتبات الجامعية إلى موارد مالية تمكن من الاشتراك في كافة قواعد البيانات، فإن هذا لتغطية احتياجات للباحثين، حيث من خلال النظام يتيح فرصة الدخول إلى مختلف قواعد البيانات، وذلك أمام نقص الموارد المالية الخاصة بها، إذن يجيب عن الاحتياجات المعرفية للباحث من خلال توفيره بوابة مركزية لقواعد البيانات البليوغرافية التي يمكن استخدامها داخل الجامعة.

11- مجالات استخدام قواعد بيانات النظام الوطني للتوثيق على الخط:
تختلف مجالات استثمار معلومات النظام الوطني للتوثيق على الخط وتوظيفها في مجالات مختلفة، ويمكن أن نستنتجها من خلال الدراسة الميدانية أن هناك من يستخدم النظام الوطني من أجل إعداد المداخلات العلمية في الملتقيات والأيام الدراسية التي تنظم على مستوى مخبر البحث أو من خلال مؤتمرات وملتقيات خارجية قد تكون وطنية أو دولية؛ كما تساهم المعلومات الموجودة من خلال قواعد بيانات النظام الوطني للتوثيق على الخط في إعداد الدروس والمحاضرات، وذلك لتنوع المعلومات ووفرته. وذلك من خلال:

1- مكتبة افتراضية في متناول الباحثين والطلبة:

إن عملية التوثيق الإلكتروني تسمح بأخذ كل الوثائق والتقارير والكتب الموجودة على الصورة الرقمية ومواقع على الشبكة لتمكين المستعملين من الاستفادة منها من خلال تحميلها ومطالعتها إلكترونياً، وهذه العملية تمكن الجامعات والمعاهد من الولوج إلى العالم الإلكتروني للاستفادة من التقارير والبحوث.⁽²⁹⁾

2- النظام همزة وصل بين الباحث ومراكز البحوث العالمية:

يعد المشروع همزة وصل بين الإنتاج العلمي للباحث ومراكز البحوث العالمية من أجل تبيين إنتاجهم العلمي سواء في المجالات التابعة للمعاهد والجامعات الجزائرية أو المجالات العالمية في إطار مشروع النظام الوطني للتوثيق على الخط (SNDL).

3- إنشاء بيئة تعليمية حديثة:

يهدف مشروع النظام الوطني للتوثيق على الخط (SNDL) إلى توفير بيئة تعليمية حديثة تتطلب المكونات الأساسية التالية:⁽³⁰⁾

- المعلم: يتطلب فيه توافر الخصائص التالية: القدرة على التدريس واستخدام تقنيات التعليم الحديثة وكذا معرفة استخدام الحاسب الآلي بما في ذلك الانترنت والبريد الإلكتروني.

- المتعلم: يتطلب فيه توافر الخصائص التالية: مهارة التعلم الذاتي وكذا معرفة استخدام الحاسب الآلي بما في ذلك الانترنت والبريد الالكتروني.
- طاقم الدعم التقني.

4- استخدام وسائل تكنولوجيا حديثة:

يعد كل من نقل ونشر وتخزين وإدارة المعلومات جزءاً لا يتجزأ من العملية التعليمية الجامعية التي أصبحت اليوم تعتمد على وسائل تكنولوجيا حديثة تمكن من النفاذ إلى المعلومات وبالتالي تقديم أحسن الخدمات للأسرة الجامعية أو بالأحرى تطوير وإثراء وتيسير عمليتي التعليم والتعلم. ومن إيجابيات استخدام هذه الوسائل:

4-1- تحديث أساليب عرض المعلومات: وذلك من خلال:

- فهم المعلومات التي كان من الصعب فهمها داخل القاعات الدراسية، وذلك باستخدام عناصر معلومات متنوعة.
- عرض المعلومات التعليمية بأشكال متعددة.
- الاتصال المباشر بين مختلف عناصر العملية التعليمية.

4-2- تحديث هيئة التدريس والتكوين والتدريب: تساعد على تلقي الإرشادات من مختلف التربويين المتخصصين من جميع أنحاء العالم للاستفادة من خبراتهم. تساعد على الحصول على نتائج الأبحاث التربوية وكيفية الاستفادة منها في العملية التعليمية.

- تساعد في التعرف على الاتجاهات التربوية الحديثة.

5- تنفيذ المشاريع التعليمية:

- تبادل المعلومات عن المشاريع في مختلف الإدارات التعليمية للاستفادة منها.
- الاستفادة من الحصول على المعلومات التخطيطية والفنية لتنفيذ المشاريع التعليمية.
- تنفيذ المشاريع المشتركة بين مختلف المؤسسات التعليمية.

6- تعلم المهارات: توفر قواعد بيانات النظام الوطني للتوثيق على الخط SNDL فرصا عديدة لتعليم المهارات الأساسية للتعليم، مثل كيفية الحصول على المعلومات من مصادر متعددة وفي مجالات متنوعة، والاتصال بقواعد المعلومات ومحركات البحث وأرشيفات العديد من المنظمات والمكتبات والاستفادة من أدواتها المتعددة؛ كما تساعد في تعلم مهارة البحث الذاتي عن المعلومات، وكيفية التحقق من مصداقيتها وتقييمها، وتحليل المعلومات والوثائق وكيفية دمج المعلومات في مصادر الكترونية متعددة. إضافة إلى استخدام أشكال اتصالية جديدة مثل المؤتمرات عن بعد، وجلسات النقاش والبريد الإلكتروني وغيرها.

خاتمة:

لقد حاولنا من خلال هذه الدراسة إعطاء صورة كاملة عن استخدام قواعد بيانات النظام الوطني للتوثيق على الخط من طرف المستفيدين من هذا النظام في جامعة الجزائرية ومدى الاستفادة منه في ميدان البحث العلمي؛ كما تبين الدور الفعال الذي تلعبه المكتبات الجامعية في تيسير الاشتراك في النظام الوطني للتوثيق على الخط باعتبارها شريك أساسي في نجاح هذا المشروع، كما أن إجراءات الاشتراك البسيطة تساهم في الرفع من عدد مشتركين ومستخدمي هذا النظام في الوسط الأكاديمي.

و تساهم المعلومات المتاحة من خلال قواعد بيانات النظام سواء المشترك فيها أو التي هي في قيد الاشتراك أو قواعد البيانات الوطنية إلى الوصول إلى مصادر المعلومات الغير متاحة محليا، كما تستثمر هذه المصادر في إعداد الرسائل والمداخلات العلمية وتسريع وزيادة وتيرة البحث العلمي من خلال تحديث وتطوير الجامعة.

قائمة الهوامش:

¹ - غالب عوض النوايسية. مصادر المعلومات في المكتبات ومراكز المعلومات. عمان: دار الصفاء للنشر والتوزيع،

2010، ص. 155.

² - Catala PIERRE. rapport de synthèse Banques de données et droit . p.12. 87.19 , litec ;paris.d'auteur

- ³- غالب عوض النوايسية. المرجع السابق. ص. 173.
- ⁴- édition .introduction a l'informatique. 7ème tirage. Wegnez Leon FREDERIC.
200.1984. peyrolles,
- ⁵- متولي النقيب. مهارات البحث عن المعلومات وإعداد البحوث في البيئة الرقمية. القاهرة: الدار المصرية،
2008. ص. ص: 210-211
- ⁶- شادي محمود الحسن القاسم. مهارات استخدام قواعد المعلومات الالكترونية في المكتبات. عمان: أمواج
للطباعة والنشر والتوزيع، 2009. ص. ص: 348-349.
- ⁷- المرجع نفسه. ص. 358.
- ⁸ - قواعد المعلومات الالكترونية في الجامعات العربية: توافرها واستخدامها. [متاح على الخط]:
arabicwata.org/arabic/the_wata_library/research_papers_andstudies/excerpts_from_papers. http://www
. زيارة يوم: 2014/03/11. على الساعة 21:30.
- ⁹-KamelBOUNADJA..L'information professionnelle et stratégique à travers les
BDD nationales In: Rev. Recherche d'information scientifique et
technique, n°2, 1995. p:17-18.
- ¹⁰- فضيلة بن طاهر. مساهمة منهجية لضبط الأعمال البحثية الجارية: تقديم قاعدة البيانات الخاصة بهذه
الأعمال. مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم علم المكتبات
والتوثيق. 2008. ص. 52
- ¹¹- فضيلة بن طاهر. المرجع نفسه. ص. 52
- ¹²- حسان حسين عبايدة. استخدام الحاسوب في المكتبات ومراكز المعلومات. عمان: دار الصفاء للنشر
والتوزيع. 2005. ص. 117
- ¹³- عامر إبراهيم قنديلجي. المرجع نفسه. ص. 254.
- ¹⁴- Cacaly SERGE. Dictionnaire de l'information. 2^{ème} Ed Paris: Armand
Colin, 2004. p.38.
- ¹⁵ Paul OTLET. Traite De Documentation: Le Livre Sur Le Livre: Theorie et
Pratique. Bruxelles: Editions mundaneum, palais mondial, 1934. p.30.
- ¹⁶-Guillaume DLAUNAY. La Place De La Bibliothéconomie Dans
L'organisation Reconnaissances Et Les Classification. Paris. Enssib. 2010. p.
10.
- ¹⁷- عامر إبراهيم قنديلجي. المعجم الموسوعي لتكنولوجيا المعلومات والإنترنت. عمان: دار
المسيرة. 2003. ص. 137
- ¹⁸- محمد أمين البهاوي. معجم المصطلحات المكتبية: إنجليزي-عربي. القاهرة: دار الفكر العربي، 1985. ص. 108.
- ¹⁹(*) - المعلوماتية: تعني الاتجاهات الاجتماعية والاقتصادية والتكنولوجية التي أعقبت مرحلة الثورة
الصناعية. استخدم المصطلح لأول مرة من طرف العلامة البريطاني D. Bernal سنة 1938 في كتابه الوظيفة
الاجتماعية للعلم.
- ²⁰- عبد المجيد صالح بوعزة. «التدفق المعلوماتي والغرق المعرفي: دراسة للمظاهر والتأثيرات وسبل التصدي مع
الإشارة إلى حالة الوطن العربي الإسلامي». مجلة الملك فهد الوطنية [متاح على الخط]:
http://www.ktni.org.sa/idarar/KFNLJOURNAL:m152/PDF/4.PDF/ زيارة يوم:
2014/03/12. على الساعة 21:25.

- ²¹- سعد محمد الهجرسي. المكتبات والمعلومات والتوثيق. الإسكندرية: دار الثقافة العلمية، 1999. ص.ص:208-
- 209.**
- ²²- عامر إبراهيم قنديلجي. البحث العلمي واستخدام مصادر المعلومات التقليدية والإلكترونية. عمان: دار البازوري العلمية للنشر، 2008. ص.30.
- ²³- معلومات مستقاة من خلال مقابلة مع المدير العام للمديرية العامة للبحث العلمي والتطوير التكنولوجي يوم: **2014/03/10.**
- ²⁴- المرجع السابق.
- ²⁵- الجزائر، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، القرار رقم: **12/15** المؤرخ **14** جويلية **2012**. المتضمن إنشاء فهرس مركزي للمذكرات والأطروحات ويحدد كفاءات تزويده واستعماله. ص.01.
- ²⁶- وحيد قدورة. المرجع السابق. ص.94.
- ²⁷-كمال بطوش. سلوك الباحثين حيال المعلومات العلمية والتقنية داخل المكتبة الجزائرية. المرجع السابق. ص.90.
- ²⁸- محمد الصالح نابي. «الوصول إلى المعلومة العلمية والتقنية: واقع المكتبات الجامعية الجزائرية». في مجلة المكتبات والمعلومات. مج.3. ع.2. ديسمبر **2010**. قسنطينة: دار بهاء الدين للنشر والتوزيع. ص.103.
- ²⁹- يونس قرار. <<توظيف التكنولوجيا في خدمة المنتج الفكري: التوثيق الإلكتروني- البوابة الجزائرية للمعلومات >>. [متاح على الخط]: <http://portail.cder.dz/spip.php!article825>. زيارة يوم: **2014/05/16** على الساعة **20:32**.
- ³⁰- الميرك هيفاء بنت فهد. الموقع السابق. زيارة يوم: **2014/02/24**. على الساعة **22:35**.

المحور الثالث

قراءة في مفهوم الخطاب وخصائصه عند العرب والغرب: مقارنة نظرية

د. محمد بركان

جامعة وهران 1 أحمد بن بلة

مقدمة:

كثرت التعاريف وتشعبت الأقاويل حول مفهوم الخطاب بسبب اختلاف رؤى الباحثين ومرجعياتهم، فكل يرى الخطاب بمنظار مدرسته الفكرية، لذلك تروم هذه الورقة البحثية تقديم بعض هذه التعاريف المختلفة للخطاب من منظارين عربي وغربي قصد إبراز نقاط الاتفاق والاختلاف بينهما من جهة وتتبع مسار تطور مفهوم الخطاب والخصائص المميزة له عبر الزمن من جهة أخرى فقد "بات واضحاً - كما يقول صلاح فضل - أن الإلمام بحقل معرفي بعينه، ومتابعة إنجازاته ومستجداته أمر صعب، إن لم نقل مستحيل، وذلك بسبب كثرة الأبحاث" لذلك يتناول الباحث في هذه الورقة البحثية العناصر التالية: مفهوم الخطاب لغة واصطلاحاً، مفهوم الخطاب عند الباحثين العرب ومفهومه عند الباحثين الغربيين لنخلص في نهاية المقال إلى الحديث عن بعض خصائص الخطاب وما يميز هذا المفهوم عن مفاهيم أخرى في فروع معرفية مختلفة.

1- المفهوم اللغوي والاصطلاحي للخطاب

لغة: مشتق من كلمة خطب بمعنى: خاطبه أحسن الخطابة، وهو المواجهة بالكلام⁽¹⁾ أو مراجعة الكلام⁽²⁾ والمخاطبة مفاعلة من الخطاب والمشاورة. يقال: خطب الناس وخطب فيهم وعلّمهم خطابة وخطبة: ألقى عليهم خطبة.

ويقال: خاطبه خطاباً ومخاطبة: كالمه وحادثه، ووجه إليه كلاماً أو خاطبه في الأمر: حدثه بشأنه .

فالخطاب كلام موجه فيه مشاركة، فبناء " فاعل " يدل على المشاركة بين طرفي الخطاب، ودليل ذلك قوله تعالى: " رب السماوات والأرض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطاباً"⁴ أي لا يملكون خطابه وهم أهل السماوات والأرض. ومن ذلك قوله تعالى على لسان أحد الأخوين المتخاصمين لداود عليه السلام: " إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزني في الخطاب"⁵ أي غلبني في الحديث في بسط حجته علي. وقال الراغب: " الخطب والمخاطبة والتخاطب: المراجعة في الكلام"⁶ فالخطاب يقتضي حواراً ومشاركة، ولا خطاب إلا باعتبار تضمين معنى المكاملة، وهو الكلام الذي يقصد به الإفهام، أو اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متبرئ لفهمه.⁷

اصطلاحاً: كلام موجه إلى متلق بقصد الإقناع والتأثير، أو المشاركة الكلامية بين طرفي الاتصال حواراً أو مشافهة أو كتابة للتأثير والإقناع وتحقيق مقاصد اتصالية. ويقابله في الاصطلاح الغربي: Discours- Discourse، ويعني: حديث وخطاب موجه، ومحاضرة، ومقالة ورسالة.⁸ أما مصطلح خطاب (Discours) المأخوذ عن اللاتينية (Discursus) ومعناه الركض هنا وهناك فليس أصلاً مباشراً كما هو مصطلح عليه بالخطاب، إلا أن الجذر اللغوي اللاتيني أصبح يحمل معنى الخطاب أو ما اشتق منه من معان منذ القرن السابع عشر (17)، فقد دل المصطلح على معنى طريق صديقي، ثم المحادثة والتواصل كما دل على تشكيل صيغة معنوية سواء أكانت شفوية أو مكتوبة عن فكرة ما.⁹

وكلمة Discours ظهرت - حسب ما أورده عمار بلحسن - في سنة 1503 من كلمة Discursus اللاتينية، بمعاني الحديث، المحاور، البيان أو الخطبة.. وابتداء من نهاية القرن 17م أصبحت تعني كتابة تعليمية وعرضاً وتحليلاً منهجياً لموضوع، أو تعبيراً عن فكر، فهو " عملية فكرية، تجري عن طريق عمليات متدرجة ومتتابعة " (ليبنتز)، بواسطة مجموعة من الكلمات والجمل تتحقق عن طريق الكفاية الخطابية.¹⁰

ورد لفظ الخطاب بتعريفات عديدة لتعدد ميادينه، بوصفه فعلا يجمع بين القول والفعل، حيث نجد مثلا، الخطاب الثقافي، الخطاب الصوفي، الخطاب السياسي، الخطاب التاريخي، الخطاب الاجتماعي.

وقد ورد لفظ الخطاب عند العرب قديما، كما ورد عند الغربيين مع درجات من التفاوت أو التقارب في معناه.¹¹

2- الخطاب عند العرب:

ترددت مادة "خ.ط.ب" في القرآن الكريم اثني عشرة مرة موزعة على اثني عشرة سورة.¹²

ورد هذا اللفظ في القرآن الكريم، بصيغ متعددة، منها: صيغة الفعل في قوله تعالى: "وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما"¹³ والمصدر، في قوله تعالى: "رب السموات والأرض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا"¹⁴ وفي قوله تعالى عن داود عليه السلام: "وشددنا ملكه وأتيناه الحكمة وفصل الخطاب"¹⁵

فقد عد الرازي صفة فصل الخطاب، من الصفات التي أعطها الله تعالى لداود، معتبرا إياها من علامات حصول قدرة الإدراك والشعور، والتي يمتاز بها الإنسان على أجسام العالم الأخرى من الجمادات والنباتات وجملة الحيوانات، بيد أن الناس مختلفون في مراتب القدرة على التعبير عما في الضمير، فمنهم من يتعذر عليه الترتيب من بعض الوجوه، ومنهم من يكون قادرا على ضبط المعنى والتعبير عنه إلى أقصى الغايات¹⁶

قال بعض المفسرين في قوله تعالى: "وفصل الخطاب" قال: هو أن يحكم بالبينة أو اليمين، وقيل: معناه أن يفصل بين الحق والباطل ويميز بين الحكم وضده، وقيل: فصل الخطاب، الفقه في القضاء.¹⁷

ويرى الزمخشري أنه يجوز بمعنى الخطاب في الآية: "القصد الذي ليس فيه اختصار منحل ولا إشباع ممل".¹⁸

ومصطلح " الخطاب " - حسب الباحث محمد الصغير بناني - يرتبط بفن الخطابة في النصوص التراثية، "فالخطابة في ميدان النثر بمنزلة القصيد في ميدان الوزن، فهي الإطار المثالي الذي تجلى فيه البلاغة النثرية، ومن ثم فإن الجاحظ تكلم في بعض النصوص عن الخطابة والسياق، فهو يقصد البلاغة وليس هذا معناه أنه لا يفرق بينهما، ولكنه يتصور العلاقة بينهما على هذا الشكل ليس أكثر".¹⁹

كما أن الحديث عن الخطاب، عند أرسطو، هو الحديث عن مكونات فن الخطابة بالخطابة قائلاً: "أما اللاتي ينبغي أن يكون القول فيهن على مجرى الصناعة، فثلاث: إحداهن الإخبار من أي الأشياء تكون التصديقات والثانية ذكر اللاتي تستعمل في الألفاظ، والثالثة أنه كيف ينبغي أن ننظم أو ننسق أجزاء القول".²⁰

من ناحية أخرى، ورد، كذلك، اسم المفعول (المخاطب) عند النحاة، للدلالة على طرف الخطاب الآخر، الذي يوجه المرسل كلامه إليه. وذلك عند حديثهم عن المضمرة، اذ يقول ابن يعيش في شرحه: " والمضمرة لا لبس فيها، فاستغنت عن الصفات، لأن الأحوال المقترنة بها قد تغني عن الصفات. والأحوال المقترنة بها: حضور المتكلم والمخاطب والمشاهدة) وهذا التصنيف يوحي بان مفهوم الخطاب ينحصر في ناحيته الشكلية، بدلالة الاهتمام بتصنيف الأداة اللغوية المستعملة التي تشير إلى طرفه الآخر.

وعند الأصوليين، ورد الخطاب، انطلاقاً من أنه هو الأرضية التي استقامت أعمالهم عليها (...) ومن أبين الأدلة على ذلك إيرادهم لاسم الفاعل (مخاطب) - بكسر الطاء - ولاسم المفعول (مخاطب) - بفتح الطاء - بوصفهما طرفي الخطاب.²¹

الأمدي - من جهته - حاول تقديم تعريف واضح وجلي للخطاب قائلاً أنه: " اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متبرئ لفهمه " أما من ناحية صيغة لفظ الخطاب، فهو " أحد مصدرى فعل خاطب يخاطب خطاباً ومخاطبة

وهو يدل على توجيه الكلام لمن يفهم، نقل من الدلالة على الحدث المجرد من الزمن إلى الدلالة على الاسمية، فأصبح في عرف الأصوليين يدل على ما خوطب به وهو الكلام".²²

وقد انتقل هذا التباين إلى الدراسات اللغوية الحديثة عند العرب، فقد اختلف الباحثون في تحديد مفهوم الخطاب شأنه شأن أي مصطلح منقول عن ثقافة إلى ثقافة أخرى، ساعد على هذا الاختلاف عوامل كثيرة، منها تعدد التخصصات التي ينتسب إليها الباحثون.

واعتمادا على آراء " فان ديك" وأطروحاته في انسجام الخطاب من خلال كتابه: "Text and context" - 1977 يؤسس محمد خطابي خطابه النقدي ويعرض من خلاله مظاهر الخطاب وطبيعة انسجامه، كما تجلت في أعمال " فان ديك" وهي تقوم على الشكل التالي: الخطاب ويتفرع إلى وظيفتين: دلالية وتداولية. وتحوي الوظيفة الدلالية العناصر الآتية: الترابط، والانسجام، والبنىات الكلية أما الوظيفة التداولية فتحوي: السياقات والأفعال الكلامية، وتداوليات الخطاب، والأفعال الكلامية الكلية.

ويعرف سعد مصلوح الخطاب فيقول: " الخطاب هو رسالة موجهة من المنشئ إلى المتلقي تستخدم فيها نفس الشفرة اللغوية المشتركة بينهما، ويقتضي ذلك أن يكون كلاهما على علم بمجموع الأنماط والعلاقات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية التي تكون نظام اللغة، أي (الشفرة) المشتركة، وهذا النظام يلبي متطلبات عملية الاتصال بين أفراد الجماعة اللغوية، وتتشكل علاقاته من خلال ممارساتهم كافة ألوان النشاط الفردي والاجتماعي في حياتهم".²³

وعند حديثه عن " الخطاب الأدبي" يرى محمد مفتاح: " أن الخطاب "مدونة حدث كلامي ذي وظائف متعددة"

ويرى أن التقيد بمنهج مدرسة واحدة لتحليل الخطاب فيه كثير من التعسف والابتسار، لذلك اتجه إلى الأخذ ببعض المناهج والتوليف بينها في صيغة توفيقية، ليؤسس منها منهجا خاصا يتسم بالعمق والشمولية.²⁴

أما الباحث محمد شومان فيعرفه على أنه "كل الأشياء التي تكون العالم الاجتماعي بما في ذلك هواياتنا، أو بعبارة أخرى فهو واقعنا الاجتماعي وإدراكنا لهويتنا أي أنه بدون خطاب لا يوجد واقع اجتماعي"²⁵، بينما ربط البعض بين تعريف الخطاب كمنظمة لفظية ومنتج الخطاب وهدفه من تقديم الخطاب، وفي هذا السياق يأتي تعريف محمود خليل للخطاب بأنه "مجموعة من النصوص التي تشكل خطابا أو فكرة، فالخطاب باعتباره مقولة الكاتب هو بناء من الأفكار يحمل وجهة نظر، أو هو هذه الواجهة من النظر مصوغة في بناء استدلالى يتضمن مقدمات ونتائج".²⁶

ويتفق معه محمود عكاشة بالقول بأن الخطاب اصطلاحا "كلام موجه إلى متلق بقصد الإقناع والتأثير، أو المشاركة الكلامية بين طرفي الاتصال حوارا أو مشافهة أو كتابة للتأثير والإقناع، وتحقيق مقاصد اتصالية".²⁷

كما تعرف حميدة سميسم الخطاب بأنه "يعني بشكل عام نظام تعبير مقنن ومضبوط، وهذا النظام ليس في جوهره إلا بناء فكريا يحمل وجهة نظر، وقد تمت صياغته في بناء استدلالى أي بشكل مقدمات ونتائج بين مخاطب-بكسر الطاء- ومخاطب-بفتح الطاء-ضمن عملية التواصل والاتصال".²⁸

وقد ربط البعض الآخر بين تعريف الخطاب وأشكال الممارسة فيرى الزواوي بغورة في هذا الصدد بأن "الممارسة الخطابية هي معيار الخطاب بما أنها لا تحيل إلى ذات فاعلية ولا إلى واقع موضوعي ولا إلى صيغة منطقية ولغوية، بل هي جملة القوانين الناظمة للخطاب التي تحدد وظيفته وطبيعته التي تختلف عن النمط المنطقي أو الألسني"²⁹ كما يراه فيركلاو Fairclough

بأنه " اللغة المستخدمة لتمثيل ممارسة اجتماعية محددة من وجهة نظر معينة".³⁰

في الفكر والعلوم الإنسانية، دشّن العروبي تحليل " الايديولوجيا العربية المعاصرة في خطاب سوسيولوجي- ثقافي بإبراز حضور " الآخر" الفكري، في منطوق ومضمون السلفي التقني، الليبرالي، واستمرار " التأخر التاريخي " .

ويدرس م. أركون العقل الإسلامي وخطاباته كرهانات وحاجات جماعية تاريخية، وينقد مسلماته المعرفية، وارتكازه على الخلط بين الميثي Mythique والتاريخي، وهيمنة القيمة الدينية الأخلاقية، وتقديس اللغة والمكتوب.³¹

3- الخطاب عند الغرب:

ورد مصطلح الخطاب- في الأدبيات الحديثة - لأول مرة، عند (هايمز)³²، لكن يكاد يجمع كل المتحدثين عن الخطاب وتحليل الخطاب على ريادة ز. هاريس (1952) في هذا المضمار من خلال بحثه المعنون بـ " تحليل الخطاب" إنه أول لساني حاول توسيع حدود موضوع البحث اللساني بجعله يتحدى الجملة إلى الخطاب. عرف الخطاب أنه «ملفوظ طويل أو هو متتالية من الجمل لكون مجموعة منغلقة يمكن من خلالها معاينة بنية سلسلة من العناصر لكون مجموعة منغلقة يمكن من خلالها معاينة سلسلة من العناصر بواسطة المنهجية التوزيعية وبشكل يجعلنا نظل في مجال لساني محظ»³³.

وهناك من يرى أن نشأة مفهوم الخطاب الأولى تعود إلى " فرديناند دي سوسير" صاحب كتاب " محاضرات في اللسانيات العامة"³⁴ (حيث ميز بدقة بين اللغة والكلام) فما حد اللغة والكلام؟

اللغة: هي -عند سوسير- جزء جوهري من اللسان، وفي الوقت ذاته نتاج اجتماعي، تواضعات ملحّة ولازمة تبناها الجسم الاجتماعي لتسهيل ممارسة هذه الملكة عند الأفراد.

الكلام: هو نتاج فردي كامل يصدر عن وعي وإرادة، ويتصف بالاختبار الحر، وحرية الفرد الناطق تتجلى في استخدامه أنساقا للتعبير عن فكره الشخصي،

يستعين في إبراز ذلك بآليات نفسية وفيزيائية. لهذا فالكلام يولد خارج النظام، وداخل المؤسسة لأنه السلوك اللفظي اليومي الذي له طابع الفوضى والتحرر، ومنه ينشأ المولود اللغوي المسى لغة جديدة.³⁵

والخطاب عند الغربيين: كلام موجه يتكون من مجموعة متشابكة من الجمل يتواصل به طرفان من أجل تحقيق مقصدهما من التواصل، أو وحدة متصلة متماسكة تشكل رسالة ذات بداية ونهاية (..)، وأضافت الدراسات الحديثة الحركات والإشارات والرموز إلى الخطاب الشفهي (المنطوق) وبعض الدراسات اهتمت باللغة فقط وبعضها اهتمت بالمقاصد الاتصالية، وبعضها اهتم بالمجتمع الذي يتواصل باللغة، وبعضهم استدرك على اللغة التواصلية العناصر غير اللغوية: الحركات والإشارات، والرموز، والنزي، والهيئة، وغير ذلك من الأشياء التي تدل على معنى في العالم الخارجي³⁶، بيد أن مفهوم الخطاب قد ناله التعدد والتنوع، وذلك بتأثير الدراسات التي أجراها عليه الباحثون، حسب اتجاهي الدراسات اللغوية الشكلية والدراسات التواصلية. ولهذا، فهو يطلق، إجمالاً على أحد مفهومين هما:

- الأول: أنه ذلك الملفوظ الموجه إلى الغير، بإفهامه قصداً معيناً.

- الآخر: الشكل اللغوي الذي يتجاوز الجملة.³⁷

ونفس التقسيم يتفق عليه " جمال عبد العظيم" إذ يرى أن هذا المصطلح له معنيين:

الأول: المعنى الواسع والذي يعني كل ما كتبه أو قاله أو علق عليه شخص سواء كان في مقابلات سياسية وفكرية فهو كل إنتاج ذهني منطوق أو مكتوب.

الثاني: المعنى الألسني الضيق وهو " مصاغ النطق أو البيان الذي يتجاوز الجملة منظوراً إليه من زاوية قواعد تسلسل وترتيب وتتابع الجمل.³⁸

أما المفهوم الأول، فنجد أن الباحث (قيوم) ينطلق من ثنائية (سوسير) أي اللغة والكلام التي تكون اللسان، ويفضل (قيوم) استعمال كلمة (discourse) عوض كلام (parol) ذلك ليؤكد على ما يكتسبه الانجاز اللغوي من أوجه ربما

لا يحويها لفظ كلام مباشرة، مثل: الوجه الكتابي - الحركات الجسدية - السياق.. الخ" ويرتكز في تصنيفه على نظرتة إلى اللغة بوصفها النظام السابق على الخطاب، فهي موجودة بالقوة، في حين أن الخطاب هو ما يوجد بالفعال.

وإذا كان هاريس يقدم بتحديد الخطاب انطلاقاً من تعريف بلومفيلد للجملة عبر تأكيد على وجود الخطاب رهينا بنظام متتالية من الجمل تقدم بنية للملفوظ، فإن باحثاً فرنسياً سيكون لتعريفه للخطاب من منظور مختلف أبلغ الأثر في الدراسات الأدبية التي تقوم على دعائم لسانية³⁹ هذا الباحث هو "بنفنست Benveniste" الذي يرى أن الجملة تخضع لمجموعة من الحدود، إذ هي أصغر وحدة في الخطاب. ومع الجملة نترك مجال اللسانيات كنظام للعلامات، على اعتبار أن الجملة تتضمن علامات وليس علامة واحدة "وندخل إلى مجال آخر حيث اللسان أداة للتواصل نعبر عنه بواسطة الخطاب"⁴⁰.

كما يحدد بنفنست Benveniste الخطاب بمعناه الأكثر اتساعاً بأنه كل تلفظ يفترض متكلماً ومستمعاً وعند الأول هدف التأثير على الثاني بطريقة ما".⁴¹

وأما البعد الثاني من الخطاب بوصفه ما يتجاوز الجملة فتري الباحثة ديبورا شيفرن، أن عناية الباحث تتجه بعناصر انسجامه، وترابطه وتركيبه، ومعرفة علاقة وحداته بعضها ببعض، بل ومناسبة بعضها للبعض الآخر، وذلك على مستوى بنيته المنجزة.⁴²

كما أن وقوع نظرية تحليل الخطاب في نقطة تقاطع علوم إنسانية متعددة أدى إلى تنوع نظرياته، فغلب على بعضها الطابع السوسولوجي، وعلى الأخرى الطابع السيكلوجي وتميز بعضها الآخر بالانضواء في دائرة البحث اللساني⁴³.

ويتحدد مفهوم الخطاب أكثر في الدراسات الحديثة للباحثين الغربيين، عند حديثهم عن تحليل الخطاب Analyse du discours الذي يعتبر ملتقى للتفكير

بين اللسانيات والعلوم الإنسانية المختلفة، ويتشكل في استقلالية نسبية، كموضوع علمي، عن اللسانيات. حيث يقوم غريماس وآخرون بتحليل الخطاب في العلوم الاجتماعية، لانجاز سيميائية الخطاب المعرفي، بهدف دراسة إجراءات إنتاج المعرفة وشروطها و"تقنيات البرهنة" داخلها.⁴⁴

في مقدمة دراسته "لدلالة التشاكلات" يطرح فرانسوا راستيه Rastier تصوره تحت عنوان "من أجل تحليل الخطاب"⁴⁵ بين راستيه في البداية أن اللسانيات تحققت كعلم لنجاحها في تحديد موضوعها وأن على تحليل الخطاب أن يحدد موضوعه، وهذه ضرورة تاريخية بسبب علاقته الوطيدة باللسانيات.

ويرى راستيه Rastier أن أمامنا ثلاث إستراتيجيات ممكنة هي على الشكل التالي:

1. اختزال الخطاب إلى موضوع للسانيات وتحديد كتقاطع بسيط وحظي للجمل كما فعل هاريس وكاتريس.
2. أن نبعد الخطاب على أن يكون موضوعا للسانيات ونعتبره غير مرتبط باللسان ولكن بالكلام.
3. وضع علم للخطابات يكون موازيا للسانيات ويكون موضوعه الفعلي واحدا، وموضوعه المعرفي مختلفا... من خلال التمييز بين لسانيات الجملة ولسانيات الخطاب أو النص. بمعنى أن راستيه يدعو إلى خلق علم جديد للخطاب على غرار اللسانيات باعتبارها العلم الرائد.

وقريبا من التعريفات التي أوردها راستيه سنة 1972 نجد أصحاب "معجم اللسانيات" (1973) يقدمون لنا ثلاثة تحديدات للخطاب، فهو أولا يعني اللغة في طور العمل، أو اللسان الذي تتكلف بإنجازه ذات معينة، وهو هنا مرادف للكلام بتحديد دي سوسير، وهو يعني ثانيا، وحده توازي أو تفوق الجملة، ويتكون من متتالية تشكل مرسلتها لها بداية ونهاية وهو هنا مرادف للملفوظ. أما التحديد الثالث فيتجلى في استعمال الخطاب لكل ملفوظ

يتعدى الجملة منظورا إليه من وجهة قواعد تسلسل متتاليات الجمل ومن هذه الزاوية فإن تحليل الخطاب يقابل كل اختصاص يرمي إلى معالجة الجملة كأعلى وحدة لسانية.⁴⁶

من جهته درس م. فوكو "نظام الخطاب" محمدا الوضع الاجتماعي للمتكلم، ومشروعيته داخل النسق المعقد للعلاقات الاجتماعية.

أما جاك دريدا، فيرى نظرية الخطاب تحليلا غير ذاتي لأثار المعنى، فهو نسق يصبح فيه المدلول المركزي الأصلي أو المتعالي، حاضرا في منظومات الاختلاف Différence عن طريق إستراتيجية شاملة للتفكيك (لنصوص المؤسسة للفلسفة الغربية والأدب) Déconstruction بنقد مفاهيم "الأصل" و"العلامة" وثنائية الكلام / الكتابة، من أجل وضع نظرية للكتابة وإبراز "الأثر" Trace والإحالة Référence في وضعية تبادلية وإخلافية، تنشأ ضمنها وخلالها انزياحات وفواصل وفضاءات جديدة.

وأما باختين، فيرى ان الايدولوجيا يمكنها أخذ بنية خطابية لأن المتكلم يمتلك اللغة في سياق بياني وكلامي وإيديولوجي وواقعي دقيق، ويندرج في لغة جماعية أو عملية خطبنة⁴⁷ . Mise en discours

وفي نفس اتجاه "باختين" الباحثة جوليا كريستيفا Kristeva تمفصل نظرية الايدولوجيا والتحليل النفسي والسيميائية في صياغة " الأنساق الدالة"، وترى الخطاب أو النص جهازا فوق لغويا، يعيد توزيع النظام اللغوي بالتهديم البناء، لا تكفي اللسانيات وحدها لتحليله، فهو إنتاجية وإبدال للنص وتناص Intertextualité في فضاء النص الذي تتقاطع وتتقاتل داخله مجموعة من الملفوظات والخطابات هي أجزاء نصوص أخرى.

كما تناول "دومينيك مانقينو D.Maingueneau" في كتابه "الاتجاهات الجديدة في تحليل الخطاب" مجموعة من القضايا الأساسية في تحليل الخطاب، وأشار الى أكثر الموضوعات أهمية في هذا المجال، وبينها التفكير في ايجاد مكانة لتحليل الخطاب ضمن العلوم الإنسانية، هذا بالإضافة الى

إثارته قضية تحديد تحليل الخطاب وحدة داخل النظرية اللسانية، ما دام لم يحدد منهجيته وموضوعه تحديدا صارما.

حيث يحدد الباحث مانقينو Maingueneau الخطاب باعتباره مفهوما يعوض الكلام عند دوسوسير ويعارض اللسان، وبعد وقوفه عند تمييز دي سوسير بين الكلام واللسان تبين كون الجملة لا تدخل في إطار اللسان ولكنها تنتمي إلى الكلام***الفعالية والذكاء، وهذا التعريف نجده يشاكل تعريف بنفست للجملة حين يعتبرها وحدة خطابية.⁴⁸

يشير "مانقينو" الى تعدد دلالات الخطاب وذلك لخروج تحليل الخطاب عن المجالات اللسانية أحيانا، وينتهي الى تعريف الخطاب كما يلي:

1- الخطاب مرادف للكلام عند "دي سوسير" وهو المعنى الجاري في اللسانيات البنيوية.

2- هو الوحدة اللسانية التي تتعدد الجملة فيه وتصبح مرسله كلية أو ملفوظا.

3- الخطاب ملفوظ طويل أو هو متتالية من الجمل تكون مجموعة منغلقة يمكن من خلالها معاينة بنية سلسلة العناصر بواسطة المنهجية التوزيعية وبشكل يجعلنا نظل في مجال لساني محض.⁴⁹

كما أن Maingueneau يرى أن "الخطاب يمثل تنظيما أبعد من الجملة والخطاب موجه، ليس لكونه يعمل في إطار رؤية محددة للمرسل فحسب وإنما أيضا لكونه يتطور مع الوقت بطريقة مستقيمة متوازنة".⁵⁰

وعند حديثه عن الخطاب الأدبي يرى "رولان بارث" أنه مساحة ظاهرية للإبداع الأدبي، انه نسيج من الألفاظ المصبوبة في الإبداع، والمرتبة فيه على نحو يقتضي معنى قارا ووحيدا ما أمكن ذلك، وعلى الرغم من الصفة الجزئية والمتواضعة لمفهوم الخطاب، فانه يسهم في بناء المجد الروحي للإبداع الذي يخدمه.

من جهته موشلر (J, Moeshler 1985) يعرف الخطاب وتحليل الخطاب انطلاقاً من منظور خاص يتحكم في تحديد موضوع تحليل الخطاب وطريقة ممارسة التحليل، يسعى موشلر إلى إقامة تحليل تداولي للخطاب، حيث يؤكد على أن الخطاب يعني الحوار، وتوضيحه بأن التحليل التداولي للخطاب عليه-بحسب وجهة نظره-أن ينبني على ثلاث مجالات يختلف بعضها عن بعض وهي:

1. التداولية اللسانية 2. نظرية البرهان 3. تحليل الخطاب أو المخاطبات ويقوم الباحث بعد ذلك بإجراء تحليلاته للخطاب (بناء على هذه المقدمات).⁵¹

أما ظاهرة انسجام الخطاب كما تتجلى في كتاب "تحليل الخطاب" لمؤلفيه. ج. براون. و. ج. يول. منذ البدء يقر الباحثان بوظيفتين أساسيتين للغة دون إغفال الوظائف الأخرى وهاتان الوظيفتان هما: 1- الوظيفة النقلية، 2- الوظيفة التفاعلية، وقد حاول كتاب الباحثين الإجابة عن السؤال التالي: "كيف يستعمل الإنسان اللغة من أجل التواصل، وعلى الخصوص، كيف ينشئ المرسل رسائل لغوية للمتلقي وكيف يشغل المتلقي في الرسائل اللغوية بقصد تأويلها".⁵²

والخطاب يتصف بصفة الإسناد *prédication* عند بول ريكور وهو ينقل عن بنفست أن اللغة قد تستغني عن الفاعل أو المبتدأ أو المفعول أو غير ذلك من المقولات اللغوية ولكنها لن تستغني أبداً عن المسند، فالمسند هو العامل الذي لا يستغني عنه في الجملة.

الخطاب - من حيث هو واقعة أو قضية أي من حيث هو وظيفة إسناد متداخلة ومتفاعلة بوظيفة هوية- شيء مجرد، يعتمد على كل شيء ملموس هو الوحدة الجدلية بين الواقعة والمعنى في الجملة. والواقعة الكلامية تذكرنا أن الخطاب يدرك زمنياً وفي لحظة آنية، في حين أن النظام أو النسق اللغوي افتراضي وخارج الزمن.⁵³

مما سبق يمكن القول بأن تحليل الخطاب هو عملية تحليل استخدام منتج الخطاب للجمل داخل البناء اللغوي للنص في سبيل تحقيق غايته الإقناعية في إطار تفاعلي، فمفهوم تحليل النص هو جزء لا يتجزأ من عملية تحليل الخطاب، ويكمن الفرق الجوهرى في كون " تحليل الخطاب يتجاوز تحليل النص، فتحليل النص عبارة عن تحليل داخلي لا يتجاوز إطار النص، وتحليل الخطاب يتطلب استرجاع الظروف التي أدت إلى إنتاجه (السياق اللغوي والسياق الخارجى)⁵⁴

4- خصائص الخطاب:

هناك ثلاثة خصائص للخطاب⁵⁵ هي:

الخاصية التواصلية (والخاصة بالنشاط والعمل)، فمن أوجه الخطاب الهامة "أنه يتوجه إلى شخص ما، فهناك متكلم آخر هو متلقي الخطاب. وحضور هذين الاثنين: المتكلم والمستمع هو الذي يشكل اللغة بما هي اتصال، ومع ذلك لا تبدأ دراسة اللغة من وجهة نظر الاتصال بعلم اجتماع الاتصال وكما يقول أفلاطون يشكل الحوار بنية جوهرية في الخطاب (...). فهو يشير إلى من يتكلم به في الوقت نفسه الذي يشير فيه إلى العالم"⁵⁶.

الخاصية التداولية، وتشمل غرض المتكلم ومقام المتكلم أو (الكاتب). والخاصية البنوية (وتشمل القواعد الخاصة بالمستوى الخطابى)، فالخطاب إذن يشمل النص والجملة والكلمة كوحدات تحليل.

ولتحديد معنى الخطاب يجب أن نفرق بينه وبين المفاهيم التالية:

الخطاب والنص:

إن التمييز بين النص والخطاب في ضوء المناهج النقدية الحديثة يطرح إشكالا كبيرا، نظرا لتعدد الآراء واختلافها وكثرة التصورات وتضاربها مما يجعل البحث أمام صعوبة تطهيرها وفرزها، وبالتالي تحليلها ومناقشتها.⁵⁷

تستعمل أغلب الدراسات مفهوم النص والخطاب كمترادفين، غير أن هناك من يفرق بينهما اعتماداً على وظيفة كل منهما، فتنسب للأول الوظيفة النصية بينما تسند للثاني الوظيفة التواصلية. فالعناصر المرتبطة بالنص تتعلق بنظامه الداخلي بينما تتعلق عناصر الخطاب بصلة الراوي بالكاتب، والراوي بالشخصيات، والكاتب بالقارئ. ويتفاعل المستويان الخطابي والنصي في إطار علاقتهما بالقيم الأخلاقية والإيديولوجية والاجتماعية.

إن النص هو نتاج اللغة العلمية (الوصفية) فهو ذو طبيعة مجردة وافترضية، بينما يمثل الخطاب نتيجة ملموسة وعيانية لفعل الإنتاج اللفظي ذي الطبيعة المسموعة والمرئية.⁵⁸

وعموماً فإن تحليل الخطاب يتجاوز تحليل النص، حيث أن النص عبارة عن تحليل داخلي لا يتجاوز إطار النص بينما يتطلب الخطاب استرجاع الظروف التي أدت إلى إنتاج النص وهو ما يسمى بتحليل السياق، فالسياق هو جزء أساسي من عملية تحليل الخطاب وعلى هذا فإن تحليل الخطاب يتجه إلى الرؤية الاجتماعية الشاملة بينما يقتصر تحليل النص على مجال الألسنيات.⁵⁹

فالعلاقة بين "النص" و"الخطاب" هي علاقة الميكرو و"الوحدة الأصغر" بالماكرو Macro "الوحدة الأشمل" فالنص بما يحويه من جمل وكلمات، وفي إطار علاقته بالسّمات الشخصية لمنتج النص، وبما يحمله من أفكار ومعتقدات وإيديولوجيات تمثل في الأطروحات والحجج الدالة على صحة مقولاته في سياق بناء مقولاتي فكري متكامل يشكل الوحدة الأشمل Macro وهي الخطاب كرسالة اتصالية ذات غاية إقناعية في إطار تفاعلي بين منتج الخطاب والمتلقي كمستهدف أساسي من عملية الممارسة الخطابية التفاعلية كعملية ديناميكية مستمرة في إطار واقع اجتماعي متغير ومتطور.⁶⁰

يتمثل النص في البنية السطحية النصية، القابلة للإدراك والمعاينة

في سنة 1966 لاحظ رولاند بارث Roland Barthes بأن اللسانيات تتوقف عند الجملة، فالجملة هي الوحدة الأصغر التي لا يمكن أن تختزل في الوحدات المشكلة لها (المفردات) وما النص حسب هذا المفهوم سوى تراكم لعدد محدد من الجمل.

على محلل الخطاب أن يأخذ بعين الاعتبار السياق الذي يظهر فيه الخطاب. وهذا السياق يتكون من المتكلم / الكاتب والمستمع/القارئ والزمان والمكان. لأن ذلك يؤدي دورا فعالا في تأويل الخطاب⁶¹.

وهكذا فإن مباشرة القارئ لنص ما تفترض:

1. الاعتماد على معرفة سياق الحديث (Contexte énonciatif) وتفرع هذه النقطة إلى:

-معرفة الفترة الزمنية.

-معرفة المؤلف.

-معرفة الظروف القريبة والبعيدة.

-السياق الذي ينتمي إليه الخطاب.

2. معرفة نحو اللغة (نحو الجملة)

3. امتلاك مجموعة من القواعد المتعلقة بتنظيم النص (نحو النص).⁶²

إن الخطاب مرتبط بشكل نسقي مع الفعل التواصلي، ولما كان هذا هكذا فإن المكون التداولي لن يحدد فقط شروط المناسبة للجملة، بل سيحدد أيضا شروط المناسبة بالنسبة لأنواع الخطاب والمقصود بالمناسبة هنا، مناسبة الجمل والخطاب للسياقات التواصلية التي تنجز فيها. يهدف فان ديك بهذا التجاوز أي تجاوز الجملة إلى وحدة الخطاب كتجل عملي لوحدة مجردة هي النص إلى تحقيق غاية أهم وهي تفسير العلاقات النسقية بين النص وبين السياق التداولي".⁶³

فالخطاب لا يأخذ معناه، "إلا داخل سياق خاص ومن المؤكد أن معرفة جيدة لهذا السياق ضرورية لفهم الخطاب...".⁶⁴

الخطاب والكلام:

يتداخل مفهوم الخطاب مع مفهوم الكلام حيث لا تنفصل الذات المتكلمة عن خطابها - فليس لها وجود مستقل عن خطابها، ومن ثم استخدام الخطاب كمرادف للكلام بالمعنى الذي جاء به "دي سوسير" في ازدواجية أو ثنائية اللغة (اللسان) / الكلام حيث اعتبر اللسان حقيقة اجتماعية، بينما الكلام انفصل ما هو جماعي عما هو فردي ونفصل ما هو عرضي عما هو جوهري.

الخطاب والقول:

كذلك يتداخل بمفهوم الخطاب مع مفهوم القول (أو التلفظ) فمستوى التلفظ يخص المتحدث أو مرسل الخطاب والملفوظ يخص المتحدث عنه.⁶⁵

الخطاب واللغة:

قبل الحديث عن هذه العلاقة يمكن القول أن للغة وظيفتين هما: الوظيفة التعبيرية والوظيفة التواصلية.

1- الوظيفة التعبيرية: وتعتبر الوظيفة الأساسية للغة لأنها تشمل التعبير عن الأفكار وسائر العمليات العقلية المركبة منها والبسيطة على حد سواء.

2- الوظيفة التواصلية: إن الكثير من صور التعبير قد لا يراد بها إيصال الأفكار إلى المخاطب، ومن هنا تبرز أهمية الوظيفة الثانية للغة وهي: الوظيفة التواصلية أو التبليغية، والمقصود بالتبليغ، التواصل يعنى اشتراك طرفين في عملية تبليغ المعلومات وإيصالها.⁶⁶

من المعروف أن الفلاسفة قد ناقشوا مشكلة سلطة اللغة " الحركة السوفسطائية " وعلاقة اللغة بالواقع والعالم الخارجي " أفلاطون " وبنية وتركيب اللغة وعلاقتها بالمنطق والسياسة " أرسطو " وعلاقة اللغة بالفكر والمعرفة " ديكارت - لوك " وعلاقة اللغة بالمجتمع " روسو ".

في فلسفة فوكو، هو أن مفهوم الخطاب لا يمكن فصله عن مفهوم اللغة، فاللغة والخطاب لا يمكن إرجاعهما إلى الذات أو إلى المؤسسة، بل يتميزان بوجود مغاير وهو ما سمح للبعض استنتاج العلاقة البنيوية في مفهومها للغة⁶⁷.

الخطاب والتداولية:

يعود استعمال مصطلح التداولية إلى الفيلسوف (تشارلز موريس) انطلاقاً من عنايته بتحديد الإطار العام لعلم العلامات أو السيميائية، من خلال تمييزه بين ثلاثة فروع، وهي:

- النحو أو التراكيب (SYNTAX) وهو: دراسة العلاقة الشكلية بين العلامات بعضها البعض.
- والفرع الثاني الدلالة (SEMANTIC) وهي: دراسة علاقة العلامات بالأشياء التي تؤول إليها هذه العلامات.
- والفرع الثالث التداولية (PRAGMATICS) وهي: دراسة علاقة العلامات بمستعملها ومؤولها.

اكتسبت التداولية عدداً من التعريفات، بناءً على مجال اهتمام الباحث نفسه، فقد يقتصر الباحث على دراسة المعنى، وليس المعنى بمفهومه الدلالي البحت، بل المعنى في سياق التواصل، مما يسوغ معه تسمية المعنى بالمعنى المتكلم، فيعرفها "بأنها دراسة المعنى التواصلية، أو معنى المرسل، في كيفية قدرته على إفهام المرسل إليه بدرجة تتجاوز معنى ما قاله".

وقد يعرفها، انطلاقاً من اهتمامه بتحديد مراجع الألفاظ، وأثرها في الخطاب، ومنها الإشارات، بما في ذلك طرفي الخطاب، وبيان دورهما في تكوين الخطاب، بما في ذلك استعمال مختلف الجوانب اللغوية، في ضوء عناصر السياق بما يكفل له ضمان التوفيق من لدن المرسل إليه عند تأويل قصده، وتحقيق هدفه.

ومن هذه الرؤى المتعددة، تغدو التداولية في مفهومها العام هي: "دراسة الاتصال اللغوي في السياق" وهذا التعريف هو ما يسمح بدراسة أثر السياق في بنية الخطاب، ومرجع رموزه اللغوية ومعناه، كما يقصد المرسل⁶⁸.

و بالتالي، فإن الدرس اللغوي التداولي يدرس المنجز اللغوي في إطار التواصل وليس بمعزل عنه، لأن اللغة لا تؤدي وظائفها الا فيه، فليست وظائف مجردة. وبما أن الكلام يحدث في سياقات اجتماعية، فمن المهم معرفة تأثير هذه السياقات على نظام الخطاب المنجز.

خاتمة:

ما يمكن قوله في نهاية الورقة البحثية بأن دراسة تطور مفهوم الخطاب يفتح آفاقاً جديدة للباحثين مستقبلاً لدراسة إشكالية أخرى لا تقل أهمية عن مسألة المفهوم وهي إشكالية تحليل الخطاب الإعلامي الذي أصبح - أكثر من أي وقت مضى - ضرورة ملحة في الدراسات المعاصرة العربية والغربية التي مرت بمرحلة مد وجزر وعرفت اتجاهات كثيرة تبعا لمرجعيات دارسها وبخاصة إذا علمنا بأن المدارس الغربية، والتي بدأت بالمدرسة البنيوية لتحليل اللغة على يد سوسير وتطورت إلى تحليل الخطابات الاجتماعية وفي مقدمتها الخطاب الإعلامي قد أصلت لظهور مدخل تحليل الخطاب في الدراسات العربية منذ عهد قريب، إذ نشط عدد من الباحثين في الدراسات العربية في هذا المجال متأثرين بالجهود العلمية للباحثين الغربيين في عمليات تفكيك بنية الخطاب وتوظيف هذه العمليات كمنهج علمي لتأسيس فروض نظرية لإجراء دراسات تطبيقية على الخطاب الإعلامي في إطار سياقاته الداخلية (للمنتج) والخارجية (للعوامل المحيطة)، "مما أدى إلى ظهور الكثير من إسهامات الباحثين العرب في ثمانينيات القرن الماضي في إطار تحليل الخطاب المعبر عن الواقع السياسي والاجتماعي للنظم الخاضعة للدراسة"⁶⁹.

الهوامش:

- 1- صلاح فضل، علم الأسلوب، مبادئه وإجراءاته، القاهرة: الهيئة المصرية العامة، 1985، ص 5.
- 2- أبي القاسم محمود الزمخشري، أساس البلاغة، مادة "خطب"، مرجع سابق، ص 167-168.
- 3- جمال الدين، ابن منظور، لسان العرب: مادة "خطب" الجزء الرابع (ط.2)، بيروت: دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، 1993، ص 133.
- 4- القرآن الكريم، سورة النبأ، الآية 37.
- 5- سورة ص، الآية 23.
- 6- الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، مادة "خطب" القاهرة: مكتبة الانجلومصرية، ص 216.

- 7 - الكنوي، الكليات، معجم المصطلحات، ج 2، مادة "خطب" بيروت: مؤسسة الرسالة، 1993، ص. 1993.
- 8 - محمود عكاشة، خطاب السلطة الإعلامي، (ط1) القاهرة: الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، 2005، ص. 12.
9. Encyclopédie universalis, Microsoft, France, 1995 (CD) - في: عبد القادر شرشار: تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص، منشورات مختبر الخطاب الأدبي، الجزائر: دار الأديب، 2006، ص. 14.
- 10 - عمار بلحسن، الخطاب: مادة القاموس العربي لعلم الاجتماع، جامعة وهران: وحدة البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، مخبر سوسولوجيا الأدب والفن، 1990، ص. 1.
- 11 - عبد الهادي الشهري، استراتيجيات الخطاب: مقارنة لغوية تداولية، بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، 2004 ص 34.
- 12 - محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، بيروت: دار الفكر، 1986 ص 235.
- 13 - سورة الفرقان، الآية 63.
- 14 - سورة النبا، الآية 37.
- 15 - سورة ص، الآية 20.
- 16 - عبد الهادي الشهري، مرجع سابق، ص. 35.
- 17 - ابن منظور، لسان العرب، ج 2، مرجع سابق، ص. 856.
- 18 - الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق محمد مرسي عامر، القاهرة: دار المصنف، (د.ت) ج 5-6 ص 125.
- 19 - محمد الصغير بناني، النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1994 ص 228.
- 20 - أرسطو طاليس، الخطابة، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1983 ص 181.
- 21 - المرجع نفسه، ص 36.
- 22 - المرجع نفسه، ص 36.
- ليس هناك اركيولوجيا لكلمة "خطاب" في اللغة العربية والفكر العربي الإسلامي، إنها ترجمة واستيراد واستعارة بدون تأصيل أو سلامة لكلمة discours في: عمار بلحسن، مرجع سابق، ص 12.
- 23 - نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب: دراسة في النقد العربي الحديث "تحليل الخطاب الشعري والسردية" الجزء الثاني، الجزائر: دار هومة، 1997 ص 74.
- باحث مغربي له العديد من الدراسات منها: دينامية النص، المفاهيم معالم... الخ.
- 24 - نور الدين السد، مرجع سابق، ص 75.
- 25 - محمد شومان، تحليل الخطاب الإعلامي: أصول نظرية ونماذج تطبيقية (ط1) القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 2007، ص. 25.
- 26 - محمود خليل، مفهوم الخطاب الصحفي، محاضرات غير منشورة في تحليل الخطاب الإعلامي - مركز التوثيق والتدريب الصحفي - كلية الإعلام - جامعة القاهرة - 24-28 ديسمبر 2005.
- 27 - محمود عكاشة، خطاب السلطة الإعلامي: نحو تجديد لغة الخطاب (ط1) القاهرة: الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، 2005، ص. 12.
- 28 - حميدة سميح، مفهوم الخطاب الإعلامي - تحليل الخطاب العربي: المؤتمر العلمي الثالث، 10-12 أيار 1997، - كلية الآداب - جامعة فيلادلفيا (ط1) الأردن: منشورات جامعة فيلادلفيا، 1998، ص. 107.
- 29 - الزواوي بغورة، مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2000، ص. 147.

- 30- محمد شومان، مرجع سابق، ص 25.
- 31- عمار بلحسن، مرجع سابق، ص 12.
- 32- عبد الهادي الشهري، استراتيجيات الخطاب، مرجع سابق، ص 36
- Les analyses de la langue, Paris: de lagrave, 1978, p116 33- Marchand, et autres,
في: سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي (الزمن، السرد، التبني)، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 1997،
ص 17.
- 34 -F. De Saussure, Cours de linguistique générale, Paris: P.U.F, 1980.
- 35- رابع بوحوش، الأسلوبيات وتحليل الخطاب، الجزائر: منشورات جامعة باجي مختار- عنابة -، 2006،
ص 71.
- 36- محمود عكاشة، مرجع سابق، ص، 12.
- 37- عبد الهادي الشهري، مرجع سابق، ص 37.
- 38- جمال عبد العظيم احمد " تطور مواقف جريدة الأهرام من جامعة الدول العربية - دراسة في تحليل
الخطاب الصحفي، جامعة الزقازيق، مجلة كلية الآداب، العدد 28 أبريل 2000، ص 117.
- 39- سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، مرجع سابق، ص 18.
- 40-E.Benveniste, Problème de linguistique générale ,édi: Gallimard,
Tome1, 1966, p.p.: 129-130.
- 41- عبد الهادي الشهري، مرجع سابق، ص 37
- 42- المرجع نفسه، ص 37
- 43- Mainguenu, les mots clés du discours, p11-12, في: بشير دردار، مرجع سابق، ص
202.
- 44- عمار بلحسن، مرجع سابق، ص 7.
- 45 - F,Rastier, "Sémantique des isotopies", in Essai de sémiotique poétique,
Larousse 1972, p8020 في: سعيد يقطين، ص
- 46- J, Dubois et autres, Dictionnaire de linguistique, Paris: Larousse, p156.
- 47- المرجع نفسه، ص 10.
- 48- سعيد يقطين، مرجع سابق، ص 22.
- 49- نور الدين السد، مرجع سابق ص 26.
- 50 - Dominique Maingueneau, Analyser les textes de communication, édi
Nathan , Paris, 2000, p.38.
- 51 J, Moeshler, Argumentation et conversation, Paris: Hatier-credif 1985 p15-
19.
- 52- نور الدين السد، مرجع سابق ص 28.
- 53- بول ريكور، نظرية التأويل: الخطاب وفائض المعنى، ترجمة سعيد الغانمي، (ط1) بيروت، الدار البيضاء: المركز
الثقافي العربي، 2003، ص 13.
- 54- لمياء سامح السيد، المعالجة الصحفية للشؤون الخارجية في الطبعة الدولية لصحيفة الجيروزاليم بوست
الإسرائيلية، (رسالة ماجستير) جامعة القاهرة: كلية الإعلام، قسم الصحافة، 2001، ص 39.
- 55- جمال عبد العظيم أحمد، مرجع سابق، ص 119.
- 56- بول ريكور، نظرية التأويل، مرجع سابق، ص ص 42-52.
- 57- عبد القادر شرشار، تحليل الخطاب الأدبي، مرجع سابق، ص 21.

- 58- عبد الحميد بورايو، "القراءة من النص إلى الخطاب" مجلة التبیین، الجزائر: الجاحظية، العددان 13/12، 1998ص.48
- 59- جمال عبد العظيم أحمد، مرجع سابق، ص 119
- 60- لمياء سامح السيد، مرجع سابق، ص 40.
- 61 - مفتاح بن عروس، "وجهة الخطاب في سورة المؤمنون" مجلة اللغة والأدب: جامعة الجزائر، معهد اللغة العربية وآدابها العدد 12، ديسمبر 1997 مرجع سابق، ص 294.
- 62- المرجع نفسه، ص. 294
- 63- فان ديك،، Text and context 1977 ص3. في: محمد خطابي، لسانيات النص، مرجع سابق، ص 29.
- 64- تزييفطان، طودوروف، الشعرية، ترجمة: شكري المنجوت، ورجاء بن سلامة، (ط1) دار توبقال للنشر، 1987، ص.17
- 65- جمال عبد العظيم أحمد، مرجع سابق ص 120.
- 66- عبد القادر شرشار، "أهمية اللغة ووظائفها في عمليات التواصل: قراءة في كتاب "مدخل إلى التحليل اللساني، اللفظ - الدلالة- السياق" العربي قلايلية "إنسانيات: المجلة الجزائرية في الأنثروبولوجية والعلوم الاجتماعية العددان 18/17 ماي /ديسمبر 2002(مجلد 2، 3)، ص. 60
- 67- الزواوي بغورة، "بين اللغة والخطاب والمجتمع: مقارنة فلسفية اجتماعية" إنسانيات، العدد 18/17، مرجع سابق، ص 44.
- والاتجاه التداولي (البراجماتي) وهو الاتجاه الألسني المعاصر لدراسة اللغة عبر علاقتها بالسياق وهذا هو المعنى الواسع للسياق.
- 68- عبد الهادي الشهري، مرجع سابق، ص ص 21 - 22.
- 69- لمياء سامح السيد، مرجع سابق، ص 52.

دور الفيس بوك في تدعيم الحوار بين المنظمة والجمهور دراسة في إطار نظرية الاتصال الحواري (الجزء الأول)

حاتم علي حيدر الصالحي
اليمن/جامعة صنعاء

مقدمة:

شهد النصف الثاني من القرن العشرين تطورا غير مسبوق في مجال تكنولوجيا الاتصال، حيث اندمجت تكنولوجيا الحاسبات الآلية وتكنولوجيا الأقمار الصناعية وتكنولوجيا الإلكترونيات الدقيقة والوسائط المتعددة فأبرزت تكنولوجيا حديثة عالية الدقة قادرة على تخزين واسترجاع ونقل وتبادل المعلومات بين الأفراد والمنظمات وبسرعة عالية وتكلفة زهيدة، وتعتبر شبكة الإنترنت وخدماتها المتطورة وتطبيقاتها الذكية إحدى نتائج هذا الاندماج في عالم تكنولوجيا الاتصال والمعلومات، والتي شاعت شعبيتها وانتشرت خدماتها بشكل سريع على المستوى الفردي وعلى مستوى المنظمات، وأثرت على طريقة أداء المنظمات لعمليها، وممارسة الأفراد لوظائفهم؛ نظرا لإمكاناتها الهائلة في تخزين ومعالجة ونشر المعلومات على نطاق واسع، وإتاحة التفاعل والحوار بين الأفراد والمنظمات، وقدرتها على مد جسور التواصل إلى مساحات جغرافية ضخمة، وخلق مجتمعات من الناس كانت قبل ذلك مجموعات من الأفراد المنعزلة عن بعضها البعض.

وحيثما ظهرت مواقع الشبكات الاجتماعية على شبكة الإنترنت نتيجة للعديد من التطورات في مجال الاتصالات عبر الويب، وتعتبر مواقع الشبكات الاجتماعية إحدى تطبيقات Web2 الذي يعتمد على المستخدمين في مشاركة وخلق المحتوى، وجمعت هذه المواقع العديد من الأدوات الاتصالية في منصة اتصالية واحدة، ومواقع الشبكات الاجتماعية كما يعرفها Boyd & Ellison هي "خدمات عبر الويب تسمح للأفراد ببناء واجهة عامة أو شبه عامة داخل نظام

محدد، والتعبير والتحدث مع قائمة من الأشخاص الآخرين الذين يشتركون معهم في الاتصال ومشاهدة المرور بقائمة الاتصالات التي يدلى بها الآخرون داخل النظام" وتستخدم مواقع الشبكات الاجتماعية بشكل عام في الحفاظ على العلاقات الحالية والسابقة، من خلال تقديم سلسلة من الأدوات التي تنظم وتبقي العلاقات الحالية والسابقة على تواصل وبناء علاقات جديدة مع أشخاص جدد⁽¹⁾. وأدى ظهور مواقع الشبكات الاجتماعية إلى تغيير الدور الذي تقوم به المنظمات على اختلاف أنشطتها في التواصل مع الجمهور، الأمر الذي فرض على المنظمات المختلفة ضرورة التواجد على هذه الوسائل حتى تستطيع أن تقدم نفسها للجمهور بالصورة التي ترغب فيها والرد على أي انتقادات أو استفسارات⁽²⁾.

وتعتبر العلاقات العامة إحدى الوظائف الإدارية التي تأثرت بالتكنولوجيا التفاعلية الحديثة في ممارسة أنشطتها وتأدية وظائفها، حيث استخدمت المواقع الإلكترونية ومواقع الشبكات الاجتماعية في ملاحظة اتجاهات الرأي العام، ورصد القضايا، والوصول للجماهير الأساسية مباشرة وبدون وسيط"، كما استفادت منها في بناء العلاقات مع الجماهير المختلفة" والذي يشكل محور أنشطة العلاقات العامة المعاصرة، ذلك أن العلاقات العامة شهدت في السنوات القليلة الماضية تحولاً من التركيز على إدارة الاتصالات الذي أعتبر "جوهر العلاقات العامة سابقاً" إلى التركيز على بناء العلاقات، وقدم العديد من الباحثين مقاييس لتقييم بناء العلاقات بين المنظمات وجماهيرها عبر شبكة الإنترنت، ومنهم⁽³⁾ (Kent & Taylor) اللذان قدما "نظرية الاتصال الحوارية" وتتضمن النظرية خمسة مبادئ ترشد ممارسي العلاقات العامة نحو بناء علاقات ناجحة ومثمرة مع الجمهور عبر شبكة الانترنت.

وقد استخدمت شبكة الإنترنت كوسيلة للتواصل مع الجماهير، ومع ظهور مواقع الشبكات الاجتماعية حصلت المنظمات على فرص أكثر للتواصل مع الجماهير، ففي السنوات الأولى من شبكة الإنترنت لم تمتلك

الجماهير سوى فرصا محدودة لإبداء آراها وإقامة أي تفاعل مع المنظمات، لكن مع وصول الجيل الثاني للشبكة العنكبوتية العالمية (web2) في أوائل القرن الحادي والعشرين، حدثت تغييرات كبيرة في العلاقة بين المنظمات والجمهور، حيث ساهم (web2) في تطوير التفاعل والتفاوض بين المنظمة والجمهور، وبهذا فتح الطريق أمام الاتصال التفاعلي الكامل، وعزز العلاقات الحوارية بين المنظمات والجماهير كما سهل الاتصالات متعددة الاتجاهات، وعزز التحول من علاقات التنسيق بين المنظمة والجمهور نحو علاقات متعددة الاتجاهات بين المنظمة والجمهور، وكذلك بين أعضاء من نفس المستوى العام وبين جماهير مختلفة⁽⁴⁾.

وتمثل مواقع الشبكات الاجتماعية مصدرا للكثير من المعلومات والمعاني التي يحملها الأفراد عن منتجات وخدمات المنظمات، وتلعب دورا مهما في رفع الوعي بالعلامات التجارية وإقامة حوار مع العملاء، وتزداد أهميتها عندما تتعرض المنظمات لأزمات قد يؤدي التعامل معها برؤى استراتيجية قاصرة وخطط تسويقية تقليدية إلى زيادة حدتها والتأثير على سمعة الشركات⁽⁵⁾. وتقدم مواقع الشبكات الاجتماعية أشكالا متطورة من المضمون (نص، نص وصورة، فيديو) هذه الأشكال تعد أكثر جاذبية واستمالة من الأشكال المقدمة في الوسائل الإعلامية الأخرى التي تستخدمها المنظمات، كما تتيح هذه المواقع تفاعلية عالية بين المنظمات وجمهورها، وإشراك مجموعات المصالح في الحوار مع المنظمات لمناقشة القضايا التي تهم كلا الطرفين، لذا تعد التفاعلية واستراتيجية بناء العلاقات عبر هذه المواقع من المؤشرات الهامة عند قياس فاعلية هذه المواقع في بناء العلاقات بين المنظمات وجماهيرها⁽⁶⁾.

تحديد مشكلة الدراسة:

تزايد الاهتمام من قبل الباحثين والممارسين في مجال العلاقات العامة خلال السنوات الأخيرة بشبكة الإنترنت وتطبيقاتها التفاعلية من مواقع إلكترونية وشبكات اجتماعية، وتوظيف هذه الوسائل التفاعلية في بناء

العلاقة بين المنظمات والجماهير؛ نظرا لطبيعة الضغوط المتزايدة التي تواجهها منظمات اليوم وحاجتها المستمرة للتواصل مع الجمهور من أجل البقاء والاستمرار ومواجهة المنافسة، وفي اليمن لاحظ الباحث اتجاه العديد من المنظمات العاملة في اليمن نحو استخدام موقع الفيس بوك في نشر أخبار وأنشطة المنظمات والتسويق لمنتجاتها وخدماتها، والتفاعل مع زوار الصفحات من خلال التعليقات والرد عليها، وهذا بدوره حفز الباحث لإجراء دراسة تقيم مدى استفادة المنظمات العاملة في اليمن من هذه الوسائل التفاعلية في الحوار وبناء العلاقة مع الجمهور كأحد أهم أنشطة العلاقات العامة المعاصرة ومن هنا تسعى هذه الدراسة إلى "رصد وتقييم دور الفيس بوك في تدعيم التفاعل والحوار بين المنظمات العاملة في اليمن وجماهيرها، من خلال تحليل صفحات الفيس بوك لعينة من المنظمات، ورصد أبعاد التفاعلية ومؤشرات الاتصال الحواري التي تمثل نقطة الانطلاق نحو بناء علاقات جيدة ومثمرة بين المنظمات والجمهور"

أهمية الدراسة:

تنبع أهمية الدراسة من جانبين:

الجانب الأول/الأهمية العلمية: تتناول الدراسة موضوع حديث ومهم وهو رصد وتحليل صفحات الفيس بوك للمنظمات من منظور الاتصال الحواري، وهذا الموضوع امتدادا للدراسات التي تناولت تحليل مبادئ الاتصال الحواري في المواقع الإلكترونية للمنظمات والتي أشارت إلى أن المنظمات لا تستخدم web1 بشكل كاف لتوليد الاتصالات الحوارية،⁽⁷⁾ لذا تحاول هذه الدراسة التحقيق في مدى قدرة الفيس بوك كأحد تطبيقات web2 في تحقيق الاتصال الحواري بين المنظمات وجماهيرها، ومن هنا تأتي الأهمية العلمية للدراسة كونها تتناول موضوع حديث يمثل إضافة علمية لمسار الدراسات العلمية التي تناولت الاتصال الحواري عبر شبكة الإنترنت.

الجانب الثاني/ الأهمية المجتمعية: تقدم الدراسة تقييما لاستخدام المنظمات العاملة في اليمن للفيس بوك في تدعيم التفاعل والحوار وبناء

العلاقة مع الجمهور؛ لذا فإن نتائج هذه الدراسة تفيد القائمين على هذه المنظمات في معرفة جوانب القصور وامكانية تلافيمها لما من شأنه تدعيم الحوار وبناء علاقات جيدة مع الجمهور عبر موقع الفيس بوك.

أهداف الدراسة:

تسعى الدراسة إلى تحقيق الأهداف الآتية:

- 1- التعرف على نوعية المضامين التي تتناولها صفحات الفيس بوك للمنظمات العاملة في اليمن.
- 2- معرفة الجماهير المستهدفة من المضامين المنشورة عبر صفحات الفيس بوك للمنظمات العاملة في اليمن.
- 3- رصد الاستراتيجيات الاتصالية المستخدمة في صفحات الفيس بوك للمنظمات العاملة في اليمن.
- 4- الكشف عن مؤشرات الاتصال الحوارية في صفحات الفيس بوك للمنظمات العاملة في اليمن

استعراض التراث العلمي في مجال الدراسة:

أ/ عرض الدراسات السابقة

تم تقسيم التراث العلمي في مجال الدراسة إلى محورين، هما: المحور الأول يتضمن الدراسات التي تناولت استخدام مواقع الشبكات الاجتماعية في ممارسات العلاقات العامة، أما المحور الثاني فيتضمن الدراسات التي تناولت الاتصال الحوارية عبر مواقع الشبكات الاجتماعية.

المحور الأول: الدراسات التي تناولت استخدام مواقع الشبكات الاجتماعية في ممارسات العلاقات العامة:

تنوعت أهداف الدراسات التي تناولت استخدام مواقع الشبكات الاجتماعية للمنظمات، حيث هدفت بعض هذه الدراسات الى التعرف على استراتيجيات اتصالات المنظمات عبر هذه المواقع ومنها دراسة⁽⁸⁾ (Waters et al, 2009) التي سعت إلى معرفة استخدام المنظمات غير الربحية لمواقع الشبكات الاجتماعية في تعزيز ودعم رسالة وبرامج المنظمة وذلك من خلال

تحليل محتوى 275 صفحة فيس بوك لمنظمات غير ربحية، ووجدت الدراسة بأن "استراتيجية الشفافية" كانت الأكثر استخداما في صفحات الفيس بوك للمنظمات غير الربحية المدروسة، فيما استخدمت استراتيجيتي "نشر المعلومات" و"الانغماس أو التفاعل" بشكل قليل ومتفاوت في القطاعات الفرعية للمنظمات غير الربحية. كما سعت دراسة⁽⁹⁾ (Hovey, 2010) الى معرفة الاستراتيجيات التي توظفها المنظمات غير الربحية في بناء العلاقات مع الجماهير من خلال وسائل الإعلام الاجتماعي، وأشارت النتائج إلى أن نجاح استراتيجيات بناء العلاقة بين المنظمة وجماهيرها يعتمد الى حد كبير على أربعة عوامل هي: وجهة نظر الجمهور عن أهمية الإنترنت مقابل التفاعل عليه، ومدى قدرة المحتوى المنشور على المواقع على جذب اهتمامات الجمهور، ومدى وعي الجمهور بوجود المواقع، ومستوى سهولة وصول الجمهور إلى هذه المواقع. وتناولت دراسة⁽¹⁰⁾ (Sisco & McCorkindale, 2013) تأثير استخدام مواقع الشبكات الاجتماعية على إدراك شفافية ومصداقية المنظمة وذلك من خلال تحليل استراتيجيات الاتصال (الشفافية والمصداقية) على صفحات الفيس بوك وحسابات تويتر لـ (مراكز مكافحة سرطان الثدي)، وتوصلت النتائج الى وجود علاقة طردية بين فعالية المنظمات على الفيس بوك وتويتر وبين شفافية ومصداقية المنظمة، حيث وجد بأن المنظمات التي تمتلك معجبين ومتابعين كثير والأكثر نشرا على الفيس بوك وتويتر تعد أكثر شفافية ومصداقية عن غيرها من المنظمات الأقل نشاطا على الفيس بوك وتويتر، كما كشفت النتائج عن وجود علاقة طردية قوية بين مصداقية المنظمة وشفافيتها، فالمنظمات التي تبدو أكثر شفافية تزيد درجة مصداقيتها.

أما دراسة⁽¹¹⁾ (DiStaso & McCorkindale, 2013) فاستهدفت تحليل مضمون مواقع الشبكات الاجتماعية لـ 250 شركة اتصالات تم اختيارها من قائمة الشركات العالمية على تصنيف (Fortune 2011)، وتوصلت الدراسة إلى أن 58% من الشركات استخدمت التكامل بين مواقع الشبكات الثلاث (الفيس

بوك، وتويتر، ويوتيوب) عن طريق وضع روابط لكل موقع على المواقع الأخرى، فيما وضعت 30% من الشركات سياسة لاستخدام وسائل الإعلام الاجتماعي، واستخدمت حوالي نصف العينة الحلقات الحوارية، كما أن رغبة مجموعات المصالح في المشاركة كانت أكثر ظهوراً على الفيس بوك ثم تويتر ثم اليوتيوب.

وفي مجال استخدام المنظمات لمواقع الشبكات الاجتماعية في التواصل مع العملاء، كشفت دراسة (إنجي أبو سريع، 2011)⁽¹²⁾ عن استفادة شركة العربي من صفحتها على الفيس بوك في تجميع معلومات وبيانات عن العملاء التي تتعامل معهم بشكل أكبر من توظيف صفحتها في التواصل مع العملاء، فيما استفادت شركة راديو شاك من صفحتها على الفيس بوك في التواصل مع العملاء، كما استخدمت الشركتان موقع تويتر ويوتيوب في نشر أخبار الشركة ووضع مقاطع مصوره لمنتجاتهما.

واتجهت بعض الدراسات التحليلية نحو التعرف على استخدام المنظمات لمواقع الشبكات الاجتماعية في التسويق والمسؤولية الاجتماعية، ومنها دراسة⁽¹³⁾ (Park et al , 2011) التي استهدفت التعرف على كيفية استخدام المنظمات الصحية للميزات التفاعلية في موقع الفيس بوك للترويج وإدارة العلامة التجارية، وأظهرت النتائج أن المنظمات الصحية غير الربحية أكثر نشاطاً في النشر على الفيس بوك عن غيرها من المنظمات الصحية الأخرى، يليها المدارس الصحية، ثم المنظمات الصحية الحكومية، ثم المنظمات الصحية التجارية، وأخيراً المستشفيات، كما كرست مؤسسات الرعاية الصحية اهتماماً كبيراً بتكامل وسائل الإعلام الاجتماعي (كاليوتيوب وفليكر وتويتر والمدونات) مع الفيس بوك، كما أشارت النتائج إلى أن المنظمات الصحية تستخدم تكتيكات الإعلان والتميز التجاري بشكل استراتيجي لإدارة الصورة والترويج للعلامة التجارية. وسعت دراسة (سلوى العوادلي، 2012)⁽¹⁴⁾ إلى معرفة استخدام الشركات للوسائل الاجتماعية في حملاتها التسويقية، وأجريت الدراسة على ست شركات تعمل في مصر باستخدام منهجي المسح ودراسة الحالة، وتوصلت الدراسة إلى أن الشركات المدروسة

استفادت من خاصية التفاعلية التي يتيحها الفيس بوك عن طريق التعليقات والمنتديات الإلكترونية والحساب الإلكتروني الخاص بالفرد على الفيس بوك، وأتاحت الشركات خاصية رفع الصور وتحميل مقاطع الفيديو على صفحاتها، واستطلاع رأي الجمهور، ولم تستغل أغلب الشركات إمكانيات تويتر، فيما استفادت معظم الشركات من موقع يوتيوب في نشر إعلاناتها بالفيديو مع قلة الصور الإعلانية والجرافيك Graphic، وبروز الكثير من التعليقات التي قد تكون ايجابية للشركة وأحيانا سلبية. وهدفت دراسة⁽¹⁵⁾ (McCorkindale , 2010) الى تحليل محتوى صفحات الفيس بوك لـ 50 شركة من قائمة شركات (Fortune)، من أجل التعرف على كيفية استخدام هذه الشركات للفيس بوك، وأشارت النتائج إلى أن 58% من الشركات نشرت شعارها على صفحاتها بالفيس بوك، ونشرت شركة واحدة فقط هي "شركة بروكتر أند جامبل" وصفا للصفحة وقوانين استخدامها من قبل الأعضاء والمعجبين، ولم تستفد العديد من الشركات من إمكانية الفيس بوك في الاتصال ثنائي الاتجاه مع الجماهير، ومعظم المنشورات على الصفحة تم نشرها من قبل الأعضاء والجماهير وليس من قبل الشركات، كما أن عددا قليلا من الشركات استخدمت الفيس بوك كوسيط لنشر معلومات حول أنشطة المسؤولية الاجتماعية، وعلاقتها بالمجتمع.

وتناولت دراسة⁽¹⁶⁾ (Nah & Saxton, 2013) العوامل المؤثرة على تبني واستخدام المنظمات لوسائل الإعلام الاجتماعي، وتقوم الدراسة على نموذج يتكون من أربعة عوامل هي: (الاستراتيجية - والقدرة - والحوكمة - والبيئة)، وأجريت الدراسة على عينة قوامها 100 شركة أمريكية كبرى تم اختيارها من قائمة أفضل 100 منظمة غير ربحية للعام 2008م The most recent version (2008) of the 'Nonprofit Times 100' list وتوصلت الدراسة إلى أن جمع الأموال "التبرعات" للمنظمات غير الربحية يتأثر سلبا بمعدل تكرار استخدام المنظمات لوسائل الإعلام الاجتماعي من حيث حجم الرسالة والاشتراك في الحوار، كما أشارت النتائج إلى أن الحوكمة تلعب دورا فعالا

في تبني المنظمات غير الربحية لوسائل الإعلام الاجتماعي، كما تلعب عوامل خارجية دورا مهما في تبني المنظمات لوسائل الإعلام الاجتماعي ومنها ضغوط مجموعات المصالح.

المحور الثاني: الدراسات التي تناولت الاتصال الحوارية عبر مواقع الشبكات الاجتماعية.

وفي هذا المحور أجريت بعض الدراسات التي هدفت لاستكشاف مدى توفر مؤشرات الاتصال الحوارية عبر مواقع الشبكات الاجتماعية، وتعد هذه الدراسات امتدادا للدراسات التي أجريت على المواقع الإلكترونية والتي طبقت مبادئ الاتصال الحوارية لـ (Kent & Taylor)، حيث توفر مواقع الشبكات الاجتماعية أدوات تفاعلية تزامنية وغير تزامنية للتفاعل بين المنظمات والجمهور، وفي هذا الإطار سعت دراسة⁽¹⁷⁾ (Waters , 2011) إلى اختبار استخدام المراكز الصحية بالجامعات الأمريكية للحوار والمشاركة على مواقع الشبكات الاجتماعية لتثقيف الطلاب حول القضايا الصحية، واعتمدت الدراسة على تحليل محتوى صفحات الفيس بوك للمراكز الصحية، وتم سحب عينة الدراسة من قائمة مؤسسة كارنيجي (Carnegie) للجامعات المانحة للدكتوراه، وتم التوصل إلى أن 51% من الجامعات المانحة للدكتوراه تمتلك مراكزها الصحية حضورا على الفيس بوك، وأشارت النتائج إلى أنه بالرغم من أن المراكز الصحية للجامعات بدأت تتخذ خطوات نحو الأمام للدخول في حوار مع الجمهور عبر الإنترنت ؛ إلا أنها لم تستخدم الفيس بوك بدرجة عالية وبطريقة فعالة في الحوار مع الجمهور، ومن المبادئ الحوارية الخمسة جاء مؤشر توفير معلومات مفيدة أكثر استخداما من قبل المراكز الصحية، يليه مؤشر الحفاظ على الزوار، فيما جاء مؤشر تكرار الزيارة في المرتبة الأخيرة.

وتناولت دراسة⁽¹⁸⁾ (Muckensturm , 2013)، الكشف عن استخدام الفنادق لوسائل الإعلام الاجتماعي وتحديد الفيس بوك في عملية الاتصال الحوارية مع العملاء، وحللت الدراسة 34 صفحة فيس بوك لفنادق مختلفة،

وتوصلت الدراسة إلى بروز مؤشر توفير معلومات مفيدة للعملاء في المرتبة الأولى ضمن مؤشرات الاتصال الحواري التي تستخدمها الفنادق عبر منشوراتها على الفيس بوك بنسبة 81.7%، يليه مؤشر الحلقات الحوارية التفاعلية بنسبة 67.4%، ثم مؤشر الحفاظ على الزوار بنسبة 50.2%، فيما ظهر مؤشر تشجيع العملاء على تكرار الزيارة بنسبة ضعيفة 29.3%، كما وجدت الدراسة ارتباط طردي دال احصائيا بين مؤشري توفير المعلومات المفيدة وتكرار الزيارة من جهة مع المكانة التسويقية للفنادق المدروسة. فيما تناولت دراسة⁽¹⁹⁾ (Rybalko & Seltzed, 2010) موقعا آخر من مواقع الشبكات الاجتماعية وهو موقع التدوين المصغر "Twitter" واختبرت استخدام شركات (Fortune500) للاتصال الحواري وبناء العلاقات مع مجموعات المصالح عبر موقع تويتر، وطبقت الدراسة على 93 شركة، كما حللت 930 تغريدة "تدوينة"، وتوصلت إلى أن المنظمات التي لديها توجه نحو استخدام الحوار وظفت مبدأ الحفاظ على الزوار بدرجة أكبر ومبدأ معاودة الزيارة بدرجة أقل من المنظمات التي ليس لديها توجه بالحوار.

أما دراسة⁽²⁰⁾ (Kemna , 2013) فقد سلطت الضوء على استخدام الشركات المعتمدة على التكنولوجيا الجديدة " New Technology-based Firms " للاتصالات الحوارية عبر تويتر، وفي الدراسة تم اختيار 89 شركة تعتمد على التكنولوجيا كعينة للدراسة، وأشارت النتائج إلى أن الشركات الكبيرة أفضل استخداما للاتصال الحواري من الشركات صغيرة الحجم، وأداء الاتصال الحواري يتم بشكل أفضل من خلال الاستماع أكثر من الاعتماد على النشر، وكشفت نتائج الدراسة عن وجود تأثير لحجم الشركة على تحقق فاعلية الاتصال الحواري، كما أوضحت أن الاتصال الحواري يتحقق بشكل أفضل من خلال الحلقات الحوارية وليس فقط من خلال توفير معلومات مفيدة للجمهور.

وتناولت دراسة⁽²¹⁾ (Hether , 2014) تحليل مضمون مواقع الشبكات الاجتماعية لإحدى أكبر منظمات الرعاية الصحية في الولايات المتحدة

الأمريكية قيصر بيرمانينت (Kaiser Permanente)، وتوصلت الدراسة إلى تصدر مؤشر معاودة الزيارة المرتبة الأولى، وظهر مؤشر الحفاظ على الزوار بنسبة ضعيفة 13%، ويرى القائمون بالاتصال بأن استخدامهم لهذه المواقع جاء من أجل نشر المعلومات للجماهير الأساسية والدخول في حوار معهم.

وبناء على ما تضمنه العرض السابق للدراسات التي اهتمت بتناول استخدام مواقع الشبكات الاجتماعية في ممارسات العلاقات العامة ورصد مؤشرات الاتصال الحواري عبر هذه المواقع فقد استفاد الباحث من مراجعة دراسات المحورين في تصميم مقياس لمؤشرات الاتصال الحواري عبر صفحات الفيس بوك للمنظمات العاملة في اليمن، والتعرف على مدى استفادة المنظمات من القدرات الحوارية والتفاعلية لموقع الفيس بوك في تدعيم التفاعل والحوار وبناء العلاقة مع الجمهور.

ب/التعقيب على الدراسات السابقة:

تباينت أهداف الدراسات السابقة، حيث ركزت بعضها على رصد وتقييم التفاعل والحوار بين المنظمات وأصحاب المصالح المرتبطة بها عبر مواقع الشبكات الاجتماعية، فيما هدفت دراسات أخرى إلى تحليل الاستراتيجيات الاتصالية المستخدمة عبر هذه المواقع، وسعت دراسات أخرى لمعرفة استخدام هذه المواقع في الحملات وتخطيط الأزمات، وتجمع الدراسة الحالية بين أكثر من هدف من الأهداف التي تناولتها الدراسات السابقة في محاولة لدراسة الظاهرة من جوانب متعددة.

أثبتت الدراسات السابقة تبني واسع لمواقع الشبكات الاجتماعية في مجال العلاقات العامة واستخدامها في نشر معلومات وأخبار عن المنظمات وتوضيح سياساتها وأهدافها ومنتجاتها وخدماتها، ووجدت بعض الدراسات قصور في التفاعل وعدم استغلال المنظمات للإمكانات التفاعلية لهذه المواقع بشكل كافي للانخراط في حوار مع الجمهور.

بالرغم من كثرة الدراسات الأجنبية التي اهتمت بتحليل مواقع الشبكات الاجتماعية للمنظمات من منظور وظائف العلاقات العامة؛ إلا أن هناك ندرة كبيرة في الدراسات العربية التي تناولت الاستخدام المهني لهذه الشبكات من قبل المنظمات في تدعيم الحوار وبناء العلاقة مع الجمهور.

استفاد الباحث من عرض الدراسات السابقة في التعرف على المقاييس والمناهج والنظريات المستخدمة، وهذا أفاد الباحث في توظيف النظرية المناسبة واختيار الإجراءات المنهجية الملائمة للدراسة الحالية.

المداخل النظرية للدراسة:

نظرية الاتصال الحوارية:

تعود نظرية الاتصال الحوارية في العلاقات العامة إلى الباحثين (Kent and Taylor)، حيث قدما النظرية في العام 1998م عبر دورية (Public Relation Review)، وأشار الباحثان إلى أن الهدف من هذه النظرية هو تسهيل بناء العلاقات بين المنظمات وجماهيرها من خلال شبكة "الإنترنت"، حيث أن المواقع الإلكترونية للمنظمات تخدم وظائف العلاقات العامة، وتقدم فرصا جيدة للبحث عن الجماهير ونشر المعلومات والاستجابة السريعة لمشاكل المنظمات وأزماتها، كما تقدم شبكة الإنترنت لممارسي العلاقات العامة قنوات متعددة تساعد على حدوث التفاوض بين المنظمة والجمهور⁽²²⁾.

ويعتبر الحوار النموذج الأمثل في ممارسات العلاقات العامة الأخلاقية، ويقدم أفضل طريقة عملية لبناء العلاقات بين المنظمات وجماهيرها⁽²³⁾، وأشار Kent & Taylor عند تقديم مصطلح "العلاقات الحوارية" إلى ظهور نموذج جديد من الاتصال التفاعلي بين المنظمة وجمهورها، وأن العلاقات الحوارية توجد عندما تتساوى كل أطراف عملية الاتصال في المشاركة، وتشترك في الحوار الذي يوجه نحو بناء العلاقات⁽²⁴⁾، ويعرف الحوار وفقا لـ قاموس مريام (Merriam- Webster 2008) بأنه: المحادثة بين شخصين، وكلمة حوار أتت من الكلمة اللاتينية dialogues في القرن الثالث عشر، وتعود أول الاستخدامات الفلسفية للحوار إلى الفيلسوف أرسطو، وحديثا برزت هذه

الكلمة في العام م1957 في الأعمال الكلاسيكية " أنا وأنت " ل Martin Buber، والتي عرفت الحوار بأنه " وجود سمات المعاملة بالمثل، والتبادلية والمشاركة والانفتاح"⁽²⁵⁾، والاتصال الحوارى وفقا ل Kent and Taylor: هو "تبادل للأفكار والآراء يقوم على أساس التفاوض"، كما أن الأفراد الذين يشتركون في الحوار ليس بالضرورة أن يصلوا إلى اتفاق في ما يتحاورون حوله، لكنهم يشتركون في وجود استعداد لديهم في الوصول إلى اتفاق⁽²⁶⁾.

مبادئ نظرية الاتصال الحوارى عبر شبكة الإنترنت:

تقدم شبكة الإنترنت لممارسى العلاقات العامة فرصة لبناء علاقات ديناميكية ودائمة مع الجماهير، وذلك يتطلب إدراج حلقات حوارية ضمن صفحات المواقع الإلكترونية، وفهم كيفية توظيف هذه المواقع لبناء تلك العلاقة، وقد قدم Kent and Taylor خمسة مبادئ للتكامل الناجح بين العلاقات العامة الحوارية والشبكة العنكبوتية العالمية WWW، والتي تساعد ممارسى الاتصال في بناء علاقات حوارية مع الجمهور عبر شبكة الإنترنت، هذه المبادئ هي:

1- المبدأ الأول: سهولة استخدام الموقع (Ease of interface): ينبغي أن يجد الزوار الذين يدخلون الموقع لأغراض المعلومات أو لأغراض الفضول سهولة في الفهم والحركة داخل الموقع، ولا ينبغي أن يتبع الزوار روابط عشوائية لاستكشاف المعلومات التي يتضمنها الموقع.

2- المبدأ الثانى: تقديم معلومات مفيدة للجمهور (The usefulness of information): ينبغي أن يقدم الموقع معلومات ذات قيمة عامة لكل الجماهير، حيث أن الجماهير أصبحت تعيد زيارتها للموقع من أجل الحصول على معلومات مفيدة وصادقة؛ لذا ينبغي على القائمين على الموقع تزويد زوار الموقع بالمعلومات الآتية: (عنوان التواصل وأرقام الهواتف، عنوان البريد الإلكتروني لأعضاء المنظمة وخبرائها الخارجيين، وتوضيح كيف تتم عملية إنتاج السلع والخدمات المقدمة، وقائمة بالمكونات الرئيسية في صناعة المنتجات، وشرح هذه المكونات وتوضيح أثارها الجانبية).

3- المبدأ الثالث: تكرار الزيارة (The generation of return visits): ينبغي أن يتضمن الموقع مزايا تجعله جذابا لتكرار زيارته، مثل المعلومات المحدثة، والقضايا المتغيرة، والمنتديات الخاصة، وتخصيص جزء من الموقع لطرح الأسئلة وتوفير خبراء للرد عليها، ومن الأدوات الأخرى التي تشجع على إعادة زيارة الموقع نشر الأسئلة المتكررة والرد عليها، وسهولة تحميل المعلومات وإرسالها، وتوفير المعلومات التقنية والمتخصصة التي يتم طلبها عبر البريد العادي والإلكتروني، وإتاحة روابط الوكالات المحلية ومزودي المعلومات.

4- المبدأ الرابع: الحفاظ على الزوار (Conservation of visitors): ينبغي على مصممي الموقع أن يكونوا حريصين بشأن الروابط التي تضلل الزوار، ذلك أن الزوار يأتون الموقع للحصول على ما يقدمه الموقع وليس للتسوق في المواقع الأخرى، وعندما يغادر الزائر الموقع من خلال رابط ما فإنه لن يعود للموقع مرة ثانية، لذا ينبغي أن يتضمن الموقع الروابط الهامة مع وضع علامات واضحة تحدد مسار الزائر وتمكنه من العودة للموقع ومن الخصائص الأخرى التي تساعد على الحفاظ على الزوار تقديم معلومات مهمة ورسائل تتعلق بالمنظمة في الصفحة الرئيسية للموقع، وسرعة التحميل، ونشر تاريخ آخر تحديث للموقع.

5- المبدأ الخامس: الحلقة الحوارية (The dialogic loop): تعد الحلقات الحوارية نقطة البداية للاتصال الحوارية بين المنظمة والجمهور، فهي تسمح للجمهور بطرح الأسئلة والأهم من ذلك أنها تسمح للمنظمة بالرد على تلك التساؤلات والمشكلات التي يطرحها الجمهور. وفي إطار هذا المبدأ ثمة أمران ضروريان هما، الأمر الأول: ينبغي للمنظمات التي ترغب في إنشاء اتصال حوارية مع الجمهور من خلال الإنترنت أن تدرب أعضاء في المنظمة للرد على الاتصال الإلكتروني، حيث تكمن الخطورة في أن أعضاء المنظمة قد يكونوا محترفين فنيا في تصميم المواقع الإلكترونية؛ لكن ليس لديهم المهارات في معالجة اهتمامات الجمهور والرد على استفساراتهم، وحتى يتم تفادي هذه المشكلة ينبغي أن يتم تدريب الأفراد الذين يعملون على هذه المواقع على

إجابة التساؤلات وتوضيح سياسة المنظمة ومهارات الاتصال الضرورية للتعامل مع الأسئلة الصعبة واهتمامات الجمهور. الأمر الثاني: ينبغي أن تكون حلقات الحوار المتضمنة في المواقع الإلكترونية مكتملة، بمعنى أن يكون هناك شخص متاح للرد على اهتمامات الجمهور⁽²⁷⁾

شكل رقم (1) مبادئ الاتصال الحوارية

المستويات التمهيدية



المستويات العليا

وعن تطبيق هذه النظرية في الدراسة الحالية، تم توظيف مبادئ الاتصال الحوارية الخمسة التي ذكرتها النظرية في الدراسة التحليلية، حيث تم بناء مقياس لظهور مؤشرات الاتصال الحوارية في صفحات الفيس بوك للمنظمات العاملة في اليمن، كما تم تطوير عبارات المقياس بالاستفادة من الدراسات السابقة التي اختبرت النظرية وبما بلائم الدراسة الحالية.

تساؤلات الدراسة:

- 1- ما نوعية المضامين التي تتناولها صفحات الفيس بوك للمنظمات العاملة في اليمن؟
- 2- ما الجماهير المستهدفة من مضامين صفحات الفيس بوك للمنظمات العاملة في اليمن؟
- 3- ما الوسائط المتعددة المستخدمة في صفحات الفيس بوك للمنظمات العاملة في اليمن؟

- 4- ما الاستراتيجيات الاتصالية المستخدمة في عرض مضامين صفحات الفيس بوك للمنظمات العاملة في اليمن؟
- 5- ما أهم مؤشرات الاتصال الحوارية المتوفرة في صفحات الفيس بوك للمنظمات العاملة في اليمن؟

فروض الدراسة:

الفرض الأول: توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين المنظمات الربحية والمنظمات غير الربحية في ممارسة الاستراتيجيات الاتصالية على صفحاتها بالفيس بوك.

الفرض الثاني: توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين المنظمات الربحية وغير الربحية في درجة ظهور مؤشرات الاتصال الحوارية على صفحاتها بالفيس بوك.

الإجراءات المنهجية:

أ/ نوع الدراسة: تنتمي هذه الدراسة إلى نوعية الدراسات الوصفية التي تستهدف دراسة الحقائق الراهنة حول ظاهرة أو موقف معين بهدف الحصول على معلومات كافية ودقيقة عنها، وهذه النوعية من البحوث تتجه إلى دراسة الظاهرة كما هي أي في ظل الظروف التي تتواجد عليها⁽²⁸⁾، حيث تستهدف هذه الدراسة التعرف على استخدام الفيس بوك في ممارسة أنشطة العلاقات العامة، من خلال وصف محتوى صفحات المنظمات في الفيس بوك من منظور الاتصالات التفاعلية والحوارية عبر شبكة الإنترنت

ب/ منهج الدراسة: تعتمد هذه الدراسة في جمع بياناتها وتفحص معلوماتها بطريقة علمية ومنظمة على منهج المسح وفي إطاره تم استخدام مسح الوسيلة الإعلامية "الفيس بوك" بهدف تحليل ووصف محتوى صفحات الفيس بوك التابعة للمنظمات العاملة في اليمن للتعرف على مدى تحقيقها للحوار والتفاعل مع الجمهور.

ج/مجتمع الدراسة: تحدد مجتمع الدراسة التحليلية في المنظمات العاملة في اليمن والتي تمتلك صفحات على موقع الفيس بوك.

د/عينة الدراسة: أجرى الباحث دراسة استطلاعية في شهري أغسطس وسبتمبر 2014م، وكان الهدف من هذه الدراسة حصر المنظمات العاملة في اليمن والتي تمتلك صفحات رسمية على موقع الفيس بوك، ومدى نشاط وتحديث المعلومات عبر هذه الصفحات، من أجل الإلمام بمدى استحقاق الظاهرة للدراسة، وتم البحث في الأدلة الحكومية، ومنها "بوابة الحكومة الإلكترونية اليمنية" ودليل "منظمات المجتمع المدني"، ودليل "الشركات التجارية في اليمن"، وموقع " (29) (www.socialbakers.com)،، والبحث أيضا عبر محرك البحث جوجل،، وتم حصر المنظمات التي تمتلك صفحات بالفيس بوك- وتم استبعاد جميع صفحات الفيس بوك التي أنشأها الموظفون أو أشخاص آخرين والتي لا تعبر عن رأي المنظمات - وقد أختار الباحث منها 50 منظمة بأسلوب العينة العمدية/الغرضية (كونها أسلوب مناسب لاختيار المفردات التي تلي أغراض الدراسة) لتحليل صفحاتها على الفيس بوك، ووفقا للعينة العمدية يقوم الباحث باختيار مفردات العينة حسب سمات محددة، ويستبعد من لا تتوفر فيهم هذه السمات (30)، وقد تم اختيار العينة من قائمة المنظمات التي تم حصرها في الدراسة الاستطلاعية بناء على الشروط التالية:

- أن تكون صفحات الفيس بوك الخاصة بالمنظمات نشطة، بمعنى أن يتم تحديث محتواها بشكل مستمر
- مراعاة تنوع طبيعة نشاط المنظمة (ربحية - وغير ربحية)
- مراعاة تمثيل مختلف القطاعات الصناعية والتجارية والخدمية (تعليمية - صحية - منظمات خيرية - بنوك ومصارف - اتصالات - هيئات ومؤسسات حكومية).

ه/ أداة جمع البيانات: تم الاعتماد على صحيفة تحليل مضمون في جمع بيانات الدراسة، وقد تم تصميم الأداة بالاستفادة من الدراسات السابقة، ونظرية الاتصال الحوارية.

و/ وحدة التحليل: وحدة التحليل أو الترميز هي أصغر جزء في المحتوى يختاره الباحث ويخضعه للعد والقياس، ويعبر ظهوره أو غيابه وتكراره عن دلالة معينة في رسم نتائج التحليل⁽³¹⁾، ووحدة التحليل في المواقع على شبكة الإنترنت هي الموقع نفسه، لكن بعض الباحثين يقتصر على تحليل الصفحة الافتتاحية باعتبارها الوحدة المثالية للتحليل، فيما يرى آخرون ضرورة تحليل الموقع كاملاً مهما بلغت صفحاته، وهو ما وصفته ماكميلان McMillan بأنه مدخل أكثر شمولاً لتعريف وحدة التحليل⁽³²⁾، وفي هذه الدراسة تم استخدام صفحة الفيس بوك بجميع صفحاتها (الإخبارية، والشخصية، والصور، واليوميات وغيرها) كوحدة للتحليل: نظراً لأن بعض الخصائص التفاعلية قد تتوافر في الصفحات الداخلية للصفحة.

ز/ إختبارات الصدق والثبات:

للتأكد من صلاحية صحيفة تحليل المضمون ومدى تحقيقها لأهداف الدراسة، تم إجراء الاختبارات التالية

1- الصدق الظاهري "صلاحية المحتوى": ويفترض هذه الأسلوب من أن الأداة تقيس الظاهرة التي يهدف الباحث إلى دراستها بكفاءة⁽³³⁾، وللتأكد من صلاحية المحتوى، فقد تم التأكد من تناول استمارة التحليل مجموعة من المحاور التي تعبر عن أهداف الدراسة، ومن ثم تم عرض الاستمارة مع مشكلة وأهداف وتساؤلات الدراسة على مجموعة من المحكمين⁽³⁴⁾.

2- الثبات: ويقصد بالثبات تحقيق درجة عالية من الاتفاق والدقة بين مكونات أداة القياس⁽³⁵⁾ وللتأكد من ثبات أداة الدراسة تم إعطاء باحث آخر خمس صفحات فيس بوك، أي ما نسبته 10% م* 2 من عينة الدراسة لإجراء التحليل عليها، ومعها تعريفات الفئات وباستخدام معادلة هولستي:

معامل الثبات =

$$\frac{2n}{2n + 1}$$

م = عدد الحالات المتفق عليها

ن1 = عدد الحالات التي قام بتمييزها المرمز (المحكم) الأول

ن2 = عدد الحالات التي قام بتمييزها المرمز (المحكم) الثاني

وبتطبيق المعادلة تم التوصل للنتيجة التالية:

$$\text{معامل الثبات} = \frac{2 * 99}{120 + 120} = 82.5\%$$

وتكشف النتيجة عن معدن بباب مريض يودد ثبات الاستثمارة وصلاحيتهما

للتحليل

ح/ المعالجة الإحصائية:

تم استخدام برنامج الحزم الاحصائية في الدراسات الاجتماعية SPSS، وتم إجراء العمليات الإحصائية التالية:

- الإحصاءات الوصفية: (التكرارات، والنسب المئوية، والأوزان النسبية، والمتوسطات الحسابية)

- اختبار (ت) للمجموعات المستقلة (Independent Samples T-Test): لدراسة الدلالة الإحصائية للفروق بين متوسطين حسابيين لمجموعتين من نوع المسافة أو النسبة (Interval Or Ratio).

الهوامش:

(1) Langstedt , E. ,(2011), An Examination of the Five Factor Model Personality Traits as Predictors of Online Social Network Use , Doctoral Dissertation, University of Connecticut , p.p.: 1-2

(²) سلوى العوادلي، (2015)، استخدام المنظمات غير الهادفة للربح لمواقع التواصل الاجتماعي: دراسة حالة استخدام صفحات الفيس بوك، المجلة العلمية لبحوث العلاقات العامة والإعلان، العدد 2، إبريل/يونيو (جامعة القاهرة، كلية الإعلام، قسم العلاقات العامة والإعلان)، ص 1.

(³) Kent, M. L., & Taylor, M. (1998), Building dialogic relationships through the World Wide Web. Public Relations Review ,vol.24, p.p.: 321-334.

(⁴) Capriotti , P. & Kuklinskib , H. P. , (2012) , Assessing dialogic communication through the Internet in Spanish museums , Public Relations Review , Vol.38 , p.621.

(⁵) سلوى العوادلي، (2012)، استخدام الوسائل الاجتماعية في الحملات التسويقية: رؤية مستقبلية، المؤتمر العلمي الدولي الثامن عشر "الإعلام وبناء الدولة الحديثة"، (القاهرة: جامعة القاهرة، كلية الإعلام)، ص 1038.

(⁶)Luo , Y. & Jiang , H. , (2012) , A Dialogue with Social Media Experts: Measurement and Challenges of Social Media Use in Chinese Public Relations Practice , Global Media Journal -- Canadian Edition, Vol. 5, No. 2 ,P.59

- (⁷)Bortree , D. S. & Seltzer , T. , (2009) , Dialogic strategies and outcomes: An analysis of environmental advocacy groups' Facebook profiles , Public Relations Review , Vo. 35, September , P.317.
- (⁸)Waters , R. D. ;Burnett,E. ;Lamm,A. & Lucas,J. , (2009), Engaging stakeholders through social networking:How nonprofit organizations are using Facebook , Public Relations Review ,Vol.35 ,p.p.: 102–106.
- (⁹)Hovey, W. L. , (2010) , Examining the Role of Social Media in Organization-Volunteer Relationships , Public Relations Journal , Vol. 4, No. 2 , p.p.:1-23.
- (¹⁰)Sisco, H. F& McCorkindale, T. , (2013) , Communicating “Pink”: An analysis of the communication strategies, transparency, and credibility of breast cancer social media sites , International Journal of Nonprofit and Voluntary Sector Marketing, Vol. 18 , No. 4 , p.p.: 287–301.
- (¹¹)DiStaso, M.W.& McCorkindale, T. , (2013) A Benchmark Analysis of the Strategic Use of Social Media for Fortune’s Most Admired U.S. Companies on Facebook, Twitter and YouTube , Public Relations Journal, Vol. 7, No.1, p.p.: 1- 33
- (¹²) إنجي محمد أبو سريع. (2011). كفاءة إدارة علاقات المنظمة مع مجموعات المصالح، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، كلية الإعلام، قسم العلاقات العامة والإعلان).
- (¹³)Park , H. ; Rodgers, S. & Stemmler, J. , (2011), Health Organization ' Use Of Facebook For Health Advertising and Promotion , Journal of Interactive Advertising, Vol.12 , No.1, p.p.:62-77.
- (¹⁴) سلوى العوادلي. (2012). مرجع سابق، ص ص 1103-1037.
- (¹⁵)McCorkindale, T. , (2010) , Can you see the writing on my wall? A content analysis of the fortune 50's facebook social networking sites , Public Relations Journal, Vol. 4, No. 3, p.p.:1-13.
- (¹⁶)Nah , S. & Saxton, G. , (2013) , Modeling the adoption and use of social media by nonprofit organizations, New Media & Society , p.p.:1-30.
- (¹⁷)Waters , R.D. ; Canfield R.R. ; Foster,J.M. & Hardy, E.E. , (2011), Applying the dialogic theory to social networking sites: Examining how university health centers convey health messages on Facebook, Journal of Social Marketing, Vo.1 , p.p.: 211-227.
- (¹⁸) Muckensturm , E.A. , (2013), Using Dialogic Principles On Facebook: How The Accommodation Sector is Communicating With Its Consumers , Master's Thesis , the Graduate School of Clemson University.
- (¹⁹)Rybalko, S. and Seltzer, T. , (2010) Dialogic communication in 140 characters or less: How Fortune500 companies engage stakeholders using Twitter , Public Relations Review , Vol. 36, November , p.p.: 336–341.
- (²⁰)Kemna , T. , (2013) , Dialogue, Twitter and new technology-based firms: the communication practice on a social medium , Master's Thesis , Stockholm University
- (²¹)Hether ,H.J. , (2014) , Dialogic communication in the health care context: A case study of Kaiser Permanente’s social media practices , Public Relations Review, Vol.40 , p.p.: 856–858.
- (²²)Kent, M. & Taylor, M. , (1998) ,Op.Cit. , p.p.: 321-334.

(23) Taylor, M. : Kent, M. & White, W., (2001) How activist organizations are using the Internet to build relationships, Public Relations Review, Vol. 27, p.p.: 263-284.

(24) Cooley, T., (1999), interactive communication- public relation on the web, Public Relations Quarterly, Vol.44, No.2, p.p.: 41-42.

(25) Russell, A., (2008), An analysis of public relations and dialogic communication efforts of 501(C)(6) organizations, Master's Thesis, Dept. of Journalism, Ball State University, Muncie, Indiana, p.p.: 1-5.

(26) Kent, M. & Taylor, M., (1998), Op.Cit., p.p.: 321-334.

(27) تم الاعتماد في هذه الجزئية على المصادر الآتية:

- Kent, M. & Taylor, M., (1998), Op.Cit., p.p.: 321-334.
- Pettigrew, J. E., (2008), The new dynamic of corporate media relations: engaging the press through dialogic component of world wide web sites, Master's Thesis, University of Georgia in Partial, p.17.
- Taylor, M : Kent, M. & White, W., (2001) How activist organizations are using the Internet to build relationships, Public Relations Review, Vol. 27, PP. 263-284.

(28) سامي طايح، (2000)، بحوث الإعلام (القاهرة: دار النهضة العربية)، ص 167.

(29) هو عبارة عن موقع متخصص في قياس وتحليل مواقع الشبكات الاجتماعية، ويقدم الموقع احصائيات حول أكثر المواقع والصفحات الاجتماعية شهرة على مستوى العالم وعلى مستوى كل دولة من حيث عدد المعجبين والمتابعين.

(30) سامي طايح (2001)، مرجع سابق، ص 306.

(31) محمد عبد الحميد، (2007)، الاتصال والإعلام على شبكة الانترنت، ط1 (القاهرة: عالم الكتب)، ص 134.

(32) أمل فوزي، (2004)، استخدام شبكة المعلومات الدولية "الانترنت" في الأنشطة الاتصالية، رسالة ماجستير، (جامعة القاهرة: كلية الإعلام، قسم العلاقات العامة والإعلان)، ص.ص: 244-245.

(33) سامي طايح، (2001)، مرجع سابق، ص 260.

(34) أسماء السادة المحكمين:

- د. داليا محمد عبدالله.....الأستاذ المساعد بقسم العلاقات العامة والإعلان... جامعة القاهرة
- د. محمد عتران.....الأستاذ المساعد بقسم العلاقات العامة والإعلان... جامعة القاهرة
- د. محمد عبدالوهاب الفقيه...الأستاذ المشارك بقسم الإذاعة والتلفزيون.....جامعة صنعاء
- د. نرمين خضر.....الأستاذ المساعد بقسم العلاقات العامة والإعلان... جامعة القاهرة
- د. سهير عثمان.....المدرس بقسم الصحافة.....جامعة القاهرة
- د. دينا الخطاط.....المدرس بقسم الإعلام.....جامعة عين شمس
- د. عمر عيرين.....الأستاذ المساعد بقسم العلاقات العامة والإعلان.....جامعة صنعاء
- د. فانت رشاد.....المدرس بقسم العلاقات العامة والإعلان.....جامعة القاهرة
- د. هزاع مرشد شرف.....الأستاذ المساعد بقسم العلاقات العامة والإعلان.....جامعة صنعاء

(ملاحظة: درجة الأستاذ المساعد بجامعة القاهرة وعين شمس تعادل استاذ مشارك بجامعة صنعاء، ودرجة

المدرس بجامعة القاهرة وعين شمس تعادل استاذ مساعد بجامعة صنعاء)

(35) شريف درويش اللبان وهشام عطية عبدالمقصود (2012)، مقدمة في مناهج البحث الإعلامي، ط2 (القاهرة:

الدار العربية للنشر والتوزيع)، ص.100

الأشكال التفاعلية في مواقع الصحافة الإلكترونية

أ. رايح عمار

جامعة وهران 1 أحمد بن بلة

مقدمة

ارتبط توظيف النماذج الخطية التي ترى في الاتصال عملية أحادية الاتجاه بمرحلة النشأة في علوم الاتصال.¹ ومع تطور الأبحاث والدراسات أثبتت هاته النماذج عجزها عن استيعاب كل عناصر العملية الاتصالية. ما مهد لظهور النماذج الثنائية التي ترى في الاتصال عملية ثنائية الاتجاه قائمة على فكرة التفاعلية. حيث أكد ويفر WIEVER عام 1948 أهمية رجوع الصدى FEEDBACK كعنصر رئيس من عناصر العملية الاتصالية. أعقب ذلك صدور كتاب عملية الاتصال الجماهيري وتأثيراتها عام 1954 لولبور شرام WILBUR SCHRAM، الذي جاءت فيه أول إشارة لمصطلح التفاعلية، وذلك حينما أكد شرام ضرورة وجود مجال خبرة مشتركة بين المرسل والمستقبل، وعن طريق هذا المجال يتم توصيل نوعين من رجوع الصدى هما: رسالة من المستقبل الى المرسل، ورسالة من المستقبل إلى ذاته.²

أما عن التفاعلية باعتبارها أحد أهم سمات تكنولوجيا الاتصال الحديثة فيعود الإهتمام بها في الدراسات الأجنبية إلى بداية الثمانينات حينما أشار إليها روجر Rogers في أبحاثه. ثم تواصلت الدراسات التي إنتهت إلى أن أهم ما يميز الإنترنت كوسيلة إعلامية عن وسائل الإعلام الأخرى هو إتاحة الإنترنت للأدوات التفاعلية التي تمكن من حدوث تفاعل بين الجمهور والقائم بالاتصال.³ على عكس وسائل الإعلام التقليدية والتي تفتقر

إلى رجوع الصدى، وفرص مشاركة الجمهور في العملية الاتصالية. في حين نجد أن التفاعل الحقيقي يتطلب نموذجا اتصاليا ذا اتجاهين.

أتاحت القدرة التكنولوجية الكبيرة لوسائل الإعلام الحديثة وعلى رأسها شبكة الإنترنت للمتلقي فرصا كبيرة للمشاركة في إختيار المحتويات الإعلامية، وقت التعرض، وشكل التعرض، وكذا المساهمة في إنتاج هاته المحتويات. فلقد أصبح للمستقبل حضور مكثف في جميع أطوار العملية الاتصالية وتداخلت الأدوار بين المرسل والمتلقي، وأحيانا كثيرة انقلبت هاته الأدوار.

نحاول من خلال هذه الورقة البحثية تحديد مفهوم التفاعلية في بعدها المتعلق بالتكنولوجيات الحديثة للإعلام والاتصال، وعلى رأسها شبكة الإنترنت من خلال دراستنا للأشكال والأدوات التفاعلية في الصحافة الإلكترونية في ظل تصاعد موجة مواقع الواب 2.0. إلا أنه من الضروري قبل الحديث عن مفهوم التفاعلية وأشكالها التطرق إلى مفهوم وأنواع الصحافة الإلكترونية.

1. مفهوم الصحافة الإلكترونية:

" لم تقدم حتى الآن أدبيات الوسائل الجديدة تعريفا لصحافة الشبكات يتسم بالتحديد والتميز، وإنما اعتمد الكتاب على تعريفها في إطار الخصائص أو العلاقات أو الاستخدامات، وهو ما يقترب من التعريف الإجرائي أكثر من التعريف المفهومي"⁴. فعلى سبيل المثال نجد التركيز على خصائص التفاعلية والنص الفائق واستخدام الوسائط المتعددة بالإضافة إلى تحكم القارئ أو المستخدم، أو التمكن من المعلومات. وبدلا من الإحساس بقوة المعلومات، بدأ القارئ بالتمكن منها نتيجة التفاعلية وحرية التجول والاختيار⁵.

إلا أنه يجدر الإشارة في هذا المقام أن هذه الخصائص تميز كل محتوى منشور على الشبكة، أو بعبارة أخرى كل مواقع الواب مع نوع من التفاوت

بين هاته المواقع في الاستفادة مما توفره التقنية عامة، والإنترنت خاصة. كما أن هاته الخصائص لم تظهر دفعة واحدة بل تطورت وتبلورت مع الزمن. مما يجعل أن التعاريف التي قدمها الباحثون والمتابعون لتطور الصحافة الإلكترونية المقترحة تعكس خصائص الصحافة الإلكترونية في مرحلة معينة، وهو ما يميز الطابع التجديدي لهذه الصحافة.

تعد الصحافة الإلكترونية وسيلة من وسائل الاتصال عبر الشبكة تستخدم فنون وآليات ومهارات العمل الصحفي. مضافا إليها مهارات وآليات تقنيات المعلومات التي تناسب استخدام الفضاء الإلكتروني كوسيلة اتصال مستخدمة في ذلك عناصر الوسائط المتعددة، والنص الفائق، والوسائط الفائقة كالنص والصوت والصورة والمستويات المختلفة للتعامل محتويات الصحيفة، ومعالجتها، وتحليلها، ونشرها على الجماهير، بحيث يتاح للمتلقي التفاعل بإيجابية وسرعة وسهولة حسب احتياجاته وقدراته في تصفح الموضوعات واستقصاء الأنباء الآنية وغير الآنية، وامكانية حفظه للمعلومات والأخبار وطباعتها⁶.

أما المشرع الفرنسي فيعرف الصحافة الإلكترونية باعتبارها: " خدمة إعلامية إلى الجمهور، تستخدم الشبكة، وذات هدف مهني، تصدر عن هيئة فردية، أو شخصية معنوية، تشرف على الإنتاج التحريري لمضمون أصيل ذي طابع عام يهم الجمهور العريض، ويقع تجديده باستمرار، ويتكون من معلومات ذات علاقة بالأحداث خضعت إلى المعالجة الصحفية، ولا تهدف إلى التسويق، كما أنها يجب ألا تكون نشاطا ثانويا لنشاط صناعي أو تجاري"⁷.

أشار هذا التعريف لمجموعة من محددات الصحافة الإلكترونية أهمها:

- تحديد الحامل الذي يتم من خلاله نشر المضمون وهو الشبكة
- مواصفات المضمون كأن يكون إخباريا ذو علاقة بالأحداث ويهم الجمهور العريض ولا يهدف إلى تحقيق أغراض تسويقية أو دعائية

- ملكية المضمون تعود لهيئات فردية أو شخصيات معنوية تجعل من نشر المضامين نشاطها الرئيسي
- المعالجة الصحفية للمضمون مما يعني مجموعة قواعد وضوابط (فنيات التحرير الصحفي وأسس الإخراج ومدونة الأخلاقيات التي تضبط مهنة الصحفي.). فيقدم هذا المضمون باستعمال قوالب العمل الصحفي، ولا يعني هذا عدم التعامل مع قوالب مغايرة تفرضها طبيعة الوسيلة الجديدة.

2. أنواع الصحف الإلكترونية:

يمكن تقسيم الصحف الإلكترونية تبعاً لمدى استقلاليتها أو تبعيتها لمؤسسات إعلامية قائمة إلى:⁸

1. النشر الصحفي الموازي: وفيه يكون النشر الإلكتروني موازياً للنشر المطبوع بحيث تكون الصحيفة الإلكترونية عبارة عن نسخة كاملة من الصحيفة المطبوعة باستثناء المواد الإعلانية.
2. النشر الصحفي الجزئي: وفيه تقوم الصحف المطبوعة بنشر أجزاء من موادها الصحفية عبر الشبكة الإلكترونية، ويعتمد على هذا النوع بعض الناشرين بهدف ترويج النسخ المطبوعة من إصداراتها، ويبرز هذا النوع في بعض الصحف الصادرة على شبكة الإنترنت ذات الأصل المطبوع
3. النشر الصحفي الإلكتروني الخاص: وفي هذا النوع لا يكون للمادة الصحفية المنشورة الإلكترونية أصل مطبوع، حيث تظهر الصحيفة إلكترونية بشكل مباشر من خلال النشر عبر الإنترنت فقط، وهو ما يصدق على الصحف الإلكترونية التي تصدر مستقلة على الشبكة في سياستها الإدارية والتحريرية والتسويقية

3. مفهوم التفاعلية

ظلت التفاعلية لفترة طويلة مفهوم أساسي حاولت نماذج الإتصال المختلفة إضافته وتوضيح أبعاده، إلا أنه لم يتم الإتفاق على تعريف واحد واضح لهذا المصطلح مما أوجد العديد من التعريفات. فيرى ماكميلان وداونز McMillan and Downes أن الاتصال التفاعلي هو الاتصال الذي يسمح بتبادل الأدوار بين المرسل والمستقبل.⁹ أما روجر¹⁰ Rogers فيعتبرها أحد أهم سمات تكنولوجيا الاتصال الحديثة والتي تسمح للمتلقى بأن يتجاوز مرحلة قراءة النص أو الاستماع إلى الرسالة الاتصالية لينتقل إلى مرحلة المشاركة فيها لتصبح بذلك وسيلة الاتصال ثنائية الاتجاه.

وأضاف ويليامس Williams عنصر السيطرة إذ أشار إلى أن التفاعلية تعبر عن الدرجة التي يسيطر فيها المتلقي على عملية الاتصال ويتبادل الأدوار مع المرسل.¹¹

وحاول لورانس سميث Laurence Monnoyer-smith تلخيص خصائص التفاعلية في نقاط أهمها¹²:

- تحقيق التزامن والاقتراب من الاتصال في وقته الحقيقي.
 - تعدد الاختيارات أمام المستعمل.
 - توفير اتصال ثنائي الاتجاه وتبادل الأدوار الاتصالية بين المرسل والمستقبل.
 - توفير فرص المشاركة للمتلقى: المبادرة-التحكم...
 - توفير الاتصال مع جمهور الموقع.
 - التأثير في محتوى الموقع.
- أما هيتير Heeter فقد قدم مفهوما متعدد-سداسي- الأبعاد للتفاعلية تتمثل أبعاده في المتغيرات التالية¹³:
1. تعدد الاختيارات المتاحة أمام المتلقي.

2. الجهد الذي يمارسه المستقبل، فالمتلقي ينبغي أن يمارس بعض الجهد لتحقيق الاتصال وهو بذلك متلق نشط للرسالة.
3. استجابة الوسيلة لرغبات المتلقي واختياراته فتعرض له المضمون الذي يريد.

4. رصد استخدامات المتلقي لوسيلة الاتصال إلكترونيا حيث أن التقنيات الحديثة سمحت برصد استخدامات كل مستقبل للرسالة أتوماتيكيا، فوسائل الاتصال الحديثة غيرت من الأسلوب التقليدي للتعرف على رد فعل المستقبل سواء في التلفزيون أو الراديو أو الصحافة والمتمثلة في إرسال رسالة أو الاتصال الهاتفي أو تنظيم استبيان للتعرف على آراء الجمهور.
5. التأثير في مضمون الرسالة.

6. سهولة الاتصال الشخصي بين جمهور وسيلة الاتصال وتعني السهولة التي يتيحها نظام الاتصال ويمكن من خلالها لعدد من مستخدمي الوسيلة تبادل الرسائل فيما بينهم.
و يركز حسن عماد مكاوي وليلى حسين السيد في تحديد مفهوم التفاعلية على ثلاث نقاط هي¹⁴:

- المشاركة في العملية الاتصالية.
 - تبادل الأدوار بين المرسل والمتلقي.
 - ثنائية الاتجاه بين المرسل والمتلقي.
- على الرغم من اختلاف الباحثين في مجال الاتصال حول تحديد مفهوم التفاعلية، إلا أنه على ضوء المفاهيم السابقة للتفاعلية يمكننا أن نستخلص مجموعة من النقاط الأساسية التي اتفق عليها كثير من الباحثين ووردت في أغلب التعريفات¹⁵:

- التفاعلية سمة طبيعية في الاتصال الشخصي وسمة مفترضة لوسائل الاعلام الحديثة وفي مقدمتها الأنترنت.

- التمييز بين التفاعلية في الاتصال الشخصي والمتمثلة في رجع الصدى، والتفاعلية كمفهوم حديث مرتبط بتكنولوجيا الاتصال الحديثة، والمتمثلة بوضوح في الاتصال عبر الإنترنت.
- التفاعلية اتصال تبادلي ذو اتجاهين يصعب فيه التمييز بين المرسل والمستقبل.
- التفاعلية قد تكون تزامنية كالردشة أو غير تزامنية كالبريد الإلكتروني.
- الاستجابة هي جوهر الاتصال التفاعلي وبدونها لا يتم التفاعل.
- سيطرة المستقبل على العملية الاتصالية شرط من شروط التفاعلية، فالمستقبل يستطيع:
- تغيير شكل ومضمون الرسالة الاتصالية.
- اختيار المضامين التي يريد من بين البدائل المتوفرة عبر وسائل الاتصال التفاعلية.
- التعرض للمحتوى الاتصالي في الوقت الذي يلائمه.
- تبادل الرسائل مع المرسل.
- التواصل مع جمهور الوسيلة.

4. التفاعلية في الصحافة الإلكترونية

يشير ميلسون Millson إلى بعض أساليب التفاعلية التي تستعملها الصحافة الإلكترونية بقوله: "يستطيع القراء والمشاركون الإستجابة اللحظية للمادة المقدمة من الصحفي الإلكتروني، ويمكن أن تأخذ هذه الإستجابة عدة أشكال مثل البريد الإلكتروني للمحرر وهو ما يشبه الخطاب التقليدي للمحرر في الإصدارات المطبوعة، ويمكن للصحفيين العاملين في المواقع الإلكترونية أن يستفيدوا من المناقشات التي تتيح للقراء الإستجابة اللحظية لموضوع ما، وللتعليقات من القراء الآخرين فيما يشبه أسلوب النقاش على اللوحات الإخبارية، ويمكن الوصول إليها في أي وقت، كما يمكن للقراء أن يصبحوا مشاركين في خلق البيئة التحريرية، حيث

يساهمون في اقتراح ما يتم تغطيته أو الموضوعات التي يمكن أن يعالجها الكاتب في مقالاته"¹⁶.

وتوصل عبد الباسط أحمد هاشم¹⁷ في دراسته للأدوات التفاعلية التي توفرها كل من مجلتي آخر ساعة المصرية وتايمز الأمريكية إلى ما يلي:

يشارك الموقعان في توفير الخدمات التالية:

- الوصلات الداخلية.
- الوصلات الخارجية.
- البريد الإلكتروني للمجلة.
- خدمة البحث.

تحاول جل الصحف الإلكترونية أن تلعب ورقة التفاعلية لتوطيد العلاقة بينها وبين القارئ إذ تتيح له أن يكون مشاركا نشطا في صناعة المضامين من خلال توفير مجموعة من الأدوات التفاعلية. ولقد بين عبد الباسط احمد هاشم¹⁸ أن هناك حدا أدنى من الأدوات التفاعلية لا غنى عنها في بناء أي موقع. وبشكل عام تتمثل في:

- خدمة البحث.
- الوصلات الداخلية والخارجية
- إتاحة عنوان البريد الإلكتروني الخاص ب:
 - موقع الصحيفة.
 - الصحفيين.
 - ذوي الصلة بالموضوع.
 - الدردشة.
 - المجموعات الإخبارية.

5. الأشكال التفاعلية للصحافة الإلكترونية:

وفرت مواقع الصحف الإلكترونية العديد من الامكانيات التفاعلية، يتعلق بعضها بالمادة المتاحة على المواقع، ويتعلق البعض الآخر بفرص التفاعل بين القارئ والصحفي، بالإضافة إلى تفاعل جمهور المتكردين فيما بينهم. وتأخذ التفاعلية المتاحة من خلال المواقع الإخبارية الموجودة على الشبكة الإنترنت العديد من الأشكال، ولقد حاولنا إجمالها في العناصر التالية:

1.5 الإبحار

- باستعمال النص المتشعب الهيبيرتكست Hypertexte يمكن ربط العنوان بجسم المقال، أو ربط النص بأجزائه عن طريق الوصلات الداخلية، أو ربط النص بمقالات أخرى عن طريق الوصلات الخارجية. وهذا ما يمنح القارئ حرية كبيرة في التنقل بين أجزاء النص الإلكتروني والإبحار في موقع الصحيفة أو مواقع أخرى تحيل إليها الوصلات.
- توفير آليات بحث تمكن القارئ من استحضار أي معلومة يبحث عنها في

الموقع

2.5 إضافة رأي

- إجراء عمليات سبر آراء وقياس رأي الجمهور تجاه بعض القضايا المهمة. و عرض نتائج العملية لجمهور الموقع..
- ساحات المناقشة: forums de discussions تتيح العديد من مواقع الصحف الإلكترونية ساحات للمناقشة أمام زائري الموقع. يعبرون من خلالها عن آرائهم الشخصية حول مواضيع الساعة ويتبادلون وجهات النظر حول المواضيع المطروحة.
- ساحات الدردشة: وهي وسيلة أخرى تستغلها بعض المواقع الإخبارية لإتاحة الفرصة للجمهور للتعبير عن رأيه ومناقشته مع الآخرين الذين لهم نفس الاهتمامات كما تستخدم أحيانا في إجراء حوار بين الجمهور وأحد الشخصيات المشهورة.

3.5 الاتصال مع الصحفي

يمكن تقسيم التفاعلية التي تتم بين القارئ والصحفي إلى قسمين رئيسيين

• الاتصال التفاعلي المباشر

• الاتصال التفاعلي الغير المباشر

أما الأول فهو النمط الذي تتحقق فيه التفاعلية بشكل مباشر، ويتم عبر مشاركة القارئ في غرف الحوار التي تنشأها الصحف لتبادل الحوار بين المحررين والقراء حول القضايا المختلفة التي تطرحها للنقاش، كما تعمل بعض الصحف الإلكترونية على تحقيق الاتصال التفاعلي المباشر من خلال خدمة المراسل Messenger التي تسهم في تحقيق الاتصال المباشر بين مسؤولي الصحيفة ومحرريها ومراسليها، كما تتيح للمحررين إمكانية الاتصال المباشر بمصادرهم لإجراء الأحاديث الصحفية مثلا، حيث يكتب المحرر أسئلته وتظهر مباشرة على شاشة المصدر الذي يجيب عنه بشكل مباشر، وتظهر أمام الصحفي على الشاشة ولقد أفادت بعض الصحف الإلكترونية العربية من هذه الخدمة كما في صحيفة "باب" الإلكترونية¹⁹.

أما الثاني الاتصال التفاعلي غير المباشر فيقصد به: الاتصال الذي يتم بين الصحيفة وقراءها ومحرريها بشكل غير مباشر، بحيث تستقبل الرسائل ثم يتم الرد عليها بعد ذلك، وتتمثل أهم خدمات الاتصال غير المباشر التي تتيحها الصحف الإلكترونية في البريد الإلكتروني e-mail الذي يعد من أقدم تطبيقات الانترنت، ويسمح البريد بإرسال القراء رسائل إلكترونية تحمل تساؤلات أو انتقادات أو تعليقات أو طلبات إلى الصحف الإلكترونية التي يتعرضون لها، ثم تعمل الصحف على الرد على ما ورد في هذه الرسائل.

4.5 المشاركة في تحرير الصحيفة²⁰:

• استخدام تعليقات المتريدين على الموقع كجزء من المادة التحريرية للتحقيقات الصحفية، فالموقع الذي يسعى الى الوصول الى تفاعلية حقيقية لن يكتفي فقط بنشر تعليقات القراء حول القضايا المختلفة بل يمكنه

ربطها بالتحقيقات الصحفية التي ينشرها فمثلا عند إجراء تحقيق حول مشكلة البطالة لدى الشباب يمكن دعوة المترددين على الموقع لنشر تجاربهم خلال البحث عن فرصة عمل والمشاكل التي واجهتهم وربطها بمادة التحقيق الصحفي. كما يمكن أن تثير مقال الصحفي كما فعل الكاتب جون انغلز John Enjles في مقاله عن الإرهاب السيبروني Cyber Terrorism نشره في موقع سلاشدوت ثم أعاد نشره في مجلة جينز انتجيلز ريفيو معتمدا على تعليقات القراء وقام بمنحهم حقوقا مادية²¹.

• استعمال تقنية التلكبك Talkback ويقصد بها الهامش الذي يترك في نهاية المادة الصحفية المنشورة للقارئ قصد التعبير عن رأيه أو وجهة نظره فيها. ولقد تزايد عدد المساهمين في التعليق على المواد الصحفية المنشورة في شبكة الإنترنت مما زاد في قيمتها ودفع الكثير من القراء إلى منحها أهمية أكبر من تلك التي يولونها إلى المادة التي شكلت موضوع التعليق والتعليق²².

6. الويب 2.0:

عرفت شبكة الإنترنت تحولا جذريا منذ 2003، وإن لم يشكل هذا التحول قطيعة مع ما كان سائدا من قبل، وهو ما أسماه البعض الويب 2.0 وهذه التسمية توحي وكأن الأمر يتعلق بنسخة ثانية لأحد التطبيقات البرمجية. يحيل مصطلح الويب 2.0 حسب تيم أورلي Tim O'reilly إلى ثورة اقتصادية في عالم صناعة المعلوماتية أحدثها تحول الإنترنت إلى منصة، كما يشير إلى محاولة فهم قواعد نجاح هذه المنصة الجديدة. أما إيريك شميت Eric Schmidt رئيس مجلس إدارة غوغل فقد اقترح تعريفا أكثر اختصارا مختزلا المصطلح في عبارة "لا تقف في وجه الإنترنت"²³.

يعتبر الويب 2.0 ظاهرة هجينة الأبعاد إذ تتداخل فيه الأبعاد التقنية، والفلسفية، والاجتماعية وحتى التسويقية، مما يجعل المفهوم تشوبه الكثير من الضبابية ويصعب تحديده على المستوى المفاهيمي سواءا النظري أو الإجرائي. ففي مقابلته مع المدون الفرنسي الشهير المختص في التكنولوجيات الحديثة فرنسيس بيسانى Francis Pisani يؤكد أول من أطلق مصطلح الويب

2.0 تيم أوريلي Tim O'reily على الصعوبة في تعريف الويب 2.0 ويقر بالضبابية التي تحيط بهذا المفهوم حين يؤكد على إختلاف وجهات النظر وتباين النقاط حول تحديد هذا المفهوم²⁴. فظاهرة الويب 2.0 تهم الكثير من الحقول البحثية ذات المرجعيات المعرفية المختلفة، ما يغدوا معه من العسير حصر المفهوم في حقل إبيستيمولوجي محدد أو حصر الحدود المعرفية لهذا المفهوم. فتيم أوريلي Tim O'Reilly يتحدث عن نقطة التحول tipping-point ليشير لنهاية مرحلة وبداية أخرى بمميزات جديدة تستند على تطور التقنية والإقتصاد الرقمي والممارسات الإبداعية للإنترنتيين.²⁵

الويب 2.0 هو فلسفة أو أسلوب جديد لتقديم خدمات ما ينعت في بعض الأدبيات العلمية المهمة بتطور شبكة الإنترنت الجيل الثاني من الإنترنت، القائمة على نماذج تفاعلية إلى جانب القدرة على إنشاء و مشاركة المحتوى، تعتمد على دعم الاتصال بين مستخدمي الإنترنت، وتعظيم دور المستخدم في إثراء المحتوى الرقمي على الإنترنت، والتعاون بين مختلف مستخدمي الإنترنت في بناء مجتمعات إلكترونية، بمساعدة كثير من التقنيات الحديثة لدعم الاتصال السريع بين المستخدمين واستخدام مجموعة من التطبيقات التي تحقق سمات وخصائص الويب 2.0. ومن أهم هذه التطبيقات الشبكات الاجتماعية التفاعلية، ومواقع التدوين ومواقع مشاركة الفيديو، ومواقع الويكي والخدمات التشاركية التي تعتمد على بنية شبكية قوية وبرمجيات متطورة وتعاون على جميع المستويات.

يمثل الويب 2.0 في التصورات التي تميل إلى التمثيل المرئي، بمعنى تلك التي تحيل إلى جانبه الأكثر وضوحا. اتجاها في تصميم الويب يميل إلى الوضوح والبساطة. مساهما بذلك في تيسير الوصول إلى الويب أو الشبكة. ولا غرابة إذا أن نجد أن مركزية المستخدم والتوظيف المتكشف للأشكال ثلاثية الأبعاد، والخلفيات ذات الألوان المحايدة، والأيقونات ذات الأسلوب البسيط وغلبة اللون الأبيض. كلها تمثل بعض القواعد التي تتبناها هذه المدرسة في التصميم. كما تشير إلى ذلك الكثير من النماذج. فالقيم التي

يحملها هذا التجديد والتغير في المنظور عموماً تتأسس على رؤية رباعية العناصر: البساطة، والحوار، والمشاركة، والتكامل²⁶.

7. التفاعلية في مواقع الصحافة الإلكترونية في عصر الويب 2.0

يتضمن الويب 2.0 الخدمات المعتمدة على الجيل الثاني من الويب مثل المدونات والويكي ومواقع التوسيم الإجتماعية ومواقع مشاركة الصور وخدمات مشاركة الوسائط المتعددة ويحدد ماكديرموت McDermott سبع فئات لتطبيقات الويب²⁷:

1. منصات نشر تتيح للمستخدمين نشر مضمونها مثل المدونات ومواقع التسجيلات الصوتية
 2. خدمات شبكات إجتماعية تساعد على إقامة علاقات إجتماعية بين المستخدمين مثل Myspace وfacebook
 3. شبكات محتوى ديمقراطي Democratized Content Neywork تتيح للمستخدمين إضافة أو تحرير أو تعديل محتوى مثل ويكيبيديا
 4. منصات شبكات إفتراضية توفر بيئة يعيش فيها المستخدمون ويتفاعلون بعضهم مع بعض مثل Second Life
 5. مجموعات معلومات تجمع عناوين عن موضوع واحد من مجموعة مصادر الإنترنت مثل Tech Memorandum
 6. منصات أخبار إجتماعية محررة تتيح للمستخدمين قراءة وتقديم الأخبار والتعليق عليها Spin Thicket
 7. خدمات توزيع المحتوى التي تتيح للمستخدمين إنشاء ومشاركة ووسم المحتوى والبحث عنه مثل: Del. icio.us وScrapblog
- تحمل الصحافة الإلكترونية في عصر الواب 2.0 الكثير من المزايا التي تغيب عن وسائل الإعلام التقليدية وعن الصحافة الإلكترونية في بداياتها الأولى حيث استثمرت هذه الأخيرة التجديدات التكنولوجية المتوالية بسرعة والامكانيات الاتصالية التي توفرها الشبكة. فقد يسرت الانترنت التفاعل وأتاحت الوصول إلى المضامين بسهولة بحيث غدا نشر المعلومة

بطريقة إلكترونية يشبه إلى حد بعيد الحوار، مما عزز من الوظائف "التشاركية" أو "التقاسمية"، التي ميزت مواقع الواب 2.0 والتي لا يمكن ببساطة توفرها في أي وسيط آخر. يمكن أن تتمثل هذه الوظائف، في صيغتها الأبسط، في قائمة المقالات الإلكترونية التي يوصي بها قراء صحيفة إلكترونية ما، أما تجلياتها الأكثر تعقيدا فيمكن أن تأخذ شكل نقاشات أو حوارات آنية تفاعلية، إضافة إلى التحكم الجماعي للمضامين الأكثر جدة.²⁸

تمكن التفاعلية مواقع الصحافة الإلكترونية من تحصيل قيمة مضافة للموقع تقوم على مبدأ الذكاء الجمعي، فعلى خطى ويكيبيديا التي تمثل نموذجا جديدا لإنتاج الثقافة يقوم على التشارك والتعاون باستغلال الذكاء الجمعي والحس الإبداعي لجمهور الموقع، توفر بعض مواقع الصحافة الإلكترونية نموذجا تحريريا يقوم على التشارك والتعاون متحررة بذلك من أجندة المؤسسة الإعلامية وسلطة الصحفي كحارس بوابة. فلقد وفر موقع ال بي بي سي BBC خلال دورة وويلودون Wimbledon للتنس موقع يجمع بين خاصيتي صفحات "البلوغ" وصفحات "الويكي"²⁹. تجربة شبيهة أطلقتها صحيفة واشنطن بوست Washington Post خلال جوان 2005 تحت عنوان Wikitorials. حيث وفرت الصحيفة على موقعها صفحة ويكي، يناقش موضوعها أفضل طريق لحل أزمة العراق. فلقد إقترحت الصحيفة موضوع بتاريخ 2005/06/17 يعالج قضية العراق وبوسع كل قارئ إقترح إضافات أو تعديلات على المقال³⁰. نفس الفكرة طبقتها صحيفة لوس أنجلس Los Angeles من خلال سماحها للقراء بتغيير مقال الافتتاح باستعمال تقنية الويكي³¹.

مكنت ظاهرة الويب 2.0 من تقريب الصحفي والقارئ إلى حد التجاور وتبادل الأدوار بينهما معيدة بذلك تشكيل العلاقة بين الصحفي وجمهوره، ومنهية مرحلة احتكار مهمة الإخبار ونشر المضامين والمواد الإعلامية من قبل

الصحفيين، فقد صار بوسع أي كان جمع وتوزيع أخبار ومواد متنوعة والمشاركة في صناعة المضامين الصحفية المتنوعة.

الخاتمة:

تزدحم اليوم شبكة الانترنت بمواقع الصحافة الإلكترونية التي تسعى إلى استغلال الخصائص والمميزات التي توفرها الشبكة العنكبوتية. ولعل أهم خاصية تميز الصحيفة الإلكترونية عن نظيرتها الورقية هي ميزة التفاعلية التي تجعل جمهور الموقع مشاركا نشطا وفعالا يتجاوز مجرد تصفح واستهلاك المضامين التي توفرها الصحيفة.

تأخذ التفاعلية أشكالا عدة، من الملاحظة والإبحار في موقع الصحافة الإلكترونية إلى استغلال الإمكانيات التواصلية التي توفرها، من التواصل المباشر والتزامني مع الصحفي وإدارة الموقع إلى التواصل مع جمهور الموقع والتقسام معه الاهتمامات المشتركة. لقد حولت الإنترنت الجمهور ونقلته من مجرد ملتقى سلمي إلى ملتقى نشط يتفاعل مع المادة الخبرية وويتقاسم السلطة المعلوماتية مع القائمين على موقع الصحيفة. لقد عزز الواب 2.0 المشاركة الفعالة للمستخدمين من خلال بناء المحتوى سواء بالتعليق، أو التقييم، أو مشاركة مضامين معينة، أو إدراج أي محتوى؛ منهيًا بذلك حقبة الاتصال العمودي النخبوي ليحل محله الاتصال الأفقي حيث يمكن لأي مواطن أن يزاحم الصحفي في نشر وبت الأخبار.

الهوامش

- ¹ محمد عبد الحميد، نظريات الإعلام واتجاهات التأثير، ط2، القاهرة: عالم الكتاب، 2000، ص. 60.
- ² درويش شريف اللبان، الصحافة الإلكترونية دراسات في التفاعلية وتصميم المواقع، ص 65.
- ³ John E.Newhagen and Sheizaf Rafaeli, "Why Communication Researches Should Study the Internet", Journal of Communication, Vol 64,N° 3, Winter 1998, p.p.: 14-38
- ⁴ محمد عبد الحميد، الاتصال والإعلام على شبكة الإنترنت، ط1 القاهرة:عالم الكتب، 2007، ص 140
- ⁵ المرجع نفسه،، ص 140
- ⁶ عباس ناجي حسن، الصحفي الإلكتروني، عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2013، ص 63
- ⁷ الصادق الحمادي، الصحافة الإلكترونية..... سياقات الابتكار والتجديد، ورقة عرضت في اليوم المفتوح حول الصحافة الإلكترونية 15 جوان 2006 النقابة الوطنية للصحفيين التونسيين ومؤسسة بانوس باريس.

- ⁸ عبدالعزيز بن ضيف الله الكتاني الزهراني، مقرونية النصوص الإعلامية الإلكترونية دراسة مقارنة على عينة من المواد المنشورة في الصحف والمنتديات السعودية بحث تكميلى لإتمام متطلبات الحصول على درجة الماجستير في الإعلام، قسم الإعلام، كلية الدعوة والإعلام، 2009 ص 53-54
- ⁹ شريف درويش اللبان، الصحافة الإلكترونية دراسات في التفاعلية وتصميم المواقع، ص 82.
- ¹⁰ نجوى عبد السلام فهي، "التفاعلية في المواقع الإخبارية العربية على شبكة الإنترنت دراسة تحليلية"، مرجع سابق، ص 233.
- ¹¹ المرجع نفسه، ص 235.
- ¹² Yolla Polity, "Eléments pour un débat sur l'interactivité", www.iut2.upmf-grenoble.fr/RI3/TPS_interactivite.htm, consulté le 29/05/2006.
- ¹³ نجوى عبد السلام فهي، "التفاعلية في المواقع الإخبارية العربية على شبكة الإنترنت دراسة تحليلية"، مرجع سابق، ص. ص. 235-236.
- ¹⁴ حسن عماد مكاوي، ليلي حسين السيد، الاتصال ونظرياته المعاصرة، ط3، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ص 107.
- ¹⁵ عبد الباسط أحمد هاشم، التفاعلية في المجالات الإلكترونية على شبكة الأنترنت: دراسة تحليلية لمجاتي آخر ساعة المصرية وتايم الأمريكية مع دراسة ميدانية للقائمين بالخدمات الإلكترونية، رسالة ماجستير، قسم الإعلام، كلية الآداب، جامعة جنوب الوادي-سوهاج-2005 ص 103-104.
- ¹⁶ شريف درويش اللبان، الصحافة الإلكترونية دراسات في التفاعلية وتصميم المواقع، ص 92.
- ¹⁷ عبد الباسط أحمد هاشم، مرجع سابق.
- ¹⁸ عبد الباسط أحمد هاشم، مرجع سابق.
- ¹⁹ محمد عبد الحكيم محمد، مرجع سابق، ص 18.
- ²⁰ تمر صحافة الإنترنت حالياً بمرحلة بدأت تتشكل فيها اشكال تعبيرية جديدة تعددت أسماؤها ولم تنبلور خصائصها بشكل كامل يسميها البعض صحافة المواطن والبعض صحافة الجمهور أو صحافة المصدر المفتوح مثل مواقع البلوغ والويكي... ويبدو جدل حاد الآن حول أهلية هذا النوع من الكتابة كصحافة حقيقية على خلفية عدم مصداقية المحتوى وعدم وجود جهاز تحريري متخصص يعمل فيها.
- ²¹ عباس مصطفى صادق، "التطبيقات التقليدية والمستحدثة للصحافة العربية في الإنترنت"، مرجع سابق.
- ²² نصر الدين لعياضي، "الصحافة الإلكترونية: أحادية الشكل وتعدد المضامين أم أنواع صحفية جديدة"، مرجع سابق.
- ²³ الصادق رايح الصحافة الإلكترونية وعصر الويب 2.0 ص 31
- ²⁴ M. Diouma Diallo, Diallo Mamadou. L'appropriation des technologies du web 2.0 dans les redactions locales: l'exemple de Nicematin.com. M_edias locaux, Oct 2011, Toulouse, France.<sic 01094775>
HAL Id: sic 01094775 <http://archivesic.ccsd.cnrs.fr/sic 01094775>
Submitted on 13 Dec 2014 consulté le 20 /01/2015
- ²⁵ Ibid
- ²⁶ الصادق رايح الصحافة الإلكترونية وعصر الويب 2.0 مرجع سابق ص 31
- ²⁷ السيد صلاح الصاوي، سمات الويب 2,0 على مواقع الأرشيفات والمكتبات الرئاسية على الإنترنت، مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية، مج 18، ع 2، ماي-نوفمبر 2012 ص 218-219.
- ²⁸ الصادق، رايح "إعلام المواطن". بحث في المفهوم والمقاربات. المجلة العربية للإعلام والاتصال السعودية 2010 العدد 6، ص. 233.
- ²⁹ Philippe Crouzillacq, "Le WIKI à l'école de l'information", <http://www.01net.com>, consulté le 10/04/2006
- ³⁰ Ibid.
- ³¹ La rédaction, "Le Los Angles Times joue l'interactivité en ligne", <http://www.zescoop.com/naws.php?id=1615>, consulté le 10/04/2006

مصادقية الإعلام الجديد - مقارنة سوسيو إعلامية -

د. سمير رحمانى

جامعة باتنة

أ. بن علي سماش

جامعة الجزائر 3

تقديم:

شهد النصف الثاني من القرن العشرين تطورا كبيرا في مجال تكنولوجيا الإعلام والاتصال وهذا التطور يفوق كل الإنجازات البشرية التي سبقت هذه الفترة وخلال القرون المتعاقبة، ولعل أبرز مظاهر التكنولوجيا، يتجلى في الإندماج الذي حدث بين ظاهرتي تفجر المعلومات، وثورة الإتصال، ويتمثل المظهر البارز لتفجر المعلومات في استخدام الحاسب الإلكتروني، من خلال تخزين واسترجاع خلاصة ما أنتجه الفكر البشري، في أقل حيز متاح، وبأسرع وقت ممكن، وهنا تأتي الابتكارات الحديثة كالحاسب الشخصي، وتطور الإتصال بمختلف أشكاله⁽¹⁾

إلى أن وجد إنسان العصر الحديث نفسه في حيز أصغر مما هو عليه في الواقع نتيجة لسرعة تداول المعلومات، وانتشار الأخبار، والآراء، والمواقف، وهذا التطور الهائل جعل الإنسان يعيش فوق شلال من الكلمات، على حد تعبير الباحثين الأمريكيين "كتليب" و"سنتر" اللذان يعتقدان أن الفرد الأمريكي مثلا، ينفق ما يعادل 70% من ساعات يقظته في الإتصال اللفظي استماعا، وتحدثا وقراءة، وكتابة⁽²⁾

الإشكالية

لقد ساهمت هذه التكنولوجيا الحديثة، في انتشار المعرفة بشكل كبير وكذا في سرعة تدفقها، لدرجة يصعب فيها الاستيعاب، على الفرد العادي، لهذا الكم الهائل من المعلومات حتى أصبح يطلق على المجتمع الحديث، اسم

"مجتمع المعرفة"- وهو المجتمع ما بعد الصناعي، وهو مفهوم مرتبط بفلسفة ما بعد الحداثة، أو العولمة، القائم على الرأسمال البشري، والتنمية الإنسانية المعرفية، والقائم في اقتصاده على اقتصاد المعرفة، وفي تعليمه على المعرفة وكذا في منهجه، وأنشطته، وأساليبه من خلال جمع البيانات، والمعلومات، ومعالجتها كمعرفة.⁽³⁾

غير أن استغلال الوسائل التكنولوجية الحديثة، والمرتبطة خصوصا بالشبكة العنكبوتية لا شك يتفاوت بين شخص وآخر، وكذا بين مجتمع وآخر، وحتى بين دولة وأخرى حيث أن الفجوة المعرفية تزداد اتساعا بين العالم المتقدم، ونظيره المتخلف، كلما زاد استغلال الوسائل الإعلامية الجديدة، وتقدمت أساليب انتشار الإعلام الجديد وطرقه، ليصل الأمر في أحيان كثيرة إلى اعتماد الغرب، على وسائل الإعلام الجديد، من أجل تكريس، الهيمنة والسيطرة، والتبعية المعهودة.

ولكن السؤال المطروح هنا، هو: هل أن شعوب العالم الثالث واعية بالقدر الذي يسمح لها بالاستغلال الإيجابي لهذه الوسائل؟

و للإجابة على هذا السؤال لا بد من الغوص في تفاصيل الإعلام الجديد، وكيفية انتشاره وطرق التعامل معه من طرف الجمهور في دول العالم الثالث، وهذا يأتي من خلال العناصر التي سنستعرضها في هذه المداخلة.

أهمية الموضوع:

تأتي أهمية هذه المداخلة من خلال الواقع المعاش، حيث أصبح الإعلام الجديد منتشرا بشكل كبير، وأضحى يسيطر على كل مجالات حياتنا، وهذا الواقع فرض على كل الفئات الاجتماعية التعامل مع هذه الوسائل، بالرغم من التفاوت الموجود بين كل منها، غير أن المشكلة تنبع من الطريقة التي يتعامل بها كل فرد مع هذه الوسائل، حيث أثبتت العديد من الدراسات بأن معظم شعوب العالم الثالث، ومنها الشعب الجزائري يتعاملون بشكل سلبي مع مختلف وسائل الإعلام الجديد، لذلك تأتي هذه المداخلة لتسلط الضوء

على بعض الآثار السلبية، والمخاطر التي يجب التنبيه لها عند تعاملنا مع مختلف وسائل الإعلام الجديد، لضمان الاستفادة الخالية من الشوائب السلبية من خلال الوعي بهذه المخاطر في عملية التلقي.

الهدف من الموضوع:

تهدف هذه المداخلة بشكل أساسي إلى التوعية بالمخاطر والآثار السلبية التي تنجم عن التلقي السلبي لمختلف الرسائل المسوقة عبر وسائل الإعلام الجديد، والتي تؤثر لا محالة بشكل سلبي على الكيان الفردي والثقافي والاجتماعي لدينا، وذلك من أجل الاستغلال الواعي لمختلف وسائل الإعلام الجديد، من خلال تجنب الآثار السلبية الكثيرة التي سنشير إليها من خلال هذا الموضوع.

01- دور الإعلام الجديد في بناء المعنى، وصناعة الصورة الذهنية:

لقد جاء الإعلام الجديد، ذو الطابع الفردي التفاعلي، في وقت لم تكن كثير من دول العالم الثالث، قد تمكنت من التحكم الأمثل في وسائل الإعلام التقليدية ذات الطابع الجماعي، فيما يتعلق ببلورة الهوية الوطنية وتحقيق التماسك الاجتماعي، والتكامل الثقافي، وإنجاز الشعور العام بالوحدة الوطنية، خاصة إذا علمنا أن وسائل الإعلام الجديد تؤدي إلى تجزئة اهتمامات الجمهور، وتقطع أواصر علاقات، أقامتها النظم الاجتماعية والتعليمية، والثقافية، بين مواطني كل دولة، مما يولد المزيد من الإحساس بالإغتراب والمزيد من عدم الثقة بالحكومات، والمؤسسات الأخرى التي تحتاج إلى قدر لازم من الإجماع، لتكون أكثر فاعلية⁽⁴⁾

وهذه النتيجة تأتي من خلال ما تلعبه المواقع الإلكترونية، والشبكات الاجتماعية، من أدوار في توجيه الآراء، وبناء المعاني، وصناعة الصور في عقول وأذهان جمهورها خصوصاً لدى فئة الشباب الذين يكثرون استعمالها، حتى أصبحت هذه الوسائط، هي المحرك الرئيسي للشباب في الشوارع، ولعل أصدق مثال على ذلك، هو ما جرى في بعض البلدان العربية،

من أحداث حيث كان للشبكات الاجتماعية، عبر الشبكة العنكبوتية الحظ الأوفر في إدارتها مثل: الفايسبوك...⁽⁵⁾

فملايين الشباب يربط بينهم عالم افتراضي، يزودهم بمختلف المستجدات، والأحداث وبهامش كبير من الحرية غير أن الانتقاد الموجه لهذه الشبكات، هو من يديرها؟ لتربط بين كل هؤلاء الشباب، ولعل الجواب هنا نجده، عند الاتجاه الآخر المعارض لهذا الواقع، والذي يعتبرون فيه أن هناك جهة خفية، تحرك هؤلاء الشباب من خلال معلومات يتداولونها عبر هذه الشبكات، فوقوع حدث ما، في مكان ما، من أرجاء المعمورة، يعمل فرد أو مدون، على نقله إلى العالم عبر الشبكات الاجتماعية، ولكن هذا النقل يخضع لا محالة لشخصية المدون، وثقافته، وإيديولوجيته، واهتماماته، ليجري تلقيه عند باقي المتصفحين ولكن المشكل يكمن في هوية، وماهية المدون، والناقل للحدث، إن وجد فمثل هذه العملية، تعمل على بناء معان، وصياغة أفكار ومضامين يجري تقبلها، عند الجمهور المتصفح، والمعتمد على المواقع الإلكترونية، والشبكات الاجتماعية، في استقاء معلوماته، ومن خلال عملية التكرار، والغزارة الإعلامية، المعهودة في وسائل الإعلام التقليدية، يتم بناء المعنى، ليؤدي ذلك في الأخير إلى إنتاج السلوك، كما يريده مصدر المعلومات، عبر وسائط الإعلام الجديد.

ومهما يكن من أمر، فإن اتجاه تدفق المعلومات، أصبح يسيطر على العالم، وقد انعكس ذلك على الصور الذهنية العديدة، التي تكونت عند الإنسان حول أشياء كثيرة ومجتمعات متباينة، وربما عن كواكب أخرى، غير كوكبنا الذي نعيش فيه، وهذه الصور ليست بنفس الدرجة من الوضوح، والتكامل، فبعضها لا يزيد عن مجرد ضلال باهتة لن تتضح معالمها، لكنها في نهاية الأمر، تمثل رصيذا هائلا، من الخبرات والتجارب المباشرة وغير المباشرة، والتي لم يمر بها إنسان العصور الماضية، بل يكون العجب، عندما نجد أطفالا، يتمتعون برصيد كبير من هذه الصور، وهو ما

لم يتوفر للأطفال في الماضي، وذلك من خلال التعرض لوسائل الإعلام التقليدية أو الجديدة.

والخلاصة أن الصور التي تتكون في الأذهان عن طريق هذه الوسائل تشكل في النهاية مرشحاً نفسياً: Psychological Filter، تتم من خلاله رؤية الواقع وتفسيره، والحكم عليه، لذلك فالصورة الذهنية تشكل مجموع السمات، والملامح التي يدركها الجمهور ويبني على أساسها مواقفه، واتجاهاته.⁽⁶⁾

لذلك فوسائل الإعلام التقليدية، أو الحديثة، تؤثر في الجمهور من خلال رسائلها، إما بشكل مباشر أو غير مباشر من خلال الوسائل الميكانيكية، أو الإلكترونية مثل: الصحف المجلات، الراديو، التلفزيون، السينما، شبكة الأنترنت، وتنتشر رسائل هذه الوسائل بشكل سريع، ومتزامن، إلى عدد كبير من الجمهور الذي تتشكل لديه معاني مشتركة، بالرغم من عدم وجود علاقة بين أفرادها.⁽⁷⁾

فبالرغم من اختلاف أفراد هذا الجمهور، وتعدد اهتماماتهم وثقافتهم، إلا أن هذه الوسائل تعمل على صياغة معانٍ، وبناء صور ذهنية مشتركة لديهم، وهي لا شك تتفق مع أهداف القائمين على هذه الوسائل، وإيديولوجيتهم، خصوصاً لما يتعامل الجمهور مع ما تنشره، من معلومات، بعقلية القبول والتسليم دون التمحيص، أو الغرابة، أو حتى الانتقاد، الذي ينبع من درجة الوعي التي يمتلكها أفراد هذا الجمهور، حيث أنها غالباً ما تكون منخفضة.

لقد ساهم التطور التقني في خلق مساحات افتراضية للتواصل، فكل جهة تحاول تسيير، واستغلال هذا الفضاء والحيز لما يخدم مصالحها، حيث زاد الاهتمام بما ينشر على الأنترنت من قبل العرب مثلاً، بعد 11 سبتمبر أين بدأ الغرب بتوظيف مجموعة من المستشرقين، والعارفين باللغة العربية، والبلدان العربية وبخاصة في وزارات الداخلية ومراكز الأبحاث، كما بدأوا بالتجسس لمراقبة ما يكتب، وما ينشر على الأنترنت وهذا الاهتمام أدى

بصورة مباشرة، أو غير مباشرة، إلى ابتكار برامج لمراقبة ما ينشر وملاحقه، ما يكتب، وبالأخص البريد الإلكتروني.⁽⁸⁾

وهو ما يثير العديد من التساؤلات عن مدى مصداقية، وحيادية المعلومات والرسائل التي تمر عبر هذه الوسائط، وخصوصا منها تلك التي تعمل على صياغة المعنى، وتوجيه الرأي، ففي الوقت الذي تشكل فيه المعلومات، ومضامين الوسائط التكنولوجية الحديثة المنتجة في الغرب، جل ما ينشر لا نجد مساهمة، العالم الثالث، إلا بالقدر اليسير الذي يكاد لا يذكر.

ودول العالم الثالث تفتقر للقدر المعرفية في استخدام التقنيات الحديثة، في كل المجالات الحياتية خصوصا أن هذا الواقع الجديد، سيؤدي لا محالة؛ وقد بدأ- إلى تغيرات اجتماعية، وثقافية عميقة لدى الدول غير المتحكمة من الناحية التكنولوجية، لدرجة، قد يصبح فيها الفرد بعيدا عن سلطة المراقبة الاجتماعية، والثقافة المحلية، في مقابل تقبله لمضامين وافدة، تختلف كليا عن المضامين، والمعاني المحلية.

ومن هنا يعتقد الكثير من المراقبين أن المواقع الإلكترونية-على اختلافها- إنما هي صناعة أمريكية كانت الوسيلة الأساسية لتكريس قيم، ومعاني العولمة، فمنذ إنشاء شبكة الأنترنت قبل أكثر من أربعين (40) سنة من اليوم، لم يكتب لها الانتشار، إلا بعد مرور أكثر من عشرين (20) سنة في باقي دول العالم، وهذا ما يدل على أن الولايات المتحدة الأمريكية لم تسمح بانتشار هذه الوسيلة إلا بعد صياغة أهداف، يمكن للشبكة تجسيدها خدمة للمصالح الأمريكية، لذلك تعتبر مصداقية هذه الوسيلة، مثيرة للعديد من الشكوك.

02- الخصوصيات الفردية لجمهور الإعلام الجديد:

لقد أصبحنا نعيش اليوم، تحولا جذريا لقاعدة تعامل الجمهور مع الوسائل الإعلامية، فبعد ما كان التوجه جماعيا، جماهيريا في البداية مع

وسائل الإعلام التقليدية أصبحنا اليوم أمام توجه فردي من خلال، الميل المتزايد إلى استخدام وسائل الإتصال الفردية، كالهاتف النقال، والمسجلات الصوتية، والحاسبات الشخصية، وألعاب الفيديو... وكل ذلك يجعل المنازل مراكز أساسية لاستقبال المعلومات، والترفيه، التي يختارها الأفراد من بين بدائل عديدة، وفي الأوقات التي تناسبهم، ومن هنا يبدو أن ملامح القرية العالمية التي بشر بها "ماكلوهان" قد تتحول إلى مئات الآلاف من المقاطعات الصغيرة المنعزلة، بسبب التوجه الفردي لوسائل الإتصال وميلها لتفتيت الجماهير المضخمة، إلى جزئيات صغيرة.

إن الفرد مع وسائل الإعلام الجديد اليوم، أصبح يعيش مرحلة الكثافة الاتصالية من خلال مختلف الوسائل والتكنولوجيات، وما تمخض عنها من مفرزات إجتماعية ونفسية يصعب التريث في فهمها، أو إدراكها، أو حتى دراستها، دراسة دقيقة بكل حيثياتها، حيث أصبح الإتصال، ضحية وفرة الإتصال وكثرتة، وأنتج هذا الإفراط في الإتصال، انفجارا داخليا في المعنى وضياح الإحساس بالواقع وسيطرة الصورة الزائفة، حيث يرى الفيلسوف الإيطالي "جيانى فاتيمو"⁽⁹⁾ أن المجتمع الإعلامي بعيد جدا على أن يكون مجتمعا "أكثر تنويرا"، و"أفضل تعليما، وأكثر وعيا ذاتيا"، بل هو على العكس تماما، أكثر تعقيدا، وأكثر تشوشا، وأملنا في التحرر يقع في هذا "التشويش النسبي" حيث أنه لم يعد يوجد تاريخ، ولم يعد يوجد واقع، ولم تعد توجد حقيقة، لقد انفجر عالم الإتصال تحت ضغط تعددية، وكثرة العقلانيات المحلية، والإثنية، والجنسية والدينية، وقد يوفر هذا التحرر، والتنوع والإختلاف، الفرصة لطريق- أخيرا- يكون إنسانيا، يستبدل مجتمع وسائل الإعلام، المثال المتحرر، والمتخذ نموذج الوعي الذاتي المتحقق والبصيرة الكاملة للكائن البشري الذي يعرف كيفية حدوث الأشياء بمثال التحرر، يقوم في الواقع على أساس التذبذب، والتعددية، والنهائي المطلق وعلى تآكل مبدأ الواقع نفسه، من خلال قضاياها: مثل الإكراه الواسع الإنتشار، التي أصبحت تطبع المجتمع التكنولوجي الحديث.⁽¹⁰⁾

فالتكنولوجيا الحديثة، تخفى تحت رداؤها المهر مشكلات لا تظهر إلا حينما تصبح وسائلها جزءا من الواقع الاجتماعي، والثقافي اليومي، فالإنسان الذي أوجد التكنولوجيا يمكن أن يصبح أسيرا لها تؤثر في نمط حياته، وأساليب معيشته، بل وثقافته العامة ورؤيته للعالم من حوله^(١١)

وأصبح الفرد أمام الإعلام الجديد، يتجه شيئا فشيئا نحو الانسلاخ من العادات والتقاليد، والضوابط الثقافية والاجتماعية، لصالح القيم المسوقة في الإعلام الجديد بشتى وسائله وأصبح الفرد كائنا معزولا اجتماعيا، بالرغم من تقاسمه الحيز الجغرافي، مع أفراد آخرين، وهذه القيم ترتبط أساسا بمضمون الفكر الليبرالي الغربي، الذي يدعو إلى تعزيز الروح الفردية على حساب القيم الاجتماعية، بل إن المشكل يكمن في أن ما توفره وسائل الإعلام الجديد في حرية فردية ظاهرة في الاختيار، تعتبر في ذاتها جوهر العبودية، والسيطرة التي يفرضها أصحاب هذه الرسائل، فرغم كل ما تتيحه لنا هذه التكنولوجيات، في توفير الجهد، والوقت، والمال إلا أنها تعتبر، عدوا حقيقيا، يسلب منا ما نملكه من قيم، وضوابط نابعة من ثقافتنا ومجتمعنا.

وهذا الواقع يدحض فكرة أننا دخلنا عصر مجتمعات التحكم كما أسماها "غيلز ديلوز Gills Delleus" مستعيرا المصطلح من وليام بورو William Burough "أي المجتمعات التي تزداد فيها ما يسمى بـ" الآليات الاجتماعية التكنولوجية" للسيطرة المرنة مستلهمة النموذج الإداري للشركة كحارس، ووصي، والسيطرة المشار إليها هي السيطرة على العمليات ذات الدوران المستمر والدائم، والسريع، وعصر ما يسمى بالمجتمع الإعلامي "مجتمع المعلومات" هو أيضا عصر إنتاج "الحالات العقلية" وسوف يكون من الضروري إعادة التفكير في مشكلتي الحرية، والديمقراطية، فلا يمكن تقليص الحرية إلى مجرد حرية المرء في أن يمارس إرادته، إنما تقع أيضا في "الحق في السيطرة العلمية، التي بواسطتها تتشكل هذه الإرادة.^(١٢)

وما يراد منه هو أن التكنولوجيا الحديثة، ومهما وفرت لنا كجمهور، من حالات التحكم ووفرة الخيارات، والحرية في الاختيار....، إلا أنها تبقى ناقصة،

خاصة وفقا للمنظور النقدي، إذ أن هذه الخيارات، وهذه الحريات تبقى تحت سيطرة الرقابة الإدارية التي تفرضها الجهات المتحكمة علميا، وتكنولوجيا، فمجتمع ما بعد الحداثة الذي يتميز بالإنفجار الإنصالي، والمعلوماتي الضخم ليس إلا عنصرا سلبيا وغير فاعل أمام سلطة الحارس الوصي"، والرقيب الإداري، فحرية الاختيار بينما هو موجود، تمثل في حد ذاتها مشكلة حقيقية يواجهها الجمهور، ذلك أن الخيار محصور فيما وفره لنا" الحارس الوصي".

وعموما فإن خصائص الإعلام الجديد، ساعدت على ظهور العديد من الآثار النفسية على الفرد، حيث أثبتت معظم الدراسات الميدانية، والتطبيقية على الشبكات الإجتماعية مثلا. أن معظم المستخدمين يقضون أوقاتا هائلة أمام شاشات الكمبيوتر متوغلين في خبايا هذه الشبكات، وربما ما يقضيه الفرد أمامها لا يقضي ربعه مجتمعا مع أفراد عائلته، بالإضافة إلى الإدمان المستمر، على هذه الشبكات حيث لا يستطيع المدمن الإستغناء عنها ولو لفترة قصيرة، وهو ما يليه عن واجبات، وحقوق ربما هي أكثر أهمية في حياته مما هو عليه.⁽¹³⁾

و هو ما يساهم من دون شك في زيادة العزلة الإجتماعية للفرد ويزيد من تكريس الروح الفردية وانتشار القيم الدخيلة على المجتمع لدى الأفراد، وما يؤدي في الأخير إلى انتشار خصائص فردية جديدة متعارضة مع الواقع الإجتماعي في أحيان كثيرة.

و إذا كان المجتمع التقليدي يميل إلى الفكر الجماعي، والسلوك الجماعي والحوار الجماعي، والتفاعل الجماعي، والتواصل الجماعي، فإن المجتمع الحديث يناقض ذلك تماما، فهنا تظهر الرقعة الجغرافية الواحدة، العديد من الأفكار المتناقضة، والسلوكات المتعارضة، والحوارات البعيدة والتفاعل مع أفراد بعيدين مسافات طويلة، في مقابل الإنعزال عن أفراد المجتمع الواحد.

إن هذه الظاهرة ستؤدي إلى تصنيف إهتمامات الفرد وتقضي على الخبرات المشتركة التي قد يحققها الاتصال الجماهيري التقليدي، ويؤدي كذلك إلى صعوبة التواصل والتفاهم بين أفراد المجتمع الواحد، نتيجة غياب الروابط والاندماج والتفاعل بين أفرادها هذا إضافة إلى أن الوسائل الحديثة لا يمتلكها كل الأفراد، وكل الجماهير على نحو متساو.

ففي الجزائر نجد أنه في الوقت الذي لا تصل الجرائد اليومية إلى بعض المناطق تكون خدمات الشبكة العنكبوتية، متاحة في مناطق أخرى، وبسرعة تدفق عالية، وهو يخلق فجوة رهيبة حتى بين أبناء المجتمع الواحد، ما يساهم في زيادة الحاصل بين أفرادها.

و إذا كانت وسائل الإعلام التقليدية خاضعة للتوجهات الإيديولوجية للسلطة الحاكمة، من خلال التمويل⁽¹⁴⁾، فإن الإعلام الجديد بشتى وسائله يخضع لجهات غالبا ما تكون مجهولة وغير معروفة، وهي تشتغل في سرية تامة في سبيل تحقيق أهدافها، زيادة على أن الوسائل التكنولوجية الحديثة ساهمت أيضا في تغيير حاجياتنا اليومية، دفعت بها بشكل أساسي إلى الانعزال والانفرادية، فأصبح الهاتف النقال مثلا يلغي تواصلنا المباشر مع محيطنا، وأصبح البريد الإلكتروني مقوضا لعمليات الاتصال الشخصية المباشرة. ما أدى إلى إنتاج فرد ومجتمع يميل إلى الخمول والكسل، والاكتفاء بالقليل والضروري من أي نشاط تنتجه لنا تكنولوجيات الاتصال الحديثة.

03- مصداقية الإعلام الجديد

لقد أصبح الأمر مألوفا، أن نسمع عن وزارة الصحة الفرنسية مثلا، بأنها تحذر مواطنيها من شراء الأدوية والمنتجات الطبية عن طريق المواقع الإلكترونية، أو أن نسمع عن القرصنة الإلكترونية التي تهدد حياض ومصداقية التواصل والعمل الافتراضي عن طريق هذه الوسائل التكنولوجية الحديثة، خصوصا أن العديد من المتخصصين في مجال الانترنت، شبكات التواصل الاجتماعي، يوجهون إليها انتقادات شديدة اللهجة بخصوص عملها، ومدى حياديتها وموضوعيتها، فهم يعتقدون أن

الأحداث الجارية مثلا في أكثر من بلد عربي، والتي كانت معتمدة - إلى حد بعيد - على شبكات التواصل الاجتماعي في تحريك الشارع، ومن ثمة تغطية ما تقوم به، يرون أن هذه الشبكات والمواقع نفسها غير بريئة، فهم يسمونها بـ " الحرب الالكترونية" ويتخذون من الأحداث التي جرت في إيران عقب الانتخابات الرئاسية لعام 2009، مرجعية لفهم ما يحدث في العالم العربي، حيث أن العديد من الوسائل الإعلامية الأمريكية والغربية اعترفت بملوع المخابرات الأمريكية في تحريك الشارع الإيراني، وذلك عن طريق شبكات التواصل الاجتماعي، والرسائل النصية للهواتف النقالة بعد هذه الانتخابات، غير أن هذه الاحتجاجات سرعان ما تراجعت رغم تأثيراتها الكبيرة على مراكز صنع القرار في إيران، فنفس هذه الطريقة هي التي طبقت في العديد من البلدان العربية، وأدت إلى تحقيق نتائج لم تكن متوقعة، لذلك فإن الشبكات الاجتماعية والمواقع الالكترونية وحتى الهواتف الذكية، هي الأخرى غير كفيلة بنقل تطلعات الجمهور بصورة بريئة ومحيدة، بالرغم من أن الكثير يسمونها بـ " صحافة المواطن" أو " وسائل اعلام المواطن"، حيث تقوم بنقل ما يقول المواطن دون زيادة أو نقصان، ولكن هذا الأمر أيضا لا يخلو من الخطورة، نظرا لما أوردناه في هذا المجال، إضافة إلى الرقابة التي تقوم بها الدول الغربية خصوصا على الشبكة، وذلك نظرا لتحكمها التقني الواضح مقارنة بالدول العربية ودول العالم الثالث البعيدة عن هذا الواقع.

فعلى الرغم من التطور الحاصل في وسائل نقل المعلومات التي قللت من المسافات بين شعوب العالم، وأصبح الفرد يتعامل بشكل يومي مع وسائل الإعلام الجديدة خصوصا فئة الشباب التي لاقت لديهم هذه الوسائل تجاوبا كبيرا، ويبرز تأثير شبكات التواصل الاجتماعي من خلال حجم المنخرطين فيها، حيث يذكر تقرير صادر عن إدارة دبي للإدارة الحكومية عن حجم إنتشار واستخدام عدد من وسائل الشبكات الاجتماعية على الانترنت، إن عدد الشباب في الفاييس بوك في الوطن العربي يقدر بـ 27

مليون منخرط، حيث أن هذا الرواج الواسع خير دليل على الثقافة التي تشغلها وسائل الإعلام الجديدة في حياة الشباب العربي.^(١٥)

ولذلك نجد الدول الغربية، وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية، تراقب عن كثب كل ما يكتب ويدون عبر وسائل الإعلام الجديدة، خاصة إذا كان يمس بمصالحها فمثلا كانت هناك مراقبة شديدة، على التقارير الإعلامية من طرف القوات الأمريكية لما غزت العراق، من أجل محاربة المضامين الناقدة للهجوم العسكري، وتقديم تقارير مبررة له^(١٦)، وذلك يشمل وسائل الإعلام التقليدية، كما يشمل وسائل الإعلام الجديدة وخصوصا الشبكة العنكبوتية ومختلف مفرزاتها.

كما أن بروز تجمعات شبابية الكترونية عابرة للحدود، ساهم في تبادل وجهات النظر، وخلق حالة من التفاعل الايجابي بينهم في شتى أنحاء العالم، ولكن كثيرا ما تكون المعلومات المتداولة غير مؤكدة من ناحية المصدقية، خصوصا إذا علمنا أن بالإمكان استعمال هذه الوسائل بهويات وهمية، وأسماء مستعارة، في مقابل أن غالبية الشباب في البلدان العربية مثلا، يدلون بمعلوماتهم الشخصية بصورة حقيقية، وأن كل المعلومات والمواضيع التي يناقشونها تخضع لرقابة الشركات المسيطرة على هذه المواقع، ويمكن لهذه الجهات أن تستعمل المعلومات التي تجمعها كما تشاء، دون أن يعرضها ذلك لمتابعات قضائية، وقد تبدو هذه المعلومات غير مخيفة بالنسبة للكثيرين، ولكن من لديه إحاطة ببدهيات الجوسسة والصراع الأمني، يدرك خطورة هذا الأمر، هذا من ناحية، و من ناحية أخرى يتساءل الفرد أحيانا عن مصدر المعلومات الذي يتعامل معها، دون الحصول على جواب شاف.

حيث أن موقع "فايس بوك" مثلا لا يزال يثير الكثير من الجدل على المستوى العالمي بسبب الأرباح القياسية التي يحصدها، خصوصا وأن مسألة إقحام حياة وخصوصية المستخدمين أصبحت على المحك، بسبب استيلاء الادارة على بيانات ومعلومات هامة لتحقيق أهدافها الربحية، حيث سمحت بورصة " وول ستريت" مؤخرا لموقع "فايس بوك" على تلاعبه

بمشاعر مستخدميه دون علمهم، وذلك من خلال التحكم في صفحة " تغذية الأخبار" في إختبار تأثير الرسائل الإيجابية أو السلبية على مزاج المستخدم، وهي الدراسة التي اعتبرها الكثيرون أمرا غير أخلاقي وظهر ذلك جليا في تقارير الأرباح السنوية للموقع الشهير، والتي تخطت كل التوقعات، ما رفع أسعار أسهم الشركة لمستويات قياسية⁽¹⁷⁾.

بالرغم من أن العالم أصبح بحق إلكترونيا، حيث نجد الطالب يدرس إلكترونيا والأستاذ يدرس كذلك، والتاجر يبيع إلكترونيا، والمستهلك يشتري كذلك. ..، ولكن الإدارة الإللكترونية العالمية، بقدر ما تتصور أن فيها من الحياد، والمصداقية ما يكفي للوثوق بها، إلا أن ذلك يعتبر أمرا مبالغا فيه، فيمكن أن تنشر بعض المعلومات ولكن بصورة نسبية ما دامت هناك رقابة عالمية بهذا الخصوص، والمصداقية المطلقة، أمر مستحيل، عندما تتلقى مثل هذه المعلومات.

فمثلا اكتشفت المقاومة اللبنانية والفلسطينية أن محرك البحث GOOGLEزود إسرائيل بمعلومات دقيقة عن الشباب اللبناني والفلسطيني، وذلك عن طريق إدارته بالطبع وهذه المعلومات كانت تستعمل بغرض الجوسسة ولأهداف عسكرية.⁽¹⁸⁾

كما أن " فايسبوك" تلقى دعما من بعض الشركات، في نزاعها مع مكتب المدعي العام في " نيويورك" حول حماية بيانات المستخدمين من التحقيقات الحكومية وهو الأمر الذي تحول بسرعة إلى صراع حول الحقوق الدستورية، واليوم نجد عدادا من كبرى الشركات الإللكترونية، مثل " غوغل" و" مينكدين" و" ميكروسوفت" إضافة إلى إتحاد الحريات المدنية في نيويورك" و" قد قامت بتقديم مذكرات للمحكمة تدعم موقف " فايسبوك" وأجمعت هذه الشركات في مذكراتها، على أن المذكرات والتصريحات القضائية - مثل تلك التي طلبت من " فايسبوك" أن تسلم بيانات 381 مستخدما إلى مكتب المدعي العام في " نيويورك" تشكل مشكلة كبيرة خصوصا عندما تكون، من

نوع الأوامر الصارمة، والتي تمنع الشركات من تحذير المستخدمين وتنبههم بأنهم يخضعون للتحقيق.⁽¹⁹⁾

وعموما، فإن ما يمكن قوله عن الإعلام الجديد في الأخير، هو أن تسويق الشبكات الإجتماعية ومختلف وسائل الإعلام الجديدة على أنها منقذ للشباب من أنظمة الحكم الديكتاتورية، والفاصلة أمر مبالغ فيه، كما أن حلم الشباب في الانتقال من مرحلة الإعلام التقليدي المراقب، إلى المرحلة الإعلام الجديد " الحر"، أمر مبالغ فيه أيضا والمصلحة تقتضي منا كأكاديميين، التنبيه لمخاطر الإعلام الجديد، قصد تفاديها من أجل الاستغلال الأمثل لمختلف وسائله.

لكن ينبغي علينا أيضا كأكاديميين، عدم إهمال الجانب الآخر من المعادلة، وهو الاهتمام بالبحوث والدراسات الإعلامية المركزة على جمهور الإعلام الجديد، ووسائله المختلفة، قصد أخذ فكرة متكاملة عن الظاهرة، وبالتالي وصف العلاج المناسب لها، أو على الأقل اقتراح الطرق الوقائية، اللازمة للمجتمع لحماية أفرادها، وذلك لن يتأتى إلا من خلال دراسات علمية دقيقة تركز أبحاثها على عينات الجمهور المختلفة بما تحمله من خصائص ومواصفات يجب أن يتشارك فيها أفراد الجمهور المستهدف بالدراسة، إضافة إلى أخذ أفراد العينة، بالنظر إلى محيطهم الذين يعيشون فيه وحسب مواصفاتهم وخصائصهم العامة.⁽²⁰⁾

خاتمة:

وخلاصة يمكن القول أن الإعلام الجديد ساهم بشكل أساسي، في خلق جو افتراضي، وفضاء عمومي جديد للنقاش، والحوار، وسمح بخلق مساحات من التفاعل والتعبير عن الرأي كما ساعد على تغطية الأحداث مهما كانت بعيدة عن اهتمام الوسائل الإعلامية التقليدية، إلا أن ذلك كله يجب أن لا يدع جمهوره ينساقون إلى سلبياته الكثيرة، وهذا لن يتأتى إلا من خلال الاستعمال الواعي والتعامل الإيجابي مع مختلف وسائله، وهذا الوعي

تقع مسؤوليته على الباحثين، والدارسين بالدرجة الأولى ثم على مؤسسات التنشئة الاجتماعية والجهات الوصية، كي نحصل على الإستغلال الأمثل، بتفادي الوقوع في الآثار السلبية التي كثيرا ما نلاحظها في واقعنا الإجتماعي.

الهوامش:

- (1) حسن عماد مكاوي، تكنولوجيا الإتصال في عصر المعلومات، ط3، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، 2003، ص. 49
- (2) علي عجوة، العلاقات العامة والصورة الذهنية. القاهرة، عالم الكتب، 1999، ص.9
- (3) العربي فرحاتي، "المعلوماتية في التعليم الجامعي" مجلة الحكمة، كنوز الحكمة، عدد 3، جويلية، 2010، ص.41.
- (4) حمدي حسن أبو العينين، "الإعلام الجديد في العالم الإسلامي" مجلة الدراسات الإعلامية القيمية المعاصرة، دار الورسم للنشر والتوزيع ع1، مج 1، 2012، ص.12.
- (5) توفيق المدني، سقوط الدولة البولسية في تونس، بيروت، الدار العربية للعلوم ناشرون، 2011، ص.267.
- (6) سليمان صالح، وسائل الإعلام وصناعة الصورة الذهنية. الكويت، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، 2005، ص.22.
- (7) حسن عماد مكاوي؛ ليلي حسن السيد، الاتصال ونظرياته المعاصرة. القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، 2001، ص.34.
- (8) غسان مراد، إحضار الثقافة العربية إلى المتلقي الأجنبي عبر الوسائط الحديثة. كتاب العربي، الثقافة العربية في ظل الوسائط الحديثة جزء1، مجلة العربي، ط1، 2010، ص.64.
- (9) أرمان ماتيلار؛ ميشيليه ماتيلار، نظريات الإتصال، ترجمة، أديب حضور. المكتبة الإعلامية، دمشق، ط2، 2008 ص.200.
- (10) أرمان ماتيلار، المرجع السابق، ص.200
- (11) حمدي حسن أبو العينين، المرجع السابق، ص.14.
- (12) أرمان ماتيلار؛ ميشيليه ماتيلار، نظريات الإتصال، مرجع سبق ذكره، ص 202
- (13) ساعد هماش، "الشبكات الإجتماعية وأثرها على الفرد والمجتمع"، مجلة الدراسات الإعلامية القيمية المعاصرة الورسم للنشر والتوزيع، الجزائر، عدد 2، مج 1، 2012، ص 78.
- (14) Brahim Brahim. Le Droit à l'information l'épreuve du parti unique et de l'état d'urgence. Alger , Edition SAEC Liberté, 2002, p. 24
- (15) مرسي مشري، « شبكات التواصل الإجتماعي الرقمية » مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 4 جانفي 2012، ص.199.
- (16) Susan Pape ; Sue Featherstone. Newspaper journalism: A Practical Introduction. SAGE Publication Ltd , 2005. P. 136. _
- (17) زبير فاضل، " هل ينتهك فايسبوك خصوصيتك، ويقتحم حياتك؟" صحيفة المنير. عدد 7523، 2014/08/15، ص.4.
- (18) WWW. ALMANAR.COM. 08/05/2009. 17: 30
- (19) زبير فاضل، المرجع السابق
- (20) Omar Aktouf: Méthodologie des Science Sociales et approche des organisations. Presse de L'université du Québec. 1987.p.71

المحور الرابع

البعد الاستطريقي لأيقون الزيتون عند الفنان محمد خدة

د.ة . عمارة كحلي

جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم

مقدمة:

يتبين المتأمل للوحات الفنان التشكيلي الجزائري محمد خدة (1930-1991) مدى الانشغال البصري الذي يبديه هذا الفنان في تشكيل "زيتونه"، من خلال التظاهرات البصرية التي تتجلى فيها أيقونية الزيتون مشهدا تشكليا تتواشج فيه لمسات الريشة الغامقة بتقاطيع الخط المفتوحة. وهو ما يجعل تحريك الأفق التخيلي سبيلا إلى فهم بلاغة التجريد عنده. ذلك أن الحقيقة الفنية للزيتون لا تستغني عن مظهرها البلاغي في مختلف أطوار تشكلها البصري - على أساس أن البعد التخيلي يدخل في بناء المكون الرمزي لأيقون الزيتون.

ولاشك أن الوقوف عند الغموض الذي يحيط بالعلامات التشكيلية يحتاج إلى استقراء المزيد من المعاني المتوارية خلفها. وقد يكون للمعنى الاستطريقي نصيب أكبر في تذليل هذا الغموض واستيعاب مقاصده الدالة. إذ لا مناص من أن البحث في الاستطريقي يسعف حاستنا التذوقية على رؤية اللوحة ممكنا إستطيقيا يمارس فيها الفنان خبرته الإدراكية. ذلك أن رؤية الفنان نفسها "شخص" الزيتون إنسانا يمتلك كل القيم التي تحفظ له كينونته الإنسانية.

يعبر الرسام محمد خدة عن سر اهتمامه بالزيتون قائلا: "لقد رأيت زيتونا كثيرا وأتحدث عنه غالبا. أحب هذه الشجرة ومع ذلك أتوخى الحذر. ففي التواءاتها وفي نتوءاتها وفي تشققاتها، وفي عنادها المكابر في مجابهتها لعدوان الرياح، وأضرار الغبار، أجد فيها مسعى هذا الإنسان وأفهم الإنسان المتماسك..."

حتى وإن كان في احتجاجاتها بعض من الرومانسية التي تزعجني، فإن قلقها يثيرني ويدنيي. هناك بلا شك في إيماءاتها مغالاة بفرط مسرحيتها، غير أنه في رفضها في أن تتجذر في الأراضي كثيرة الخصوبة، وفي اختياراتها التي تفضل الأراضي الجافة - بل الصخور أيضا - كي تتشبث، كل هذا الزهد له طعم الكرامة.

الزيتونة عندي أصل. فهي منبت للعلامات وللكتابة التي أقترحها.

مذ ذاك، فإن جذع زيتون أو قطعة منه هو بالنسبة إلي منظر طبيعي كله، وإن يجعلني "أتجاوز" غالبا المنظر الطبيعي، وإن يكن في غموضه سهلا خريا بفعل نابالم⁽¹⁾، وجسدا حنونا لامرأة أو صديق بقبضة ملوحة، فذلك حقي - وحقكم أيضا - في الخيال⁽²⁾.

يفصح الفنان في النص أعلاه عن أسباب اهتمامه بالزيتون في أعماله، وعن المرجعية الرمزية التي يصدر عنها في تشكيله لأيقون الزيتون. ويتضح جليا أن الأفق التخيلي الذي يُوَطر التشكيل البصري لرؤية الفنان، هو الذي يثمن بعض مقاصد هذه الدراسة. وبغض النظر عن التوجه الأيديولوجي لشخص الفنان (الاتجاه اليساري)، فإن المحمول الرمزي الذي يكنه للزيتون يترجم قرى كبيرة بينهما.

إن ما يستأثر بالانتباه على وجه الخصوص، هو أن يرى محمد خدة في الزيتون "أصل العلامات" التي يكتتها فوق نسيج القماشة التي يصبغها للوحاته. وفي ذلك ما يؤشر على اشتغال حثيث بالواقع الطبيعي، ومحاولة تشكيله على نحو فني مختلف. ونعتقد أن هذه المسافة من الاختلاف هي التي يصدر عنها مخيال الفنان وكذا جملة مدركاته الموضوعية والذاتية تجاه الزيتون.

ومن هنا تكمن المفارقة في عمله، إذ يغدو أيقون الزيتون موضوعا لتجريد الإنسان. أو بعبارة أخرى، يصبح الزيتون حجة تشكيلية للبحث في إمكانات "الإنسان" فيه. فالمحاثة الاستطبيقية تفرض نفسها للتحري في

حضور الموضوع Le Sujet وغيابه في فن التصوير عند خدة (حضور أيقون الزيتون تشكيلا بصريا وعلامة جمالية مجردة من مظهرها الطبيعي، ثم مردودة بفعل الغياب إثر التأويل إلى مشهدها الطبيعي تشكيلا ذهنيا وتخيليا).

واعتبارا من هذه المعطيات، نحاول مقارنة الحد البصري (أيقون الزيتون بوصفه خبرة بصرية ضمن نسيج اللوحة) بشقه الفلسفي (خبرة المعنى التي ينتهي إليها التأويل من تأمل هذه الخبرة البصرية). ونسعى جاهدين في هذه الدراسة إلى تحريك المعنى الجمالي في عينة من مشاهد اللوحات من خلال متابعة المعنى وتكونه الفينومينولوجي.

فكيف نفهم البعد الاستطقي من أيقون الزيتون وتركيبه اللوني؟ وكيف ندرك الصلة الموجودة بين البصري والفلسفي داخل اللوحة؟ أو بعبارة أخرى، كيف يتمظهر إذا الاستطقي في لوحات خدة؟ وكيف السبيل إلى فهم هذه التمظهرات الاستطقية؟

1-المشهد التشكيلي للزيتون:

يقودنا البحث في الاستطقي حتما إلى اختبار مواطن السؤال التي شغلت هاجس الفنان في أثناء إنجازه لعمله. ذلك أن التأمل الدؤوب في بنية النسيج المكون لقماشة اللوحة عند هذا الفنان، يفضي بنا إلى التساؤل عن المعنى الجمالي الذي يثير حساسيتنا - بوصفنا مشاهدين - تجاه التركيب اللوني وكذا التناص الحاصل في البنية الداخلية التي يظهر عليها الشكل المركزي في اللوحة لماذا يحرص الفنان على ملء الفراغ الباطن لأيقون الزيتون؟ وما هو الاعتبار الجمالي الذي يختاره لألوانه؟

حينما نتأمل المشهد التشكيلي للوحة "زيتونة الفجر"⁽³⁾ Olivier aube (لوحة زيتية، 1976، 92×65سم)، نلاحظ أن التنظيم الجمالي الذي تقوم عليه يستند إلى وضعية الزيتون الذي يشغل ارتفاع اللوحة ابتداء من القاعدة إلى غاية الزاوية اليسرى العلوية. ولا شك أن مسار الخطوط

المتداخلة بالأبيض والأسود، يوحي بأن ثمة عبور ينبغي أن يتم نحو الأعلى، لاسيما أن مساحة الأزرق المائل إلى البنفسجي تكتسح أيقون الزيتون وتدفع بالخطوط إلى التدفق خارج إطار اللوحة. كما أن الخلفية الغامقة ذات الأزرق النيلي والأخضر الزيتوني الفاتح، تدخل طرفا في هذا العبور، بحكم أن ما يحدث في النسيج الباطني للزيتون، إنما يكون صبرورة لا بد منها كي ينجز الانفراج عن الطبقات اللونية الزرقاء ويستعيد نبرته الطبيعية داخل المتخيل الذهني. مما يستدعي التكثيف الناتج عن تسابق الخطوط البيضاء بفعل تقاطعاتها وانحناءاتها، تفكيراً في هوامش الصورة المحيطة بأيقون الزيتون (فهو منظر طبيعي خالص - وإن بدا مظهره "غريباً").

أ وليس "الجميل غريباً"⁽⁴⁾ لكونه لا ينسجم مع أفق توقعاتنا؟ !

نعتقد أن المعنى الاستطريقي⁽⁵⁾ لا ينجلي أمام حساسيتنا إلا إذا نظرنا إلى اللوحة على نحو إستطريقي. إذ لا يكفي النظر وحده بدون أن يبدي الناظر اهتماماً⁽⁶⁾ تجاه ما ينظر إليه - إذ لا يمتلك " الفن الاستطريقي"، في نظر كانط، " لذة المتعة بفعل الإحساس وحده فقط وإنما متعة التأمل"⁽⁷⁾ أيضاً. وهذا ما نلفيه مطروحا في أعمال الفنان محمد خدة، حيث لا ندرك جمالية "الزيتون" عنده إلا من خلال ما يستدعيه التأمل من صور ذهنية تقوم بتركيب المعطى البصري وفق المحمول التخيلي. ولا غرو أن تكون لوحة "زيتونة الفجر" من هذا القبيل خطاباً إستعارياً، يتحمل فيه اللون الأزرق بخاماته المتباينة نصيباً وافراً من بلاغة الرمز. ذلك أن هذه الزرقة التي يشوبها السواد والبياض هي التي تمنح شكل الزيتون جمالاً خفياً، بل وتحثنا على تأمل تبعات هذا الانتشار اللوني ابتداء من المستوى الأمامي من اللوحة إلى غاية الخلفية منها.

ويشير الامتداد الرمزي الحاصل من باطن الزيتون إلى خارجه، إلى أن الامتلاء لا يلبي جمالاً حسياً محددًا وإنما هو جمال مطلق لكونه يكشف عن مشهد كوني داخل نسيج الزيتون. وليس "الفجر" من عنوان اللوحة غير عتبة

رمزية من هذا الجمال المطلق الذي يختبر فيه إمكاناته الاستطيقية - ما دام أن "الاستطيقى خاصة تعطى من خلال العمل الفني ولا تنسب أو تنتمي لأي موضوع سواه"⁽⁸⁾.

وفي ذلك إشارة ضمنية إلى أن صفة "الاستطيقى" التي نشغل بإثارة مقاصدها الدالة، لا تخلو من طابع المحايثة، لأن اللوحة - بوصفها عملا فنيا- هي التي تحدد كينونتها الذاتية والوجودية. ويعتبر جيرار جنيت هذه المحايثة ضربا من "السكون أو الانتظار"⁽⁹⁾ اللذين يخضع لهما العمل الفني قبل ولوجه باب المشاهدة والمحاورة من قبل المتلقي. ومن ثمة تحايث لوحة "زيتونة الفجر" معناها فيها، من باب أن التلأل بسط لهذا الانتظار ونشر للمعنى المشئي ضمن هذا التواشج اللوني للأبيض والأسود داخل الأزرق.

في المقابل، بوسع المتعقب للمشهد التشكيلي عند خدة أن يعاين بعضا من هذه التجليات الاستطيقية التي تكشف عن رؤية باطنية للجمال. وذلك من خلال ما تعرضه لوحة "عن الزيتون"⁽¹⁰⁾ Sur l'olivier (لوحة زيتية، 1980، 45×65 سم) من علامات جمالية تدعو متأملها إلى استيعاب التناسق الحاصل ما بين أيقون الزيتون والعلامات المجاورة له: ففي وضعية الامتداد المستقيم التي يظهر عليها، فضلا عن تشكله مستوى أماميا بالقياس إلى ما يظهر خلفه ومن حوله، كل ذلك، يمنح التشكيل اللوني مستوى جماليا متناغما.

ومما تجدر الإشارة إليه أن التشاكل الذي يبديه أيقون الزيتون في صيغة تصميمه المتحركة مع حركة الكتابة المتماوجة، لا يخلو مطلقا من بلاغة المجاز. ذلك أن المحمول التخيلي لأيقون الزيتون يدفع بالتأويل بعيدا في هذه اللوحة، فتراه العين شرعا وقد تعلقته به تلك العلامات الحروفية عن يمينه وشماله، مثل توائم قديمة تنتظر من رائها أن يفك قيدها ويحرر وثاقها من خلال أيقونية الزيتون. ولاشك أن الفجوة المضيئة التي تفتح على مشهد

سماوي هادئ، تترك انطبعا بالخصوبة التي يتمتع بها الأفق التخيلي الذي ينسج من خلاله أيقون الزيتون مشهد اللوحة كلها.

هكذا يفترض أيقون الزيتون من متلقيه مخيالا خصبا كي يشارك الفنان في بناء كل هذه الدلالات. فلوحة "عن الزيتون" فضاء أزرق من نسيج الحلم، يبتغي إدراكا جماليا يحسن فهم الإيقاع الذي يتحرك فيه التركيب الفني كله للوحة. ذلك أن الوصول إلى حافات الحلم المكون للوحة يعد قصدا من مقاصدها الدالة التي تتشكل في خبرة مشاهدها: إذ يثير البعد الاستطقي لزيتون معنى التراكم الداخلي للخبرة لأن بناء المشهد عند إدراكه يحتاج إلى تضافر مجموعة من الرؤى في أثناء تركيبه البصري وتحليل مكوناته البنائية. كما يطرح التشكيل المتنوع للحرف المغربي إلى جانب صنوه التيفيناغي⁽¹¹⁾ أو ما يمكن أن يكون تشكيلا محضا، الحضور الجمالي للعلامة ضمن التركيب المشهدي للوحة. ونحسب أن توظيفنا من هذا القبيل يستشرف تقاطعا بصريا ما بين الكتابة وفن النحت، لما يظهر عليه أيقون الزيتون - في لوحة "عن الزيتون" - وكأنه منحوت بعناية الخطاط الذي يقرأ في الأشكال صيرورتها اللامرئية.

يتساءل بول سيبلو Paul Siblot في هذا الصدد إذا لم يتعلق الأمر بالنسبة إلى الفنان خدة "بسرقة العلامات"⁽¹²⁾ مثل بروميثيوس⁽¹³⁾ الذي منح البشر بحسب الأسطورة علاوة على النار، الفنون والكتابة؟ وباختلاف يسير على الأرجح هو أن هذه العلامات كانت موجودة سلفا، لكونها بشرية، بيد أنه كان لا بد أن يرجع إليها الحياة"⁽¹⁴⁾. ولا نجانب الصواب إذا ما اعتبرنا التشكيل الفني في لوحة "عن الزيتون" قائما على البعد الاستطقي للعلامة تحديدا.

وقد يكون أيقون الزيتون - في هذا المقام - حجة إستطيقية لا غير، يخول للفنان الاشتغال على أكثر من نص واحد. إذ يحفز المشهد الطبيعي المختزل لشكل الزيتون، ذاكرة الفنان على تركيب علامات متباينة المشارب

ضمن نسيج اللوحة. وكأن الحدس الجمالي للزيتون يستدعي معه هذا الثقافة التشكيلي الذي ينصهر فيه الموروث المحلي (التشكيل المغربي للعلامة) بالثقافات الوافدة (التراث التجريدي عموماً). ولأجل ذلك، تغدو الطبقات اللونية في تراتبها السيميائي مجالاً للتأمل في مستويات تمظهرها الجمالي، بعد أن قلص الزيتون المسافة بين فن التصوير وفن النحت على ظهر الكتابة.

يترجم إذا الانشغال الجمالي في لوحة "عن الزيتون" وعيا جمالياً في رؤية المنظر الطبيعي وتشكيله ممكناً إستطيقياً يغدو بموجبه أيقون الزيتون ظاهرة للتأمل والبحث في الوقت نفسه. فالفنان لا يفصل ما يراه عما يدركه في متخيله، ولا ما يصوره عما يعتقد موجوداً في باطنه. فالإدراك الجمالي للزيتون يتحرى كشفاً بصرياً في خبرة البناء والتركيب، لأن الشكل مصدره الهامش اللوني الذي يستمد منه حركة المعنى وتأويله.

وفي الانشغال نفسه تنحو لوحة "ترتيل من أجل زيتون"⁽¹⁵⁾ Psalmodie pour un olivier (لوحة زيتية، 1986، 92×65سم)، حيث يحتاج أيقون الزيتون فيها إلى تأمل خاص بحكم شكله المميز. ولا ريب في أن للتكثيف اللوني نصيباً في بلاغة التشكيل البصري من حيث توزيع الأشكال في اللوحة ومساحة الأحجام التي تشغلها فضلاً عن مستويات تمظهرها. هذا وتظهر الخلفية الغامقة ذات العلامات الأيقونية باللونين الأزرق البنفسجي والبني الصلصالي، مثل جداريات الطاسيلي التي تتراءى فيها مشاهد العدو: فظلال الأجساد أو ما يشبهها، بمثابة جوقة ترافق حركة الزيتون - وهو ما تفصح عنه دلالة "الترتيل" من خطاب العنوان مجازاً. وتكمن جمالية الخلفية في هذا التناوب اللوني للحركة المكتوبة ابتداءً من اليسار في اتجاه اليمين. ولذلك يساوق التشكيل اللوني الأبعاد الحروفية للعلامة بطريقة مثيرة للانتباه، وكأن الخطاب الجمالي لأيقون الزيتون يقصد إلى ذلك قصداً.

لا تخاطب إستطبيقية هذه اللوحة حساسيتنا فقط بل تثير وعينا الجمالي أيضا. فالعرض الافتراضي لمورفولوجية الزيتون الباطنية لا ينتهي حتما داخل حدود إطار اللوحة، بقدر ما يختبر مشهده الجمالي في مدركاتنا التخيلية حصرا. ويذهب مالك علولة بعيدا في تأويل المشاهد الطبيعية عند الفنان خدة، حينما يعتقد أنها ليست غير "مشهدنا الذهني"⁽¹⁶⁾. وذلك انطلاقا من "لغة الأرض التي يعثر على رموزها الضالة، والتي يعمل على تنظيمها تحت أنظارنا بأصباغ يحتفظ فيها الصلصالي والأحمر والأزرق والأسود من خلال تعقدها الهيروغليفي بضوء موجود في كل مكان"⁽¹⁷⁾. وقد تكون رؤية الناقد هنا ممكنا من إمكانات إستطبيقية قد يهتدي إليها التأويل عند محاورة المشاهد الطبيعية للرسام خدة. ولا شك أن التفكير في "هيروغليفية" العلامات مرده إلى الغموض الذي تطرحه سيميائياتها في أثناء الإدراك. وهو إن كان كذلك، فهو (أي الغموض) "الملازم للخطابات الفنية يعد خصيصة إيجابية ومحفزة على إنتاج التأويل في ظل تجاوز إطار محورية المعنى وحياديتها في المتعة الجمالية"⁽¹⁸⁾. والظاهر أن المشهد التشكيلي عند الفنان خدة لا يتوسل المتعة الجمالية سبيلا إلى الغموض، وإنما يلزم مشاهده على ألفة الغرابة سبيلا إلى تحقيق المتعة الجمالية لديه.

واتساقا مع هذه المعطيات، تبتغي لوحة "ترتيل من أجل زيتون" طرحا جماليا مغايرا لأيقون الزيتون. إذ نخال الجمالية هنا مستوى إدراكيا من نسيج الزيتون نفسه، لكونه لا ينفصل - في شكله كما في نسقه السيميائي - عن مقصديته المحايثة.

ومن ثمة ندرك أن هناك بحثا في الفراغ الفاصل بين العلامة وصنوتها الموازية لها، بل هناك بحثا في بنية التصميم الذي يظهر عليه أيقون الزيتون. مما يفترض أن رؤية الفنان تستعيد وهج العلامة من أزمنة سحيقة وتقوم بتركيبها على نحو زخرفي يكتشف الزيتون خلالها أصالته البصرية. ولأجل ذلك، ينتهي أيقون الزيتون إلى الغرابة لأنه استخلص مشهده التجريدي من تراكمات أيقونية عريقة (هناك زخرفة من الرموز بمعنى الكلمة). بالإضافة

إلى مشهد الكتابة التي يستثمر الفنان كل إمكاناتها التشكيلية في تمثيل هذه الرموز. وعليه، تنشغل لوحة "ترتيل من أجل زيتون" بالإدراك الجمالي الذي يكونه الهامش اللوني من اللوحة ونسق العلامات الجمالية التي تركيب مشهدها التشكيلي.

وقد لا يختلف السياق كثيرا في لوحة "زيتون نموذجي" (19) Olivier écorché (لوحة زيتية، 1986، 73×60 سم) من حيث اندراجها في مفهوم البحث الجمالي. ذلك أن مزيها الجمالية تكمن في انفراد أيقون الزيتون في اللوحة، فضلا عن كثافة تشكيله اللوني. ولقد أضفى البعد البصري على هذه الكثافة تناغما شعريا في طريقة الانتشار التي يعبر بها الزيتون عن نسقه السيميائي.

تنشغل لوحة "زيتون نموذجي" إذا بتحريك زاوية النظر من المستوى الأمامي الغامق إلى المستوى الخلفي الفاتح من اللوحة. ومما يثير الانتباه هو أنه في تقابل هذين المستويين، يحدث ما يشبه التقاطع البصري ما بين الظهور الفينومينولوجي للزيتون وقد تخلص من سطحه الخارجي (محاكاة المظهر اللوني للزيتون من خلال امتزاج البني الفاتح بزرقه السواد) والتمظهر السابق لسطح اللوحة من خلال التشكيل الفاتح لحرف "النون". ومن ثمة تحاول الرؤية تركيب الحقيقة الفينومينولوجية للزيتون بوصفه سطحاً متشابك البناء بالهامش الأولي لسطح اللوحة. ويستمد البعد الاستطريقي وجاهته الإدراكية في هذا المشهد التشكيلي من نكتة التضليل الذي يقتطع نسق الزيتون من مشهد سابق غير مرئي لا يزال يحتفظ بعلامة النون أثرا ينتسب إليه هذا التخريج الهجين لشكل الزيتون. فيبدو هذا الأخير - إثر ذلك - نونا تحمل نونا أخرى بداخلها.

إن انشغالا جماليا من هذا القبيل، يدعم ما توصلنا إليه سابقا بشأن فكرة البحث التي تشغل الهاجس التشكيلي لدى الفنان خدة. ولا شك أن ما تعرضه هنا لوحة "زيتون نموذجي" لا يخلو مطلقا من بحث في الألوان وفي

كيفية إدراكها من زوايا متباينة من اللوحة. ونحسب أن الأفق التخيلي من الخصوبة بمكان، لأن المحمول التعبيري كثيف، حيث لا ينفك أيقون الزيتون خلاله يخاطب حاستنا الذوقية و"عاطفتنا الاستطيقية"⁽²⁰⁾ معا.

وانطلاقاً من هذا الاعتبار، لا يتوسل الخطاب الجمالي في لوحة "زيتون نموذجي" إثارة انفعالنا فحسب وإنما إقناعنا جمالياً بصورته المادية أيضاً. فالمحاكاة الطريفة التي تحدثها الخامات اللونية ما بين البني الفاتح والسواد المائل إلى الزرقة الغامقة، فضلاً عن شبكة الخطوط البيضاء الدقيقة والنقط، إنما من باب إقناعنا بما نرى وأن ما يحدث أمامنا قد اقتطعه الفنان من الطبيعة لا غير. "فالفنان التجريدي إذ ينفذ عن كاهله العبء التقليدي في صناعة "ما يشبه الطبيعة"، إنما ينشد الوقوع على العلاقات والقوانين الجوهرية التي تحكم الطبيعة"⁽²¹⁾. ولذلك تدعو اللوحة مشاهدتها إلى تذوقها بوصفها كذلك، حتى يتسنى له استيعاب تمظهرها الجمالي.

2-السؤال الاستطريقي لأيقون الزيتون:

وإذا، ماهي أهم المستخلصات الفينومينولوجية التي يترتب عنها البعد الاستطريقي لأيقون الزيتون؟

لقد أتاحت لنا المعاينة البسيطة للوحات خدة من اكتشاف مستويات متباينة من التمظهر الجمالي لأيقون الزيتون عنده. كما بينت التحاليل الجزئية لتفاصيل الأشكال وسميائياتها البصرية، أن البحث الجمالي عند هذا الفنان لا ينفصل عن انشغاله التشكيلي للوحة عموماً. ولهذا السبب لا يعدو أن يكون أيقون الزيتون في هذا الصدد علامة جمالية تفترض من رائها إدراكاً جمالياً خاصاً يتم بموجبه فهم التجريد الحاصل في تشكيل المشهد الطبيعي للزيتون.

ومن ثمة، يطرح البعد الاستطريقي لأيقون الزيتون إشكال الصلة الموجودة بين المعطى البصري وقرينه الفلسفي: وذلك من خلال إثارة وعينا الجمالي بعلامات أيقونية غير مألوفة تقتضي تأمل علاقاتها التركيبية حتى

ينجلي معناها. ولذلك نلفي هذه "الأيقونية"⁽²²⁾ عميقة في مبناها التخيلي لكونها تستثمر تراثا عريقا في امتداداته البصرية. فلوحات من قبيل "زيتونة الفجر" أو "عن الزيتون" أو "ترتيل من أجل زيتون" أو "زيتون نموذجي"، كلها تختبر - كلا بطريقتها الخاصة - تراكمات إدراكية تترجم وعيا بصريا برمزية الأشكال الموظفة بزوايا مختلفة في اللوحة.

ولذلك نعتقد أن "الجمالي" يساوق دوما ما هو "تأملي" في أعمال خدة، ذلك أنه لا يمكن فهم الاستطريقي لديه من دون أن يتحرى المشاهد فحفا طويل النظر في بنية العلامة ونسق تشكيلها ضمن فضاء اللوحة. ولا نجانب الحقيقة في هذا السياق إذا ما اعتبرنا على لسان غادامير بأن "العمل الفني لا يثير متعة فحسب، وإنما يثير غما أيضا"⁽²³⁾. ونأخذ كلمة "غم" هنا في معناها الفلسفي التي تدل على القلق الوجودي. إذ نستشعر في كل لوحة من اللوحات المذكورة أن هناك سؤالا ما رابضا في ثناياها يربك هشاشتنا البصرية ويلزمنا بالتركيز تجاه ما تقوله اللوحة.

لا يتجلى السؤال الاستطريقي في أيقون الزيتون إلا خفيا لكونه يتخذ من الطبقات اللونية مطية للمجاز الرمزي. ففي اللون الأزرق (بخاماته المتدرجة) المصاحب دوما للسواد والبياض أو للبني فاتحا كان أم غامقا، علاقة وطيدة تترك انطبعا بأن خبرة اللون لدى الفنان خدة تترجم في الأساس إدراكا جماليا باللون ووعيا جماليا بالغاية التي يتوسط من خلالها اللون للتعبير عن رؤيته. "ففي أي صورة، هناك لقاء وأثر للظاهرة وللوعي في الوقت نفسه. بيد أن الظاهرة نفسها لا توجد إلا مرتبطة بما يسبقها وبما يلحقها وبما يحيط بها. كل وعي إذا تفاضلي عبر الزمن"⁽²⁴⁾.

ولا شك أن الوعي الجمالي لا ينفصل في أبعاده التأملية عن الذات العارفة التي تشكل موضوعها ضمن رؤيتها وخبرتها. ولذلك يكون "التفاضل" في النص أعلاه موازيا لمفهوم التراكم الداخلي للخبرة. نظرا لأن أيقون الزيتون

بذاته "معيش إستطقي" Vécu esthétique يعيش في خبرة الفنان الذاتية والفنية معا.

ولعله من هذا الجانب بالإمكان أن ندلل على هذا التعامل العميق مع أيقون الزيتون - من خلال ما أدرجناه من معطيات بصرية للوحات المذكورة - حيث لا ينفصل التشكيل البصري لأيقون الزيتون عن فضاء الكتابة مطلقا، والتقاطع الفني الحاصل بينهما هو الذي يستمد منه الزيتون بلاغته وبعده التجريدي معا. وذلك من خلال استعارة الرموز الطبيعية لهذه الشجرة واختزال علاماتها البصرية على نحو تتحقق معه محاكاة الكتابة (من قبيل امتداد "السهم" في لوحة "زيتونة الفجر"، وامتداد "الألف" في لوحة "عن الزيتون"، وامتداد "الذراع" أو "الجسد المستلقي" في لوحة "ترتيل من أجل زيتون"، وامتداد "النون" في لوحة "زيتون نموذجي").

ومن ثمة يتوخى التشكيل البصري لأيقون الزيتون اختبار عدد من العلامات الأيقونية التي يقطعها الفنان - جزئيا - من ذاكرته البصرية⁽²⁵⁾. وقد يطرح هذا الاقتطاع الجزئي انشغالا فنيا بالمقطع أكثر من التركيز على شمولية المشهد الطبيعي كله. ذلك أن كل لوحة من اللوحات السابقة تعرض حقا بصريا يفي بمتطلبات الزاوية التي ينظر من خلالها الفنان حصرا. إذ تمثل لوحة "زيتونة الفجر" مظهرا من مستويات الظهور المطلق للزيتون وكيفية امتداده مشهدا كونيا من الباطن. وتمثل لوحة "ترتيل من أجل زيتون" علاقة التجاور ما بين مظهر الزيتون ومظهر الكتابة بينما تعبر لوحة "عن الزيتون" عن علاقة التواصل الموجودة ما بين الزيتون والعلامة، في حين تعبر لوحة "زيتون نموذجي" عن التوحد الرمزي الموجود ما بين المستوى الأيقوني للزيتون والمستوى الأيقوني للحرف.

خلاصة:

كيف انتقل "الزيتون" من مجرد خبرة معيشية إلى خبرة جمالية؟ أو بعبارة أخرى، كيف غدا "الزيتون" - لدى الفنان محمد خدة - ممكنا إستطيقيا بإمكانه أن يحيل إلى فضاء زخم من العلامات الجمالية؟ إن

تساؤلاً بهذا الحجم المعرفي هو الذي نظنه الأجدر طرحاً في الإبانة عن الإشكال الاستطقي الحاضن للوعي الجمالي لدى الفنان خدة. ذلك أنه إذا كانت "الخاصية الوجدانية داخل المؤلف بمثابة فكر، فإن هناك فلسفة في أي مؤلف"⁽²⁶⁾ على حد تعبير ميكال دو فرين. وقد يكون في هذا الصدد، ما استنبطناه عن التشكيلين اللوني والبصري بشأن اللوحات السابقة، مفيداً في استيعاب أن كل لوحة - على حدة - تقصد معنى ما محايتها فيها وأنها تحدس إلى إظهار رؤية ما وإن تطلب الأمر إغراباً⁽²⁷⁾ في الشكل أو إشباعاً عميقاً في الخامات اللونية بالألوان الترابية.

من هنا، يتضح أن البعد الاستطقي لأيقون الزيتون يتشكل قصدياً ضمن تمظهراته الفنية تحديداً.

فقد أضحى "الزيتون" موضوعاً جمالياً يختبر فيه الفنان كل إمكاناته الفنية ضمن بناء اللوحة. ولقد أظهر التجريد قدرة على تعالي الموضوع *Transcendental du sujet*، بحيث يتحول "الزيتون" بموجب ذلك إلى مراتب قصدية تكشف في كل مرتبة منها (والمرتبة لوحة بذاتها في خبرتها الكشفية) عن إدراك جمالي متدرج في البحث الفني التشكيلي عند محمد خدة. ولذلك لم ينفصل مطلقاً المعطى اللوني عن قرينه الفلسفي في تثمين البعد الإستطقي للوحة.

أ فليس التقطيع المتكرر للخطوط داخل نسيج الزيتون مشهداً إدراكياً واحداً لحالة فينومينولوجية متفاوتة في تفاصيلها الانفعالية؟ بعبارة أخرى، أ ليس المشهد التشكيلي لأيقون الزيتون عند خدة تفصيلاً جزئياً لصورة واحدة يعيد في كل مرة تركيب سيرورتها المقصدية؟

نحسب أن الانشغال الجمالي لأيقون الزيتون يتأصل مدركاً تخيلياً ووسيطاً جمالياً في ذاكرة الفنان البصرية. ولأجل ذلك لا ينشغل بمحاكاة ما هو موجود في أفق انتظارنا، بقدر ما يبحث في نقل حدوسه اللونية التي رافقت مداركه الأولى بنواحي مستغانم وغليزان، وكذا وعيه البصري إثر

احتكاكه وتمرسه مع الأعمال الفنية الأجنبية والمحلية بعد النضج الفني للفنان. ولا غرو - تبعا لذلك - " أن ننتهي إلى مسألة الذاتية عندما ندرك أن الوعي يكون وحيدا أمام ظاهرة اللون، كما هو الحال في كل حدث حسي" (28). وقد يكون هنا الانتهاء إلى الذاتية مقاما لا بد منه في كل خبرة فينومينولوجية، كما يكون - إلى جانب ذلك - الاهتمام باللون (29) في الفن الحديث عتبة حاسمة في تثوير أبعاده الداخلية وفي تحديث رؤيته التشكيلية.

وعليه، يخلص البعد التجريدي للطبيعة إلى خبرة المعنى سبيلا إلى فهم المشهد الطبيعي للزيتون. إذ لا يعدو هذا الأخير ظاهرة جمالية تقتضي التشريح والتأمل من قبل المشاهد.

الهوامش:

- (1) "نابالم" ترجمة حرفية لكلمة Napalm وتعني مادة شديدة الالتهاب (البترين المجمدة) التي تدخل في صنع القنابل المحرقة. ينظر المادة ضمن المعجم الفرنسي.
- (2) Mohamed Khadda , Feuilles épars liés ,essai sur l'art, Alger, S.N.E.D,1972, p.p: 83-84.
- (3) Michel-Georges Bernard, Khadda, Alger, ENAG Editions, 2002, p.110.
- (4) العبارة للشاعر شارل بودلير Charles Baudelaire (1867-1821). يقول فيها: "الجميل غريب دائما. أنا أعني أنه يحوي دوما شيئا من الغرابة، من الغرابة الفطرية، اللاإرادية واللاواعية، وأن هذه الغرابة هي التي تصنع بوجه خاص وجود الجميل". ينظر النص ضمن الموقع الإلكتروني: [Collège de la petite Camargue] IDD"le beau est toujours bizarre" MHTML Document
- (5) ينبغي أن نشير أن معنى "الاستطقي" Esthétique تنحدر أصوله الاشتقاقية من الإغريق Aisthesis وتعني الإحساس أو الإدراك، أي الإدراك الحسي للعالم الخارجي. وقد نحت الفيلسوف ألكسندر بومجارتن Alexander Gottlieb Baumgarten (1804-1728) مصطلح "علم الجمال" في القرن الثامن عشر، انطلاقا من هذه الأصول الإغريقية. وذلك من خلال الجزء الأول من كتابه الموسوم "إستطيقا" Aesthetica المنشور باللغة اللاتينية عام 1750. ويعتبر فيه بومجارتن أن موضوع علم الجمال هو "علم المعرفة الحسية" وأن "الجمال هو كمال المعرفة الحسية بوصفها كذلك". ينظر:
- Armand Nivelles , Les théories esthétiques en Allemagne , De Baumgarten à Kant , Société d'Édition " Les Belles Lettres " , 1955 , p.35 , 57.
- ولقد ظل هذا التأثير العقلاني في تأمل الجميل والجمال مميّزا في الكتابات الفلسفية اللاحقة بعد بومجارتن: فقد كان الحسي (موضوع الجمال) دون المعقول منزلة، بحكم أن الحكم الجمالي ينفصل في غايته وتصورات المنهجية عن المفاهيم المنطقية. وهو ما سيرسخه الفيلسوف كانط في كتابه "نقد ملكة الحكم" (1790). مميّزا فيه "الحكم الذوقي" عن "الحكم الأخلاقي".
- وسينشغل الاستطقيون الحدائثيون بكل المستويات الجمالية التي يحيل عليها العمل الفني حصرا.

ينظر تفاصيل أكثر عن "الإستطيقا" وإشكال تعريفها وتصوراتها المعرفية للفن والعمل الفني، في البحوث المنشورة في مؤلف جماعي بتنسيق:

Serge Trottein , L'esthétique naît-elle au XVIIIe siècle?, Paris , Presses universitaires de France , 2000.

(6) يرى الفيلسوف كانط أن "الفكر لا يمكن أن يتأمل جمال الطبيعة من دون أن يجد نفسه مهتما في الوقت نفسه". ينظر:

Emmanuel Kant , Critique de la faculté de juger , traduction par A. Philonenko , Paris , Librairie philosophique , 1965, p.133.

(7) Ibid., p.137.

(8) سعيد توفيق، مدخل إلى موضوع علم الجمال، القاهرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1992، ص.132.

(9) Voir: Gérard Genette , L'œuvre de l'art , Immanence et Transcendance ,Paris, Edition du Seuil,1994, p.288.

(10) Michel-Georges Bernard, Khadda, p.94.

(11) حروف التيفيناغ هي الحروف التي كان التوارق يكتبون بها. وبقيت لزمن قريب جدا من اختصاص النساء، يحرن بها الرسائل لأقاربهن المتواجدين بمدن وقرى المغرب العربي. وأصل هذه الحروف مستمد من الكتابة النوميديّة القديمة. ينظر:

عبد العزيز سعيد الصويغي، التيفيناغ – رحلة الحروف العروبية بين الكنعانيين والتوارق، ط.1، الجماهيرية العربية الليبية، منشورات اللجنة الشعبية العامة للثقافة والإعلام، إدارة المطبوعات، 2006، ص.107-110.

(12) عنوان لوحة للفنان خدة.

(13) تبعا للأسطورة الإغريقية، فقد سرق بروميثيوس Prométhée النار من السماء وأتى بها إلى الأرض ليساعد البشر على تعويض نقص الطبيعة، وتعبيرا عن غضبه، يبثلي زوس – كبير الآلهة – البشر بالآلام داخل علبه "باندور"، ويقيد بروميثيوس في أعلى قمة "القوقاز"، حيث يقتلع منه النسر كبده الذي يظل ينمو باستمرار (الألم الأبدي). ينظر الموقع الإلكتروني:

<http://mythologica.fr/grec/promethee.htm>

(14) Paul Siblot , Interrogation des signes , in: Beaux-Arts ,Musée national des beaux-arts , n°1 ,1994, p.113.

(15) Michel-Georges Bernard, Khadda, p.112.

(16) Malek Alloula (1967) , in: Exposition rétrospective Mohamed Khadda , Ministère de la culture , Musée National des Baux-Arts , Alger , 1-31 mars 1983 , p.13.

(17) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(18) أحمد يوسف، العلامة الجمالية وأبعادها السيميائية، ضمن مؤلف جماعي بعنوان: سؤال المعنى – مقاربات في فلسفة الجمال والعمل الفني، منشورات مختبر الفلسفة وتاريخها، وهران، دار الغرب للنشر والتوزيع، ط.1، 2005، ص.70.

(19) Michel-Georges Bernard, Khadda, p.101.

(20) يرى محمد محسن الزراعي أن العاطفة الاستطيقية "لا تحصل عبر ما يظهر أي عبر وجود الشيء، بل تتجه نحو الشيء، فهي تنتج عن اتجاه النظر إلى الشيء أوهي عاطفة يثيرها الشيء عبر توجيه النظر إليه". ينظر كتابه:

الإستطيقا والفن على ضوء مباحث فينومينولوجية، تونس، دار محمد علي للنشر، ط.1، 2003.

(21) إدوار الخراط، في نور آخر – دراسات وإيماءات في الفن التشكيلي، القاهرة، مركز الحضارة العربية، ط.1، 2005.

(22) تعين كلمة "أيقون" "Icône" في أصولها الإغريقية معنى الصورة Eikôn. وتميز الأيقونية الكنيسة الشرقية، بحيث تحيل على التصوير الديني المنجز على الأعمدة الخشبية من قبيل الأيقونات البيزنطية والروسية. ينظر مسرد المصطلحات الوارد ضمن كتاب:

Elisabeth Livère-Crosson , Comprendre la peinture , Editions Milan , 1999 , p.52.

ويضيف فريد الزاهي أن هذه "الكلمة الإغريقية التي تعين الصورة تحيل على التجربة البصرية التي تقدم لنا العالم في شكل فضائي ملون وذي أبعاد". ينظر كتابه: العين والمرأة - الصورة والحدائنة البصرية، الرباط/المغرب، منشورات وزارة الثقافة، ط.1، 2005، ص.31.

(23) غادامير، تجلي الجميل ومقالات أخرى، تحرير: روبرت برناسكوني، ترجمة ودراسة وشروح: د. سعيد توفيق، مصر، المجلس الأعلى للثقافة، 1997، ص.322 من الملحق.

(24) Pierre Francastel , Etudes de sociologie de l'art , Paris , Editions Denoël , 1970 , p.61.

(25) نتبنى هنا تعريف فريد الزاهي، والذي يعتبر فيه الذاكرة البصرية "ذلك الرصيد الهائل التاريخي والمتحول، ذا الطابع المشترك الذي يختزنه، بصريا، الفنان والذي يجد موطنه الفعلي في البنية الثقافية، سواء في جوانبها العاملة أم الشعبية". ينظر كتابه:

العين والمرأة - الصورة والحدائنة البصرية، ص.105.

(26) Mikel Dufrenne , Phénoménologie de l'expérience esthétique , II - La Perception esthétique, Paris, P.U.F, 1967, p.555.

(27) نستعير مفهوم "الإغراب" من الناقد أبي الحسن حازم القرطاجني (المتوفي بتونس في 1285هـ/684م)، وقد ورد هذا المفهوم ضمن تعريفه لماهية الشعر وحقيقته، والغرابية هذه من قوة التخيل الموجودة في الشعر، التي يستجيب لها خيال السامع وينفعل على إثرها نفسيا. ولذلك يرى حازم القرطاجني أن حضور هذه "الغرابية" من صفات الشعر القوي، وأن غيابها منه علامة على ضعفه. وإذ نوظف مفهوم "الإغراب" في سياق النص أعلاه، فذلك راجع إلى الجمولة التخيلية التي يثيرها الجانب البصري للأشكال عند محمد خدة وأثر ذلك على المشاهد في أثناء تأمل اللوحة وتأويلها.

وبالإمكان الاطلاع على مفهوم "الإغراب" ضمن كتاب حازم القرطاجني الموسوم: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تقديم وتحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط.2، 1981، ص.71 وما بعدها.

"الشعر كلام موزون مقفى من شأنه أن يحبب إلى النفس ما قصد تحبيبه إليها، ويكره إليها ما قصد تكريمه، لتحمل بذلك على طلبه أو الهرب منه، بما يتضمن من حسن تخيل له، ومحاكاة مستقلة بنفسها أو متصورة بحسن هيئة تأليف الكلام، أو قوة صدقه أو قوة شهرته، أو بمجموع ذلك. وكل ذلك يتأكد بما يقترن به من إغراب. فإن الاستغراب والتعجب حركة للنفس إذا اقترنت بحركتها الخيالية قوي انفعالها وتأثيرها".

(28) ميخائيل بوكمول، لون البعد، مجلة "فكر وفن" (ألمانيا)، ع:52، السنة الثامنة والعشرون، 1991، ج.1، ص.37.

(29) تعتبر جوليا كريستيفا Julia Kristeva أنه "عن طريق اللون بدأ فن التصوير الغربي يتخلص من ضغوط المعيار المحفوظ والبصري [المنظور] (مثلما يطلعنا عليه جيوتو Giotto)، كما عن طريق التمثيل نفسه (مثلما يطلعنا عليه سيزان Cézanne وماتيس Matisse وروثكو Rothko وموندريان Mondrian)". ينظر كتابها الموسوم:

Polylogue , Editions du Seuil , 1977 , p.p.: 394-395.

ضمانات المتهم أثناء الاستجواب أمام قاضي التحقيق في ظل قانون الإجراءات الجزائية الجزائري

أ.ة دايج سامية
المركز الجامعي غليزان

مقدمة:

يعتبر الاستجواب من بين أهم الإجراءات التي يباشرها قاضي التحقيق أثناء قيامه بعمله، والغرض منها الوقوف على حقيقة التهمة الموجهة للمتهم باعترافه عن نفسه أو بإنكارها، ويتميز الاستجواب بالطابع المزدوج فهو إجراء من الإجراءات التحقيق ومن ناحية أخرى هو إجراء من إجراءات الدفاع.

و الاستجواب إجراء خطير، إذ ينطوي في حد ذاته على التأثير على إرادة المتهم وعلى حريته في الدفاع عن نفسه، وهو ما يؤدي إلى تضيق الخناق عليه، وقد يرافق هذا الاستجواب استخدام وسائل الإكراه المختلفة للحصول على اعتراف غير مطابق للحقيقة ومضلل للعدالة، لذلك أوجبت مختلف التشريعات أن يقترن هذا الإجراء بتوفير أقصى حد ممكن من الضمانات للمحافظة على مصالح الأفراد ومصالح المجتمع، وفي حالة تجاوزها يترتب البطلان كجزاء على مخالفتها بغية التوفيق بين مصلحة الدولة في العقاب ومصالح الخصوم في الدفاع عن أنفسهم أمام التهمة الموجهة إليهم. لذلك تعين علينا طرح الإشكال التالي ماهي الضمانات التي يجب على قاضي التحقيق مراعاتها أثناء الاستجواب؟ ومتى يكون الاستجواب في هذه المرحلة من التحقيق ضمانا للمتهم أو خطرا يهدد إدلائه بأقوال تضر بمصلحته؟

وبناء على ما سبق ذكره، ارتأينا أن نتناول هذا البحث بالدراسة والتحليل بما يتضمن قانون الإجراءات الجزائية الجزائري، ويقتضي ذلك البحث عن ماهية الاستجواب ثم نتناول ضمانات الاستجواب من خلال ترتيب البطلان كجزاء على تخلف أحد هذه الضمانات.

أولاً: ماهية الاستجواب أثناء التحقيق الابتدائي

تقتضي دراسة ماهية الاستجواب البحث عن المقصود بالاستجواب ثم التطرق لتمييز الاستجواب عما يشبهه من الإجراءات التي تتصل به وتتداخل معه.

1/- تعريف الاستجواب : يقصد بالاستجواب بأنه إجراء من إجراءات التحقيق، يثبت المحقق بموجبه من شخصية المتهم، ويناقشه في التهمة المنسوبة إليه، على الوجه المفصل في الأدلة القائمة في الدعوى إثباتاً أو نفياً⁽¹⁾.

في حين عرفه البعض الآخر بأنه مناقشة المتهم بشأن الأفعال المنسوبة إليه ومواجهته بالاستفسارات والأسئلة عن التهمة وأجوبته عليها ومجاوبته بالأدلة التي تشير إليه بالاتهام ومطالبته بالرد عليها⁽²⁾.

ويعترفه فريق آخر بأنه توجيه الاتهام للمتهم عن طريق مجابته، ومناقشته تفصيلاً في التهمة المسندة إليه وبالأدلة المختلفة ضده ليؤكد لها فينقلب إلى اعتراف أو ينفيها فيصبح وسيلة دفاع⁽³⁾.

كما يقصد به مجابهة المتهم بالجريمة المنسوبة إليه وبالأدلة القائمة ضده، ومناقشته بها مناقشة تفصيلية حتى يفند هذه الأدلة إن كان منكراً للتهمة، أو يعترف بارتكاب الجريمة إن شاء الاعتراف⁽⁴⁾.

2/- الفرق بين الاستجواب وما يشتبه معه: قد يلتبس الأمر بين الاستجواب وما يشتبه معه من سماع أقوال أو مواجهة أو الانتقال للمعاينة أو الاعتراف، لذلك أردنا بيان الفوارق بينهم.

- الفرق بين الاستجواب وسماع الأقوال والمواجهة: لم يفرق المشرع الجزائي بين السماع الأول والاستجواب والمواجهة، وهذا ما هو منصوص عليه في القسم الخامس من الباب الثالث، الفصل الأول تحت عنوان: "في الاستجواب والمواجهة"، ويختلف إجراء الاستجواب عن المواجهة وعن سماع الأقوال، فالاستجواب كما سبق الذكر هو مجابهة المتهم بالأدلة القائمة ضده ومناقشته بها مفصلاً، ويتم استجواب متهم على مرحلتين، وهو إجراء

جوهرى لابد منه ⁽⁵⁾، وهو يعني مواجهة المتهم بجميع أدلة الاتهام، أما المواجهة فهي قيام سلطة التحقيق بمواجهة متهم بمتهم آخر لإزالة الغموض والتناقض إن وجد بين الأقوال التي أدلوا بها ⁽⁶⁾، ويأتي دورها بعد الاستجواب ولكن إجراؤها ليس إلزاميا، فهو متروك لتقدير قاضي التحقيق، إن رأى أن لها فائدة أجراها، وقد يصرف النظر عنها، وتتميز المواجهة باقتصارها على مواجهة المتهم بأدلة معينة بخلاف الاستجواب ⁽⁷⁾.

أما بالنسبة لإجراء سماع الأقوال والاستجواب فإنهما يختلفان عن بعضهما، حيث يجوز إجراء الأول في جميع المراحل الإجرائية بما فيها مرحلة الشرطة القضائية، أما الثاني لا يكون إلا في المراحل القضائية ⁽⁸⁾. في سياق الحديث عن الاستجواب، يلاحظ أن المشرع الجزائري قد وقع في تناقض فمثلا نص في المادة 52 من قانون الاجراءات الجزائية على أنه: "يجب على ضابط الشرطة القضائية أن يضمن محضر سماع كل شخص موقوف للنظر مدة استجوابه.. مع العلم أن هذه الفترة مرحلة التحريات الأولية ولم تحرك الدعوى العمومية أصلا، ورغم أن المادة 139 الفقرة 2 من ذات القانون منعت إطلاقا رجال الضبطية من إجراء الاستجواب وحتى في حالة الإنابة وهذا بقولها: "لا يجوز لضباط الشرطة القضائية استجواب المتهم..."، مما يؤكد عدم السماح بذلك في مرحلة التحريات، غير أن هذا الخلط راجع لسوء ترجمة القانون وعدم انسجامه ووضع الكلمات والمصطلحات في غير مكانها الأمر الذي أوقع لبسا فيه.

- الفرق بين الاستجواب والانتقال للمعينة: يقصد بالانتقال للمعينة أي مغادرة قاضي التحقيق مقر عمله إلى مكان آخر لإجراء عمل من أعمال التحقيق الابتدائي، فقد يتم الانتقال لغرض إجراء المعينة في المكان الذي وقعت فيه الجريمة أو في أي مكان آخر يرى قاضي التحقيق أن معينته تفيد في الكشف عن الحقيقة ⁽⁹⁾.

وتتمثل المعاينة في إثبات حالة الشخص والمكان أو أي شيء آخر ووصفه وصفا دقيقا على أن يكون هذا الوصف كتابة وقد تبني عليه إجراءات أخرى سريعة كالقبض على المتهم في موقع الجريمة حتى لا ينسب الفعل إلى شخص آخر⁽¹⁰⁾. ويكتسب إجراء الانتقال للمعاينة أهمية بالغة⁽¹¹⁾، بوصفه إجراء تحقيق تميزه عن مباشرته من قبل قاضي التحقيق، فقد يقوم به لاستكمال النواقص الذي بدت فيه أو لضمان التأكد من صدق نتائجه، أو القيام به ابتداءا إذا لم يكن قد اتخذ من قبل سلطة الضبطية القضائية.

- الفرق بين الاستجواب والاعتراف: الاعتراف لغة هو الإقرار، والاعتراف بالشيء أي أقرب به، يقال: اعترف بذنبي، أما من الناحية القانونية فإن المشرع الجزائي في المادة الجزائية لم يتطرق إلى تعريف الاعتراف بخلاف القانون المدني الذي عرفه في المادة 341 منه بقوله: "الإقرار هو الاعتراف الخصم أمام القضاء بواقعة قانونية مدعي بها عليه وذلك أثناء السير في الدعوى المتعلقة بها الواقعة"، و حدد خصائصه في المادة 342 بقوله: "الإقرار حجة قاطعة على المقر. ولا يتجزأ الإقرار على صاحبه إلا إذا قام على وقائع متعددة وكان وجود واقعة منها لا يستلزم حتما وجود الوقائع الأخرى"⁽¹²⁾.

أما بالنسبة لعلاقة الاستجواب والاعتراف، فقد ينشأ عن الاستجواب اعتراف المتهم بعد إجرائه من سلطة الاستجواب عندما تبرز أدلة معتبرة لا يمكن إنكارها من قبل المتهم، وقد يأتي الاعتراف من مصدر آخر غير الاستجواب، فقد يعترف الجاني بما اقترفت يده لزميل له أو لقريب أو لصديق، ثم ينقل هذا الزميل أو القريب أو الصديق ذلك إلى السلطات المختصة⁽¹³⁾.

ثانيا: ضمانات المتهم أثناء الاستجواب

نظرا للطبيعة المزدوجة للاستجواب⁽¹⁴⁾، وضع قانون الإجراءات الجزائية قيودا على سلطة قاضي التحقيق أثناء مباشرة إجراءات التحقيق، فأحاط الاستجواب بعناية خاصة تهدف إلى توفير أقصى حد ممكن من الضمانات

الإجرائية المتعلقة به. الهدف منها الحفاظ على الحرية الشخصية للمتهم، وضرورة الموازنة بين الاستجواب كإجراء مهم من إجراءات التحقيق من جهة، وبين قرينة البراءة من جهة أخرى، لذلك يجب مراعاة هذه الضمانات وإلا ترتب عن الإخلال بها البطلان سواء تعلق الأمر بالاستجواب عند الحضور الأول أو الاستجواب في الموضوع أو في جميع مراحل الاستجواب. وفيما يلي سنتناول ضمانات الاستجواب في الشريعة الإسلامية والاتفاقيات الدولية ثم التطرق لمبطلات الاستجواب.

1/- ضمانات الاستجواب في الشريعة الإسلامية والاتفاقيات الدولية: أعطت الشريعة الإسلامية مطلق الحرية للمتهم للإدلاء بأقواله أو العدول عنها فله أن يجيب عن أسئلة قاضي التحقيق أو يلتزم الصمت، وإذا أقر على نفسه فله العدول عن إقراره، وإذا عنت سقط الإقرار فلا يصح التعويل عليه عند الحكم بالإدانة، فالقرآن الكريم والسنة النبوية وجمهور الفقهاء رأيهم أنه لا يجوز إكراه المتهم على الإقرار⁽¹⁵⁾.

كما أن الاتفاقية الدولية لحقوق المدنية والسياسية التي وافقت عليها الأمم المتحدة في 16/11/1996 فرضت التزاما قانونيا لضمان حقوق الإنسان "على أن المتهم بريء حتى تثبت إدانته وعدم إكراهه على الاعتراف وللمتهم الحق في الطعن في القرارات الصادرة بحقه، وله حق الدفاع عن نفسه"، وكذلك المؤتمر الدولي الثاني عشر للجمعية الدولية لقانون العقوبات الذي انعقد في مدينة هامبورغ في ألمانيا الاتحادية في الفترة من 16-1978/9/22 الذي أكد على وجوب أن يكون الإنسان حرا في التعبير عن إرادته ولا يجوز استعمال أية وسيلة غير مشروعة للتأثير عليه للحصول على إقراره⁽¹⁶⁾.

وهذه الضمانات جميعها تنبثق من أصل البراءة في المتهم، هذا الأصل يتطلب معاملته بوصفه بريئا حتى تثبت إدانته، وهو لا يكون إلا بكفالة حرية الشخصية على نحو عام، ولا يجوز أن يفهم أن الاستجواب طريق

لتمكين المتهم من إثبات براءته، لأن البراءة أصل مفترض وهو غير مكلف بعبي إثباتها، ولكن الاستجواب يتيح له الاطلاع على الأدلة المقدمة ضده لتفنيدها ومواجهة أثرها الفعلي في غير صالحه وذلك في إطار حق الدفاع الذي يتمتع به.

2/- مبطلات الاستجواب: إن إجراء الاستجواب يخضع في مدى صحته إلى القواعد العامة في البطلان، فالاستجواب يكون باطلا إذا تعلق الأمر بقاعدة جوهرية من تم يكون باطلا بطلانا مطلقا، أما إذا لم يكن كذلك فيكون باطلا بطلانا نسبيا، وإذا بطل الاستجواب فإن كل أثر مترتب عليه يكون باطلا كاعتراف المتهم أثناء استجوابه وهو مكرها ماديا أو معنويا، فقد نصت المادة 157 من قانون الإجراءات الجزائية: "تراعى الأحكام المقررة في المادة 100 المتعلقة باستجواب المتهمين والمادة 105 المتعلقة بسماع المدعي المدني وإلا ترتب على مخالفتها بطلان الإجراء نفسه وما يتلوه من إجراءات...". ويجوز تصحيح الاستجواب الباطل تطبيقا للمادة 158 من ذات القانون ومن خلال النصوص القانونية نستنتج مبطلات الاستجواب والتي نتناولها كالآتي:

- بطلان الاستجواب الصادر عن غير قاضي التحقيق المختص: يعتبر الاستجواب إجراء قضائي، من اختصاص قاضي التحقيق وحده كأصل عام⁽¹⁷⁾، عملا بحكم المادة 68 من قانون الإجراءات الجزائية التي تنص: "يقوم قاضي التحقيق باتخاذ جميع الإجراءات التحقيق التي يراها ضرورية للكشف عن الحقيقة، وبالتحري عن أدلة الاتهام وأدلة النفي." والاستجواب إجراء من إجراءات التحقيق، فتنبص المادة 100 من ذات القانون على أنه: "يتحقق قاضي التحقيق حين مثول المتهم لديه لأول مرة من هويته.."، و تنص المادة 100 من ذات القانون على أنه: "يجوز لقاضي التحقيق على الرغم من مقتضيات الأحكام المنصوص عليها في المادة 100 أن يقوم في الحال بإجراء استجوابات أو مواجهات..". فلا يجوز لغيره إجراؤه كأصل، وقاضي التحقيق يختص بالتحقيق فيقوم بكل إجراء يراه ضروريا ومن بينها

استجواب المتهم أو قيام بمواجهته أو سماع أقوال المدعي المدني، فيجوز له القيام بالتحقيق بنفسه أو إنابة غيره من القضاة المحكمة أو أحد ضباط الشرطة القضائية للقيام بعمل من الأعمال التحقيق طبقاً للمواد المنظمة للإنابة القضائية 138 إلى 142 ق.إ.ج، إلا أنه لا يجوز أن ينبض ضابط الشرطة القضائية لاستجواب المتهم أصلاً أو القيام بمواجهته أو سماع أقوال المدعي المدني لأن القانون أحاطه بضمانة هامة، وهي وجوب إجرائه من طرف أحد القضاة عملاً بنص المادة 139 فقرة 2 من قانون الإجراءات الجزائية التي تنص: "ولا يجوز لضباط الشرطة القضائية استجواب المتهم أو القيام بمواجهته أو سماع أقوال المدعي المدني.

وتطبيقاً لذلك، فإنه إذا خولفت القواعد المتعلقة بتحديد اختصاص السلطة التي تباشر الاستجواب والمواجهة، أو القواعد المتعلقة بالاختصاص الشخصي أو النوعي أو المكاني، كان البطلان مطلقاً لتعلقه بالنظام العام، كما لو قام بالاستجواب والمواجهة ضابط الشرطة القضائية، سواء بالإنابة من قاضي التحقيق أو من تلقاء نفسه⁽¹⁸⁾.

لقد أحسن المشرع حينما حصر إجراء المواجهة والاستجواب، فقط من نطاق سلطات قاضي التحقيق، لأن القاضي⁽¹⁹⁾ هو الجهة الأكثر اطمئناناً لصحة صدور الاعتراف، وقاضي التحقيق يتمتع أثناء ممارسة وظائفه واختصاصه باستقلاله وحياد اتجاه السلطات الأخرى في الدولة، مما يضمن توقيع ضمانة جدية للمتهم، وإبعاده عن كل التدخلات للشرطة وإساءتهم.

- بطلان الاستجواب في حالة عدم إطلاع المتهم بالتهمة المنسوبة إليه:
يجب على قاضي التحقيق بعد التأكد من هوية المتهم⁽²⁰⁾ أن يحيطه علماً صراحة بكل واقعة من الوقائع المنسوبة إليه، وأن لا يغفل واقعة من تلك التي يجري التحقيق بسببها، وأن يثبت أقواله في المحضر

والجدير بالذكر أنه لا يكفي إحاطة المتهم بالجريمة المنسوبة إليه، وإنما يجوز لقاضي التحقيق أن يعلمه أيضا بالوصف القانوني للوقائع المنسوبة إليه، حسب ورودها في الطلب الافتتاحي لإجراء التحقيق، حتى وإن كان المشرع لا يلزمه بذلك.⁽²¹⁾

وتتجلى أهمية إحاطة المتهم بالجريمة المنسوبة إليه والأدلة المتوفرة ضده، في كون أن هذه الإحاطة تعد من الأمور الضرورية لصحة ما يبديه المتهم من أقوال واعترافات فيما بعد، فضلا على أنها تمكن المتهم من تهيئته دفاعه بنفسه أو بواسطة محاميه⁽²²⁾.

ونظرا للأهمية المتميزة لهذه الضمانة التي تعد من ضمانات الحرية الشخصية عند استجواب المتهم، فإنه يترتب على عدم الالتزام بها البطالان.

- بطلان الاستجواب الناتج عن عدم تنبيه المتهم بحقه في عدم الإدلاء بأي تصريح: للمتهم الحق في الالتزام بالصمت أثناء استجوابه أو مواجهته بغيره وهذا الحق مستمد من قرينة أن الأصل في الإنسان البراءة حتى يثبت العكس، أي حتى تثبت إدانته بحكم قضائي، ولأن هذا المبدأ يبقى قائما ويفرض نفسه على جميع الإجراءات الدعوى، فإنه وكنتيجة لذلك، لا يطلب من المتهم تقديم أي دليل حتى ينفي التهمة المنسوبة إليه، أي أنه غير مطالب بإثبات براءته القائمة أصلا بمقتضى قرينة البراءة، لذلك أجمع الفقه على أن للمتهم الحرية الكاملة في عدم إبداء أي أقوال، وله أن يلتزم الصمت، بأن لا يجيب عن الأسئلة التي توجه إليه أثناء الاستجواب، إلا أنه لا يصح في جميع الأحوال أن يفسر صمته على نحو يضر بمصلحته، فلا يعتبر صمت المتهم قرينة ضده لإثبات ما هو منسوب إليه⁽²³⁾.

ونظرا لأهمية هذه الضمانة - حق الصمت - فقد أولاها الفقه والقضاء⁽²⁴⁾ أهمية كبيرة، وهذا ما أكدته التشريع الجزائري⁽²⁵⁾، حيث أوجب على قاضي التحقيق خلال الاستجواب عند الحضور الأول أن ينبه المتهم بأنه حر بعدم الإدلاء بأي تصريح، وأنه يجب الإشارة إلى هذا التنبيه بالمحضر،

ويترتب عن إغفال هذا التنبيه أو عدم الإشارة إليه أو عدم ذكره البطلان النسبي الذي يجيز للمتهم أن يتنازل عن التمسك به، ويصحح بذلك هذا العيب، غير أنه يتعين أن يكون التنازل صريحا، ولا يجوز أن يبديه إلا بحضور المحامي أو بعد استدعائه قانونا⁽²⁶⁾.

وبذلك يعد الحق في الامتناع عن الكلام أو الصمت، فرصة قانونية منحها المشرع للمتهم، إلا أنه إذا رغب المتهم في الإدلاء بتصريحات، فإن قاضي التحقيق يتلقاها منه على الفور. وتمتد أحكام هذه القاعدة للأحداث بموجب المادتين 2/453 و2/454 من قانون الإجراءات الجزائية. ويجب على قاضي التحقيق في هذه الحالة أن يكفي بتلقي تصريحات المتهم ولا يمكنه، دون أن يخرق حقوق الدفاع، مقاطعة المتهم في تفسيراته، ليكشف له عن اتهام من طبيعته أن يؤدي إلى تغيير تصريحاته، ولا أن يطرح عليه سؤالا، قد تؤدي الإجابة عنه إلى تحميل مسؤوليته الجزائية.⁽²⁷⁾

- بطلان الاستجواب في حالة عدم تنبيه المتهم بحقه في الاستعانة بمحام: إن حق المتهم في الدفاع عن نفسه وإبداء أوجه دفاعه دحضا لإدعاءات الاتهام وهو أمر لا يتناقض مع المبدأ بأنه بريء حتى تثبت إدانته حق دستوري كفلته الدساتير العالمية، ومن بين هذه الدساتير الدستور الجزائري لسنة المعدل 1996 في مادته 151 منه: "الحق في الدفاع معترف به، الحق في الدفاع مضمون في القضايا الجزائية."⁽²⁸⁾

والحق في الدفاع في المسائل الجزائية مضمون دستوريا، وأقر القانون حق المحامي في حضور الاستجواب أو المواجهة التي يجريها قاضي التحقيق مع المتهم، إلا أن هذا الحق ليس رقابة يمارسها المحامي على الإجراء الذي يباشره قاضي التحقيق، وإنما هو وسيلة لدفاع المتهم تتيح له الفرصة في التعرف على الوقائع المنسوبة إليه، ويتمكن من خلالها تفنيد الشبهات التي تحيط به ومناقشتها ويقدم كل ما من شأنه أن يثبت براءته.⁽²⁹⁾

وحدد المشرع للمحامي دورا إجرائيا محدودا حين يحضر مع المتهم أثناء استجوابه، لأنه وإن كانت المادة 105ق.إ.ج قد أجازت لمحامي المتهم والمدعي المدني حضور الاستجواب أو المواجهة، وإذا كانت المادة 107 من القانون نفسه سمحت له -أي المحامي- أن يتناول الكلام، فإن هذا معلق على ترخيص من قاضي التحقيق، عكس وكيل الجمهورية الذي له حق توجيه ما يراه لازما من الأسئلة طبقا لنص المادة 106 الفقرة الثانية من ذات القانون التي نصها: "يجوز له أن يوجه مباشرة ما يراه لازما من الأسئلة."⁽³⁰⁾

لكن مهما يكن فإن حضور المحامي إلى جانب المتهم أثناء استجوابه يبعث الهدوء والاطمئنان في نفسه ويجد في جواره الأمن ويستمد منه العون والرأي القانوني عند الحاجة بالإضافة إلى ذلك يستطيع المحامي أن يلفت المحقق إلى أن سؤالا ما يحوطه الغموض لكي يوضحه، وله أن يقترح على المحقق توجيه سؤال معين، وقد يكون اقتراحه مفيدا للتحقيق فيأخذ به قاضي التحقيق، وفي كلا الأمرين مصلحة للتحقيق⁽³¹⁾.

لذلك وتأكيدا لما سبق قوله، فإنه يعد إلزامي على قاضي التحقيق أن ينميه المتهم بحقه في الاستعانة بمحام، فإذا لم يختار محاميا وطلب من قاضي التحقيق القيام بذلك، يعين له هذا الأخير محاميا من تلقاء نفسه، وينوه عن ذلك في المحضر⁽³²⁾. وفي حالة اتخاذه أي إجراء من إجراءات التحقيق في غيبة المحامي وموكله، كان هذا الإجراء باطلا على أساس أن إجراء التحقيق في غيبة الخصوم يعد إخلالا بحقوق الدفاع تطبيقا لما ذهب عليه المحكمة العليا في قراراتها بقولها: "لا يكون الإجراء الجوهري باطلا إلا إذا ترتب على مخالفته إخلال بحقوق الدفاع أو بحقوق أي خصم في الدعوى."⁽³³⁾

إلا أن قاعدة وجوب حضور المحامي مع المتهم وترتيب البطلان كجزاء إغفال هذه القاعدة غير مطلقة، وترد عليها استثناء حيث أنه تقتضي مصلحة التحقيق أن يقرر قاضي التحقيق إجراءه في غيابها، كما في حالة

الاستعجال الناجمة عن وجود شاهد في حضر الموت أو إمارات على وشك الاختفاء.⁽³⁴⁾

تجدر الإشارة إلى أن في حالة طلب المتهم الاستعانة بمحام ويتوقف قاضي التحقيق بمجرد سماعه عند الحضور الأول، ولا يجوز استجواب المتهم في الموضوع إلا بحضور محاميه أو بعد دعوته قانوناً، وتمليكه من الإطلاع على هذين الإجراءين شرطين أساسيين لصحة إجراء التحقيق في الموضوع وفي حالة تخلفهما يترتب عنهما البطلان.

لذلك سيتم التطرق لبطلان الناتج في حالة عدم حضور المحامي أو دعوته قانوناً، وكذلك التعرض للبطلان الناتج عن عدم تمكين المحامي من الإطلاع على ملف التحقيق.

* بطلان الاستجواب في حالة عدم حضور محامي المتهم أو عدم دعوته قانوناً: يقرر القانون وجوب دعوة المحامي لحضور استجواب موكله، وفي حالة اختيار عدة محامين للدفاع عن المتهم، فإنه يكفي استدعاء أو تبليغ أحدهم بالحضور في مواعيد حددتها أحكام قانون الإجراءات الجزائية⁽³⁵⁾. ومنها نص المادة 105 منه والتي تنص بقولها: "لا يجوز سماع المتهم أو المدعي المدني أو إجراء مواجهة بينهما إلا بحضور محاميه أو بعد دعوته قانوناً ما لم يتنازل صراحة عن ذلك."، "يستدعي المحامي بكتاب موصي عليه يرسل إليه بيومين على الأقل قبل استجواب المتهم أو سماع الطرف المدني حسب الحالة كما يمكن أيضاً استدعاء محامي الأطراف شفاهة ويثبت بذلك بمحضر. ويجب أن يوضع ملف الإجراءات تحت طلب محامي المدعي المدني قبل سماع أقواله بأربع وعشرين ساعة على الأقل." وهذه الدعوة لمحامي المتهم لحضور استجواب موكله تعتبر ضرورية لصحة الإجراء نفسه، يكفي فيها من الناحية القانونية مجرد الإخطار وفي الوقت المناسب كما هو محدد قانوناً وإلا ترتب عن ذلك البطلان.⁽³⁶⁾

ويجب التنبيه إلى أنه مالم يلزم به قاضي التحقيق هو إخطار المحامي وليس دعوته إلى الحضور الفعلي في التحقيق⁽³⁷⁾، لأن تخلفه عن الحضور رغم تبليغه قانونا لا يقف حائلا بين قاضي التحقيق وبين الإجراء الاستجواب، فلا يلتزم بإنتظار حضوره ولا بالبحث في أسباب غيابه، كما لا يمكن للمتهم الطعن في صحة الإجراءات متى رفض قاضي التحقيق طلبه بتأجيل الاستجواب لتخلف محاميه عن الحضور، مادامت دعوته قد تمت وفق الأوضاع القانونية وعليه فإن دعوة المحامي لا يعفي منها المحقق في حالة غيابه مرة، حيث يتعين عليه دعوة محامي المتهم في كل مرة يريد فيها استجواب موكله مستقبلا، مالم يتنازل المتهم عن هذا الحق، وهذا يعني أن دعوة المحامي لحضور الاستجواب موكله التزام قانوني ملقى على عاتق قاضي التحقيق بوجوب القيام في كل مرة، يقرر فيها استجواب المتهم وذلك بغض النظر عن موقفه من الإستدعاءات السابقة، وفي حالة إغفال أو مخالفة هذا الإجراء فيترتب عنه جزاء البطلان.

* بطلان الاستجواب في حالة عدم سماح للمحامي بالإطلاع على ملف موكله: يقصد بالإطلاع تمكين المحامي من معرفة كل ما في ملف التحقيق، أي السماح له بالإطلاع على الأوراق وكل ما تم من إجراءات أو وجد من مستندات، وهذا يعني استبعاد المستندات الجديدة التي ستودع في ملف الدعوى، طالما لم يطلع عليها محامي المتهم، وعلى ذلك نصت الفقرة الأخيرة من المادة 105 ق.إ.ج بقولها: "ويجب أن يوضع ملف الإجراءات تحت طلب محامي المتهم قبل كل استجواب بأربع وعشرين ساعة على الأقل كما يجب أن يوضع تحت طلب محامي المدعي المدني قبل استجواب بأربع وعشرين ساعة على الأقل". وتنص المادة 68 مكرر⁽³⁸⁾ من القانون نفسه على أنه: "تحرر نسخة عن الإجراءات حسب الشروط المنصوص عليها في المادة 68 وتوضع خصيصا تحت تصرف محامي الأطراف عندما يكونون مؤسسين ويجوز لهم استخراج صور عنها."

وعليه فإن هذا النص يلزم قضاة التحقيق بتحرير نسخة ثانية من الإجراءات توضع خصيصاً تحت تصرف محامي الأطراف عندما يكونون مؤسسين وأجازت المادة نفسها استخراج صور عن ملف الإجراءات.⁽³⁹⁾

والغرض من كل ذلك هو تمكين المحامي من معرفة صحة الإجراءات المتبعة والإلمام بموضوع ووقائع الدعوى حتى يتمكن من مواجهة الأعمال التي يقوم بها قاضي التحقيق واختصاصاته الواسعة، ويمكنه من الدفاع عن موكله على الوجه المطلوب والمفيد، لذلك يجب أن يكون ملف التحقيق وما تم من إجراءات أو ما يكون موجوداً من مستندات تحت تصرف محامي المتهم للإطلاع عليه قبل كل استجواب 24 ساعة على الأقل، وكذلك الشأن بالنسبة للمدعي المدني الذي يقرر له القانون في المادة 105 ق.إ.ج حقه في الإطلاع على ملف التحقيق قبل 24 ساعة على الأقل من مباشرة الإجراء.⁽⁴⁰⁾

وتجدر الإشارة إلى أن عدم مراعاة هذه الضمانة أي إطلاع المحامي على ملف الإجراءات التي أقرها القانون للمتهم عند إجراء الاستجواب يؤدي في كل الأحوال إلى بطلان الاستجواب بطلاناً نسبياً مالم يتنازل صراحة عن التمسك به.⁽⁴¹⁾

- بطلان الاستجواب في حالة عدم تنبيه المتهم بوجوب إخبار قاضي التحقيق بتغيير عنوانه: تلزم المادة 100 من ق.إ.ج قاضي التحقيق بتنبيه المتهم بوجوب إخباره بكل تغيير يطرأ على عنوانه، كما تجيز له المادة ذاتها أن يختار موطناً له في دائرة اختصاص المحكمة⁽⁴²⁾، وإذا لم يحترم المتهم هذا التنبيه فإنه لم لا يمكن له الاحتجاج على النيابة على عدم تكليفه بالحضور في عنوانه الجديد، ورتبت المادة 157 من قانون الإجراءات الجزائية البطلان القانوني المتعلق بمصلحة الأطراف على إغفال أو عدم مراعاة أحكام المادة 100، ويلحق محضر الاستجواب المعيب وما يتلوه من إجراءات، مالم يتنازل المتهم صراحة عن التمسك به، ولا يمكن أن يكون هذا التنازل إلا بحضور المحامي أو بعد استدعائه قانوناً، ويكون امتداد اثر الإجراء الباطل إلى

الإجراءات اللاحقة له في هذه الحالة وجوبيا وليس اختياريا، وأن المحكمة ملزمة في حالة ما إذا قضت ببطلان محضر الاستجواب عند الحضور الأول أن تقضي ببطلان جميع الإجراءات اللاحقة له⁽⁴³⁾.

- البطلان المترتب على التأثير على إرادة المتهم عند استجوابه: لقد خص المشرع الجزائري قاضي التحقيق بسلطات واختصاصات واسعة في اتخاذ أي إجراء يراه ضروريا للكشف عن الحقيقة، وهو ما خولته له المادة 68 من قانون الإجراءات الجزائية الفقرة الأولى بنصها على أنه: "يقوم قاضي التحقيق وفقا للقانون باتخاذ جميع إجراءات التحقيق التي يراها ضرورية للكشف عن الحقيقة بالتحري عن أدلة الاتهام وأدلة النفي". إلا أنه يجب عليه أثناء مباشرته لإجراء التحقيق أثناء مباشرته لإجراءات التحقيق، أن يتقيد بشكليات وضوابط وشروط حددها قانون الإجراءات الجزائية، لأنه البحث عن الجريمة والتحقيق في ملابساتها والتعرف على مرتكبها لا يجب أن يتم على حساب حقوق وحرريات الأفراد، وهذا ما أكدته اهتمام وحرص المشرع الدستوري بالمحافظة على الحقوق الأساسية والحرريات الفردية هو النص على تجريم كل الاعتداءات التي قد تمس هذه الحقوق والحرريات وهذا ما أبرزه من خلال مختلف الدساتير المتعاقبة⁽⁴⁴⁾. فتتضمن المادة 34 فقرة 2 منه والتي تدون وتحظر أي عنف بدني أو معنوي أو أي مساس بالكرامة⁽⁴⁵⁾.

كما أكدت المادة 35 من الدستور 1996 بمعاينة القانون على المخالفات المرتكبة ضد الحقوق والحرريات، وعلى كل ما يمس بسلامة الإنسان البدنية والمعنوية⁽⁴⁶⁾. هذه المواد وإن كانت تعاقب كل أشكال التعسف والتهديد التي يمكن أن يتعرض لها المواطن، فإن هذه المواد ليست كافية لتجريم فعل الاعتداء على الحرريات المنصوص عليها، بل لا بد أن يتدخل المشرع العقابي بفض جزاءات جنائية.

وعلى هدى ذلك، قرر قانون العقوبات الجزائري أعمال للدستور ببيان العقوبات المقررة لجرائم الاعتداء على حرية الشخصية التي قد يرتكبها

قضاة التحقيق أثناء ممارستهم لوظيفتهم نتيجة خطأ قضائي مقصود أو غير مقصود، لذا وردت نصوص في قانون العقوبات تقر معاقبة الموظفين عندما يتعسفون في استعمال سلطتهم.⁽⁴⁷⁾

وبناء على كل ما سبق فإن كانت الغاية المتمثلة في اقتضاء الدولة لحقها في العقاب من مرتكب الجريمة محكومة بمبدأ الشرعية، فإن وسيلة لبلوغ هذه الغاية هي بدورها يجب أن تكون شرعية وإلا فقدت العدالة مصداقيتها، ذلك أن ضرورة قمع الجريمة لا يتيح بأي حال من الأحوال المساس بحقوق وحرّيات الأفراد عامة والمتهم خاصة.⁽⁴⁸⁾

وانطلاقاً من فكرة الموازنة بين سلطة التحقيق في اتخاذ كل الإجراءات التي يراها ضرورية للكشف عن الحقيقة، وبين حماية المصلحة الخاصة للمتهم وعليه يجب أن يكون الإجراء الذي قام به قاضي التحقيق فيما يخص الاستجواب قد بوشرف في ظروف لا تأثير فيها على إرادة المتهم وحرّيته في إبدائه أقواله ودفاعه، فإذا توافر ظرف من الظروف التي تعدم إرادة المتهم أو تعيينها بحيث تكون أقواله لم تصدر عن إرادته الكاملة كان الاستجواب باطلاً ولا يمكن الاستناد إليه.⁽⁴⁹⁾

وعليه فإن أي وسيلة غير مشروعة يستخدمها المحقق ويكون من شأنها أن تعدم سلامة إرادة المتهم عند استجوابه، تجعل هذا الأخير محل بطلان ومن هذه الوسائل غير المشروعة يمكن تحديدها بوسائل الإكراه المادي، ووسائل الإكراه الأدبي (المعنوي) وعليه يتم البحث عن تأثير كل من الإكراه المادي والإكراه المعنوي وتأثيرهما على الاستجواب.

* بطلان الاستجواب المترتب على الإكراه المادي: يقصد بالإكراه المادي الاعتداء بقوة مادية، تضعف مقاومة المتهم، فتتعدم حرية الاختيار لديه، أو تتأثر نسبياً، فتكون الإرادة معيبة ولا قيمة لإقرارها وأقوال المتهم الصادرة نتيجة لها، ويتخذ الإكراه المادي صور عديدة منها ما تمس سلامة جسم الإنسان ومنه ما تمس نفسه بالأذى، فتشل الإرادة وتضعفها، وتحدث آثار

جسيمة ونفسية وبدرجات متفاوتة، وتمثل صور هذا الإكراه في العنف أو التعذيب والاستجواب المطول أو المرهق واستخدام الوسائل العلمية الحديثة كالتنويم المغناطيسي وجهاز كشف الكذب واستخدام العقاقير المخدرة، وإذا شاب الاستجواب صورة من صور الإكراه المادي يكون الاستجواب باطلا.⁽⁵⁰⁾

* بطلان الاستجواب المترتب على الإكراه المعنوي: الإكراه المعنوي هو صورة ثانية التي تعقب سلامة إرادة المتهم فيكون في هيئة تهديد المتهم بضرر قولا أو فعلا بقصد التأثير على إرادة المتهم وجعلها تتجه على غير رغبة الشخص دون أن يلغي حرية الاختيار، وهذا الإكراه يتنوع وفقا للظروف لأنه من المعلوم أن التهديد يختلف باختلاف السن والجنس، ودرجة التعليم والبيئة وشخصية المتهم، مما يوجب أن تأخذ في الاعتبار جميع الملابس المحيطة، ومن بين صور الإكراه المعنوي الذي يترتب عنه بطلان الاستجواب منه الوعد أو الإغراء وحلف اليمين وخداع المتهم.⁽⁵¹⁾

الخاتمة:

ترتبا على ماتقدم وإدراكا لأهمية إجراء الاستجواب أثناء مرحلة التحقيق الابتدائي، وما يكفله هذا الإجراء من ضمانات خاصة بالمتهم، أثرنا اختيار هذا الموضوع الحيوي الذي يتطور باتساع حقوق الدفاع، والذي تناولناه في بحثين توصلنا خلالهما إلى أهم النتائج والتوصيات التي نجلها فيما يلي:

أ/-النتائج:

- 1- أن التحقيق الابتدائي يهدف بصفة خاصة إلى كشف الجريمة والتوصل إلى الحقيقة، من خلال إناطة القائمين بالتحقيق بجملة من السلطات والوسائل والتي يكون في استعمالها انتهاكا لخصوصيات المتهم وحياته.
- 2- ومن بين هذه الإجراءات والسلطات التي يتمتع بها قاضي التحقيق هو إجراء الاستجواب وهو من بين الإجراءات الجوهرية التي لا يمكن الاستغناء عنها في التحقيق.

3- تعددت التعاريف الفقهية في تعريف الاستجواب إلا أنها تصب في مضمون واحد، وعليه فالاستجواب إجراء من إجراءات التحقيق يتم بمقتضاها مجابهة المتهم بالتهمة المنسوبة إليه، ومناقشته على وجه المفصل في الأدلة القائمة في الدعوى إثباتاً أو نفيًا، ويتم ذلك بعد التأكد من هوية المتهم. و يلاحظ أن المشرع الجزائري لم يأتي بتعريف للاستجواب، وقد أحسن ما فعل لأن هذه المهمة منوطة بالفقه والقضاء.

4- اتضح أن الاستجواب من أخطر وأهم الإجراءات التي يقوم بها قاضي التحقيق، إلا أن هذا لا ينفي وجود بعض الإجراءات التي تتشابه معه في بعض النواحي وتتمايز عنه في نواحي أخرى كسماع الأقوال أو المواجهة أو الانتقال والمعينة والاعتراف.

5- مكن المشرع الجزائري قاضي التحقيق بجملة من السلطات ومن بينها إجراء الاستجواب، إلا أنه من شأن هذا الأخير المساس بحقوق وحرية الأفراد، لذلك قيده المشرع هذا الإجراء وأحاطه بضمانات، من خلال تقرير البطلان على كل مخالفة تطرأ على إجراء الاستجواب.

6- أحاطت الشريعة الإسلامية المتهم عند استجوابه بكثير من الضمانات كحق المتهم في الصمت، وعدم جواز إكراه أو تعذيب المتهم مادياً أو أدبياً أو معاملته بقسوة وإلا أصبح الاستجواب باطلاً. وهذا ما أكدته الاتفاقيات الدولية على ضرورة معاملة المتهم بوصفه بريئاً حتى تثبت إدانته، ولا يجوز استعمال أية وسيلة غير مشروعة للتأثير عليه للحصول على إقراره.

7- اشترط المشرع على أن يقوم بالاستجواب جهة قضائية مختصة بالتحقيق القضائي وتخص بالذكر قاضي التحقيق، حيث حرم على ضباط الشرطة القضائية القيام به حتى ولو في حالة الضرورة أو في الظروف المستعجلة، وأية مخالفة لذلك يعد الإجراء باطلاً.

8- ومن الضمانات التي يجب مراعاتها كذلك من طرف قاضي التحقيق أثناء الاستجواب إحاطة المتهم بالتهمة المنسوبة إليه وتنبيهه بحقه في الصمت وأية تجاوز لهذه الضمانات يعد انتهاكاً لحقوق المتهم مما يستدعي بطلانه. كما

يلتزم قاضي التحقيق بتنبيه المتهم في حقه في الاستعانة بمحام، وإن لم يختار محام، يعين له محام وينوه في ذلك في المحضر وفي حالة اتخاذ أي إجراء في غيبة المحامي كأصل عام كان الإجراء باطلا بالاستثناء الظروف المستعجلة.

9- يلتزم قاضي التحقيق كذلك ببعض القواعد أثناء إجراء الاستجواب كدعوة المحامي لحضور استجواب موكله قبل يومين على الأقل بكتاب موصى عليه، والسماح له بالاطلاع على ملف الإجراءات قبل استجواب موكله بأربع وعشرين ساعة على الأقل وإلا ترتب على مخالفة هذه القاعدة البطلان.

10- كما يلتزم قاضي التحقيق بتنبيه المتهم بوجوب إخطاره بكل تغيير يطرأ على عنوانه، وأجاز له القانون أن يختار موطناً له في دائرة اختصاص المحكمة وفي حالة لم يحترم هذا التنبيه يكون محلاً للبطلان.

11- يلاحظ أن حضور المتهم أثناء الاستجواب له أهمية كبيرة في رفع معنويات المتهم، كما أن حضوره الاستجواب ليس برقابة يمارسها المحامي على هذا الإجراء الذي يباشره قاضي التحقيق وإنما هو وسيلة لإبداء دفاع المتهم. غير أن المحامي في هذه المرحلة دوره يكون محدود إن لم نقل رمزياً.

ب/-التوصيات:

1- إن المتمعن لقانون الإجراءات الجزائية بصفة عامة ولنصوص المتعلقة بالتحقيق الابتدائي بصفة خاصة يلاحظ أن هناك غموض متباين في نصوصه، ويظهر ذلك في عدة مواضع، حيث أن هناك خلط واضح بين الإجراءات التي يقوم بها رجال الضبطية القضائية والإجراءات التي يقوم بها قاضي التحقيق أي أن هناك خلط وتناقض بين مرحلة التحري ومرحلة التحقيق الابتدائي، ويظهر في المادة 52 من ق.إ.ج التي تنص على أنه: " يجب على ضباط الشرطة القضائية أن يضمن محضر سماع كل شخص موقوف للنظر مدة استجوابه...." مع العلم أن هذه الفترة مرحلة التحريات الأولية لم تحرك الدعوى العمومية أصلاً، ونجد في نص آخر يمنع ضباط الشرطة القضائية من إجراء الاستجواب حتى ولو في حالة الإنابة وهذا مانصت عليه

المادة 2/139 بقولها: "لا يجوز لضباط الشرطة القضائية استجواب المتهم...
"مما يؤكد عدم السماح بذلك في مرحلة التحريات الأولية، غير أن هذا
الخلط واللبس يرجع إلى خطأ في الترجمة.

2- يجب أن تناط مباشرة إجراءات التحقيق الابتدائي بصفة عامة وإجراءات
الاستجواب بصفة خاصة التي تتميز بدرجة عالية من الخطورة والأهمية،
ممن تتوافر لديهم الدراية الكافية من أجل مباشرتها على النحو الصحيح،
راجين أن يكون في المستقبل القريب متخصصين في مجال التحقيقات
القضائية بمن يتمتعون بكفاءة عالية ويراعون الحياد والنزاهة بحيث
يتمكنون من التوفيق بين حماية الحقوق والحريات وواجب الكشف عن
الحقيقة في ذات الوقت.

3- خص المشرع صلاحية الاستجواب لقاضي التحقيق فقط دون ضباط
الشرطة القضائية، يؤخذ على هذا الموقف من أنه لا يتماشى مع صلاحية
العدالة، لأنه يمكن أن تكون هناك أحوال مستعجلة لا تمكن من حضور
قاضي التحقيق، فنرجو من المشرع الجزائري السماح لضباط الشرطة
القضائية بإجراء الاستجواب في تلك الظروف، وأن يبقى كأصل عام
الاستجواب من اختصاص قاضي التحقيق لأن في ذلك ضماناً لحقوق
الدفاع.

4- ضرورة اللجوء إلى الإجراءات المشروعة والأساليب القانونية عند القيام
بالاستجواب، وحظر استعمال كافة الوسائل المؤثرة على الإرادة الحرة
للإنسان مهما كانت نوع التهمة المنسوبة إليه.

5- قد سبق الإشارة أنه يلتزم قاضي التحقيق بتنبيه المتهم بوجود إخطاره
بكل تغيير يطرأ على عنوانه، و أي إغفال لنص المادة 157 من ق.إ.ج يترتب
عنه البطلان. إلا أننا نرى أنه هناك نوع من التشدد من المشرع بهذا
الخصوص في فرض جزاء البطلان، حيث أنه يمكن تفادي ذلك الجزاء
وتدارك إهمال المحقق من خلال الاكتفاء لتنفيذ تلك المادة أن يختار المتهم
عنواناً له في دائرة اختصاص المحكمة التي يتبعها المحقق ، حتى تضمن

صيرورة الدعوى وعدم ضياع ما بذله المحقق من مجهود في سبيل الكشف عن الحقيقة.

6- ندعو المشرع الجزائري تفعيل دور المحامي في مرحلة التحقيق الابتدائي حتى يسمح له بالسهر على حماية حقوق موكله من جهة وحماية لمرفق العدالة. وهذا ما أكده الفقيه الفرنسي "جارو" بقوله: "إن حضور المحامي يعد من الأمور النافعة سواء للمتهم أو لمرفق العدالة، فهذا الحضور يحمي المتهم من تجاوزات القاضي ويحمي القاضي من إدعاءات المتهم، إنه في كلمة واحدة، يمنح البركة والتقدير لمحضر التحقيق."

الهوامش:

- (1)- مأمون محمد سلامة.الإجراءات الجنائية في التشريع المصري، الجزء الثاني، دار الفكر العربي، القاهرة، 1988 ، ص:553
- (2) - محمد علي السالم الحلبي، الوجيز في أصول المحاكمات الجزائية، الطبعة الأولى، دار الثقافة للنشر والتوزيع،الأردن، 2009 ، ص:173.
- (3)- محمد صبيح نجم ، قانون أصول المحاكمات الجزائية، مكتبة دار الثقافة للنشر والتوزيع، 2000، ص419.
- (4)- محمد سعيد نمور، أصول الإجراءات الجزائية، طبعة ثانية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الأردن، 2011، ص:360.
- (5) - يتم الاستجواب على مرحلتين عند الحضور الأول أمام قاضي التحقيق، ثم أثناء سير التحقيق، والأصل أن يتم استجواب المتهم في الموضوع مرة واحدة على الأقل، غير أنه من الجائز ان يتم استجوابه أكثر من مرة ولا يمكن لقاضي التحقيق إغلاق التحقيق دون استجواب، ولو مرة واحدة ، ما لم يصدر أمر بانتفاء وجه الدعوى، أو كان المتهم في حالة فرار.
- راجع أحسن بوسقيعة، التحقيق القضائي، الطبعة السادسة، دار هومه، الجزائر، 2006، ص:68.
- (6) -محمد محدة، ضمانات المتهم أثناء التحقيق، الطبعة الأولى ، دار الهدى، الجزائر، 1992، ص:312.
- (7)- عبد الفتاح بيومي حجازي، أصول التحقيق الجنائي والتأديبي، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، 2005، ص:68.
- (8)-عبد الله أوهايبية، شرح قانون الإجراءات الجزائية الجزائري، التحري والتحقيق، الطبعة الثالثة، دار هومه، الجزائر، 2012 ، ص:378.
- (9)- حسن الجوخدار، التحقيق الابتدائي في أصول المحاكمات الجزائية، الطبعة الأولى دار الثقافة للنشر والتوزيع، الأردن، 2008 ، ص:90.
- (10)- عامر علي سمير الدليبي، أهمية الاستجواب، الطبعة الأولى، دار زهران للنشر والتوزيع،الأردن، 2011، ص:63.
- (11) - للمعانة أهمية كبيرة مثلا في جرائم القتل والعنف عموما، حيث يلتزم رفع البصمات التي قد تفيد في الكشف عن الفاعل الحقيقي، وتحليل الدماء، وفحص الجثة، ومعرفة الآلات المستخدمة. أنظر: سليمان عبد

- المنعم، أصول الإجراءات الجزائية في التشريع والقضاء والفقه، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، 1997، ص:544.
- (12) - نجيبى جمال، إثبات الجريمة على ضوء الاجتهاد القضائي، دارهومه، الجزائر، 2011، ص:158.
- (13) - عامر علي سمير الدليبي، المرجع السابق، ص:64.
- (14) - يقصد بالطبيعة المزدوجة للاستجواب، باعتباره وسيلة في يد المحقق من جهة ووسيلة دفاع من جهة ثانية.
- (15) - عامر علي سمير الدليبي، المرجع السابق، ص:70.
- (16) - عامر علي سمير الدليبي، المرجع والموضع السابقين.
- (17) - يجوز لوكيل الجمهورية استثناء استجواب المتهم المتلبس بجريمة جنائية أو جنحة، وفقا ما تحدده المادتان 59-58. من ق.إ.ج وهي في حالة مرتبطة بعدم إخطار قاضي التحقيق أو بعدم انعقاد الاختصاص له على القضية.
- (18) - حسن الجوخدار، المرجع السابق، ص:335.
- (19) - لهذا أطلق على القضاة أنهم الحراس الطبيعيون لحقوق الأفراد. درياد مليكة: المرجع السابق، ص:51. نقلًا عن أحمد فتحي سرور، الشرعية الدستورية وحقوق الإنسان، دار النهضة العربية، طبعة معدلة، 1995، ص:262.
- (20) - يشرع قاضي التحقيق في التعرف على هوية المتهم طبقا للمادة 100 ق.إ.ج فيطلب منه ذكر اسمه ولقبه واسم أبويه وتاريخ ومكان الأزداد وموطنه وجنسيته وسوابقه العدلية وحالته العسكرية، ويتحقق فيما بعد من صحة المعلومات حول ذلك عن طريق بطاقة أزداد وصحيفة سوابقه العدلية إن كان بالملف وإلا تعين عليها طلبها.
- (21) - أحسن بوسقيعة، المرجع السابق، ص:69.
- (22) - محمد سعيد نمور، المرجع السابق، ص:363.
- (23) - محمد سعيد نمور، المرجع والموضع السابقين.
- (24) - قرار المحكمة العليا رقم 81166 صادر بتاريخ 22/11/1981، نشرة القضاة، العدد 02، 1985، ص:90 وما بعدها.
- (25) - أنظر المادة 100 من قانون الإجراءات الجزائية.
- (26) - محمد حزيط، مذكرات في قانون الإجراءات الجزائية الجزائري، الطبعة الخامسة، دار هومه، الجزائر، 2010، ص:166؛ نبيل صقر، البطان في المواد الجنائية، دار الهلال للخدمات الإعلامية، الجزائر، د.ط، 2003، ص:79.
- (27) - أحمد الشافعي، البطان في قانون الإجراءات الجزائية، دار هومة، الجزائر، الطبعة الرابعة، 2007، ص:76-77.
- (28) - وهو نفس ما تضمنته دستور سنة 1989 في مادته 142، وهو ما تنص عليه المادة 176.
- (29) - درياد مليكة، نطاق سلطات قاضي التحقيق والرقابة عليها، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2012، ص:270.
- (30) - نلاحظ أن دور النيابة العامة والدفاع أمام قاضي التحقيق غير متساوي لذلك نرى تفعيل دور المحامي في مرحلة التحقيق الابتدائي لتكريس مساواة بين الدفاع والنيابة ولتحقيق مبدأ المحاكمة العادلة.
- (31) - شريف الطياخ، البطان ودفوعه في القانون المدني والجنائي، الجزء الرابع، طبعة الأولى، دار الفكر والقانون مصر، 2009، ص:199.
- (32) - في هذه الحالة يتوقع احتمالين: الأول هو أن يتنازل المتهم صراحة عن الاستعانة بمحام ففي هذه الحالة يجوز لقاضي التحقيق، بعد أن يثبت تنازل المتهم في المحضر، ويشرع في استجواب المتهم في الموضوع ومواجهته بالأدلة الاتهام، ولا يكون من حق المتهم الاطلاع على أوراق الإجراءات ولا يبلغ بالأوامر القضائية، ويكون التنازل

- صالحا طيلة التحقيق، غير أنه من حق المتهم التراجع عن هذا التنازل. أما الاحتمال الثاني هو أن يطلب المتهم بالاستعانة بمحامٍ سواء اختياريه لنفسه أو طلب من قاضي التحقيق تعيين محامي له. أنظر أحسن بوسقيعة: المرجع السابق، ص: 70.
- (33)- قرارات المحكمة العليا الصادرة عن الغرفة الجنائية الأولى، الأول الصادر بتاريخ 1981/01/13 في الطعن رقم 22500، الثاني الصادر بتاريخ 1982/01/19 في طعن رقم 26166، والثالث الصادر بتاريخ 1985/11/26 في الطعن رقم 39440 عن جيلالي بغدادي: الاجتهاد القضائي، ج 01، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الجزائر، 1996، ص: 69.
- (34)- أنظر المادة 101 من قانون الإجراءات الجزائية المعدل والمتمم.
- (35) - أحسن بوسقيعة، المرجع السابق، ص: 74.
- (36) - المعدل والمتمم، المادة 105 من قانون الإجراءات الجزائية
- (37) - محمد مروان، نظام الإثبات في المواد الجزائية في القانون الوضعي الجزائري، الجزء الثاني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999، ص: 386.
- (38) - المضافة بالقانون رقم 90-24 المؤرخ 1990/08/19 المعدل والمتمم لقانون الإجراءات الجزائية.
- (39) - تثير كيفية تطبيق المادة 68 مكرر من ق.إ.ج في جانبها المادي غموضا حيث أنه هناك عدة مسائل منها ضرورة وجود آلات لاستخراج صور عن الملف بمكاتب التحقيق إلا أن الواقع غير ذلك، وفي حالة عدم وجود هذه الآلات وأمام إلحاح محامي المتهم على استخراج صورة عن الملف هل يسلم له قاضي التحقيق لكي يستخرج عنها صورة في مكتبه أو في أي مكان آخر؟ وإذا فعل قاضي التحقيق ذلك ألا يعد ذلك إخلالا بسرية التحقيق. لذلك كان على المشرع أن يوضح كيفية تطبيق المادة 68 مكرر في جانبها المادي.
- (40)- درياد مليكة، المرجع السابق، ص: 274؛ عبد الله أوهابيه، المرجع السابق، ص: 385.
- (41)- عاصم عبد الفتاح عبد السميع مطر، الجريمة الإرهابية، دار الجامعة الجديدة للنشر، مصر، 2005، ص: 252.
- (42) - يتعلق الأمر هنا بالمتهم الذي يتركه قاضي التحقيق في الإفراج المؤقت، لأنه لا توجد فائدة من التنصيص على هذا الإجراء، إذا كان المتهم رهن الحبس الاحتياطي ويهدف هذا الإجراء إلى ضمان مثول المتهم أمام قاضي التحقيق عند طلبه ووصول التبليغات إليه .
- (43)- أحسن بوسقيعة، المرجع السابق، ص: 71؛ وأحمد الشافعي، المرجع السابق، ص: 77.
- (44) - نلاحظ أن المشرع الدستوري ومنذ أول دستور للبلاد بعد الاستقلال أبرز تمسكه بالحقوق والحريات الأساسية لمواطنها، وخصص إحدى عشر (11) مادة من جملة سبع وسبعين للحقوق الأساسية للأفراد في دستور 1963 والذي صادق عليه المجلس الوطني في دستور 28 أوت 1963، ووافق عليه الشعب الجزائري في استفتاء 8 سبتمبر 1963، ثم أخذ بتوسع ليخصص فصلا كاملا ليشتمل 35 مادة تتعلق بالحريات الأساسية وحقوق الإنسان والمواطن في دستور 1976، و الصادر بموجب الأمر رقم 97-76 المؤرخ في 30 ذي القعدة 1396 الموافق ل 22 نوفمبر 1976، ج. ر. عدد 94، سنة 1976، وحدد فصلا أيضا للحقوق والحريات في دستور 1989 م، ليحتوي على 29 مادة، بموجب مرسوم رئاسي رقم 22 رجب 1409 الموافق عليه في استفتاء 23 فبراير 1989.
- (45)- أنظر المادة 34 فقرة 2 من دستور 1996 م الصادر بموجب المرسوم الرئاسي رقم 96-438 المؤرخ في 26 رجب 1417 هـ الموافق ل 07/12/1996، ج. ر. عدد 76، سنة 1996، المتمم.
- (46)- أنظر المادة 35 من دستور 1996 المتمم.
- (47)- أنظر المواد 107 و 263 مكرر 1 و 263 مكرر 2 من قانون العقوبات الجزائري المعدل والمتمم.
- (48)- أحمد غاي، التوقيف للنظر، طبعة أولى، دار هومه، الجزائر، 2005، ص: 23.
- (49)- مأمون محمد سلامة، المرجع السابق، ص: 640.

(50)- محمد حماد الهبتي، التحقيق الجنائي والأدلة الجنائية، الطبعة الأولى، دار المناهج للنشر 2010، ص371؛ والتوزيع، الأردن، علالي بن زيان، ضمانات الحريات الفردية في المتابعات الجزائية، مذكرة ماجستير، جامعة وهران، 2011-2012، ص122؛ عبد السلام جمعة زاغود، تعذيب الإنسان دراسة في إطار الشريعة الإسلامية والقانون الدولي لحقوق الإنسان، مكتبة القانون والاقتصاد، الرياض، الطبعة الأولى، 2013، ص45 و46.

(51)- بلعيات إبراهيم، أركان الجريمة وطرق إثباتها في قانون العقوبات الجزائري، الطبعة الأولى، دار الخلدونية، الجزائر، سنة2007، ص:260؛ مصطفى مجدي هرجة، أحكام الدفع في الاستجواب والاعتراف، دار الفكر والقانون، المنصورة، دط، 2005، ص 55.

أجراًة مفهوم العقلنة في النظرية السيكوسوماتية

د.ة انتصار صحراوي
جامعة عبد الرحمان ميرة / بجاية.

مقدمة

تعتبر المدرسة الباريسية للسيكوسوماتيك التي أسسها بيار مارتى، من المدارس الأكثر حداثة في البحث حول الأمراض الجسدية وطرق التكفل النفسي الملائم بها، وتعتمد في ذلك على مبادئ التحليل النفسي.

رغم أن فرويد « Freud » لم يهتم بصفة خاصة بالسيكوسوماتية لكنه يبدو أنه الحاث الأساسي لها، ذلك أنه يعطى لها، في كتاباته الأولى حول الهستيريا، تفسيراً بمفهوم اقتصادي. فأعراض الهستيريا هي نتاج التحويل "Conversion" لإثارة داخلية إلى تعصيب جسدي "Innervation somatique". من هنا بدأت تطرح مشاكل السيكوسوماتيك انطلاقاً من هذه الأعمال حول الهستيريا. ففي نفس الفترة وصف فرويد « Freud » أعراض عصاب القلق "Névrose d'angoisse" مع مجموعة الاضطرابات الوظيفية على أنها تظاهرات جسدية لقلق غير متصور.

النظرية السيكوسوماتية تركز على مبادئ ومفاهيم أساسية لتفسير مختلف الظواهر التي تدرسها. وتنطلق من مبدأ أساسي هو "التوحيد" المتمثل في "الاهتمام بالوحدة الجوهرية للإنسان والتسلسل التدريجي لجميع الوظائف التي تساهم في تنظيمه". فالنفس والجسد هما مظهران مترابطان متفاعلان لحقيقة واحدة: الإنسان الذي يظل في تطور ضمن شبكة العلاقات العائلية والاجتماعية.

و بذلك فالنظرية السيكوسوماتية تعطي تفسيراً جديداً للمرض العضوي بعيداً عن التفسير الطبي، الذي يرجع المرض إلى عوامل بيولوجية بحتة ويتغاضى عن نفسية الفرد ومدى مساهمتها في ظهور المرض ومقاومته.

تعتمد هذه النظرية على دراسة الإنسان في حالته الصحية والمرضية عبر مختلف مراحل تطوره. فبيارمارتي «P.Marty» لا ينظر للمرض وإنما ينظر للشخص المريض، ليفسر المرض بالرجوع للاقتصاد السيكوسوماتي، مركزاً في ذلك على طبيعة العقلنة للشخص المصاب.

كما اهتمت هذه المدرسة بدراسة السير العقلي بغرض فهم سياق التجسيد، وفي هذا الصدد يرى مارتي أن الاختلال الجسدي يظهر عندما يختل توظيف التنظيم العقلي. ففي هذا الإطار فإن الجهاز العقلي المختل في سيره قد يكون المتسبب في اختلال أو مرض الجهاز العضوي. والذي يظهر من خلال تدهور القيمة الوظيفية للموقعية الفرويدية الأولى (الشعور، قبل الشعور، اللاشعور)، والموقعية الفرويدية الثانية (هو، الأنا، الأنا الأعلى). إذن فإذا كان التحليل النفسي الفرويدي قد جاء لوضع نظرية حول العصابات، فإن نظرية بيارمارتي قد جاءت لفهم وتفسير المرض الجسدي.

نركز في مداخلتنا هذه على أهمية مفهوم العقلنة وأجراته في النظرية السيكوسوماتية المارتية :

من خلال التطرق لمحورين: يخص الأول التعريف ببعض المبادئ الأساسية للنظرية المارتية خصوصاً مفهوم العقلنة، والمحور الثاني نقدم فيه حالة عيادية خاصة بعبد الغني الذي عانى من أمراض جسدية متعددة.

I- بعض المبادئ الأساسية للنظرية السيكوسوماتية

إن الاعتماد على النظرية السيكوسوماتية في تناول الأفراد الذين يعانون من الأمراض الجسدية يبقى مرجعاً أساسياً لا يمكن الاستغناء عنه، لأنها تهتم بالفرد في كليته ووحدته دون الفصل بين النفس والجسد فهما في تفاعل مستمر ينتج عنه نسق ديناميكي واحد لا يمكن فهم إحدى مكوناته

دون الرجوع إلى المنطق الذي يسوق النسق الذي ينتهي إليه، كما ركزت أيضا على الجانب الخيالي.

بعد العديد من الأعمال والبحوث الميدانية على المصابين جسديا، توصل بيار مارتي «P.Marty» ومساعديه، موزان، دافيد، فان «C.David, M.De» إلى وضع نظرية جديدة انطلقت ركائزها من نظرية التحليل النفسي، لخصت في كتابهم الخاص بالفحص السيكوسوماتي سنة (1963) "l'investigation psychosomatique" الذي ظم طريقة التوظيف العقلي المميزة للمصابين جسديا، فهذا لا يعني أنهم يتميزون بتوظيف عقلي موحد بل بتوظيف يختلف من مصاب لآخر. يؤكد مارتي «Marty» أنه مهما كانت درجة الإصابة الجسدية فإنه يتعذر فهمها، وبالتالي علاجها إن لم نرجع للاقتصاد السيكوسوماتي العام للفرد. ويركز مارتي في ذلك على مفهوم العقلنة (Mentalisation) الذي يميز عمل الجهاز العقلي والذي يختلف من فرد لآخر وعند نفس الفرد حسب فترات حياته، ليتلخص مفهوم العقلنة فيمايلي:

إن معالجة الإثارات - سواء كانت داخلية أو خارجية - تختلف من شخص لآخر، فهناك من يعالجها عن طريق جهازه العقلي محولا إياها إلى طاقة نفسية فتنبثق بذلك أعراضية عقلية و/ أو طبيعية، وإن كانت هذه الأعراض متواجدة من قبل فإنها تعزز، يتحقق ذلك عند الأفراد الذين يتمتعون بمرونة وصرامة دفاعية وحياء هوائية غنية. هناك أشخاص آخرون ليس لهم الصرامة الدفاعية والثراء الهوائي الكفيلين بإرصان الإستثارات وتسييرها على الساحة النفسية المحضة، فيرغمون على استعمال أساليب أخرى لمعالجة هذه الإستثارات تتمثل هذه الأساليب في الطبع و/ أو السلوك، وإن تعذر ذلك سينتج عنه اختلال التنظيم الجسدي (Une désorganisation somatique). هذا الاختلال في التنظيم (la désorganisation) يكون مخالف للمبدأ التطوري، يمس الوظائف الأكثر تطورا (كالتوظيفات العقلية) ثم يتسع فيما بعد إلى الوظائف الأقل تطورا « كالتجسيد» أي الإصابة بمرض جسدي، حيث يؤخذ أي عرض جسدي مهما كانت درجة

خطورته ضمن كل حياة الفرد في الديناميكية التطورية والتاريخية له مع استمرارية وجوده، من خلال إدراج هذا العرض في اقتصاده السيكوسوماتي.

انطلاقاً من هذا المنظور توصل مارتي إلى تصنيف جديد مكمل للتصنيف التحليلي الكلاسيكي (عصاب-ذهان)، واصفاً فيه وحدات عيادية جديدة تتميز كلها بعدم انتظام التوظيف (irrégularité fonctionnement) du، نظم العصابات جيدة التعقلن، والغير مؤكدة التعقلن، والعصابات سيئة التعقلن (مع عصاب السلوك) لتكون هذه الأخيرة أكثر عرضة للتجسيد.

• العقلنة "La Mentalisation"

السيكوسوماتية نظرية نابعة من التحليل النفسي، تمكننا من فهم المظاهر الملحوظة أثناء الممارسة العيادية. إن التأكيد على مفهوم العقلنة في سنوات (1970-1975)، كان له أهمية كبيرة في بلورة النظرية المارتية.

فحسب المفهوم الاقتصادي الذي عرضه فرويد «Freud» في "ما فوق مبدأ اللذة" "Au de-là du principe de plaisir" (1920)، فإن الإفراط في الإثارة قد يؤدي إلى الحالة الصدمية لدى الفرد إذا تم التجاوز والتغلب على وسائله الدفاعية النفسية. فالإثارات الناجمة عن الغرائز والنزوات التي تحدث أثناء الظروف والأحداث المختلفة يجب أن تفرغ أو تصرف.

هذا المفهوم ناتج عن النموذج النظري للعصاب الحاضر "Les névroses actuelles" (1895)، والذي لا يتعارض مع النظريات اللاحقة الخاصة بالنزوات.

فالعقلنة هو المفهوم الذي يميز العمل الذي يقوم به الجهاز النفسي بصفة دائمة ليسمح بتفريغ الإثارات عن طريق الإرضان، وهي متغيرة حسب الأفراد ومتغيرة عند نفس الفرد حسب لحظات حياته.

إذا كانت المعالجة العقلية غير كافية فإن احتمالات أخرى للتفريغ أو التصريف، لتلك الإثارات قد تحدث من خلال السلوكات الحركية

والحسية.عندما لا تجد هذه الإثارات النزوية منفذا نفسيا وعندما تصبح احتمالات التفرغ ضئيلة فإن تراكمها قد يؤدي إلى التجسيد.

فالعقلنة تعالج كمية ونوعية التصورات النفسية وكذا ديناميكياتها. فهي تصف قدرة الجهاز النفسي على ربط الإثارة النزوية عبر الأنظمة وشبكة التصورات وتداعي الأفكار المتعددة والتفكير المشحون بالعواطف.

يقول مارتي «Marty» في هذا الصدد:

"إن التصورات تمثل قاعدة الحياة العقلية لكل شخص مكونة الهوامات في النهار وعناصر الحلم في الليل. كما تسمح هذه التصورات بتداعيات الأفكار، الفكر، التأمل الداخلي. كما تستعمل كذلك في علاقاتنا المباشرة وغير المباشرة مع الآخرين بصفة دائمة".¹

كما اهتم مارتي بالتصورات التي هي عبارة عن استحضار للإدراكات الأولية التي ترسخت والتي تركت أثارا ذكورية. إن تسجيل هذه الإدراكات واسترجاعها لاحقا غالبا ما يكون مصحوبا بصبغة وجدانية مريحة أو غير مريحة. ومكان هذه التصورات والروابط فيما بينها يكون في ما قبل الشعور.² فالعقلنة تأخذ بعين الاعتبار نوعية وكمية التصورات من حيث:

1- الكمية: حيث تكون كمية التصورات في علاقة مع تراكم الطبقات التصورية، خلال مختلف مراحل النمو الفردي.

2- النوعية: تتعلق بنوعية التصورات القبل-الشعورية التي تكمن في أن واحد في؛

- قابلية استحضار هذه التصورات.

- إمكانية الربط بين مختلف التصورات أثناء استحضارها مع تصورات أخرى من نفس الفترة، أو من فترات أخرى، مما يعطي في المحصلة تداعيات جد غنية.

- ديمومة العنصرين السابقين- قابلية الاستحضار وإمكانية الربط- التي يمكن أن تعرقل بواسطة التجنب أو قمع التصورات المكتسبة من خلال اختلال التنظيم لنظام ما قبل-الشعور.

إذن يجب التأكيد على أن العقلنة تقيم في نفس الوقت الميزات الأساسية الثلاثة لما قبل الشعور: سمك مجموع التكوينات التصورية، سيولة الروابط بين التصورات التي تحتوي عليها، والديمومة العادية أو استمرارية توظيفها عبر الزمن.³

فلا يجب أن نكتفي للحكم على النوعية الجيدة للعقلنة على السيولة ضمن الطبقة التصورية الواحدة، بل يجب أن يكون كذلك بين مختلف الطبقات التصورية. من الممكن أن تكون التصورات ناقصة وسطحية فتعطي تداعيات قليلة. كما أنه من الممكن أن تنتج إدراكات معاشة في الواقع دون أي تعديل وإرصان نفسي، مما يدل على وجود خلل في الكبت.

وفي بعض الحالات فإن العاطفة يمكن أن تظهر مهمشة منحصرة في الأشياء، بينما التصورات تقتصر هي أيضا على الأشياء، كأن تصورات الكلمات قد فقدت مدلولها وتعبئتها العاطفية وقدرتها على الترميز. هذه التدهورات في التوظيف العقلي تطرح تساؤلا حول نوعية ما قبل-الشعور الذي هو في تصور فرويد، المكان الذي تحدث فيه الارتباطات والتفكيك للتصورات. عندما لا يلعب ما قبل-الشعور دوره، كملتقى الطرق (مفترق الطرق) (Carrefour) الذي يسمح بمرور التصورات

ما بين الشعور واللاشعور، فإن النشاط اللاشعوري لا يستطيع التعبير إلا عن طريق الآنية والفعل.

هذه الخصوصيات أدت بالتمييز بين الأفراد "عصابات السلوك" و"العصابات السيئة التعقلن"، عن العصابات العقلية الكلاسيكية "العصاب النفسي الفرويدي" "Psychonévrose Freudiennes".⁴

عندما يكون المسلك العقلي معرقل من الممكن أن تؤدي النشاطات النكوصية إلى إصابات جسدية، يكون انطلاقها بعد اختلال تنظيم التوظيف العقلي المطبوع حسب مارتي «Marty» (1966) بالاككتاب الأساسي.

و في هذا الصدد فإن البحوث التي أجريت على مدي 16 سنة في مستشفى بوترن دي بوبلي "POTERNE DES PEUPLIERS" مكنت دوبري «Debray» من التوصل إلى أن العمل النفسي يحمي الجسد من احتمالات حركات اختلال التنظيم الجسدي.

إن هذا الاقتراح يبقى دائما صحيحا، عندما تظهر على الشخص علامات تعبير جسدية بوضوح أو بشكل غير رجعي، فتقودنا إلى الاحتمال بأنه، إذا كان العمل النفسي قابلا للاستعادة أو يتطور بطريقة ملائمة فإن التعبير الجسدي يتضاءل. يمكن أن يتحقق هذا التطور بطرق معقدة خلال العلاج ولكنه يستند في أول الأمر على الطبيعة التحويلية وال ضد-التحويلية التي يمكن أن تقام بين المريض ومحلله النفسي.

إن أي شخص، مهما كانت عقلنته جيدة ليس في مأمن من اختلال التنظيم الجسدي بين فترة وأخرى من وجوده. فهذا بديهي لدى الرضع والأطفال الصغار ويبقى صحيح لدى المراهقين ولكنه صحيحا أيضا لدى الراشدين ويعود فيصبح بديهي لدى الكهولة.

أما مارتي فقد ميز العديد من المستويات الخاصة بالعقلنة والمتمثلة في :

العقلنة الجيدة (الأكيدة)، العقلنة السيئة، العقلنة الغير

المؤكدة.⁵

فيما يلي سنقوم بإعطاء التعريف الإجرائي لمختلف أنواع العقلنة:

*- الأفراد الذين ينتمون إلى العصابات الجيدة التعقلن يتميزون ب:
- وجود حيز نفسي يستثمر على أنه مجال عقلي، تعالج فيه المحتويات الهوامية.

- حركة مستمرة ومرنة بين الواقع والحياة الخيالية " la vie imaginaire " .

- ميكانيزمات دفاعية متنوعة تنتمي لمختلف سجلات التوظيف.

- إمكانية حشد نشاط نزوي، لبيدي وعدواني.

- معالجة الوضعيات الصراعية النفسية والعلائقية.

*- الأفراد الذين ينتمون إلى العصابات السيئة التعقلن أو عصابات السلوك يتميزون ب:

- فقر في الذكريات والحياة الهوامية.

- نقص في التعبير الوجداني. " Manque d'expression affective " .

- غياب حيز نفسي لمعالجة الصراعات.

- التمسك بالواقع الملموس، العملي.

- العيش في سياق آني دائم، نموذج الحياة الإجرائية " une actualité permanente " .

*- الأفراد غير المؤكدي العقلنة:

يعالجون الإثارات بصفة غير ثابتة غير مستقرة، يتميزون أحيانا بعقلنة جيدة وأحيانا بعقلنة سيئة - يكون توظيفهم بين العصابات الجيدة التعقلن والعصابات السيئة التعقلن - فيكون عدم انتظام التوظيف جد واضح "l'irrégularité du fonctionnement mental est patente" ليجد الفاحص نفسه في موقف تردد حول نوعية التوظيف العقلي للمصاب.

• الأحلام " les rêves "

الحلم هو إحدى الطرق التي تسمح بالتعرف على الجهاز النفسي ليكون تأويله الطريقة المثلى التي تؤدي إلى التعرف على اللاشعور في الحياة النفسية⁶. هذه الاعترافات جعلت السيكوسوماتيين الفرنسيين يعطون أهمية كبرى للتظاهرات الحلمية لدى المرضى السوماتيين ويقول مارتي في هذا الصدد:

«التعريف المبدئي للمرضى الجسديين يكون حسب ميزتهم العقلية وديناميكيتهما. هذا ما يؤدي بنا في كل الحالات للغوص مباشرة في إشكالية الحياة الحلمية للأفراد».⁷

فالأفراد الذين يعانون من قصور في التوظيف النفسي يتميزون على العموم بغياب الأحلام أو فقرها، أو ندرتها، مع عدم القدرة على التداعي. لقد ميز مارتى أربع حالات للحياة الحلمية عند هؤلاء المرضى، والتي لها أهمية كبيرة في التعرف على طبيعة العقلنة، سنتعرض إليها بإيجاز في ما يلي:

1- غياب الأحلام "L'absence des rêves"

هذا الغياب يبقى دوما محل مناقشة، نستطيع أن نفكر أن النائم قد كبت وجود أو محتويات أحلامه. كما يمكن أن نفكر بأنه لا يتذكر أحلامه بسبب نقص في الاهتمام أو المجهود أو ظهور دفاع يمنعها من الظهور، أو ظهور مقاومة خاصة بالمحتويات مثلما هو عليه الحال في التحليل.

يقول مارتى «Marty» "إذن أتحدث عن غياب نظري للأحلام"، "هذا الغياب في الأحلام، يدل نظريا على عزل اللاشعور، لتسلك الإثارات النزوية طرق أخرى، عوض التصورات والإرصان الحلبي".⁸

2- الأحلام الإجرائية "العملياتية" "Les rêves opératoires"

تتخلص هذه الأحلام بكونها تعكس أعمال اليوم الفارط أو تسبق أفعال برامج اليوم القادم. هذا ما يدل على المحدودية الهامة لنشاط الإرصان في الربط بين التصورات. في هذه الحالات يكون المعالج في وضعية جد حساسة "Délicate"، لهذا يجب أن يكون ملما بالاقتصاد السيكوسوماتي للمفحوص. فهو موجود من أجل مساعدة هذا الأخير في إيجاد صحته الجسدية.⁹

3- الأحلام التكرارية "Les rêves répétitifs"

يركز مارتى على الأحلام التكرارية من حيث تكرار الشكل، التي تختلف عن الأحلام الموجودة لدى العصائيين أين يكون المحتوى متكرر، دالا بذلك عن مكان تثبيت ما متموضعا في سيناريو مختلف في كل مرة.

تتأتي هذه الأحلام من نفس الأساس المكرر للأحلام العملية، كما هو الحال لكل تكرار متطور، الذي يدل على ركود "Stagnation" تكراري للنظام المسبب له، وهذا بسبب الفشل الدائم لبرمجة هذا النظام.

ويرجع هذا الفشل في البرمجة عادة لما يلي:

- إما متعلق بنقص في الإثارات، مثلما أدلينا به في الأحلام العملية أين لا يظهر اللاشعور بكفاية لما قبل الشعور الذي يتميز بعدم القدرة الأساسية أو المؤقتة.

- إما متعلق بإفراط في الإثارة، وهذا يخص الأحلام التكرارية حيث يكون ظهور اللاشعور بصفة صاحبة "Bruyamment" لما قبل الشعور المذهول.

و هذا يذكرنا بالإذهال العقلي للعصابات الصدمية الناتج عن تثبيت صدمة حديثة العهد، أو عن انعكاس حديث لتثبيتات عائدة إلى فترة الطفولة الصغرى. إن كانت هذه الأحلام حصرية "exclusifs" تتخذ بذلك الأحلام التكرارية شكل كوابيس "Cauchemars".

4- الأحلام الخام "Les rêves crus"

أنجزت روزين دوبري «Rosine Debray» عملا غير مطبوع "Inédit" فيما يخص هذه الأحلام التي سمّتها بالخام (1983)، لأنها تحقق الهدف النزوي بفضاظة من خلال مشاهد مباشرة مثل: النفوذ، القدرة العدوانية الضمنية أو الشرجية، القدرة التناسلية. أحيانا يكون التشويه قليل التأثير لنظن أن الحلم يعطينا صورة اللاشعور الذي هو في نفس الوقت متأصل "originaire" ومكبوت بالنسبة للنائم. فهذه اللاشعور يظهر دون أي صراعات داخلية وبدون عناصر توفيق. هذه الصورة تعطي انطباع أكثر عن الهول لما هو عليه اللاشعور¹⁰. إن الانفجار الغريزي والتفريغ النزوي يكونان منبع لهذه الأحلام المفاجئة، دون تعديل، دون دفاع، والتي مرارا ما توقظ النائم.¹¹

نجد الأحلام الفضة بالخصوص عند عصائبي السلوك أين يكون الجهاز العقلي مبعث عن إمكانيات الاستثمارات المضادة "contre-investissement" التي لم تنظم بوضوح.

أما فيما يخص نظرة ميشال فان «M. Fain» للأحلام، فإنها ناتجة عن رفض عدم الاستثمارات التي تتطلبها الحاجة للنوم: إن وجوده يدل على الحركة التوافقية بين الرغبة في البقاء المرتبط بالمواضيع، والحاجة إلى الانطواء على الذات. الحلم هو حل للصراع، ليصبح بذلك حارس للنوم "Le gardien du sommeil" من أجل المحافظة عليه. فاليرقان "Insomniaque" الظرفي أو المزمن لا يمكن تصريفه- لأسباب معقدة - لعلاقته بالمواضيع. وبنفس الطريقة وعند حدوث المرض فإن عدد كبير من الأفراد يفشلون في تلبية هذه الحاجة للنكوص الضروري للدفاعات العضوية.¹²

II- تقديم حالة عبد الغني

يبلغ السيد عبد الغني* من العمر 43 سنة، أسمر طويل القامة، شديد النحالة، ذو ملامح جميلة. ينتمي إلى عائلة ريفية تتكون من 10 أطفال هو أكبر الذكور بعد أربعة أخوات 4 بنات، متزوج -أب لخمس أطفال أربعة بنات، آخرهم ذكر- عاطل عن العمل منذ تعرضه للإصابة بالقصور الكلوي المزمن. يتابع العلاج عن طريق التحال الدموي، بمعدل مرتين في الأسبوع.

أرسل لنا في عيادتنا الخاصة من طرف مختص بأمراض الكلي "néphrologue" بمستشفى بجاية من أجل إجراء فحص نفسي.

كان المفحوص يتردد إلينا بانتظام وفي المواعيد المحددة لإجراء هذا الفحص كما لاحظنا التحويل الإيجابي نحونا، فعبد الغني كان يؤكد بأنه لم يجرأ أبدا على التحدث مع شخص ما عن خصوصياته.

I - الحالة الصحية

1- الإصابات العضوية التي تعرض لها المفحوص

لم يتعرض المفحوص لأية إصابة قبل سنة (1993)، لكن منذ هذا التاريخ بدأت تظهر عليه بعض المشاكل الصحية ** التي ابتدأت بصداع الرأس ثم الحكة "démangeaison"، الذي كان يلجأ بسببها للاستحمام كل يوم من أجل التخفيف من حدتها، بعدها التهاب اللوزتين المزمن "Angine" "chronique"، ثم آلام قرحة المعدة المصاحبة بتقيئات، ليصاب بعدها في سنة (1996) بالقصور الكلوي المزمن الذي بفعله تعرض لتعقيدات - ارتفاع الضغط الشرياني - دهورت من حالته فكانت خطيرة وحرجة استدعت استشفاء مدة سبعة أشهر، ليحال في نفس الفترة من التحال الدموي البيروتواني إلى التحال الدموي عن طريق الدياليز، ثم بعدها كانت إصابة العينين بكثافة بلورية العين "la cataracte" - فتعرض لعملية جراحية على عين واحدة - ثم إصابة الأذنين بصمم جزئي.

2- علاقة بعض الأحداث الصدمية ببعض التعقيدات

بعد بلوغ السيد عبد الغني وفاة أبيه سنة (1997)، عاني مباشرة من مشاكل صحية عويصة تعرض لها خلال حصة التصفية الدموية التي أفقدته وعيه. هذا ما أدى به إلى ملازمة المستشفى لمدة طويلة.

كما تعرض المفحوص منذ سنتين (1998) إلى صدمة نفسية، كانت تتعلق بوفاة ابن خالته إثر حادث مباغت - يبلغ من العمر 4 سنوات - الذي كان كثير التعلق به، في اليوم الموالي تعرض السيد عبد الغني إلى اشتداد التعقيدات، كارتفاع الضغط الشرياني مع حدوث نزيف دموي قوي من الأنف أدى به إلى اللجوء للمستشفى من أجل إيقافه.

3- انعكاسات الإصابة

أثرت هذه الإصابة على السيد عبد الغني من الناحية النفسية فيقول «حاليا كأني أكره نفسي، أنظر لنفسي في المرأة، لقد فقدت مظهري لم أكن

هكذا». هذا فقدان غير إدراكه لصورته الجسدية التي أصيبت بجرح نرجسي.

كما أثرت هذه الإصابة على حياته الجنسية مع زوجته، فلم يصبح قادرا جنسيا مثلما كان عليه قبل الإصابة بالقصور الكلوي، هذا ما أثر في علاقته الزوجية فيقول «لم تعد لا أدري إنها تحتاجني، لا كزوج ولكن كأب لأولادها». كما ظهرت على المصاب تغيرات في سلوكاته، تمثلت في موقف تقبل ما تمليه عليه زوجته بهدف إرضاءها على الرغم من أن رغباتها في بعض الأحيان تناقض مبعثاته، فمثلا يريد السيد عبد الغني الاكتفاء بإنجاب طفلين فقط أما زوجته فهي ترغب في الكثير من الأطفال وهذا ما تحقق في الواقع فالمفحوص أب لخمسة أطفال.

كما فقد السيد عبد الغني عمله منذ أربعة سنوات بسبب مرضه المزمن والذي كان يستثمره كثيرا وشديد الارتباط به حيث يشعر أنه فقد دوره الاجتماعي وليس له أية قيمة (للمفحوص شهادة في المحاسبة منذ 25 سنة، حيث مارس هذه المهنة مدة 20 سنة-).

4 - العامل الوراثي

ندخل العامل الوراثي في إصابة عبد الغني بالقصور الكلوي المزمن، لأن أمه وأخاه يعانيان من إصابة في الكلى - كلية صغيرة وأخرى كبيرة -، كما نجد بصفة موازية الخوف الشديد للمفحوص عن والدته وأخيه - أن ينتهي مصيرهما بالعلاج بآلة التنصيف الدموية - ومن إصابة أبناءه وأقرباءه بهذه الإصابة الوراثية.

II - التوظيف العقلي

1 - نوعية العلاقة أثناء المقابلة

خلال المقابلات كان يتكلم السيد عبد الغني بصفة تلقائية بعد طرح سؤالنا ليجيب بصفة ثرية أين كنا نتلقى معلومات كثيرة حول حياة المريض

وبيئته عن طريق تداعيات حرة . مجمل المقابلات المجرات معه كانت مفهومة رغم احتوائها على بعض سياقات بروز العمليات الأولية.

كما لاحظنا أن الأحداث التي تأثر بها كانت معبأة بردود انفعالية، سواء على مستوى الحديث "التعبير عن عاطفة قوية"، أو على مستوى السلوك "بكاء".

2 - الأحداث الحياتية الهامة عند المفحوص

سنركز في هذا الإطار على بعض الأحداث الهامة في حياة المفحوص والتي تخص ماضيه، مركزين في ذلك على بعض المقاطع التي قالها خلال المقابلة.

*-الانفصال المبكر للسيد عبد الغني عن أبويه في سن الثامنة، فكان يريد البقاء معهما، ليقول في هذا الصدد:«ثم رجعت، أودعت إلى جدتي كنت صغيرا، كانت ذكريات، أتذكر، كنت لا أرغب...كنت أريد أن أبقى عند أبوي».ليصبحان والديه فيما بعد غريبين عنه،«أبوين، كانوا مثل، كالغريباء».

*- فقدان الحصان، الذي كان ذو قيمة كبيرة لدى السيد عبد الغني حيث كان ذلك واضحا من خلال بكاءه لفقدانه،قائلا:«كان حصان أحمر، كان له هيئة جيدة، لقد مات هذا كذلك» " بكاء". «تكفلت به مدة سنة هذا الحصان يعجبني كثيرا».

*- كان عبد الغني شديد التقيد بعائلته ليعيش ذهابه إلى الخدمة الوطنية كانفصال جديد عنها،

فيقول: «قلت لنفسي، سأبتعد كذلك عن والدي»،«كانت السنتان، اللتان أثرت علي، ذهبت إلى خميس مليانة»، «كنت، لا أدري، محبوس مدة ستة أشهر لم أعد إلى البيت».

*- نجد أن عبد الغني قد أصيب بخيبة غرامية في مرحلة المراهقة حيث قام باستخدام ميكانيزم القمع لأحاسيسه، قائلا: «كنت يائس، ثم لم أعد إلى المكان بعد بعض الوقت، حاولت النسيان، على الرغم من كل شيء نسيت».

*-في سنة 1992 تعرض والد المفحوص لحادث مرور، صدمته حافلة فتدهورت صحته تدريجيا حتى وفاته سنة 1997، فكان عبد الغني جد متأثر. ففي تعبيره عن هذه الوضعية يقول «جاء أخي ليخبرني أن أبي قد مات كنت مضطربا» "بكاء".

3 - الحياة العلائقية

كان عبد الغني قبل إصابته بالقصور الكلوي كثير العلاقات بحكم مهنته ومكانته الاجتماعية، فكان لديه العديد من الأصدقاء والاستثمارات، فحتى أوقات عطلته كان يقضيها في المخيم الصيفي للاهتمام بالأطفال. فيما يخص علاقته بعائلته فكان كثير التعلق بها لم يكن يستطيع الابتعاد عنها، فمثلا عند استدعائه للخدمة الوطنية كان يعمل جاهدا لقضاء هذه الفترة في أقرب منطقة من بيتهم العائلي. لكن بعد الإصابة بالقصور الكلوي المزمّن أصبح المفحوص يعيش في صراعات علائقية أدت به إلى مواقف المعارضة وأفكار المطالبة بالخصوص عند نقده لمواقف أصدقاءه اللذين ساعدتهم، واتجاه حماه "son beau père" الذي مد له يد العون في الكثير من الأحيان ولم يلقي أي شيء بالمقابل، فكان تعبير المفحوص عن تألمه وتعاسته جد مكثف.

أما بالنسبة لاتخاذ القرارات فلم يعد عبد الغني قادرا على اتخاذها لوحده بل أصبح يحتاج للمساعدة من الآخرين فقد أصبح نوعا ما تابعا في علاقاته، على غرار ما كان عليه سابقا لما كان يتحلي بنوع من الاستقلالية. على الرغم من تغير طابع علاقات عبد الغني مع الآخرين بعد الإصابة إلا أنه استطاع أن يحافظ اتجاه أولاده، على نفس العلاقة التي كانت تربطه بهم من قبل، فهو دائما يسير أمور البيت ويتحكم في القرارات الخاصة بأطفاله.

4- طبيعة السياقات الدفاعية المستعملة في المقابلة

بالتركيز على حديث المفحوص، استخرجنا السياقات المستخدمة في ذلك من الأكثر سيادة إلى الأقل ورودا من خلال الاعتماد على بعض المقاطع من المقابلة، التي ركزنا في استخراجها على شبكة الفرز لرائز تفهم الموضوع (1990) الخاصة بفيكا شنتوب «Shentoub. V».

*-سياقات المرونة

احتلت الصدارة، حيث كان الدفاع باللجوء للهوامات والعواطف ذو فعالية، والتي سنقوم بذكر البعض منها الذي كان الأكثر تواترا:

• سلوكيات الجذب "Les comportements de séduction": لاحظنا سلوكيات الجذب من خلال بعض المقاطع من المقابلة ك:

«كنت أرى النساء الجميلات، يفرحني ذلك حتى وإن لم تكن لي علاقة معهن إلى هذا اليوم، أحب وجود النساء الصغيرات الجميلات»، «لما أرى امرأة أتأملها لكن لا أكلّمها أبدا هذا يسعدني»، «إنها محادثة تعجيني، أحب الحديث عن النساء».

• التعبير عن العواطف "L'expression d'affect": كانت العواطف قوية في وضعيات نشطت تصورات خاصة بفقدان الموضوع، لتفيض هذه التصورات بالعاطفة التي تنبثق عن المكبوت لتنهك قدرات النشاط العقلي محدثة البكاء لدى المفحوص مثلا: وفاة الحصان، وفاة الأب، عدم القدرة على إقامة التريص الخاص بالمخيم الصيفي في بلد أجنبي، كلها أحداث أثارت استخدام السلوك بالبكاء الواضح لدى المفحوص.

كما كانت كذلك هناك عواطف مفرحة، نذكر منها هذه المقاطع: «كنت أرى النساء الجميلات يفرحني ذلك»، «أنا جد حساس».

*-سياقات تجنب الصراع

احتلت هذه السياقات المرتبة الثانية والتي كانت حسب هيمنتها كالتالي:
-السياقات الفوبية أين سيطر التجنب، الابتعاد عن التصورات والوجدانات في الكثير من الميادين، كما وجدناها مجتمعة مع السياقات المرنة والصلبة في مجمل المقابلة، ك«أتجنب أن يسألوني حينما أمكث في المقهى، أتجنب».

كما اتخذ الخوف قيمة معقلنة من خلال أقوال المفحوص التالية:

«أخاف أن أموت»، «أخاف في الظلام»، «أفكر في السنة الدراسية العام المقبل، هذا العام يخيفني، أقوم بحسابات أقوم، إنني جد خائف»، «لقد خفت أن أفقد أُمي كذلك».

- كما كان هناك البعض من السياقات الضد-الاكتئابية التي كانت في قالب علائقي جنسي يحمل المزاح كقوله؛ «كنت أحكي المسليات»، «كنت أمزح»، «المسليات التي تعجبني هي المسليات الدنيئة».

كما تخلل أيضا حديث المفحوص، أوقات من زمن الكمون في محتوى المقابلة، لكن ذلك لم يعرقل كثيرا السياق الكلامي الكلي للمفحوص.

*-السياقات التي تدل على التحكم والصلابة

لم يكن المفحوص كثيرا للجوء إلى السياقات الخاصة بالتحكم الصارم، كما كانت معظم هذه السياقات تنتهي إلى سمات الطبع الصلبة " Les défenses rigides de caractère والتي سنذكرها فيما يلي:
-التحفظات الكلامية " Les précautions verbales " كانت متواجدة بكمية كبيرة، متخذة سمة للطبع «Je ne sais pas»، «en quelque sorte».

•الإتقان والتدقيقية والانتباه لأدق التفاصيل: فمثلا كان المفحوص يقول «كنت منظما، لما أعمل شيئا أريد أن أقوم به بطريقة ممتازة فلا يكون هناك أكثر من ذلك».

«المواعيد لا أغيب أبدا عنها فأنا منضبط»، «لما أقرأ كتاب يجب أن أكمله».

- التفصيلات الرقمية: كان المفحوص أكثر دقة باستعماله في بعض الأحيان، أرقاما تساعده في تحديد وتعيين الأحداث، فعمله كمحاسب كان يدعم هذا الاستعمال للأرقام.

كما وجدنا سياقات أخرى كالتردد في الاختيار الذي كان يخص ميولات متناقضة، وإدراج بعض المصادر العامة الخاصة بالمجتمع.

*- السياقات الخاصة ببروز العمليات الأولية

كان تواجههم بكمية قليلة، لتكون متمحورة في تصورات مكثفة مرتبطة بالموت، الإسقاط، الانفجارات الكلامية "اضطراب تركيب الكلام المؤقت أو المتواصل".

وأخيرا رغم تواجد السياقات الأولية فهذا يدل على النفاذة بين الهيات النفسية، كما كان هناك تنقل الهوامات و/أو الوجدان الكثيف، من غير أن يختل المفحوص كليا في إنتاج حديثه ضمن المقابلة.

5- الحياة الهوامية والحياة الحلمية

*- الحياة الهوامية "La vie fantasmatique"

نلاحظ الثراء في الحياة الهوامية، فالمفحوص يقوم بتقديرات وحسابات للقيام بعملية الزرع من خلال الإسقاط في المستقبل "Projection pour l'avenir"، وأحيانا يفكر إن لم يكن قد أصيب فماذا سيكون مصيره، كما يفكر في تبعيته لألة التصفية إن زال هذا المكان يوما ما، بسبب كارثة طبيعية كزلزال أو حضر، فما هو مصير كل هؤلاء المصابين؟. كما لاحظنا وجود نشاط عقلي متنوع، كأقواله التالية؛

«لكن هناك العديد من الصور التي تعود مرارا ذكريات، أحيانا لا أنام طوال الليل»، «أتكلم وحدي»، «غليان في رأسي، أتكلم وحدي، أخاف أن أصبح مختل كذلك»، «حاليا أشاهد التلفزة لكنني متصل بأقمار صناعية أخرى»، «كل شيء يرجع إلي قد يحدث أن لا أنام حتى الصباح»، «إنه غليان في رأسي، الندم، بعض المرات أقول لنفسي انتهى الأمر سأصير مخبولا».

*- الحياة الحلمية La vie onirique

السيد عبد الغني كثير الأحلام التي كان محتواها ذو مادة مكثفة، فكان يتذكرها ويهتم بها ليدل ذلك على التوظيف المستمر للجهاز العقلي.

فيقول في هذا الصدد «أحيانا أحب أن أحلم، أحلم، أحيانا أرى كوابيس»، «أنا أقول لك أنني أحلم، أحلم كل مساء أيضا». زيادة على محتوى

هذه الأحلام، نجد تداعيات أمام هذه المادة، التي تدل على عمل عقلي مرتبط بالدفاع واللذة. فيما يخص هذه الأحلام التي وضحت قدرات العمل النفسي - قمنا بتداعي المفحوص على كل جزء من الحلم، فخلال تداعيه عن ذلك أدى به إلى التحدث عن حلم آخر -، إننا في الحقيقة لا نقوم بتحليل هذه الأحلام لكننا نشدد على العناصر التي تبين لنا طبيعة سياق الإرضان العقلي.

خلاصة الحالة

تميز حديث المفحوص بتداعيات مختلفة، تدل على القدرة العقلية على الربط التلقائي لما يقوله بذكرياته أو مع محتويات خيالية، كما تميز توظيفه العقلي بصراعات مختلفة سواء على الساحة النفسية والعلائقية، مع وجود ثراء في الحياة الحلمية والتداعي عنها. أما عن الميكانيزمات الدفاعية فقد سادت سياقات المرونة التي أتت بعدها في المرتبة الثانية سياقات تجنب الصراع، أما المرتبة الثالثة فهي لسياقات الرقابة، والندرة كانت لسياقات بروز العمليات الأولية.

إذن الفرضية الخاصة بالتوظيف العقلي للمفحوص عبد الغني، تندرج في العصاب الجيد التعقلن ذو النواة الهيستيرية الفوبية، هذا التوظيف الذي له قيمة ووظائفية حتى إن كان غير كاف لتشكيل بنية عصابية نموذجية.

بعد حصرنا لنوعية التوظيف العقلي الخاص بعبد الغني، سنحاول ربط هذا الأخير بإمكانيات التصدي الجسدي للأمراض " La tenue du corps". فالإصابات التي تعرض لها المفحوص ابتدأت بصداع الرأس، الذي كان منطلقاً لأمراض أخرى لاحقة. كما كانت حياة عبد الغني مليئة بالأحداث التي كان بعضها ذو مفعول صدمي، كوفاة أبيه سنة (1997)، ووفاة الطفل الصغير، اللذان أديا إلى العديد من التعقيدات الجسدية. ما لاحظناه هو أنه رغم الإصابات الحرجة والحالة الخطرة- كاستشفائه لمدة سبعة أشهر سنة (1996)- للمفحوص قد استعاد توازنه نسبياً. إذن نستطيع أن نستنتج أن

لعبد الغني إمكانيات تصدي جيدة للأمراض التي هي في علاقة وطيدة مع طبيعة توظيفه العقلي.

الخلاصة العامة

أكدت النظرية السيكوسوماتية على الخصوصيات الفردية للتكوين التطوري والتنظيم الاقتصادي الذي هو نتاج العوامل الوراثية وتاريخ الفرد والمحيط الذي يعيش فيه. فالمرض حسب مارتي «Marty» قد تكون له قيمة إيجابية في بعض الحالات، ليمثل مستوي لإعادة التنظيم "un palier" de réorganisation ولمعرفة هذه القيمة كان لا بد من الرجوع إلى الاقتصاد السيكوسوماتي العام للفرد. فنفس العرض الجسدي حسب روزين دوبري «Rosine Debray» يمكن أن تكون له قيمة مختلفة حسب المميزات الشخصية للاقتصاد البسيكوسوماتي للفرد، مما يعني أن التصنيف الطبي الساري فيما يخص الأمراض ليس ملائماً للتعبير عن تعقيدات العناصر التي تلعب دوراً عندما يصاب الفرد. فنفس العرض أو حتى نفس المرض يمكن أن يندمج في حركة تطويرية إيجابية لدى شخص ما، أو بالعكس قد يساهم في حركة ضد-تطويرية يندمج على سبيل المثال في اختلال التنظيم التدريجي.

وعليه فإن هذه الرؤية تدل إذن على ضرورة الرجوع إلى التصنيف النوزوغرافي المارتي الذي يأخذ بعين الاعتبار " les risques " المخاطر التجسيدية الظاهرة لدى الشخص تبعاً لمميزات الاقتصاد السيكوسوماتي العام وبالأخص حسب خصوصيات توظيفه العقلي.

لقد توصل مارتي «Marty» وأتباعه، إلى أن نوعية التوظيف العقلي لها علاقة وطيدة مع إمكانيات التصدي الجسدي للأمراض " la tenue du corps ". فمن خلال أبحاثهم وفهمهم المعمق للمرض الجسدي فقد توجوا هذه النظرية بإمكانيات لتوقع الأمراض وتطورها وكذا الوقاية منها، مركزين على مفاهيم جديدة لتفهم الفرد كوحدة نفسية جسدية متكاملة. ومنه يجب أن لا نخضع المصاب فقط لعلاج طبي محض مقتصر على الجانب البيولوجي كما هو الحال عموماً لدى المصابين بالأمراض الجسدية، بل يجب أن تكون هناك رعاية مزدوجة من

الطبيب المختص والسيكوسوماتي لأن العمل النفسي يحمي الجسد كما يحميه
العلاج البيولوجي من أخطار اشتداد التعقيدات أو الإصابة بأمراض أخرى قد
تكون في بعض الحالات متتالية ومؤدية إلى الموت.

الهوامش والشروحات

- ¹- MARTY P. « Mentalisation et psychosomatique », Paris, Les empêcheurs de penser en rond. 1991, p.11.
- ²- Ibid. P.18.
- ³- DEBRAY R. « Pierre Marty », Paris, P.U. F, 1998, p.62.
- ⁴- Szwec G. « La psychosomatique de l'enfant asthmatique », Paris, P.U.F., 1993, p.13.
- ⁵- Marty P. « Mentalisation et psychosomatique », p.30.
- ⁶- FREUD S. , « L'interprétation des rêves », Paris, P U.F, 1967, p.p.: 516-517.
- ⁷- Marty P. , « A propos des rêves chez les malades somatiques », in Revue Française de psychanalyse, n°5, 1984, p.p.: 1143-1161.
- ⁸- Ibid. P.1149.
- ⁹- Ibid. P.1149
- ¹⁰- Ibid P.1155
- ¹¹- Ibid, P.1152
- ¹²- FAIN M. et DEJOURS C. « Corps malade et corps érotique », Paris, Masson. 1984 , p. 124.

*- أطلقنا عليه اسم عبد الغني لأنه يتميز بغنى هوامي.

** - لم يعطينا السيد عبد الغني أثناء المقابلة التفصيلات الرقمية الخاصة بتاريخ بعض الإصابات.

المراجع

- 1-ANZIEU D. et CHABERT C. (1961), «Les méthodes projectives», Paris, PUF, 8^{ème} édition, (1987).
- 2-CHILAND C. (1983), « L'entretien Clinique », Paris, PUF
- 3-DEBRAY R. (1998), « Pierre Marty », Paris, P.U.F.
- 4-FAIN M. et DEJOURS C. (1984), « Corps malade et corps érotique », Paris, Masson.
- 5-FREUD S. (1900), « L'interprétation des rêves », Paris, P U.F, (1967).
- 6-LAPLANCHE J. et PONTALIS J. -B(1973), « vocabulaire de la psychanalyse », Paris, P.U.F.
- 7- MARTY P., DE M'uzan. M. et DAVID CH. (1963), « L'investigation psychosomatique. Sept observations cliniques » Paris, PUF.
- 8-MARTY P. (1984), « A propos des rêves chez les malades somatiques », in Revue Française de psychanalyse, n°5, pp.1143-1161.
- 9-MARTY P. (1991) « Mentalisation et psychosomatique », Paris, Les empêcheurs de penser en rond.
- 10-SHENTOUB V. et coll. (1990), «Manuel d'utilisation du TAT, approche psychanalytique», Paris, Dunod.
- 11-SZWEC G. (1993), « La psychosomatique de l'enfant asthmatique », Paris, P.U.F.

مستخلصات المقالات المكتوبة باللغة الأجنبية

الاتفاقيات الأنجلو-عمانية حول تجارة الرقيق 1903-1873

د. يوسف بن عبدالله الغيلاني
جامعة السلطان قابوس

تعالج هذه الدراسة الدور الواضح الذي لعبته تجارة الرقيق في عمان خلال الفترة من (1903-1873).

كما أنها توضح العلاقة المباشرة بين هذا النشاط وما قامت به الحكومة البريطانية لوقف هذه التجارة، مستندة على قانون البرلمان الإنجليزي الصادر عام 1807، والذي اقر وقف تجارة الرقيق، معتبرا أنها تجارة محرمة في كل الموانئ الواقعة تحت سلطتها القضائية بتشريعيها النفي لكل من يدان بها.

وفي ظل هذه المعطيات أصبحت عمان واحدة من الدول التي وقعت في دائرة الاهتمام الإنجليزي من أجل التعاون في العمل على وقف هذه التجارة. وهذا ما أكدته عدد من الاتفاقيات الموقعة بين الطرفين كاتفاقية عام 1873 مع السيد تركي بن سعيد سلطان عمان (1871-1888).

وهذه الاتفاقية أعطت الحكومة البريطانية ممثلة في أسطولها في المحيط الهندي أحقية التفتيش والحجز لأي سفينة عمانية متورطة في هذا النشاط. كما ويسلط البحث الضوء على الحكومة العمانية في تنفيذها لهذه الاتفاقية عبر المتابعة والمحاكمات للمذنبين والمتورطين في هذه التجارة. ويركز النقاش على واحدة من قضايا هذه العملية والخاص بأحداث عام 1903 والتي كانت واحدة من الأشكاليات التي أزمّت في طبيعة العلاقات العمانية الانجليزية خلال تلك الفترة وما بعدها. بالإضافة الى أعداد الرقيق الذين كانوا يحملون على هذه السفن، وملاحقتهم قضائيا. ومن الواضح بأن التعاون بين الانجليز والعمانيين قد اسهم في إيجاد الطرق والوسائل الفعالة للحد من هذه التجارة

وأخيرا يلزم الإشارة إلى أن هذه الدراسة اعتمدت وبشكل كلي على الوثائق البريطانية المنشورة وغير المنشورة مع المصادر الأوروبية الأخرى.

ردود الفعل الأولية للجزائريين إزاء الاحتلال الفرنسي

1834 / 1830

د.ة سيفو فتيحة

الموضوع هو دراسة لجانب من النضال الجزائري والمقاومة السياسية في بداية الاحتلال من خلال مجموعة من الوثائق المحفوظة في مراكز الأرشيف الفرنسية - خاصة الأرشيف الوطني لما وراء البحار بمدينة أكس أن بروفنس ومصالحة التاريخ لجيش المشاة بقصر فانسان بباريس.

هذه الوثائق هي في معظمها عرائض، كتبها أعيان مدينة الجزائر إلى السلطات الفرنسية في الجزائر وفي باريس، تندد بالوضع الذي أصبحت عليه الجزائر بعد دخول الفرنسيين وبالتعديات التي قام بها الجيش ضد الجزائريين. دراسة هذه الوثائق تساعد الباحث على معرفة طبيعة العلاقة التي ربطت فئات من المجتمع الجزائري بالإدارة الاستعمارية في بدايتها كما أنها توضح الذهنية السياسية لدى مختلف القوى الاجتماعية التي تمثل الرأي العام وثقافتها ومدى تجاوبها مع الأحداث والمستجدات السياسية وتطلعنا على معاناتها واهتماماتها ومطالبها وتطلعاتها.

تعتبر هذه الوثائق مصدرا مهما يكشف عن تفاصيل أحداث جرت في بداية الاحتلال وغيبتها الكثير من الكتابات الفرنسية. وجود هذه الوثائق التي تعبر عن آراء ومواقف الجزائريين ضمن أرشيف الإدارة الاستعمارية يظهر أيضا جانباً من اهتمام المستعمر بدراسة المجتمع الجزائري وحرصه على مراقبته وتتبع تحركاته ومواقفه وأفكاره ويدخل ذلك ضمن استراتيجياته للتأثير وللسيطرة عليه وزرع الشقاق في أوساطه والتخلص من أي معارضة قد تعيق تحقيق أهدافه.

الهوية بين "الأنا" الفردي و"نحن" الجماعية

د.ة بكري سعدية

جامعة وهران 1 أحمد بن بلة

الهوية هي بعد مستبطن من قبل كل فرد بما أنها تتيح له فرصة التميز عن الآخر فتبني نفسها بين محور القرابة والمجتمع للانتقال من "أنا" الفردي إلى "أنت" للوصول إلى "نحن" الجماعية وهكذا نلاحظ الهوية الوطنية، جيو سياسية، الثقافية، الدينية، رياضية..

جوانب الهوية تفعل ترسيخ الفرق بين "نحن" مقابل "أنتم" دون حدود رقابة الهوية. حروب كثيرة تندلع لتجنب الدمار الناجم عن تجاوزات للقوانين، وعليه يجب على الأفراد مراجعة الهوية العالمية المتعلقة بالتعايش، المسامحة واحترام الآخر.

هل من الضروري إذن ترويض الهوية الفردية والمترابطة لاحترام الهويات الأخرى بهدف تطوير العالم وليس تدميره.

Revue des Sciences Humaines

*Revue semestrielle éditée par la faculté des Sciences
Humaines et sciences Islamiques
Université d'Oran 1 Ahmed Benbella- Algérie*

N° 10–Janvier – Juin 2016

Directeur de publication
Professeur Faghrour Dahou

Rédacteur en chef
Professeur Sahbi Mohamed

Revue N° 10
Dépôt Légal: 2012-2141
ISSN: 2253-0975
EDITIONS
DAR ELQODS EL ARABI
84 cooperative elhidaya belgaid – ORAN
Tel: 0556230762-0792339956 FAX: 041503206
quds_arabi@hotmail.fr
حقوق الطبع محفوظة



La revue publiera les contributions scientifiques des chercheurs en sciences humaines et notamment celles appartenant aux domaines suivants :

- Bibliothéconomie et sciences de l'information
- Histoire et archéologie
- Sciences de l'information et de la communication.

Les contenus scientifiques à publier dans la revue :

- Etudes scientifiques originales et inédites.
- Présentations et commentaires des livres.
- Etudes bibliographiques, historiques et philologiques des manuscrits.
- Rapports de colloques ou de symposiums ayant relation avec les thèmes de la revue.

Conditions de publication :

- Les auteurs doivent respecter les conditions scientifiques et méthodologiques nécessaires à la publication : Originalité de l'étude. Citer les sources. Article inédit.
- Les articles proposés sont soumis à l'expertise.
- Les articles publiés n'engagent que leurs auteurs et ne reflètent pas nécessairement les opinions de la Revue.
- Les articles ne doivent pas dépasser 20 pages. Un abstract dans une deuxième langue doit être joint à l'article.
- Les articles sont à envoyer à l'adresse électronique ci-dessous ou à déposer à l'adresse ci-dessous en format CD et en format papier.

Les articles sont à envoyer aux adresses suivantes :

Revue sciences humaines_univoran@yahoo.fr
Ou Revue des Sciences Humaines
Faculté des Sciences Humaines et sciences Islamiques
Université d'Oran 1 Ahmed Benbella, Algérie
B.P. 1514, El Menouar 31000
Oran, Algérie

Tél : (+213) 0550432329
(+213) 0560172868

Sommaire

En guise d'avant-propos Mohamed Sahbi.....	07
The Anglo-Omani Action over the Slave Trade: 1873-1903. Yusuf Abdall Ahaghailani.....	12
Les premières réactions politiques algériennes face à la conquête française (1830-1834). Fatiha SIFOU.....	35
L'identité entre le « Je » individuel et le « Nous » collectif. Sadia Bekri.....	52
Mazouna and its cultural and civilizational role during the Ottoman period Kadour Boujelal /Daho Faghrour.....	67
Le recrutement du colonialisme français des « indigènes » de l'Afrique du nord et leurs réactions. Laaredj Cheikh / Dahou Faghrour.....	68
L'organisation militaire de la fédération F.L.N de France. Kernachi Imane / Djilali Bloufa Abdelkader.....	69
Législation archivistique en Algérie Bahouci Rekia.....	70
Tools and search engines on the internet and scientific researches Benamrouche Farida.....	71
L'utilisation des banques de données du S.N.D.L Dans l'université algérienne Seghiri Miloud.....	72
Usages des NTIC par les jeunes: Enquête dans les établissements éducatifs. Fatima Maidan.....	73

Le concept du discours et ses attributs chez les arabes et l'occident: Approche théorique. Bergane mohammed	74
The role of Facebook in the reinforcement of dialogue_between the organization and the public. Hatem Ali Haider Essalihi	75
Les formes d'interactivité dans les sites de la presse électronique. Rabah Amar /Bergane Mohamed	76
La crédibilité des nouveaux medias: Approche socio- informationnelle. Benali Semmache / Samir Rahmani	77
La dimension esthétique de l'icône de l'olivier chez Mohamed Khadda. Amara Kahli	78
Le concept de mentalisation dans la théorie psychosomatique. Intissar Sahraoui	79

« Coincés entre deux temps »^{*}

Pr. Mohamed Sahbi

Chakib Arslan n'est pas seulement un nom d'un boulevard connu de la ville d'Oran ou autres villes arabes, mais il est surtout une figure emblématique du mouvement de la « renaissance » arabo-islamique des années vingt du siècle dernier. Natif de djebel druze au Liban en 1869 en tant qu'Emir, il connut plusieurs péripéties dans sa vie : la première fut sa conversion de l'Islam chiite à l'Islam sunnite, la seconde, c'est son engagement totale dans la bataille pour la renaissance d'un monde arabo-islamique en pleine désintégration sous l'effet du colonialisme occidental et de plusieurs décennies de décadence intellectuelle et politique. De son exil en Suisse, il prit contact avec plusieurs noms de l'intelligentsia et du Nationalisme du Maghreb, dont Cheikh Abd el-Hamid Ben Badis, Messali Elhadj et Habib Bourguiba entre autres.

Sa grande interrogation durant toute sa vie d'intellectuel imprégné de foi et de culture était : « *Pourquoi les Musulmans ont-ils pris du retard et pourquoi les autres ont-ils pris de l'avance ?* ». Tout en condamnant l'occidentalisation des mœurs,¹ Il plaide dans son livre portant l'intitulé de 'interrogation posée, pour l'adoption des sciences occidentales.

Etant un fervent lecteur de l'Emir, et ayant un esprit perspicace, Malek Ben nabi écrivit dans « Vocation de l'Islam » paru en 1954 : « dans les conditions où se trouvait le monde musulman plongé encore dans une totale apathie », l'action de Djameleddine El afghani, et ainsi que celle de Chakib Arslan « avait une portée psychologique et intellectuelle plutôt que politique. Elle devait faire éclater le drame musulman dans la conscience musulmane elle-même ». ²

Malheureusement pour nous, la grande interrogation qu'a posée Arslan depuis presque un siècle reste toujours d'actualité. Après les changements que vit la société arabe contemporaine, la

^{*} Cet article est paru dans le Quotidien d'Oran du 06 Mars 2012.

problématique doit être reformulé d'une autre manière : « *Pourquoi les Arabes (et non les musulmans) ont-ils pris du retard et pourquoi les autres ont-ils pris de l'avance ?* ». (L'exemple de la Turquie, la Malaisie ou l'Iran dans les temps qui courent, est à méditer.).

En réalité, Arslan n'était pas le premier à avoir souligné l'importance de ce « pourquoi ». Il fut devancé par plusieurs hommes et femmes de grande culture tels Rifa'a El Tahtaoui l'égyptien (1801-1873), ou Khair-eddine le tunisien (1830-1890). Ils nous ont transmis leurs observations dans leurs œuvres : *Talkhiss al-ibririz ila talkhis pariss, ou La purification de l'or dans l'aperçu abrégé de Paris* de Tahtaoui et *aqwam al-massalik , fi maarifati ahwal al-mamalik* de Khair-Eddine ³ . Ils furent témoins oculaires de la première confrontation avec l'occident. Faisant valoir l'inégal niveau des pays civilisés, Tahtaoui estime cependant que “*les pays francs ont atteint le plus d'ingéniosité dans les sciences mathématiques, naturelles et métaphysiques*”, mais il accorde sa préférence aux Parisiens, remarquant, d'autre part, qu'ils ne ressemblent pas aux chrétiens coptes d'Égypte, ignorants et candides.⁴ Tandis que Khair-eddine, qui présenta son manifeste comme le résultat d'une longue méditation “sur les causes du progrès et de la décadence des sociétés anciennes et modernes” se propose de présenter un diagnostic général du monde musulman, en vue d'assurer sa renaissance.

Mais malheureusement La Nahdha « renaissance » tant espérée, et dont Tahtaoui et Khair-eddine furent le symbole, n'aboutit pas, malgré les efforts fournis tout au long du vingtième siècle, non seulement par quelques « réformateurs » de tendances idéologiques différentes, voire contradictoires, mais aussi par les gouvernements issus des révolutions et guerres de libération, comme ce fut le cas, en Égypte sous Nasser ou en Algérie sous Boumediène.

En effet, la grande interrogation posée depuis, reste toujours sans éléments de réponses, malgré moult tentatives parsemées d'échecs et de séquelles telles les

« Nakba » et « Naksa » entre autres. Ce qui permettra à certains de reposer la question d'une autre manière durant l'invasion de Bagdad par les troupes américaines et de s'exclamer : « Pourquoi

les arabes donnent-ils depuis si longtemps l'impression d'être coincés dans leur passé et de ne pouvoir accéder au temps présent? ».

Il est clair maintenant, et après plusieurs secousses et vagues qui ont bouleversée la société arabe depuis El Tahtaoui jusqu'aux évènements du 11 sept 2001, qu'il faut mettre en valeur et redéfinir le patrimoine hérité de notre société qui est, comme tout le sait, un complexe de valeurs qui apparaît dans les attitudes concrètes « *en face de la vie et aussi dans des institutions traditionnelles.* ». Sans pour autant, passer outre les acquis de la culture universelle.

Les raisons du passage difficile du monde arabe d'une époque à l'autre, ne sont pas seulement d'ordre politique, géopolitique, technique comme le prétendent certains, mais aussi d'ordre culturel et éthique.

Le passé ne veut pas dire seulement les institutions et les techniques d'un patrimoine, mais aussi les échecs politiques, culturels et économiques des projets de société ratés depuis les années cinquante du siècle passé ; Ce qui a en engendré au sein des populations arabes (algériennes) et surtout les jeunes un grand malaise. Et le présent dans tout cela, n'est pas la technologie ou le mode de vie occidental, mais vivre en harmonie avec soi-même et avec la société dans un environnement adéquat, insufflé de libertés, de justice et valeurs universelles.

L'impression d'être coincé entre deux temps, cette bulle en verre, vient d'être brisée par cette jeunesse arabe « facebookienne ». Elle en dit long sur ce passage difficile à l'Ere nouvelle, malgré les non-dits et la Récupération.

Malgré l'impact positif de la globalisation sur presque l'ensemble de l'humanité- puisqu'elle a rapproché les peuples - elle a manifestement contribué à la marginalisation des cultures locales et nationales, qui sont aux yeux de l'Unesco « l'ensemble des modes d'expression, de pensée et d'action propre à une communauté donnée.. ». ⁶

Cette « américanisation » a abouti à une civilisation mondiale qui est essentiellement caractérisée par l'irruption de la technique et la technologie dans la vie quotidienne. Il semble maintenant vain d'enrayer « le processus d'uniformisation » des genres de

vies, des modes d'être et de paraître .En revanche l'authenticité (ou éléments essentiels de la culture locale), face à cette modernité ou post- modernité -qui a engendré une culture de consommation « contestée »- permettra au moins d'atténuer cette uniformisation, non seulement des modes de vie, mais surtout des valeurs.

Les modes de pensée et d'action propre à notre culture qui sont en réalité en harmonie avec les valeurs universelles, contestent les pratiques des uns et des autres, tant au niveau personnel que social, politique qu'économique. Il est impératif pour un chef de parti, par exemple, en Algérie ou dans n'importe quel pays arabe ,de savoir que la démocratie veut dire aussi alternance à la tête des parti. Qu'un élu local ou national, n'est pas un chef de tribu ou investisseur.

L'heure n'est pas à la guéguerre idéologique entre les composantes de la scène politique, laïcs, islamistes, islamistes modérés ou nationalistes. L'heure est plutôt celle de l'action concrète, loin des calculs de clans et de familles, en vue de l'accomplissement des projets de sociétés les plus ingénieux, qui concourront à faire émerger les populations du sous développement, du chômage, et de l'ignorance.

Notes et références

1- Publié en 1930, il fut republié plusieurs fois tout au long du vingtième siècle. Les éléments de réponses dont Chakib Arslan donne comme réponse à ce « questionnement », fussent une réplique à

2- Malek Ben nabi, *Vocation de l'Islam .éd .du seuil,1954, p.54.*

3- I fut L'Imam de la mission envoyée en 1826, par Mohammad Ali, le souverain égyptien de l'époque. Jusqu'en 1831 à Paris, le temps de la mission en compagnie d'autres étudiants égyptiens, il eut parfait son apprentissage du français, découvrit la philosophie antique, la pensée des Lumières, qui le marquera fortement. Son livre sus-cité fut le produit de cette aventure. Il est considéré maintenant comme un « manifeste » de la réflexion réformatrice arabe depuis le dix-neuvième siècle : la Nahda. Quant à Khair-Eddine le tunisien (1822-1890), malgré son origine circassienne, il est considéré comme un grand réformateur de la Nahda « arabe » du 19 ème siècle. Il consacra une partie de sa vie en exile à Paris, son fameux ouvrage, *Aqwam al-masalik li ma'rifat ahwal al-mamalik* (Le plus sûr moyen pour connaître l'état des nations) publié en 1867 et traduit en français, turc et italien. « Il y expose les causes de la décadence de la Tunisie et plus généralement du monde arabo-musulman en établissant une comparaison entre les États européens et musulmans. Il y propose des stratégies en matière de gouvernance et y compare les systèmes politiques européen.. ».

- 4- *Talkhiss al-ibririz*, p.75.
- 5- *Sélim Nassib « Du passage difficile du monde arabe d'une époque à l'autre », e Monde Diplomatique - Mars 2003.*
<http://www.institut-gouvernance.org/fr/analyse/fiche-analyse-193.html>.
- 6- <http://unesdoc.unesco.org/images/0018/001861/186142fb.pdf>

The Anglo-Omani Action over the Slave Trade: 1873-1903

Yusuf Abdallah Al ghailani

College of arts
Hist. Dept.
Sultan qaboos University

The Treaty of 1873 with the Sultan of Muscat

i. Sir Bartle Frere's Mission to Muscat

The most notable feature in the Anglo-Omani relationship during the year 1873 was the question of the slave trade with Muscat and Zanzibar, the subject of the mission of Sir Bartle Frere. Sir Bartle was appointed by Her Majesty's Government, as special emissary to Sultan Turki for the purpose of negotiating a more effective Treaty for the suppression of the trade in his dominions. He was accompanied in that mission by Colonel Lewis Pelly, and arrived in Muscat from Zanzibar on board H.M.S. *Enchantress* on 12th of April 1873; the two were received with warm welcome by the Sultan himself who immediately presented all necessity for the success of this undertaking. The British representatives wasted no time in entering into negotiations with the Sultan, who promptly concluded his views in agreement with the British envoy, by the signing this Treaty on 14th April 1873, only two days after their arrival.¹

The Treaty no doubt showed the Sultan's desire to achieve more effective action than previous engagements entered into with the British had achieved, either his own or his predecessors', for continuing the obstruction to the traffic which would gradually lead to complete abolition of the trade in future. This agreement with the United Kingdom Government obliged both parties and their heirs or successors to respect its provisions.

In accordance with this the five Articles which the Treaty contained were entirely concentrated on the end to the import of slaves from the coast of East Africa and Islands into the Sultan of Muscat's territories and possessions, whether

those slaves were destined for transport from one part of the Sultan's dominion to another, or using his land for passing them to foreign dominions. Anyone found involved in this traffic would be liable to detention and condemnation by all Naval Officers and Agents, and all slaves entering the Sultan's dominions should be freed.² Under the obligation of the Articles the Sultan had to take the responsibility for the entire closure of the slave markets in his country, and to devote much of his power to liberating slaves and protecting them to the extent of his ability, with a severe punishment for those who might try to return them to slavery.³ On June 5th 1873, a similar Treaty was concluded with the Sultan of Zanzibar, Sayyid Barghash b. Said.⁴ Certainly these two Treaties opened the way for a new phase in the history of the anti-slavery campaign in both Muscat and Zanzibar, and offered the British a great opportunity in these areas to cooperate with them effectively, using a lawful obligation upon these Governments to focus in detail on the traffic from now onwards. The British also found it easy to oppose the local people who continued to trade in slaves, and were encouraged to undertake large scale action at any time and without the approval of Muscat or Zanzibar.

ii. The British reaction to the results of the Treaty

On 2nd October 1874, the British Political Agent at Muscat S.B. Miles reported to the Foreign Secretary, the Earl of Derby, informing him that the treaties entered into with the Sultan of Muscat and Zanzibar, for the purpose of an effective suppression of the slave-trade, had so far shown a satisfactory result, and that during the season of the trade no importation of African slaves to the dominions of the Sultan of Muscat had taken place.⁵ However, the Report mentioned that towards the end of the year 1874, a vessel carrying from eight to ten slaves left Muscat secretly for one of the Persian Gulf ports; the confirmation of that news was not available despite all the efforts that had been made to obtain it.⁶ During the trading season H.M.S. *Rifleman* and *Philomel* which were part of the Royal Navy presence along with *Briton*, *Magpie* and *Nimble* which were patrolling the entrance of the Oman Gulf near Ras al-Hadd, had boarded many of the Omani dhows

but no capture had been made.⁷ Simultaneously H.M.S. Daphne was watching along the southern coast of Arabia, and had boarded a great number of dhows, but also no capture of slaves had been mentioned. Political Agent Miles was personally involved in searching for slaves in these areas, and started his inquiries along the Omani Coast, from al-Ashkharah to Sohar and some other Omani ports. He was absolutely confident that the importation of East African slaves to the Sultan of Muscat's dominions for the time being had completely ceased; the Sultan had confirmed to the Agent in private communication that the traffic had been forced to stop.⁸

In relation with this matter the Secretary to the Government of India, George D. Argyll, instructed the Political and Secret Department to present the Viceroy with information on Sultan Turki's cooperation with the British authorities regarding the suppression of the traffic in his dominions.⁹ By now the Sultan of Muscat was certainly the main person in the region who could be relied on and whose relations with the British could present real obstacles that could help to prevent the traffic in the region. Sultan Turki himself was completely in favour of the policy of suppression, which mainly kept his prestige with the British outstanding, and the subsidy of Zanzibar was now paid by the British without any interruption.

Sayyid Turki's engagement of 1873 with the British had also brought their closer cooperation to assist him to achieve his interests in the country, especially during the time of the attack on Muscat by the rebels of the interior of Oman.

At all events the fact was that the export of slaves to Oman and the rest of the Arabian Peninsula had operated through many different channels, but British and the Omani success in stopping the trade had been extremely thorough compared to the previous occasion when the traffic flourished during the first half of the nineteenth century. Part of the trade which was reaching Muscat at this stage was carried on by Turkish traders, who became involved in importing and exporting slaves under their colours to the Sultan's dominion and

elsewhere at the time of the Anglo-Omani activities against the traffic.

Generally the situation regarding the suppression was considerably more encouraging, and the decrease of the trade in the Sultan's of Muscat's dominions seemed to be an achievable task. During the year 1875, the British Political Agent at Muscat was quite optimistic as to the result of the Sultan's action against the matter. In October of that year Miles sent his report to India, confirming that the suppression of the import of East African slaves to the Sultan's territories had shown very outstanding results. The number which had been imported had not exceed 45 slaves.¹⁰ fortunately only one dhow of the four accused of being involved in the issue in 1875 belonged to the Sultan's subjects, the rest were from the Trucial Coast of Oman. Those three dhows were found to have obtained French flags and papers, and because of the non-appearance of the British man-of-war in the Gulf of Oman during that year, no capture took place.¹¹ As the coast of Oman was under considerable surveillance by the British cruisers, the trade would remain heavily affected, with the exception of those cargoes which could manage to escape captured.

Miles believed that it was very difficult to demolish this trade in the region by one action, when the Arab traders made every possible effort to avoid restrictions by using French and Turkish colours.¹² The British greatly resented activities carried out under French protection, which had badly damaged Anglo-French relations in this area. However, the British activities in this regard had been effective in Omani waters. They had been vigorous active in any action which would help to reduce the traffic and liberate those who were found to be involved in cases of slavery after the 1873 Treaty with Sayyid Turki.

iii. Sultan Turki's action against slavery

The British and the Sultan always appeared to be in close understanding regarding the matter, and he had responded positively to any British request. In December 1876, the Sultan's favourable attitude was reflected again when some slaves escaped from their master in the interior, and sought refuge in Gwader, the Sultan's dominion. The Sultan immediately considered the

meaning of the Articles related to this case of the 1873 Treaty, which offered his protection to liberated slaves and a heavy punishment to those who tried to return them to slavery.¹³ On 22nd December 1876, the Agent received another letter from the Sultan in which he confirmed the freedom of those liberated slaves, and their safety, and that any attempt by those who might return them to slavery would certainly be exposed to a severe punishment.¹⁴ On 24 November 1876, Miles reported a similar case to the Earl of Derby in which he informed him that Francis S. Clayton, the Captain of H.M.S. *Rifleman*, had captured the Baghlah *Sahalah* in possession of a French flag and papers, with a slave on board who was forced to say before the French Consul at Zanzibar that he was one of the crew of the Baghlah.¹⁵ After investigation of the case the slave was sold at Zanzibar, and brought to Matrah in Oman, and the Agent soon liberated him from his new slaver.¹⁶ The case was considered as a violation of the provisions of the 1873 engagement. Sultan Turki was in agreement with the Agent's view, and responded authoritatively to his request to punish both the seller and the purchaser of that slave, who were imprisoned by the Sultan in the fort of al-Jalali in Muscat.¹⁷ The Sultan's action in resolving many of the slave cases in his territories was one of the most important points which brought the British closer to the Sultan and his country.¹⁸

The British surveillance over the entry of slaves to Muscat and the Gulf of Oman had a positive result in increasing confidence in their performance in stopping the traffic in slavery in Oman but the situation was not always under their control, especially during the absence of British ships in the territorial waters of Oman.

Slaves continued to be shipped into Oman when there was an opportunity. In 1876, one cargo of 80 Abyssinian slaves was reported landed in Oman, having escaped the observation of the British ships. Sultan Turki was unable to free all these people or to punish the slavers, as he could not manage to find them. Consequently H.M.S. *Rifleman* resumed a search in suspicious places near Khor al-Hajar and Ras al-Hadd a few Kilometres east of Sur which had been for some time without proper inspection.¹⁹ However, the following year marked no known landing of slaves in Oman, and the British steamer *Rokeby* managed to rescue some Abyssinians imported by one of the people of Muscat, who was punished by the Sultan.²⁰ The result was entirely successful and

the trade appears to have died out with the passage of time. It was a fact that during the period from 1876-84, there was an outstanding success in British and the Sultan's action against the importation of slaves from the East African coast to Omani territory, which was confirmed with the decrease in numbers of slaves sold within the Sultan's dominions. Sultan Turki on the other hand had shown his determination to suppress the traffic with strong help from the British for his efforts, which they appreciated, and they assured to him their beneficial attitude towards the policy of prohibition.

The revival of the traffic to Oman

From the previous description of the slave trade between Oman and East Africa, it will be seen that a good outcome of the suppression was entirely dependent upon the British search and control of the vessels passing in these waters from Zanzibar to Muscat. Sultan Turki's loyalty to the policy of destroying the traffic in slavery made him content to secure a friendly British attitude to his Government. His agreement in declaring illegal all import of slaves into his territories, which was granted in return for full payment of the Zanzibar subsidy by the British, also encouraged the Sultan to maintain the policy against the matter.

However, by the middle of the 1880s, the situation turned against the British and the Sultan's desires, and showed a noticeable increase of the slave trade from Africa to the Sultan's dominions, following the removal of H.M.S *London* from the Zanzibar coast in the year 1884.²¹ Accordingly the Political Agent in Muscat reported in May 1884, that he had learned that an attempt would be made to export many slave cargoes from the East African coast, to the Sultan of Muscat's dominions.²² Sultan Turki had reacted very effectively regarding the matter, and issued a new anti-slavery proclamation in the country and its territories in June 1884 warning those who wished to be involved in it and confirming the continuation of the prohibition of the traffic on his lands. In October of the same year, the Sultan addressed letters to all the Trucial Coast Shaikhs, in which he urged them to stop all kinds of slavery, and asked them to catch all slaves brought to their dominions by his subjects, and arrest the people who were involved in it with severe punishment.²³ The Government of India were fully satisfied with the Sultan's actions in this matter, and this friendly attitude forced them to respect his

administration of the country and consider him a very important figure to share with them the responsibility for watching the movement of the traffic in these areas.²⁴

In January 1885 the communications between the Political Agent at Muscat, the Political Residency in the Gulf and the Government of India towards the matter indicated the great British determination to fulfil their ongoing task to stop the slave traffic. On 18th January 1885 the British Resident in the Gulf, Lt. Col. E.C.Ross, wrote to the Secretary to the Government of India confirming that the most powerful way to check and affect slave-running between the coasts of Africa and northern Arabia would not be affected without the appearance of British cruisers on the African Coast. However, the stationing of H.M. Naval Units on the Arabian Coast, or on the Persian Coast, could only be expected to catch a small number out of the total number of slaves running, since that number was large.²⁵ Experience showed that the disappearance of the man-of-war from the East African coast had encouraged slave-running from these areas to Arabia, as we have seen as a result of the departure of the *London* in 1884; Ross had concluded that his views coincided with those of the Political Agent at Muscat, that some vessels-of-war should be stationed at some points in the Gulf of Oman.

i. The British resumption of their activity

Consequently the services of these ships were required to search these waters during the appropriate time, and H.M.S. *Osprey* took its position off the Ras al-Hadd area as replacement for H.M.S. *Ranger* which served there until 17th September 1885.²⁶ The stationing of British cruisers in the Gulf of Oman then appeared to be desirable.

On 27th September and 12th October 1885, Lt. Col. Miles, the Political Agent and Consul at Muscat, communicated with the Political Resident in the Gulf and confirmed the successful capture of slaves by the deployment of the British cruisers off the Sultan's territorial coast, from Ras al-Hadd to Ras Madrasah during the monsoon season.²⁷ On 24th November of the same year the Political Agent indicated in another letter to the British Resident that the operation for the suppression of the slave trade by Captain R.N. Dowding of H.M.S. *Osprey* had been terminated on 24th of October, and H.M.S. *Philomel* had arrived in Muscat

on 25th October, 1885 as replacement.²⁸ The Agent at Muscat also informed the Resident about the arrangement of the British ships there, at the disposal of Captain Dowding. The deployment had been made of three vessels, the *Reindeer* to watch the Batinah coast, running to Jask, the *Ranger* off Ras al-Hadd, while *Osprey*, being the largest vessel, should cruise along the South coast of Arabia from Ras al-Hadd to Ras Madrasah. The Agent described Dowding's plan as a wise one, even if there were a number of dhows which could have escaped boarding and search.²⁹

The result of these operations was the capture of a dhow with 73 slaves on board near Ras Madrasah by H.M.S. *Osprey*; its crew was condemned for slavery in the Vice-Admiralty Court in Muscat.³⁰ On 23rd November 1885 a fishing boat was caught by H.M.S. *Ranger*; off the Sur Coast with nine slaves on board, and the fishing boat and two of the slavers were condemned.³¹ The Commander of the *Osprey*, Captain Dowding, wrote to the Political Resident in the Gulf from Basra on 11th November 1885 confirming that only four dhows came over from Africa during the period between 31st August and 24th October 1885. The Commander added the following:

*" After two seasons experience acquired on this Coast slave cruising, I beg to state that in my opinion the most effective method of dealing a blow to the Slave Trade is by re-establishment of the Sultan's power at Sur, which at present remains merely nominal. The strategic situation of Sur as an absolutely necessary resort for slaves, on account of the wind, the seagoing qualities of its dhows, fresh water, and the Bedouins predatory character on the Coast, make it, in my opinion, a more important spot to render impracticable for slaves than even Muscat itself. Many seasons pass now without any interference at this part by Her Majesty's Ships and as no local pressure is brought to bear, the risk of capture remains at present insufficient to deter a continuation of the trade".*³²

It was a fact that the Suris were heavily involved in this matter, though not all slaves shipped from East Africa to Arabia were taken to Sur or Muscat, as there were the Hadhrami vessels from Mukalla and the Persian Gulf ports which regularly visited the port of Zanzibar and carried away slave cargoes for sale not only within their territories, but in some ports of Arabia, even Muscat

itself.³³ The traffic in slavery was the issue of the century in the Indian Ocean, and the trade revived very quickly when the control over the traffic became weak for any reason.

On 7th December 1885 the British Political Agent at Muscat wrote to the British Resident to bear again regarding the issue of Captain Dowding's suggestion to bring more action against the trade. The Agent accordingly clarified that carrying out operations against the slave trade on the importing Arabian coast would not be a better plan than on the exporting coast of Africa. He added many other aspects which would be unhelpful in assessing the suppression of the trade, if they were to adopt the suggestion of Captain Dowding.³⁴ On 19th December 1885 the Resident in the Gulf wrote to the Agent at Muscat, confirming his preference for Miles's opinion and recommending his suggestion, and stated that it would be inexpedient to exercise interference in the Sultan's territories with the purpose of dealing a blow to the slave trade.³⁵ The Government of India had realised, as it appeared from experience, that their activities against the traffic would be more usefully concentrated off the East African Coast. They gave orders accordingly, and four Royal Navy Ships, *Reindeer* , *Woodlark* , *Kingfisher* , and *Sphinx* , to be engaged from April 1886 in operations against the traffic in these waters.³⁶ The result of their activities during the year 1886 was that about 200 dhows were boarded for inspection; however, only one was found carrying 21 slaves, and no number reaching Oman was known during that year.³⁷ Undoubtedly these operations by the British Navy created a reasonable threat to the vessels of the slavers, who were successfully prosecuted for their activity, but some of those traders remained active since a small number of slaves appear to have been landed on the Omani coast from dhows that managed to elude the search cruisers, and no capture took place during the years 1887-88.³⁸

ii. The decree of the Sultan of Zanzibar

ncy gave reliable information about the continuity of consignments of slaves from the East African coast to Arabia as well as to Oman, when some of those who landed in Oman sought freedom with the British Agent in Muscat.³⁹ Though the traffic continued, the number of slaves was considerably smaller, and action against it was absolutely a shared task between the British and the Governments of those subjects who were involved in it. In

August 1890 the Sultan of Zanzibar, Sayyid Ali b. Said, became more active in suppressing the trade in his dominions, when he issued a decree for more action against slavery, to be obeyed by all of his subjects within his dominions from the published date. In fact the legal trade in slavery came to an end in Zanzibar only in 1897, and the prohibition of slavery on the mainland of East Africa became effective in 1907.⁴⁰

Nevertheless, whether a promulgation of that kind of decree could be passed in Oman or not, the answer was presented in a memorandum by Colonel Mockler, in February 1891, who stated many reasons for the inability of Sultan Faisal to establish a similar decree, as he was ruler of a country with large warlike tribes to whom the issuing of such a decree was not acceptable, and they still considered this trade as normal. The provisions of any such decree could not be easily enforced by him, but it would probably have the effect of raising a strong resentment against him and creating great difficulties throughout the country, which might cost him his position as Sultan, while the Sultan of Zanzibar was now under a British protectorate.⁴¹ The stipulations of such a decree could not be enforced without large-scale influence on the part of the British Government, and any such declaration would be very dangerous to the Sultan. It was unfair to press it on him without any confirmation of help against the consequences. The Government of India appeared entirely in agreement with his views.⁴² Under these circumstances the Sultan had declined to issue a similar decree, and preferred to adhere in this respect to the provisions of the 1873 engagement, which prohibited dealing in slavery in general, and would cause no harm to the Sultan's position in the country.

The British Political Resident in the Gulf and the Agent in Muscat were both in agreement with these views.⁴³ The activities of slave trading continued, and Omani cooperation against the traffic implied acceptance of the British concept that slavery was a wrong and an immoral custom and it must be destroyed. For people who had been involved in it a change in their behaviour was still far from reality. The situation of the trade during the last decade of the nineteenth century, underwent a change which was entirely based on British appearances on its sea routes. The trade also developed another method from this time onwards, when it was practised on slaves kidnapped from the coast opposite

Mekran and some other ports on the Persian Gulf.⁴⁴ The British men-of-war effectively dealt with the capture of slave dhows trading with the East African Coast, though the difficulties passed by these vessels flying the French colours made some of the British operations useless. Somehow substantial British operations at sea forced the traders to be very aware of their moves and to realise the danger of these adventures, which mostly ended in a great disappointment for them. In consequence the traffic was under severe pressure, and the transmission of slaves by sea from East Africa was compelled unknown in Oman during the first two years of the twentieth century.⁴⁵ The most important incident in this connection appeared with the capture of Muscat subjects in Mozambique with a large number of slaves in 1902.

The incident of 1902 in Mozambique

In dealing with the issue of the suppression, of the slave-Trade it became clear that the matter had given the Omani and the British Government a great many difficulties. It was very hard and sometimes impossible for them to interfere in the internal affairs of independent States, and to exercise a principal action against the traffic without arousing the hostility of powerful vested interests supported by a united public opinion. The slavers who escaped the British cruisers' inspection or the Agents' watch did not surrender. During the time of non-appearance of the Royal Navy ships, when they were stationed elsewhere instead of on the sea-routes of the slavers during the slave running seasons, no dhow captures took place in the previous two years. The survival of the traffic was confirmed by the incident of 1902 at Mozambique, which was considered the largest move in slavery by the Omani people during the twentieth century, and which arose with the disappearance of the British men-of-war that encouraged people to resume their activities.

In the middle of February 1902, information was received by the District Governor of Mozambique from a Portuguese explorer, Paes d'Almeida, that several Arab vessels had entered into their protectorate for the purpose of catching slaves.⁴⁶ Accordingly the Governor-General of Mozambique established an operation by 180 men, who proceeded to the place where these slavers had landed. The two parties entered into a severe conflict in which two Suri dhows were captured, another two were burnt and a number of the Arabs were killed in the battle.⁴⁷ On 6th March

further news reached the Portuguese authorities that another slaving party had landed somewhere near the previous place, and the authorities wasted no time in authorising the Portuguese cruiser *San Raphael* to enter the port of Samouco in Mozambique. On the 9th another sudden fight took place against the Suris, in which the Portuguese captured a slaving fleet of 12 dhows and liberated about 725 slaves sold to them by the local Agent, and the Shaikh of Samouco, Mapuito Muno, and imprisoned about 150 of the Arabs who were Omani subjects.⁴⁸

i. The reaction to the incident in Oman

This news reached Muscat while the Political Agent Major P. Z. Cox was on tour in the interior of Oman accompanied by Rashid b. Uzaiz, the Sultan's representative. In March 1902, Sultan Faisal sent his delegation with a letter to Zizwa, where the Agent was at that time, informing him about the incident.⁴⁹

The incident sufficiently proved to the Agent the continuation of the traffic in slavery by the Omanis, which seemed to be carried out by organised groups of the Sultan's subjects from Sur and the Batinah coast, who were considered as the distributing slavers in the area. Meanwhile news of this incident reached Sur causing great sorrow and shock, and the relatives of the captives urgently communicated with the Sultan asking him for his help in this matter while the captives themselves wrote to their families describing their situation.

The position of the captives was seriously affected by the bad treatment of their captors. On 29th April 1902 one of these captives wrote to his father, describing the situation and the captives' feelings~ He informed him that the Portuguese had looted all the property belonging to the captives and burnt their boats, and the natives of the port of Samouco had assisted the captives, while there was no way of escape either by land or sea, and all those people, about 120 men, were now kept as prisoners by the Portuguese authorities in Mozambique.⁵⁰

In continuing to raise this question, Abdullah b. Abdul Rahman Assanani a native of Sur who had two sons in captivity, wrote again on 15th August 1902 to Sultan Faisal b. Turki, begging the Sultan's assistance in this problem. He requested the Sultan's action, and urged him to find a possible solution, or any way which could help to release the prisoners, by asking the

British Political Agent at Muscat, Major P.Z. Cox, to offer some support in this problem.⁵¹ Sultan Faisal accordingly communicated the situation to the Agent, who instantly addressed the Government of India with the Sultan's request in the matter.⁵²

The Arabs among the Sultan's subjects who were now under Portuguese detention had been found guilty of involvement in slavery, and were divided into two parties. One group were those who had been captured at Samouco Bay on 9th March 1902, by the Portuguese Cruisers *San Raphael*, *Libral* and *Chaimite*. The second were those who had been captured on board the dhow *Fath Assalam* which had been anchored a short distance from the post of the Commandant of the district of Momma, and had been accused of being engaged in dealing in slavery. No slaves, however, were said to have been found on board this craft.⁵³ The crew were immediately brought to trial, and on 18th May 1902 were sentenced to 17 years transportation and sent to Angola; their dhow was destroyed, as were those which had been captured at Somouco Bay, by order of the authorities in Mozambique.⁵⁴ Of the 114 persons who were captured in March 1902, eleven had managed to escape before the trial, and the rest of the prisoners reached Mozambique for trial on 11th March 1902. On 7th September 1903 they were brought to trial and sentenced to 25 years transportation, the finding of the Court being confirmed on the 3rd October of the same year.⁵⁵

The Political Agent and Consul was in a position to supply the Government of India with confidential information about the issue and the attitude of Muscat's Government towards the matter. The Agent had been forwarding any necessary news on the subject of the continuation of the illicit trade in African slaves by the Sultan's subjects at Sur and the Batinah coast.

ii. The British attitude towards the incident

On August 29th 1902 Major Cox sent a confidential report to the British Political Resident in the Gulf Lt. Col. C. A. Kernball, referring to the participation of the Sultan's subjects in this prohibited trade. In his report the Agent mentioned that the trade in Oman had been flourishing and there was no practical reduction in the annual consignments of people being shipped from East Africa to Sur and its near neighbours, while the markets in Arabia and the Persian Gulf ports were awaiting their supply of

human trade.⁵⁶ The Agent had based his certainty on strong grounds, since the number of slaves who presented themselves to the Consul requesting him for freedom showed no sign of decrease. He also confirmed that his views on this allegation were based upon the recent incident between the Sultan's subjects and the Portuguese cruisers in Mozambique, as a fresh indication supporting his contention that the reputation of the people of Sur at this time was against his desire.⁵⁷

At the same time the Sultan of Muscat's attitude towards the traffic in slaves was completely hostile, and he loyally strove to fulfil his obligations in the matter, in genuine cooperation with the British Consul at Muscat, and in the grant of freedom papers wherever possible to those who applied for them at the Agency.⁵⁸ However, Sultan Faisal was unable to take strong action against the continuation of the traffic in his dominions in general, as it would involve him in powerful confrontation with his people who had already caused him many troubles related to this issue among others.⁵⁹ Sultan Faisal had not intervened as he knew that most of these activities were being carried out under the protection of the French colours, so he preferred at this stage to leave the whole issue of the traffic under British consideration, and not to involve himself in trouble with the French without British political commitment. In fact the Sultan then realised that his relations with the British would be seriously affected if he did not find a reasonable solution with the French Government.⁶⁰

The Political Agent encouraged the Sultan to persevere in keeping a strong influence over his subjects at Sur, and respecting his obligations to the British' Government to bring this trade under control, as was their desire. As a result, the direct communication between the Government of India and the Political Agent at Muscat in this regard had shown the Sultan that the Consul's advice was not a personal opinion on the part of the Political Agent, but it was the British Government's wishes which he would be ill-advised to ignore.⁶¹ Despite the British feeling that the Sultan unable and disinclined to take direct action against the Suri people, and compel them to comply with the regulation of ceasing the traffic in slaves, they responded positively to his request to follow up the situation of his captive subjects in Mozambique and exercised some effort to release them.⁶² The communication between Muscat and the Government of India,

and the Foreign Office in London and the British Consul at Lisbon, gave great attention towards the matter.

On 4th May 1903 the Political Agent and Consul at Muscat forwarded a copy of a letter, dated 17th March 1903, received by him from the British Vice-Consul at Mozambique on the subject of the capture of the Sultan's subjects. The Agent added that the list of the slavers which the Vice-Consul enclosed showed that all the men were the Sultan's subjects, and most of them were natives of Sur.⁶³ With reference to this news the Political Agent suggested to the British Government, who approved his suggestion, that if there were be any possibility of transporting the captive men to Muscat, it would be in a British man-of-war and they should be formally handed over to the Sultan.⁶⁴ This problem gave great trouble to the British Government, and placed them in a position in which they acted against their policy towards the suppression of the Slave Trade, merely to confirm to the Sultan their interest in remaining on good terms with him. They found this situation very embarrassing when trying to exercise any real pressure upon the Portuguese Authorities to release the Sultan's subjects, or to send them to Muscat.

iii. The Sultan's unsuccessful request

Though the British were unsuccessful in their efforts in this matter, the Sultan anxiously followed the situation through the British Agency at Muscat, as it seemed that he was looking for information whether the British were still maintaining their efforts on the issue or had ceased. On June 1st 1903 the Sultan wrote to the British Agent, asking him for news about the captives' difficulties and their release, and the possibility of bringing them home on board a British vessel.⁶⁵ On 19th November 1903 Sultan Faisal discussed the problem with the Viceroy-General of India, Lord Curzon, in a private meeting during Curzon's visit to Oman.⁶⁶ The Sultan asked for mercy to be shown to the Suri captives in Mozambique, who now faced a long sentence in the south east of Africa away from their families, which seemed very harsh. The Sultan mentioned that most of them were ill and that about 30 men had already died in Mozambique hospitals, and it would be better for the rest to be killed than to be kept in prison. The Viceroy did not wish to discuss this issue and told the Sultan that the case was one of slave raiding of the worst type, and it would be hopeless to move at present.⁶⁷

The Sultan requested resolution of the matter, and British assistance was given in raising the issue of the transportation of the Sultan's subjects, but the situation was now under Portuguese control, while the British remained only mediators .

The fact the Foreign Office in London itself became involved in this matter directly, and instructed His Majesty's Consulate at Beira to obtain the necessary information for a report on the capture, trial, and sentencing on the Omani captives.⁶⁸ The British Consul in Lisbon was also instructed by the Foreign Office on 25th October 1902 regarding the problem. In that communication the Consul sent the information required, concerning the number of raiders killed and captured by the Portuguese Naval Division off the Mozambique Coast, and all information available from the Portuguese Foreign Office, such as the names of the captives and those killed in both incidents of 1902.⁶⁹ He confirmed that at Moma Bay, 17 Arabs were captured, two of whom died at the military hospital of Mozambique, and one was released on 14th September 1903.⁷⁰ At Samouco Bay, 106 persons were captured, 11 of whom then died in the hospital, and two were liberated on 9th March 1903; about 55 were killed in the fight at Somouco Bay.⁷¹

The British could do nothing to liberate all of the Sultan's raiders, and in July 1904, Major Cox informed the Sultan that the rest of his subjects in Mozambique had had their sentences confirmed by the Portuguese Court at 25 years imprisonment, which was derived from the provisions of Article No.162 of the Portuguese Penal Code.⁷² Sultan Faisal received this news with calmness, and thanked the Agent for the British efforts.⁷³

The importation of East African slaves to Oman still continued, with re-exportation to many other ports on the Gulf by the Omanis and other people in the region. Sir Rennell Rodd, the British Consul-General at Zanzibar, estimated that no less than one-third of the dhows carrying human cargoes from Africa sailed under the protection of French colours and papers, though the Sultan of Zanzibar strictly warned his subjects against using them.⁷⁴ This traffic by the Suris proceeded from the early 1840s, and appeared as a big problem during the last decade of the 19th century which placed great pressure on the Anglo-French relationship. This led to an international crisis between the two

countries during the early years of the twentieth century. The issue was very serious, and important enough to draw Britain and France close to conflict in Oman.

Footnotes

1. Parliamentary Papers. Slave Trade. vol. lxii, 1874. C. 887.
2. Article No.4 in this Treaty stated that Natives of Indian States under British protection shall, from and after a date to be fixed, and hence after fixed, be prohibited from possessing slaves, and in the meanwhile from acquiring any fresh slaves. This Article's instructions towards the Indian British Natives clearly informed those of East African residence and those residing in Oman that they could not preserve their activities through the dominion of the Sultan of Oman, and legally would face condemnation and punishment. Records of Oman 1867-1947. vol. Vi p.401; See also the Parliamentary papers. "Slave Trade." vol. lxii 1874. C. 887
3. Parliamentary Papers. "Slave Trade". vol. lxii 1874. C. 887.
4. Parliamentary Papers. "Slave Trade". Report from the Political Agent S. B. Miles to the Earl of Derby. Dated Muscat, 2nd October 1875. no. 91. vol. lxxi 1875.
5. Administration Report of the Persian Gulf Political Residency, and Muscat Political Agency for the year 1874- 75, vol. I, pp. 5-6.
6. Parliamentary Papers. "Slave Trade". vol. lxxi. 1875; See also the Report of the PRPG, and MPA for the year 1873-74. vol. i p. 2.
7. By now the Sultan's relations with the British were very friendly as the latter eased the payment of the Zanzibar subsidy to him which from now onwards was paid regularly by them. Accordingly an absolute understanding between the Sultan and the Government of India reached a very advanced position, which marked the period of the Sultan's reign. The attitude to slavery was seriously affected by his strong involvement with the British who remained very sensitive on this question. The cessation of the trade on Omani soil had been confirmed, though it survived, one way or another, specially under the protection of French colours. On 9th January 1874 the Secretary to the Government of India stated to the Governor-General that the suppression of the slave-trade in Oman had strictly succeeded, but it had at some time been practices under! the Turkish flag. I. O. R. L/P&S/5/569. Letter to the Governor-General In Council. Dated 9th January. 1874; Martineau, J., The life and Correspondence of Sir Bartle Frere. vol. ii London; 1895 pp.100-103; Parliamentary Papers. "Slave Trade". Report of the Select Committee, no. 91. vol. lxxi 1875.
8. I. O. R. L/P&S/5/595. Secret Letter to the Governor-General in Council. Dated, 8th April 1873.
9. Administration Report of the Persian Gulf Residency, and Muscat Political Agency, for the year 1875-76. vol. i, p.77.
10. Saldanha, Précis on Slave Trade. Simla; 1906 pp.35-36.
11. Ibid. p.36.
12. I. O. R. R/15/6/9. Letter from 8.8. Sayyid Turki b. Said Sultan of Muscat to the British Political Agent. Dated Muscat, 14th Dhal-Qadah 1293 (December 1876); See also I. O. R. R/15/6/9. Letter from the British Political Agent at

- Muscat, Lt. Col. S.B. Miles, to H.H. the Sultan of Muscat. Dated Muscat, 20th December 1876.
13. I. O. R. R/15/6/9. Letter from H.H. Sayyid Turki b. Said Sultan of Muscat, to the British Political Agent and Consul at Muscat, S.B. Miles. Dated Muscat, 22nd December 1876.
14. Parliamentary Papers. "Slave Trade". Letter from Captain F. S. Clayton to the Political Agent at Muscat, Lt. Col. Miles. Dated, 13th November 1876. vol. lxxvii., November 1878. C. 2139.
15. Parliamentary Papers see the same volume. Letter from S. B. Miles, the PAM, to the Foreign Secretary the Earl of Derby. Dated, 24th November. 1876. C. 2139.
16. Ibid. See the same letter.
17. Lorimer, 1915, vol. i, p. 522
18. Administration Report of the PRPG and Muscat Political Agency, for the year 1876-77. vol. I p.78.
19. Administration Report of the Persian Gulf Residency and Muscat Political Agency, for the year 1877-78. vol. i p. 129.
20. Saldanha, Précis on Slave Trade. p. 37. J
21. Administration Report of the Persian Gulf Political Residency and Muscat Political Agency for the year 1884-85. vol. iii p. 9; Saldanha, Précis on Slave Trade..p. 37; Lorimer,1915, vol. i p. 2502.
22. Administration Report for the year 1884-85. p. 10.
23. Ibid. p. 10.
24. Saldanha, Précis on Slave Trade. p. 38.
25. F. O. 84/1707. Letter from the Captain of H.M.S. "Ranger" to the Political Agent at Muscat. Dated 15th September 1885.
26. F. O. 84/1707. Letters from Lt. Col. S.B. Miles, the Political Agent at Muscat, to Col. E. C. Ross, (PRPG). Dated Muscat, 27th September . and 12th October . 1885.
27. F. O. 84/1707. Letter from the PAM S. B. Miles to the PRPG Col. E.C. Ross. Dated Muscat. 24th November, 1885.
28. F. O. 84/1707. see the same letter
29. F. O. 84/17,07. the same letter. See also the Administration Report of the Persian Gulf and Muscat for the year 1885-86. vol. iii p. 9.
30. Ibid. See the same letter and the same Report. p. 9.
31. F. O. 84/1707. Letter from Commander H. W. Dowding, senior Naval Officer, Persian Gulf; to Col. E.C. Ross, the British PRPG and Consul-General for Fars. Dated Basra, 11th November 1885.
32. Kelly 1968 p.413-14.
33. F. O. 84/1707. Letter from Lt. Col. S. B. Miles, the Political Agent and Consul at Muscat, to Col. E. C. Ross, the Political Resident in the Persian Gulf and Consul-General for Fars. Dated Muscat, 7th December 1885.
34. F. O. 84/1707. Letter from Col. E. C. Ross the PRPG and Consul- General for Fars, to the Secretary to the Government of India, H. M. Durand. Dated Bushire, 19th December 1885.
35. Administration Report of the Persian Gulf Political Residency, and Muscat Political Agency for the year 1886-87. vol. iii pp.9-10
36. Ibid. p. 10.

37. Administration Report of the Persian Gulf Residency and Muscat Political Agency for the year 1887-88. vol. iii p.14.
38. Administration Report of the Persian Gulf Residency and Muscat Political Agency For the year 1889-90. vol. iii p. 21.
39. Saldanha, J. A. Précis on Slave Trade. pp. 44-45; See also Ingham, K., Short History of East Africa. London; 1962, p. 174; Russell, 1935, pp. 218-19.
40. Saldanha, J. A., Précis on Slave Trade. pp.45-46.
41. Ibid. p.46.
42. Ibid. p. 46.
43. Lorimer, 1915, vol. i. pp.2002-03.
44. Administration Reports of the Persian Gulf Residency and Muscat Political Agency, for the years 1899-1902. vol. v, 1899-1905.
45. F. O. 54/34. Report on the capture, trial, and sentence of certain Muscat Slavers by the Portuguese authorities at Mozambique.
46. Administration Report of the Persian Gulf Residency and Muscat Political Agency, for the year 1902-03. vol. v. p.14.
47. F. O. 54/34. Report on the capture, trial, and sentence of certain Muscat Slavers by the Portuguese authorities at Mozambique; See also The Administration Report. vol. v, p. 14.
48. Cox, Sir P. "Some Excursions in Oman". G.J. vol. lxvi, no. 3. (1925), p.215; See also Graves, P., The life of Sir Percy Cox. London; 1945, p. 83.
49. He also named some of those captives, as the two sons of Abdullah b. Abdul Rahman Assanani, Mubarak and Nasir, Salih b. Abdullah, son of Salim b. Abdul Aziz, Muhammed b. Hamad, the son of Zaberi, the son of Shaikhan, Mohammed b. Said al-Armashi, Yusuf b. Ali b. Abdullah, and many of men of the Janabah, the Bani-bu-Ali, and the Awamir and others from the Batinah Coast and Ras- al-Hadd. F. O. 54/34. Letter from Said b. Salih b. Ali al-Amri to his father Salih b. Ali. Dated Mozambique, 29th April 1902.
50. F. O. 54/34. Letter from Abdullah b. Abdul Rahman Assanani to H. H. Sultan Faisal b. Turki. Dated Sur, 15th August, 1902.
51. F. O. 54/34. Letters from the Political Agent and Consul at Muscat, Major P. 2. Cox, to the Secretary to the Government of India in the Foreign Dept. Dated Muscat, June and August 30th 1902.
52. F. O. 54/34. Report on the capture, trial, and sentences of certain Muscat Slavers by the Portuguese Authorities at Mozambique.
53. F. O. 54/34. See the same Report.
54. F. O. 54/34. See the same Report.
55. F. O. 54/34. Report from Major P. Z Cox, Consul and Political Agent at Muscat, to Lt. Col. C. A. Kembball, the PRPG. Dated Muscat, 29th August 1902.
56. F. O. 54/34. See the same Report.
57. F. O. 54/34. See the same Report
58. F. O. 54/34. See the same Report.
59. F. O. 54/34. See the same Report.
60. F. O. 54/34. See the same Report
61. F.O. 54/34. Telegram from the Secretary to the Government of India to the Political Agent and Consul at Muscat, Major Cox. Dated 3rd May 1903; See also the Administration Report of the Persian Gulf Political Residency and Muscat Political Agency for the year 1904-05. vol. v, p. 18.

62. F. O. 54/34. Letter from the PAM, P.Z. Cox to the Secretary to the Government of India. Dated Muscat, 4th May, 1903.
63. F. O. 54/34. See the same letter.
64. F. O. 54/34. Letter from Sayyid Faisal b. Turki, the Sultan of Muscat, to the Political Agent and Consul at Muscat, Major P.Z. Cox. Dated Muscat, 1st June, / 1903.
65. Mss. No.12593. Enclosure 7 to 15. Private interview between His Excellency the Viceroy and Sayyid Faisal b. Turki Sultan of Muscat, 19th November/ 1903. /
66. Mss. No.12593. See the same Enclosure.
67. F. O. 54/34. Letter from His Britannic Majesty's Consulate at Beira, to the Principal Secretary of State for Foreign Affairs Office, London. Dated Beira (Mozambique), 7th October 1903.
68. F. O. 54/34. Report from the British Consulate at Lisbon to the Principal Secretary of State for Foreign Affairs Office, London. Dated Lisbon, 1st November 1903.
69. F. O. 54/34. See the same Report.
70. F. O. 54/34. See the same Report.
71. Administration Report of the Persian Gulf Political Residency and Muscat Political Agency, for the year 1904-05. vol. v. p. 18; See also F. O. 54/34, letter from H. B. M. Consulate at Beira to the Foreign Office in London. Dated Beira, 7th October 1903.
72. (Records of the Government of India, vol. v. p.18)
73. (Records of the Government of India, vol. v. p.18)
74. Beachey, 1976, p. 238; See also Harris, J. E., *The African Presence in Asia*. Evanston; 1971, p. 60.

1- India Office Record (I.O.R).

A. European Manuscripts Collections (Eur. Mss.).

- Eur. Mss. F126 Sir Lewis Pelly collection (1825-1892).
- Ms.No. 12659. Summary of the Proceedings of the Government of India in the Foreign Department during the Viceroyalty of his Excellency the Earl of Minto. November 1905 -March 1906. April 1906-March1907. April 1907-March 1908.
- Ms. No. 12593. Summary of the Principal Events and measure of the Viceroyalty of
- His Excellency Lord Curzon of Kedleston;(Foreign Department). Part i. January 1899-April 1904. Part .ii. December 1904-November 1905.

B. Political and Secret Department Records.

- L/P-S/3. Secret Home Correspondence, 1839-1874
- L/P-S/5. Secret letters to India, Madras, Bombay, Aden, Muscat Persian Gulf and Zanzibar 1859-1874.
- L/P-S/7 Political and Secret Correspondence with India 1875-1911.

C. R/15/6. Political Agency Muscat (PAM) 1800-1951.(549vols)

1. 2- Public Records Office. (F.O)

- **F.O. 84 Slave Trade.**
- **F. O. 54 Muscat (1834-1905).**

Published Archives, Digests and Documents.

1. Aitchison, C. U. 1983, A Collection of Treaties Engagements and Sanads Relating to India and Neighbouring Countries, xiv.vols, NewDelhi.
2. Baily, R.W.1988, ed., Record of Oman (R.O.), 1867-1947. (12vols). London.
3. Great Britain. Parliamentary Papers, vol. lxi. London. 1870.
4. ----- Parliamentary Papers, vol. lxii. London. 1871.
5. ----- Parliamentary Papers, vol. lxxi. London. 1875.
6. ----- Parliamentary Papers, vol. lxxii. London. 1878.
7. ----- Parliamentary Papers 'The Zanzibar Papers 1841-98. London. 1914.
8. Lorimer J. G., 1915, Gazetteer of the Persian Gulf; Oman and Central Arabia, Calcut, Iv.Vols.
9. Records of the Government of India (Foreign Department) Administration Report on the Persian Gulf Political Residency and Muscat Political Agency, (12.vols).
10. Saldanha, J. A.1906, Précis on Slave Trade in the Gulf of Oman and the Persian Gulf, 1873-1905, with a Retrospect into previous history from 1856, Simla.
11. Tuson, P. & Quick, E. 1992: (eds) Arabian Treaties 1600-1960. vol. iii, Oman and Yemen, London.

Secondary Sources:

i. Books:

1. Alpers, E. A. 1975 Ivory and Slaves in East Central Africa, Nairobi.
2. Bader Z. 1982 The Contradictions of Merchant Capital 1840-1939, (ed) Abdul Sheriff & Ferguson, Zanzibar under Colonial Rule, London.
3. Olson, W. J. 1982 Britain's Elusive Empire in the Middle East, 1900-1921, London.
4. Beachey, R. W. 1976 The Slave Trade of Eastern Africa, London.
5. Berlioux, E. F., 1971 The Slave Trade in Africa in 1872, London.
6. Bhacker, M. Reda. 1988 Roots of Dependency British Reaction towards the Development of Omani Commerce at Muscat Ph.D. Thesis. Oxford.
7. Coen, T. C.1971 The Indian Political Service, London.
8. Cooper, F., 1977 Plantation Slavery on the East Coast of Africa, London.
9. Cox, Sir P. 1925 Some Excursions in Oman, G.J. vol. lxvi, No. 3.
10. Dato, B. A. 1970 Misconceptions about the use of the monsoons by Dhows in the East African Waters, East African Geographical Review, No. 8.
11. Harris, J. E. 1971 The African Presence in Asia, Evanston.
12. Ingham, K. 1962 Short History of East Africa, London.
13. Kelly, John Barrett. 1968 Britain and the Persian Gulf 1795-1880, Oxford.
14. Lloyd, C. 1949 The Navy and the Slave Trade, London.
15. Martineau, John. 1895 The life and Correspondence of Sir Bartle Frere, ii.vols, London.
16. Miers, S. 1975 Britain and the Ending of the Slave Trade, London.
17. Miles, S. B. 1919 The Countries and the Tribes of the Persian Gulf, London.
18. Olson, W.J. 1982 Britain's Elusive Empire in the Middle East, 1900-1921, London.
19. Russell, C.E.B.1935 General Rigby, Zanzibar and the Slave Trade, London.
20. Philby, H. 1952 Arabian Jubilee, London.

ii. Newspapers:

Newspaper: The Times. Slave Trade in the Indian Ocean". London; 14th April 1873.

1- India Office Record (I.O.R).

D. European Manuscripts Collections (Eur. Mss.).

- Eur. Mss. F126 Sir Lewis Pelly collection (1825-1892).
- Ms.No. 12659. Summary of the Proceedings of the Government of India in the Foreign Department during the Viceroyalty of his Excellency the Earl of Minto. November 1905 -March 1906. April 1906-March1907. April 1907-March 1908.
- Ms. No. 12593. Summary of the Principal Events and measure of the Viceroyalty of His Excellency Lord Curzon of Kedleston;(Foreign Department). Part i. January 1899-April 1904. Part .ii. December 1904-November 1905.

E. Political and Secret Department Records.

- L/P-S/3. Secret Home Correspondence, 1839-1874
- L/P-S/5. Secret letters to India, Madras, Bombay, Aden, Muscat Persian Gulf and Zanzibar 1859-1874.
- L/P-S/7 Political and Secret Correspondence with India 1875-1911.

F. R/15/6. Political Agency Muscat (PAM) 1800-1951.(549vols)

2. 2- Public Records Office. (F.O)

- **F.O. 84 Slave Trade.**
- **F. O. 54 Muscat (1834-1905).**

Published Archives, Digests and Documents.

Aitchison, C. U. 1983, A Collection of Treaties Engagements and Sanads Relating to India and Neighbouring Countris, xiv.vols, NewDelhi.

12. Baily, R.W.1988, ed., Record of Oman (R.O.), 1867-1947. (12vols). London.

13. Great Britain. Parliamentary Papers, vol. lxi. London. 1870.

14. ----- Parliamentary Papers, vol. lxii. London. 1871.

15. ----- Parliamentary Papers, vol. lxxi. London. 1875.

16. ----- Parliamentary Papers, vol. lxxii. London. 1878.

17. ----- Parliamentary Papers "The Zanzibar Papers 1841-98. London. 1914.

18. Lorimer J. G., 1915, Gazetteer of the Persian Gulf; Oman and Central Arabia, Calcut, Iv.Vols.

19. Records of the Government of India (Foreign Department) Administration Report on the Persian Gulf Political Residency and Muscat Political Agency, (12.vols).

20. Saldanha, J. A.1906, Précis on Slave Trade in the Gulf of Oman and the Persian Gulf, 1873-1905, with a Retrospect into previous history from 1856, Simla.

21. Tuson, P. & Quick, E. 1992: (eds) Arabian Treaties 1600-1960. vol. iii, Oman and Yemen, London.

Secondary Sources:

iii. Books:

21. Alpers, E. A. 1975 Ivory and Slaves in East Central Africa, Nairobi.
22. Bader Z. 1982 The Contradictions of Merchant Capital 1840-1939, (ed) Abdul Sheriff & Ferguson, Zanzibar under Colonial Rule, London.
23. Olson, W. J. 1982 Britain's Elusive Empire in the Middle East, 1900-1921, London.
24. Beachey, R. W. 1976 The Slave Trade of Eastern Africa, London.
25. Berlioux, E. F., 1971 The Slave Trade in Africa in 1872, London.
26. Bhacker, M. Reda. 1988 Roots of Dependency British Reaction towards the Development of Omani Commerce at Muscat Ph.D. Thesis. Oxford.
27. Coen, T. C. 1971 The Indian Political Service, London.
28. Cooper, F., 1977 Plantation Slavery on the East Coast of Africa, London.
29. Cox, Sir P. 1925 Some Excursions in Oman, G.J. vol. lxvi, No. 3.
30. Dato, B. A. 1970 Misconceptions about the use of the monsoons by Dhows in the East African Waters, East African Geographical Review, No. 8.
31. Harris, J. E. 1971 The African Presence in Asia, Evanston.
32. Ingham, K. 1962 Short History of East Africa, London.
33. Kelly, John Barrett. 1968 Britain and the Persian Gulf 1795-1880, Oxford.
34. Lloyd, C. 1949 The Navy and the Slave Trade, London.
35. Martineau, John. 1895 The life and Correspondence of Sir Bartle Frere, ii.vols, London.
36. Miers, S. 1975 Britain and the Ending of the Slave Trade, London.
37. Miles, S. B. 1919 The Countries and the Tribes of the Persian Gulf, London.
38. Olson, W.J. 1982 Britain's Elusive Empire in the Middle East, 1900-1921, London.
39. Russell, C.E.B. 1935 General Rigby, Zanzibar and the Slave Trade, London.
40. Philby, H. 1952 Arabian Jubilee, London.

iv. Newspapers:

Newspaper: The Times. Slave Trade in the Indian Ocean". London; 14th April 1873.

Les premières réactions politiques algériennes face à la conquête française (1830-1834)

Dr Fatiha SIFOU

Université d'Oran 1 Ahmed Benbella

Le 14 juin 1830, le Maréchal De Bourmont débarqua avec environ 37.000 hommes dans la baie de *Sidi Fradj*, et la conquête de l'Algérie devint une réalité inévitable notamment après la défaite de la résistance officielle à Staoueli et à Sidi Brahim. Le chef de « la Régence d'Alger »¹, le dey Hussein a donc fini, par signer la convention de la capitulation ce qui mit un terme à son gouvernement et à tout un Etat qui avait plus de trois siècles d'existence².

La convention du 5 juillet 1830, ainsi que la proclamation distribuée aux Algériens avant la prise d'Alger³, garantissaient aux habitants le respect et la protection de leur religion, leurs biens, leurs personnes et leurs femmes. Ainsi, les Français se sont présentés comme « des libérateurs » et non comme des conquérants. Cette idée eut une certaine influence sur les opinions de quelques Algériens, notamment au début de la conquête. Après la défaite turque de Staoueli et la prise d'Alger, on assista à un spectacle de réactions et de positions diverses et complexes.

Les classes sociales en Algérie lors de la conquête et leurs réactions vis-à-vis de l'événement.

Il existait en Algérie en 1830, trois catégories sociales entre la classe dirigeante, formée par les Turcs, et la masse du peuple⁴. Il y avait les *djouwad* et les chefs des confréries dans la campagne et les *hdar* dans les villes. Ces trois classes, en dépit de leurs prestiges sociaux acquis grâce à leurs pouvoirs militaires, religieux ou économiques, n'ont pas pu, durant des siècles, occuper des fonctions politiques au sein du gouvernement de la Régence, celle-ci étant l'apanage quasi exclusif des Turcs.

Commençant par la première classe, les *djouwad*, mot qui vient de *djawad*, signifiant cheval, ils forment donc la caste militaire ou la noblesse d'épée. Il s'agit de chevaliers dont le métier est de faire la guerre. On pense que leurs origines

remontent aux premiers conquérants arabes de la région. La majorité de ces *djouwad* appartient à des tribus *makhzen*⁵. Dans la Province d'Oran, les tribus du grand *makhzen* étaient composées de *Douairs* et de *Smalas*. En 1832, ces tribus ont proposé leurs services au général Boyer, commandant la Division d'Oran. Voici ce qu'écrit le général français : « Plusieurs chefs arabes des *Smalas*, des *Chragha*, des *Bourdja* et des *Hachems* sortent de chez moi et viennent de m'assurer qu'ils savent que j'attends des troupes, qu'ils sont informés que j'ai des ordres pour entrer en campagne et m'emparer de Mascara⁶ pour y mettre une garnison française. Ils me déclarent qu'ils sont prêts à me fournir les chameaux et les mules nécessaires aux transports de vivres et de munitions »⁷. Cependant, une partie de ces tribus *makhzen* avec leur agha, Al-Mazari, se rallie à l'émir. En 1835, la plupart de ses officiers sont encore des *Douaires* et des *Smalas*. C'est seulement après la destruction d'une partie de la ville de Mascara, la capitale de l'émir, que les chefs du *makhzen* sentent qu'il est de leur intérêt de servir la France, et qu'il faut le déclarer officiellement. Ils signent avec Trézel, le 16 juin 1835, la convention de Figuier, dans laquelle ces tribus reconnaissent la souveraineté du roi des Français et se mettent sous son autorité⁸.

La deuxième force sociale, qui avait du pouvoir et de l'influence, se compose de chefs des confréries, c'est la noblesse religieuse. Ces personnages, connus aussi sous le nom de Marabouts⁹, étaient très respectés et ils tenaient une place importante dans la société algérienne. Les confréries religieuses les plus célèbres et influentes furent d'abord la *Rahmaniyya*, puis, la *Taybiyya*, la *Qadiriyya*, la *Shadiliyya* et la *Tidjaniyya*. En plus de leur rôle spirituel, ces ordres jouaient un rôle économique, politique et militaire.

L'occupation française de l'Algérie favorisa le développement du rôle militaire des confréries. Souvent, derrière l'organisation de chaque insurrection populaire se trouvait une confrérie, et chaque révolte était dirigée par un marabout : Mohiédine et son fils Abdelkader, dans la région oranaise, Sidi Saadi dans la province d'Alger, Boumaza dans la région d'Orléansville (chlef), Boubagla dans la Kabylie, Bouzian dans les Ziban et Al-Haddad dans le Constantinois. Tous ces chefs appartenaient à des confréries et tous furent les leaders de révoltes importantes contre l'occupation française¹⁰.

La troisième classe sociale est celle des *hdar* - ce mot étant le pluriel de *hadri* qui signifie citoyen- ils sont connus souvent sous le nom de « Maures »¹¹ et ils sont les anciens résidents des villes. Ils travaillaient comme négociants, patrons d'ateliers, commerçants et ils possédaient, parfois, des propriétés dans les banlieues d'Alger. Les ulémas ; *cadis* et muftis faisaient aussi partie des Maures. Après les Turcs et les *Couloughlis*¹², les Maures constituaient une classe très importante qui formait la petite bourgeoisie des villes¹³.

Comme le premier contact avait eu lieu dans les villes, les citoyens vont être les premiers à manifester leurs opinions envers l'occupation française. D'ailleurs, ce mouvement des citoyens, et de la ville en général, fut bref, et se limitait aux premières années de la conquête, pour laisser ensuite la place aux paysans dont la résistance fut plus longue et plus acharnée. Le rôle de la ville réapparaîtra de nouveau à partir des années 1880.

Les notables algérois face aux exactions des conquérants.

Comme nous l'avons déjà évoqué, les Maures constituaient, à Alger, une petite bourgeoisie composée de commerçants, de propriétaires et de ulémas. Cette catégorie forme l'opinion publique. Une partie de ces notables a quitté la ville, voire tout le pays dès la prise d'Alger. Une autre partie va cependant rester et occuper plusieurs postes dans la nouvelle administration, dans l'espoir pour les uns, de conserver leurs biens et de bénéficier d'avantages prestigieux, et de participer à l'administration de leurs compatriotes et de défendre leurs droits en cas de besoin pour les autres. Bien que les opinions de ces notables concernant la conquête furent différentes, ils pensaient que les Algériens avaient beaucoup à gagner avec la présence d'une puissance civilisée, et ils étaient par ailleurs convaincus qu'une grande nation comme la France ne pouvait pas manquer à sa parole. Ils le lui rappelaient sans cesse. Le mufti d'Alger, Sidi Muhammad Al-Annabi, avait souvent écrit au général Clauzel¹⁴ pour lui faire des observations sur ses actes qui lui paraissaient contraire aux règles de la capitulation, aux institutions françaises et aux droits des gens »¹⁵. Ce mufti fut arrêté, mis en prison et puis exilé¹⁶. Le mufti Mustafa ben Al-Kbabi¹⁷ qui avait protesté précisément contre la réunion aux Domaines des biens habous¹⁸, fut également exilé par Bugeaud¹⁹. Ce sort réservé aux protestataires avait semé la méfiance et la crainte au milieu des Algériens qui s'occupaient

du culte musulman à Alger (la gestion des biens waqf, la nomination des imams et des cadis...). Ainsi, parmi les cadis et les muftis restés en Algérie, figurent ceux qui ont accepté de travailler sous l'autorité française. Nous avons une correspondance abondante entre ces oulémas et le gouvernement français qui couvre la période²⁰. Ce sont des lettres qui servaient à l'organisation et à la gestion du culte musulman, comme ce fut le cas de certaines propositions, faites par un ensemble d'oulémas, de personnes pour occuper les fonctions de mufti ou d'imam ; ou des demandes d'emploi faites par des individus dont les ancêtres avaient exercé ces fonctions auparavant ou dont les ancêtres étaient des personnes influentes²¹.

Ces lettres, outre leur fonction administrative de l'époque, nous ont fourni d'importantes informations sur les différentes attitudes des oulémas envers l'occupation française. Un grand nombre d'entre eux avaient émigré vers le Maroc ou vers le Mashriq, même après avoir travaillé sous l'administration française²². D'autres, après la fin de la résistance d'Abdelkader, ils se sont adressés à l'administration dans le but de récupérer leurs anciennes fonctions. C'était le cas, par exemple, de shikh Ali ben Al-Haffaf. Il appartenait à l'une des grandes familles d'Alger qui s'occupait de la mosquée de Sidi Ramdan. Quand elle s'est alliée à l'émir, on lui a confisqué ses biens. Mais vers l'année 1844, on voit l'un de ses membres, Ali ben Al-Haffaf, après son retour à Alger, avait demandé au ministre de la guerre la restitution des biens de sa famille²³. En 1859, il réclama le poste d'imam dans la mosquée Safir à Alger²⁴. Il obtint cet emploi, puis, il devint mufti, fonction qu'il a occupée jusqu'à sa mort en 1889²⁵.

L'administration mise en place avait conservé quelques plaintes des *imams* des mosquées contre les agissements des soldats français et des Juifs. Le général de police, par exemple, avait informé en avril 1833 le gouverneur général que l'imam de la mosquée de Sidi Abd el Rahman de Bab el-Wad, était venu se plaindre à lui à cause des vols commis par les soldats dans cette mosquée « malgré l'écriture placée à la porte, lui disait-il, ils entrent, prennent le bois, les vallées d'ardoises qui s'y trouvent déposées et enlèvent les carreaux de porcelaine qui entourent les fenêtres »²⁶. L'ancien imam de la mosquée du Hasan Bacha à Oran, devenu l'écrivain de l'intendant, après s'être plaint dans

une lettre au gouverneur général, des agissements injurieux commis par des Juifs sur sa mosquée, avait réclamé, dans la même lettre, l'autorisation d'émigrer en Tunisie²⁷.

Des imams et des muftis²⁸ figuraient aussi parmi les signataires de la pétition datée du 28 janvier 1831 qui désignait le Maure Ahmad Bu Darba²⁹ comme porte-parole auprès de l'autorité française³⁰. Les premières réclamations présentées devant le ministre de la guerre dans une autre lettre datée du 12 mars de la même année dénotent beaucoup de dévouement et de satisfaction après que le pays fût passé sous l'autorité française. Les notables ont exprimé, aussi leur contestation des deux traités signés entre Clauzel et le bey de Tunis ; celui du 18 décembre 1830 qui nommait un parent de ce bey sur Constantine et celui du 6 février 1831 qui nommait aussi un proche du bey sur Oran³¹. Ils ont déclaré qu'ils ne « veulent pas être vendus comme des esclaves »³². Ils ont demandé dans cette lettre que les plus dévoués à la France reçoivent des prestiges et des légions d'honneur. Pour soumettre les tribus, les notables ont proposé qu'une commission se forme parmi eux et se charge de négocier avec les chefs des tribus.

Alors que ces premières réclamations étaient présentées de façon générale, elles étaient dans d'autres pétitions, plus précises et plus insistantes, en s'étalant sur plusieurs plaintes. Les notables ont réclamé, dans une lettre adressée au gouverneur général en août 1831³³, les biens habous de la Mecque et de Médine³⁴, et le paiement des loyers pour les maisons encore occupées par les troupes françaises. Ils ont proposé dans la même pétition la création d'une commission pour s'occuper des affaires des Algériens. Elle devait être formée de cinq Algériens plus un Français. Dans deux autres pétitions³⁵, rédigées d'après le style d'écriture, par Hamdan ben Outhman Khoudja³⁶, les notables d'Alger ont revendiqué encore dans la première, qui date du 7 novembre 1832, les biens habous, et dans la deuxième datée du 7 novembre 1833 la reprise de la frappe de la monnaie algérienne : « car, disaient-ils, la même marchandise payée avec la monnaie française ou espagnole coûte 20 % de plus que si elle était payée avec la monnaie algérienne. Donc la disparition de celle-ci a causé beaucoup de préjudice »³⁷. L'intendant civil Pichon³⁸ était du même avis. Il a proposé de suivre la même méthode qu'on avait suivie en Egypte, où on avait battu de la monnaie turque.

Sous prétexte qu'on n'avait pas assez d'instruments, le Duc Rovigo n'a pas retenu la proposition de Pichon et la monnaie algérienne ne fut plus frappée³⁹.

Les Algériens étaient très outrés par les abus commis par les Français dès leur entrée dans Alger⁴⁰. Ils ont multiplié les lettres de protestation en s'adressant aux différents représentants des autorités en Algérie mais aussi en France. Dans l'ensemble, les réclamations des notables, dans les premiers temps, se limitaient aux revendications suivantes : -Le respect de la religion avec ses lois. -La restitution de tous les biens expropriés. -La création d'une commission qui s'occupe de ces affaires. Les notables semblaient, d'après leurs protestations, accepter la présence des Français sur le sol algérien. Ils estimaient encore que l'heure de la liberté était venue et leur rêve de participer à la politique de leur pays allait se réaliser à l'aide de ces « libérateurs ». Ils se sont trompés lourdement.

Quelques citoyens étaient membres du conseil municipal d'Alger que De Bourmont avait institué peu de jours après la prise d'Alger. Ahmed Bou Darba fut nommé provisoirement président de ce conseil⁴¹. Malgré leur aide apportée aux Français, ces citoyens furent toujours considérés comme des suspects. Les Français ont même affirmé qu'un parti avait été créé et organisé par ces personnes, qui travaillaient à provoquer la révolte contre la présence française en Algérie « en vue d'une restauration du régime islamique ». Ce parti est connu sous le nom de « Comité des Maures »⁴². C'est pour cette raison que les généraux français, notamment Clauzel et Rovigo, surveillaient sévèrement tous ceux qui travaillaient dans leur administration. Les notables avaient constaté l'étroite surveillance que l'on exerçait sur eux. Certains ont décidé de ne plus signer leurs pétitions⁴³. Plusieurs membres de ce comité des Maures ont été néanmoins exilés.

Parmi les principaux notables algérois, en plus d'Ahmad Bou Darba et Hamdan ben Outhman Khoudja, qui ont joué un rôle important au moment de la capitulation et dans les mois qui suivirent, figurent Hamdan ben Amin As-Sikka dit Bourkayab et Mustafa ben Omar. Le premier appartenait à une famille originaire de Bagdad qui vint s'installer à Alger au XVI^{ème} siècle. Il était un grand commerçant qui voyageait en Europe pour ses affaires au début des années 1820. Il semble qu'il fut le premier,

avant l'expédition, à avoir astreint Hussein à négocier avec la France dont il aurait eu l'occasion de constater la puissance militaire. Il fut nommé, à l'époque de De Bourmont, comme agha des Arabes. Mais il ne réussissait pas, d'après les Français, dans sa mission. Cette fonction fut léguée, à l'époque de Clauzel, au chef d'escadron, Mendiri. Mustafa ben Omar était, lui aussi un riche négociant qui avait des relations commerciales surtout avec l'Italie, où il vécut longtemps. Il occupa diverses fonctions auprès de l'administration coloniale, entre autres comme bey de Titteri. Il quitta cette région à l'époque de Berthezène et gagna ensuite Paris pour fuir le despotisme du Duc Rovigo.

A Paris, l'activité de ces Maures s'exprima plus librement. Ils contactèrent les Français⁴⁴, les Anglais et les Ottomans dans un travail de sensibilisation de l'opinion française et internationale sur les abus et les exactions commis par les Français en Algérie⁴⁵. Ils protestèrent auprès des journaux français, de la commission d'Afrique⁴⁶ et des grands responsables du gouvernement français, et même auprès du roi de France⁴⁷.

Durant l'été de 1833, Hamdan ben Outhman khoudja, le notable le plus actif parmi ce groupe de maures multiplie ses démarches. Au mois de mai, il dépose un recours au conseil d'état pour une affaire personnelle⁴⁸. A la fin de sa requête personnelle, il rappela la situation des habitants d'Alger qui « offre l'exemple d'une misère inouïe. Et comment l'histoire racontera t-elle, demanda-t-il, un jour la présence des Français parmi eux? Et quels moyens employés par la civilisation pour faire la conquête de ces pays? Devait-on heurter les mœurs et froisser la religion? Mais Hélas! Qu'il nous soit permis d'espérer que le gouvernement français ouvrira les yeux sur nous, qu'une meilleure administration régira notre pays»⁴⁹.

Le 3 juin 1833, Hamdan adresse conjointement avec Ibrahim ben Mustafa Bacha⁵⁰, une requête au maréchal Soult. C'est la première protestation écrite en faveur des Algériens par Hamdan⁵¹. Cette requête est composée de vingt-deux pages. Au nom de ses compatriotes, Hamdan et Ibrahim commencent cette pétition en précisant que l'entrée de l'armée française à Alger eut lieu par suite d'une capitulation qui garantit « la protection de notre religion, de nos femmes, de nos biens et nos richesses et le respect de nos mosquées et notre sharia »⁵². Ils insistent

particulièrement sur la question de la religion : Elle devrait être respectée dans sa globalité ainsi que dans ses lois, ses institutions et ses lieux d'exercice. En dix huit rubriques, les auteurs de la pétition présentent la situation dans laquelle se trouve Alger et les préoccupations de ses compatriotes. Dans chaque rubrique de la requête, ils expliquent au ministre quelle fut la conduite des Français lors de leur arrivée à Alger, face à la question concernant les propriétés des particuliers, les biens ou les lieux religieux, les confiscations des biens habous⁵³, la démolition des mosquées⁵⁴... Ce sont tous les abus commis par les Français qui ont par conséquent plongé les Algériens dans un grand désarroi⁵⁵. Cette pétition évoquait également l'affaire des ossements des morts vendus par les Français. Pour ouvrir une route menant à Fort l'Empereur, les Français détruisirent deux cimetières musulmans. Les ossements des morts furent dispersés au hasard. Puis, certains Français ont fait du commerce avec ces ossements à la fabrication du noir animal destiné la fabrication du sucre⁵⁶. Cette affaire a beaucoup ému les habitants d'Alger. Un tel acte ne pouvait être toléré dans aucune religion et aucune législation. « Nous réclamons, disaient les auteurs, que vous appliquiez (pour cette affaire) le droit chrétien (*ashshar' al-'isawi*), le droit hébraïque (*al-musawi*) ou le droit musulmans (*al-muhammadi*) »⁵⁷.

A la fin de chaque rubrique, les pétitionnaires réclament la restitution de tous les biens, et demandent de réexaminer tout ce qui s'est passé. Ils terminent leur requête en demandant la nomination d'une commission d'enquête « composée de personnes impartiales, qui n'auraient pas le désir de dépouiller les Algériens, et qui soient animées des nobles sentiments de l'équité, et qui ne souffriront pas qu'aucune injustice soit commise et puisse être alléguée au gouvernement et qui se rendent sur les lieux pour faire leur rapport »⁵⁸. La requête est restée sans réponse. Alors Hamdan envoya encore au ministre un résumé de la première lettre. Il envoya également une copie au roi de France le 10 juillet 1833 dans laquelle il demandait son intervention : « je supplie, écrit-il, Votre Majesté de ne pas souffrir qu'il soit dit et répété dans l'histoire que des actes répréhensibles et arbitraires ont eu lieu pendant le règne de Louis Philippe »⁵⁹. Le 5 octobre, il renouvela ses cris d'alarme au ministre de la guerre. Cette dernière lettre portait une lueur d'espoir, car il avait appris qu'une commission avait été envoyée en Algérie pour « faire disparaître toutes les

injustices et pour écouter toutes les plaintes et le gouvernement français finira par être convaincu de la vérité sur ce que je lui dis »⁶⁰.

En Octobre 1833, Hamdan publia son œuvre « *Aperçu historique et statistique sur la Régence d'Alger* » intitulé en arabe « *Al-Mir'at* » (*le miroir*)⁶¹. En dehors de sa valeur historique exceptionnelle, l'ouvrage était destiné à faire connaître la vérité sur Alger. « J'avais exposé, explique Hamdan au ministre dans une lettre datée du 27 août 1834, en parlant de son livre, toutes les injustices qui ont été commises à Alger par les autorités. Une telle conduite ne convient ni à la France ni à son gouvernement qui ont toujours aimé la civilisation et la justice »⁶². Il mélangea des données historiques et des renseignements socio-économiques sur la Régence et ses habitants, ainsi que les maux qu'ils subissaient sous le joug de l'administration pour déclarer son opposition à l'occupation qu'il voyait comme une ruine pour ses compatriotes et son pays. « Dans la question d'Alger, déclare-t-il dans la préface de son livre, il me serait difficile d'apercevoir un beau côté pour les natifs. Je cherche vainement des consolations pour ces peuples. Leurs intérêts sont méconnus ; leurs espérances sont trompées ; pour eux point d'indulgence et point de justice ! Enfin, je me demande, ajoutait-il, pourquoi mon pays doit être ébranlé dans tous ses fondements et frappé dans tous ses principes de vitalité ? Hamdan ben Outhman khoudja était un diplomate qui a voulu rendre justice à ses compatriotes à l'aide de sa plume et son discours qui traduit le sentiment de désapprobation, de mécontentement et de protestation. Il est considéré comme le pionnier de la résistance par le dialogue. Ainsi, Hamdan fait figure de première expression de la lutte politique qui va apparaître, avec plus d'acharnement et de soutien, à la fin du XIX^{ème} siècle et début de XX^{ème}.

Après l'ordonnance du 22 juillet 1834 qui déclara l'Algérie une possession française et la plaça sous le régime législatif des ordonnances royales, le rêve de ces Maures fut anéanti pour toujours. Plusieurs d'entre eux ont choisi l'exil.

La défaite de la résistance officielle à Staoueli et à Sidi Brahim et la signature de la convention de la capitulation par le dey Hussein et le général De Bourmont ne signifie nullement la soumission de toute l'Algérie. Le 5 juillet 1830, l'expédition

d'Alger était terminée, la conquête de l'Algérie commença. Elle va durer près de quarante ans⁶³. Les divers éléments qui composaient la société algérienne en 1830 réagirent chacun à leur façon face à l'occupation française ; certains par les armes d'autres par le dialogue. Les Algériens ont exprimé leur fort attachement à leurs pays et à leur religion, et ils les ont défendus avec obstination.

Notes

1- L'Algérie était perçue, par plusieurs historiens, comme une Régence dont l'appartenance à l'Empire n'était que symbolique notamment à la fin du dix-huitième siècle et pendant les trois premières décades du dix-neuvième siècle. Néanmoins, cette question fait encore débat. « L'Etat algérien existait comme puissance reconnue par les autres pays, précisait Bedjaoui (*la révolution algérienne et le droit*, pp 17-23), une puissance qui conclut des traités, contracte des alliances, déclare la guerre et la paix et protège son territoire contre les attaques extérieures, existe juridiquement ». Cette idée fut soutenue, entre autres, par Vatin, (*l'Algérie politique*, p. 95). « L'Etat algérien, observe-t-il, est sans conteste une entité indépendante et souveraine, répondant aux définitions courantes du droit international ». Tal Shuval, remarque que pour ceux qui soutenaient l'idée de la quasi indépendance des Régences Nord Africaines, cela leur permet de dater l'émergence des diverses nations maghrébines longtemps avant l'ère coloniale (Tal Shuval, « Remettre l'Algérie à l'heure ottomane, questions d'historiographie », *RMMM*, 2002, n° 95-96). D'autres historiens ont souligné que malgré plusieurs changements de régimes subis par chacune des provinces, elles sont restées ottomanes et elles étaient considérées comme telles par Istanbul. Les historiens colonialistes, selon Tal Shuval, cherchent à justifier la conquête de l'Algérie et qu'avant, ce pays était soumis à une occupation étrangère impérialiste. Dans tous les cas, que l'Algérie soit une province ottomane dirigée par un régent nommé par le Sultan, ou un Etat ou un territoire sous la domination turque, ou encore un Etat indépendant qui entretenait de vagues liens de vassalité avec Istanbul, ou que le statut de l'Algérie se présentât comme un mélange de tout cela, il existait certainement chez le groupement d'hommes qui résidait cette Régence ou cette ville- Etat, une conscience et un sentiment commun de l'appartenance à la même puissance, et à la même patrie. Les Algériens utilisaient, au début de la conquête, des mots comme « compatriotes » (Hamdan Khoudja, *Le Miroir*, et le mémoire d'Ahmad Bou Darba, F80 10), « *bilad al-djaza'r* » le pays d'Algérie et « *Iqlim Al-Djaza'ir* », le territoire de l'Algérie (Les lettres des chefs des tribus au général Berthezène en 1831, 1E 15). Et si Ahmad Bou Darba, l'un des porte-parole des Algériens en cette période, disait de la France « sa patrie d'adoption » et « sa nouvelle patrie » (CAOM, F80 10, mémoire de Bou Darba à la commission d'Afrique, et sa lettre au préfet d'Alger du 6 mai 1840), c'est qu'il considérait bien l'Algérie comme sa première patrie et sa patrie natale. Il existait donc une conscience nationaliste. « Le concept de nation, au sens où nous l'entendons aujourd'hui, affirmait J-C Vatin, n'est pas opératoire à ce moment. Il conviendrait mieux d'employer celui de préparation

nationale, et de constater que le cadre de son expression existe avant 1830 » (*L'Algérie politique*, p. 95-96). Quant à l'appellation française : « Algérie », elle sera utilisée en vertu d'une décision du ministre de la guerre en date du 14 octobre 1839 remplaçant ainsi « la Régence d'Alger » (VIARD, P-E., *Traité élémentaire de droit public et de droit privé en Algérie*, Alger 1960, T. I 147p, p. 8). Avant juillet 1834, les officiers français utilisaient d'autres termes comme « colonie d'Alger » dès 1831 et « Province algérienne » en 1832 (C.A.O.M., F80 1670) Marcel Emerit affirmait en 1957 qu' « On n'a pas trouvé le mot Algérie avant l'occupation française mais le mot algérien est bien plus ancien. Très souvent, dans les textes du XVII^e siècle et du XVIII^e siècle, on parle de pirates et de marchands algériens d'esclaves algériens. Désigne-t-on ainsi seulement des hommes originaires de la ville d'Alger ? Certes non. Ainsi j'ai trouvé aux Archives nationales (carton B III/ 24) un rapport du consul de France à Alger, daté d'août 1729, où l'on parle de Maltais qui ont pris une galiote algérienne d'Oran. C'est la preuve que le mot algérien s'appliquait aux gens et aux choses de toute la régence turque d'Alger » (*R.A.*, *Compte rendus*, 1957, pp 158-163).

²- La conquête française et la prise d'Alger n'entraînèrent pas nécessairement et immédiatement l'abolition de la puissance turque dans le beylik du Titteri et celui de l'Est. Les beys de ces deux beyliks, notamment Ahmed bey, ont organisé une résistance armée contre les Français. Ils ont réussi à garder autour d'eux les éléments de l'organisation sur lesquels s'appuyaient, entre autres les familles aristocratiques et les *Couloughlis*. Après la prise d'Alger, le bey de Titteri, Mustafa Bou Marzaq, s'est présenté devant De Bourmont pour annoncer sa soumission. Il a déclaré la guerre aux Français quelques mois après. Le 15 novembre 1830, Le général Clauzel emprisonna Bou Marzaq et nomma à sa place ben Omar. Le bey destitué sera exilé à Alexandrie.

³- La convention du 5 juillet se trouve au CAOM, F80 1670 et la proclamation de De Bourmont est au 1H 2.

⁴- La prise d'Alger fut pour la majorité des Algériens un désastre. Le peuple était en deuil comme l'explique le chant populaire du poète Abdelkader publié par DAUMAS, E., *Mœurs et coutumes d'Algérie*, Paris, 1864, 398p. et aussi par DESPARMET « L'entrée des Français à Alger par le cheikh Abdelkader » *R.A.* 3^{ème} et 4^{ème} trimestre 1930, pp 225-256. DAUMAS racontait que « ce poète, après qu'il était rentré chez lui à Mazouna, il avait tant de chagrin, qu'il ne tarda pas à y mourir ». p. 137.

*La fin des temps est arrivée ;
Dorénavant plus de repos,
Le jour des combats a brillé,*

...

*La mort dans la guerre sainte,
C'est la vie dans l'autre monde,* DAUMAS, Op. Cit. p. 139 et 141.

Dans les viles du tell se trouvaient des gens du Sahara comme les Mozabites et les Beskris, il y avait aussi des Juifs e des personnes de race noire.

⁵- Makhzen, littérairement « magasin » et par extension, « ce qui appartient à l'Etat ». Les tribus makhzan sont des tribus chargées par les autorités, turques et françaises, de contrôler une région et de lever les impôts.

⁶ Mascara est mentionnée dans les textes arabes de l'époque comme ceux de l'émir Abdelkader en deux mots, *Um 'Askar* (mère des camps), car cette ville était à l'époque, le quartier général des armées, ou la ville qui fournit des armes aux autres.

⁷ EMERIT, M., «Les tribus privilégiées en Algérie dans la première moitié du XIX^{ème} siècle », *A.E.S.C.* janv. -févr. 1966, pp. 44-58. Sur les classes sociales, nous avons aussi l'ouvrage de Mahfoud SMATI, les élites algériennes sous la colonisation, tome 1, Alger 1998.

⁸- ادیب حرب: التاريخ العسكري و الإداري للامير عبد القادر 1808-1847، الجزء الاول، الجزائر ص.163 1983

⁹- Marabout, mot qui vient de *murabit*, qui signifie soldat des frontières. Il vivait dans un *ribat* pour surveiller les frontières et protéger le pays des musulmans, le soldat de carrière et l'homme pieux. A la suite de l'évolution de la société musulmane, les fonctions se sont mieux précisées. L'homme de religion se sépare de celui de la guerre sans provoquer une rupture totale, puisque l'appel au djihad et la participation à la défense du pays musulman est un des principes du marabout.

¹⁰- Les confréries jouaient la plupart du temps un rôle déterminant lors des révoltes populaires. Quelques unes gardaient néanmoins un contact avec les autorités françaises administratives. Ils correspondaient avec eux pour des demandes de toutes genres : demandes d'autorisations pour recevoir des offrandes, pour faire des quêtes religieuses, pour le pèlerinage et aussi pour les nomination des successeurs pour leurs *zawiyya(s)*...etc.(.A.O.M., 16H 7). La confrérie *At-tidjaniyya* avait déclaré, en opposition à 'Abd Al-Qadir, son alliance aux Français. Son chef Muhammad ben Ahmad At-tidjani proposait, en 1839, au général Valée, de nommer un bey parmi les Arabes à Médéa et de confirmer At-tidjani comme le grand du désert(Le mot *badiya* du texte arabe est traduit par « pays des Arabes ». C.A.O.M., F80 1673, At-tidjani au général Valée, juillet 1839). « On ne trouve au désert rien de ce qui sert à la guerre » a-t-il répondu aux grands des Arabes qui sont venu lui demander « d'être leur Emir ». Il a donc préféré entretenir des relations de paix avec les Français.

¹¹- Leurs ancêtres sont les musulmans qui se sont exilés de l'Espagne vers les pays de l'Afrique du Nord après la chute de Grenade. Les Français utilisaient le nom « maures » pour désigner tous les habitants des villes qu'ils soient exilés de l'Espagne ou autochtones.

¹²- C'était la population de métis formée par le mariage entre des Turcs et des Algériennes. Les *Couloughlis* travaillaient sous le gouvernement turc comme soldats. Quelques uns sont parvenus à occuper les plus hautes fonctions, tel Al-Hadj Ahmad le bey de Constantine. Les *Couloughlis* représentaient également, à l'époque des Turcs, une force sociale citadine assez importante. Après la conquête française, une grande partie d'entre eux ont pris le chemin de l'exil. Les *Couloughlis* de Tlemcen étaient, selon leur pétition adressée en 1837 au roi des Français (C.A.O.M., 1H 50, 26 juin 1837), très désemparés, après la conquête de l'Algérie. Ils ont subi des vengeances des deux côtés. D'après leur lettre, ils se sont alliés, au début, au mouvement de la résistance d'Abdelkader. Mais cela leur « était inutile et sans intérêt ». Ils ont été pillés et massacrés par les « bédouins ». Puis, ils ont fait appel au Maréchal Clauzel qui, après sa visite à Tlemcen, fit emprisonner beaucoup d'entre eux en s'emparant de leurs biens.

Ils se sont donc adressés au roi Louis Philippe, pour demander sa protection. Ils ont écrit également au général Bugeaud dans la même année (C.A.O.M., 2 E 4), et au commandant Rapatel en 1838 (C.A.O.M., 1E 125, Mai 1838, Pour les trois lettres, il n'y a que les traductions) Dans leur lettre à ce dernier, ils ont signé : « Turcs et Couloughlis de Tlemcen qui se sont réfugiés à Oran ». Nous n'avons pas plus de renseignements sur ces *Couloughlis* de Tlemcen (EMERIT nous rapporte que le général Valée avait embauché 700 *Couloughlis* de la Mitidja dans ses troupes auxiliaires. - « Les tribus privilégiées en Algérie dans la première moitié du XIX siècle. A.E.S.C., Jan. - Févr. 1966, pp. 44-58.) par contre nous en savons davantage sur un *Couloughli* d'Alger qui a joué un rôle important dans la défense des intérêts des Algériens en cette période. Il s'agit de Hamdan ben Outhman Khoudja.

¹³⁻ Dans la réalité sociale, les élites recouraient à différents titres : *kbar*, chefs des tribus ; *shurafa* ou *ashraf*, notables et djmaa. Ces groupes réunissaient parfois des membres des trois grands groupes sociaux mentionnés plus haut. Rappelons aussi que la présence française en Algérie a favorisé l'émergence d'autres élites qui seront les portes- paroles de leurs compatriotes.

¹⁴⁻ Bertrand Clauzel (1772-1842), Il fut nommé deux fois gouverneur général de l'Algérie ; (aout 1830 -février 1831) et (juillet 1835-février 1837). Il était un fanatique de la colonisation de peuplement. Il est connu par ses abus et ses injustices commis envers les Algériens.

¹⁵⁻ Cité par KHOUDJA dans le Miroir, p. 221, et DE REYNAUD, dans les Annales Algériennes, p. 155.

¹⁶⁻ On l'avait accusé d'avoir entretenu des relations avec les tribus, dans l'intention de les monter contre les Français, mais selon Khoudja, ce n'était qu'un prétexte. La vraie raison de l'arrestation c'était pour « l'éloigner d'Alger, afin qu'il ne fût pas dit qu'on violait si brusquement la capitulation ». KHOUDJA, op. cit. p. 222

¹⁷⁻ ابو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، بداية الاحتلال، 1982

¹⁸⁻ Le 8 septembre 1830 le général Clauzel décida un Arrêté réunissant au domaine les propriétés du Dey, des Beys et des Turcs déportés ainsi que les habous de La Mecque et de Médine. Et par l'arrêté du 07 décembre de la même année, il annexa les revenus de tous les établissements affectés à la Mecque, à Médine et aux mosquées et ils furent attribués au Domaine de l'Etat.

¹⁹⁻ Thomas Robert Bugeaud (1784-1849), son aventure avec l'Algérie a commencé en 1836. Il a été lieutenant dans l'armée et il a signé avec l'émir Abdelkader le traité de la Tafna en mai 1837. Il fut nommé ensuite gouverneur général entre 1840 et 1847. Il est connu par la politique de violence et d'autoritarisme.

²⁰⁻ C.A.O.M., II 22, II 23. Nous avons également dans le 16H 79, des dossiers sur l'organisation du culte musulman pour les années 1860, 1896, 1904, et aussi du 1920 à 1930. Il est important de signaler le changement de style dans la rédaction de ces demandes. Les lettres de la première période (1843-1863) sont toutes écrites dans un arabe mélangé avec quelques mots dialectaux et des mots en français. Les lettres des années (1898 -1904) étaient souvent écrites en français avec une signature en arabe. (16H 79 : Lettre de ben Kadour Ahmad ben Al-Hadj Al-Arbi du 20 décembre 1898 qui demandait le poste de professeur de théologie dans la mosquée de Blida et la lettre du 11 mai 1904 du

mufti de la mosquée de Dellys, qui demandait la nomination d'un auxiliaire qui lui suppléerait en cas d'absence ou de maladie). En 1930, le rédacteur du journal *At-Taqaddum*, Omar ben Kadour, rédigea sa demande pour être *imam* à la mosquée Safir d'Alger en arabe classique.

²¹⁻ Comme par exemple la lettre d'Al-Hadj Muhammad ben Mahmud, descendant d'Abdelkader Aldjilali qui dans une lettre au gouverneur général, évoque sa généalogie qui le lie au grand chef religieux et il a demandé la gestion de la *zawiya* de ce marabout. La lettre date de mars 1844 et elle se trouve au II 22.

²²⁻ Comme Hassan Bou Gandoura, de la grande mosquée d'Alger qui a émigré en Syrie selon la lettre du 20 août 1863, de Muhammad Al-Amali au gouverneur général (C.A.O.M., 2I 23), ou Mustafa ben Youssef de la mosquée Sidi Ramdan qui a émigré au Maroc selon une lettre datée du 3 juillet 1867 (2I 23).

²³⁻ C.A.O.M., F80 1571, lettre datée du 5 avril 1844.

²⁴⁻ C.A.O.M., F80 1571, lettre datée du 10 octobre 1849 adressée au directeur des affaires civiles.

²⁵⁻ Nous avons également l'exemple de Ahmad Ash-sharif Az-zahar, le *naqib* des *al-ashraf* (syndic des gens nobles), une fonction qui existait à l'époque des Turcs, qui après avoir lutté aux côtés d'Ahmad bey, et après 1837, aux côtés de l'émir et après avoir passé un an de prison à Sainte Marguerite, revint à Alger et travailla aux côtés des Français. GOUVION, Marthe et Edmond, *Kitab Aayane el-Maghariba*, Alger, 1920, p. 176. et aussi BERQUE, J., *L'intérieur du Maghreb*, Paris 1978, 546p.

²⁶⁻ S.H.A.T., 1H 20, 4 avril 1833.

²⁷⁻ C.A.O.M., 1H 2, 18 mai 1832.

²⁸⁻ Le mufti est chargé de rendre des *fatwa(s)*, ou des consultations juridiques à caractère religieux et de prononcer la *khutba* (le sermon) du vendredi. L'imam est celui qui dirige la prière, et dans les mosquées sans mufti, il prononce la *khutba*.

²⁹⁻ C'est un notable de la ville d'Alger qui a représenté ses compatriotes auprès des Français. Nous en parlerons plus loin.

³⁰⁻ Cette lettre a été écrite au nom de « tous les *'ulama* d'Alger, les *kbar*, les *ashraf*, et les notables » et elle fut adressée au ministre de la guerre. C.A.O.M., 1H 1, Parmi les vingt quatre signataire de la pétition en plus des muftis et des cadis figuraient aussi des commerçants et des propriétaires et fonctionnaires de l'ancien gouvernement comme les aghas.

³¹⁻ Lors du blocus d'Alger, la France menaça le bey de Tunis s'il prêtait assistance au Dey Hussein de subir les mêmes conséquences. Le Prince de Polignac écrivait, le 13 avril 1830, au Bacha de Tunis : « ... l'expédition qui se prépare à Toulon, est dirigée contre le dey d'Alger. Les autres Etats mahométans de la côte d'Afrique n'y sont point intéressés, leur rôle doit se borner à une parfaite neutralité ; s'ils avaient l'imprudence de s'écarter de cette ligne et de fournir des secours à nos ennemis, ils ne tarderaient pas à attirer sur eux-mêmes les forces de la France ». Cité par TEMIMI, Le beylik de Constantine et Hadj Ahmad bey, op. cit. p. 81.

³²⁻ C.A.O.M., 1H 1, lettre d'Ahmad Bou Darba au ministre de la guerre, 12 mars 1831.

³³- C.A.O.M., 1E 15, lettre des notables de la ville d'Alger au gouverneur général. Août 1831. Ahmad Bou Darba rejoint les notables pour signer cette pétition.

34- Le 8 septembre 1830, le général Clauzel commandant en chef signa un arrêté réunissant au domaine de l'Etat les propriétés du dey, des beys, des Turcs et des biens habous de la Mecque et de Médine. Néanmoins, les biens habous ont été gérés par des régisseurs musulmans mais sous la surveillance du gouvernement français. L'arrêté du 3 octobre 1948 ordonna la réunion au

Domaine de tous les habous encore gérés par les *oukils*.

³⁵- C.A.O.M., Les deux lettres se trouvent dans le 1H 2, D: correspondance.

³⁶- Un notable d'Alger qui a joué un rôle important, en cette période, pour défendre les intérêts des autochtones et protester contre les abus des Français.

³⁷- C.A.O.M., Ibid. lettre du 7 novembre 1833.

³⁸- L'ordonnance de 1 décembre 1831 établit, à côté du commandant en chef relevant du ministre de la guerre, un intendant civil placé sous les ordres immédiats du président du conseil des ministres. A cause des conflits entre Rovigo et Pichon, la première ordonnance fut rapportée, et le nouvel intendant civil, fut placé sous les ordres du commandant en chef. GIRAULT, A., *Principes de colonisation et de législation coloniale, Algérie*, Paris, 1939, 494p, p. 84.

³⁹- Le duc Rovigo avait signalé dans une lettre au président du conseil des ministres, le 30 janvier 1832, qu'une troupe de négresses étaient chez lui en pleurs, parce qu'elles avaient été repoussées du marché, qu'on avait refusé leurs pièces de 5 francs et qu'elles n'avaient pas d'autres monnaies. Voir ERNEST-PICARD, *La monnaie et le crédit en Algérie depuis 1830*, Paris, 1930, 434p. p. 65

⁴⁰- Parmi les abus évoqués dans les lettres des Algériens, en plus de la confiscation des beys beyliks et habous il y avait l'affaire des ossements des morts vendus par les Français (pétition du 3 juin 1833, au ministre Soult, SHAT H 20)

⁴¹- Le conseil était composé de sept Maures et deux Israélites. Cette première organisation née des embarras du moment, n'était que provisoire (Dictionnaire de la législation algérienne ; 1839-1860, Charles Louis Pinson de Minerville, 1867)

⁴²- JULIEN, Ch-A., *Histoire de l'Algérie contemporaine, 1827-1970*. Paris, 1964, 633p. p. 95.

⁴³- « Les principaux habitants d'Alger » ont déclaré, dans une pétition adressée le 30 mai 1833 aux membres de la Chambre des députés, qu'ils ont rédigé plusieurs plaintes sans avoir reçu de réponses favorables. Ils ont reçu, par contre, des menaces visant ceux qui ont posé leurs signatures sur les pétitions. C'est pour cette raison que plusieurs pétitions ne portaient pas de signatures. Parfois l'administration marquait en français en haut de la lettre arabe, son origine. Sur certaines pétitions on peut lire au début du texte : « les habitants d'Alger » ou « les notables de la ville d'Alger »...etc.

⁴⁴- Certains journaux de France tel que *Le National* et *Le Courrier Français*, suivaient et s'intéressaient à ce qui se passait en Algérie.

⁴⁵- En Octobre 1833, Hamdan publia son œuvre « *Aperçu historique et statistique sur la Régence d'Alger* » intitulé en arabe « *Al-Mir'at* » (*le miroir*)¹.

En dehors de sa valeur historique exceptionnelle, l'ouvrage était destiné à faire connaître la vérité sur Alger.

⁴⁶- Les deux mémoires de Hamdan khouja et d'Ahmed Boudarba se trouvent au CAOM, F80 10.

⁴⁷- Le 3 juin 1833, Hamdan adresse conjointement avec Ibrahim ben Mustafa Bacha une requête au maréchal Soult et une au roi le 10 juillet de la même année.

⁴⁸- C'était pour une affaire concernant son oncle, Al-Hadj Muhammad. Au mois de janvier 1831, l'inspecteur des finances avait trouvé trace d'une créance de l'ancien gouvernement sur Hadj Muhammad. Il s'agissait d'une somme due pour la valeur de laines et de matières d'or et d'argent, remise à ce personnage pour le compte de la Régence, et dont l'argent n'est pas rentré dans les caisses. Hamdan s'engagea à payer cette somme pour que le gouvernement remît en liberté son oncle incarcéré à cause de l'affaire. Hamdan va réclamer l'annulation de la transaction comme obtenue par violence. Parce que la cour de justice d'Alger, à laquelle il s'était adressé, se déclara incompétente, Hamdan se décida à recourir au conseil d'Etat à Paris. *Le Miroir*, pièce N° 5.

⁴⁹- Ibid.

⁵⁰- C'est le fils de Mustafa Bacha, le dey d'Alger de 1798 à 1804.

⁵¹- Ce n'est qu'en août 1833 que les notables d'Alger ont signé une lettre au roi français en présentant Hamdan comme le représentant des Algériens auprès du gouvernement et du roi français. *Le Miroir*, pièce N° 11. « Nous lui donnons, disaient-ils, notre procuration pour nous représenter et faire valoir nos droits, soit à la justice du gouvernement français, soit à la faveur du roi des français, qui est aussi le père du peuple. Etre l'appui et le défenseur des Algériens, aider à leur émancipation, voilà ce que nous espérons du meilleur des monarques dont le caractère est empreint de toutes les vertus. Les soussignés osent exprimer à s. M. le roi des Français leur vive reconnaissance, persuadés d'avance de ses bonnes dispositions en faveur de leur pays ». Cette importance que possédait Hamdan auprès de ses compatriotes inquiétait les autorités françaises. Dans une note au conseil d'Etat, le Maître des requêtes proposait d'inviter les signataires de cette requête à se présenter et à préciser leurs demandes eux mêmes afin « d'ôter à Hamdan l'importance qu'il cherche à se donner ... et dissoudre la petite ligue dont il est l'âme, affaiblir son importance parmi les siens et faire connaître à l'autorité locale quels sont les hommes sur lesquels son influence est la plus grande », C.A.O.M., 1H 1, le 14 octobre 1833.

⁵²- S.H.A.T., H 20, Requête de Hamdan Au Ministre Soult le 3 juin 1833. Elle est signée également par Ibrahim ben Mustafa Bacha.

⁵³- Le 8 septembre 1830, le général Clauzel commandant en chef signa un arrêté réunissant au domaine de l'Etat les propriétés du dey, des beys, des Turcs et des biens habous de la Mecque et de Médine. Néanmoins, les biens habous ont été gérés par des régisseurs musulmans mais sous la surveillance du gouvernement français. L'arrêté du 3 octobre 1830 ordonna la réunion au Domaine de tous les habous encore gérés par les *ukils*.

⁵⁴- La mosquée *As-Sayyida* fut la première mosquée démolie par l'occupant. On a détruit également trois ou quatre autres petites mosquées qui l'entouraient dans le but de former une grande place.

⁵⁵- «Jamais, peut-être, constatait Pélissier de Reynaud, une occupation ne s'est faite avec autant de désordre administratif que celle d'Alger, mêmes dans les siècles les plus barbares» Pélissier de Reynaud, op. cit. T. I, p 74.

⁵⁶- Le chant de Si Abdelkader, cité par DAUMAS, évoquait cette affaire
Les tombeaux de nos pères, ils les ont fouillés,
Et leurs ossement, ils les ont dispersés,
Pour faire passer leurs karretta (Charrette).

⁵⁷- S.H.A.T., H 20.

⁵⁸- S.H.A.T., H 20, la même requête.

⁵⁹- HAMDAN KHOUDJA, *Le Miroir*, pièce N° 3.

⁶⁰- C.A.O.M., 1H 1, la traduction de la lettre de Hamdan au ministre.

⁶¹- La version originelle, en arabe, n'a jamais été trouvée. Le livre en français est la traduction de Hassouna Daghis. Sur l'ouvrage, ne figurent que les initiales du traducteur. H.D et la qualification « oriental ». Hassouna Daghis, était un diplomate tripolitein qui se trouvait à Paris en 1833. Il a occupé le poste de ministre des affaires étrangère de Tripoli, en 1826. Il fut destitué rapidement de ce poste et fut le sujet de conspirations aussi bien par les consuls anglais et français à Tripoli que par le bey de Tripoli lui même, notamment après l'affaire du Major Laing, « un explorateur anglais et le gendre du consul anglais qui est mort dans des conditions mystérieuse dans le désert en septembre 1826. Ses papiers n'ont pas été trouvés. Hassouna Daghis fut accusé d'assassinat et de fraude dans cette affaire », voir - TEMIMI, *Recherches et Documents d'Histoire Maghrébine. L'Algérie, la Tunisie et la Tripolitaine (1816-1871)*. op. cit.) - l'introduction d'Abdelkader Djeghloul pour la nouvelle édition du *miroir en 1985*. Et parmi les premier travaux sur Hamdan ben Outhman Khoudja nous avons l'article de YVER, George, « Si Hamdan ben Outhman Khoudja » in *R.A.*, 1913, pp. 96-138.

⁶²- C.A.O.M., 1H 1, Lettre au ministre, le 27 août 1834.

⁶³- Voici ce que racontait la tradition orale de la Mitidja : « Il a fallu moins d'un mois aux Français pour conquérir Alger et vaincre les Turcs, il leur faudra dix ans pour arracher Blida aux mains des Indigènes » DESPARMET, « les réactions nationalistes en Algérie ». *B.S.G.A.*, 1932, pp. 437-456. Le général Canrobert relatait aussi dans ses rapports ceci : « Nous venons de faire de longues courses pour brûler, piller et ravager les tribus comprises entre Blida, Orléansville et les environs de Cherchell. Bien que la terreur que nous avons inspirée soit grande, avoue-t-il, et ait amené quelques soumissions, le but principal qui est la pacification, est loin d'être atteint », *La campagne d'Afrique*, p. 271, lettre du 16 juin 1842.

L'IDENTITE ENTRE LE « JE » INDIVIDUEL ET LE « NOUS COLLECTIF. »

Dr. Sadia Bekri.

Université Oran 1 Ahmed Benbella.

Introduction

L'homme se distingue des autres créatures par son identité. En outre il est le seul détenteur de la parole qui lui permet de construire le « je » identitaire. Une interaction s'installe entre le « moi » individuel et le « nous » collectif pour fonder non seulement « l'identité nationale » dans le but de l'identification contournable de par les informations inscrites sur la carte d'identité, mais aussi pour permettre à l'identité cette fois incontournable, de s'imprégner des multiples facettes géopolitiques, sociologiques ethniques...qui sont nécessaires à son élaboration. La construction de l'identité se fait donc dans la synchronie, mais aussi dans la diachronie. Vient ensuite l'image de l'autre ; le « Je » qui se met dans un face à face avec le «tu » pour se comparer à lui. Là est la source des problèmes qui prennent de plus en plus de l'ampleur pour aboutir aux conflits puis aux guerres. L'identité doit être domptée pour cela elle doit obéir à des limites tracées par des lois.

« L'identité » est définie à partir de l'appartenance de chaque individu à une famille, une communauté, une classe sociale, un peuple, une nation, etc. Le collectif préexiste à la personne, lui assignant une place dans la structure sociale à partir d'une série de modifications et de normes de classement qui fondent l'ordre symbolique. Instance de référence, entre l'imaginaire et le réel, entre le temps chronologique de l'Histoire et le temps du vécu, entre le personnel et le social, le symbolique instaure les mots et les signes nécessaires à la définition de soi-même. Chacun s'inscrit dans cet ordre en reprenant à son compte les éléments qui lui permettent d'affirmer son identité culturelle, ethnique, nationale, ou même continentale.

Entre l'identité individuelle et l'identité collective, il existe des liens étroits dans la mesure où, loin de s'opposer, elles se coproduisent. Ainsi, le nom de famille permet de singulariser chaque individu selon un code préétabli qui le classe dans des

lignées précises tout en le situant dans une région géographique donnée, dans un pays et dans une langue. Il en va de même pour les prénoms, qui sont porteurs d'appartenances et de traditions tout en spécifiant l'individualité de chacun à l'intérieur du groupe familial. De même, les identités professionnelles L'identité est une notion éminemment psychosociale. « Mon identité » renvoie au sentiment d'être, au sentiment d'unité et de cohérence de la personne, à ce qui la définit comme un être singulier, spécifique, unique, particulier, en définitive à ce qui lui est propre. Mais cette identité « ne peut lui venir que du dehors, c'est-à-dire de la société ». C'est dire que l'individu est désigné par un ensemble d'attributs sociaux et juridiques qui lui assignent une place dans l'ordre généalogique et dans l'ordre social. Son existence sociale est liée à une inscription dans un livret de famille qui lui confère un nom, un ou des prénoms.

1- L'identité narrative

Le sentiment de continuité du Moi s'enracine dans la mémoire. Lorsque celle-là fait défaut, la démence n'est pas loin et seule l'identité sociale subsiste comme élément stable pour désigner la permanence de la personne. L'identité sociale est « le plus sûr registre que nous puissions consulter pour nous assurer de la consistance et de la continuité du Moi ». Répondre de façon approfondie à la question « qui suis-je ? » conduit à raconter l'histoire d'une vie . C'est dire que « l'identité du qui est une identité narrative ». Pour Paul Ricœur, l'identité narrative est constitutive de l'ipséité, de l'émergence du sujet qui apparaît simultanément comme lecteur et comme auteur de sa propre vie. « L'histoire d'une vie ne cesse d'être refigurée par toutes les histoires véridiques ou fictives qu'un sujet raconte sur lui-même »

2- L'enjeu du « je » identitaire.

Le « je » se construit dans un premier temps dans la synchronie : Sur la carte d'identité, l'individu se distingue par son nom, son prénom, le lieu et la date de sa naissance, son empreinte digitale sa taille, sa photo, sa signature... Ceci fait partie de l'identification. Dans un deuxième temps, le « je » prend forme dans la diachronie en s'imprégnant des dimensions sociologique, psychologique géopolitique, culturelle ...etc. Ceci ne facilite pas la tâche des chercheurs qui ne peuvent donner une définition finale de l'identité.

L'opposition du « je » identitaire au « tu » Chaque être possède une identité unique, elle ne ressemble donc à aucune autre. Ceci le place devant le « tu » . Le cercle de l'identité s'agrandit pour adhérer au nous, il se compare alors au « vous » sans lequel il ne peut être.

3- Le glissement de l'identité

Les conflits et les guerres inscrits dans l'Histoire tournent autour de l'axe la défense de l'identité ou bien de son dépassement. (entre oppresseur et oppressé). Les deux guerres mondiales ont conduit les hommes vivant sur tout le globe terrestre à la faillite Ceci prouve que l'interdépendance des identités est une réalité, et pour mener à bien la coexistence des êtres, nous devons donc plier l'échine de l'identité pour la contrôler dans le but de vivre en paix,

Depuis la présence de l'homme sur terre, le « je » prend forme après des questions : qui suis-je ? -Où suis-je ? Le moi découvre et se découvre en cherchant son origine et celle du monde qui l'entoure.

Avant la naissance, des empreintes digitales se tracent et s'installent sur le bout des doigts du fœtus durant toute sa vie. L'enfant présente des empreintes digitales uniques qui le distinguent de tous les autres. Même les jumeaux qui portent la même ADN ont des empreintes différentes.

L'enfant découvre peu à peu son « moi » qui se détache de tous les autres, il parle à la première personne : « je » identitaire

a) Au fur et à mesure qu'il grandit, il s'imprègne de son environnement familial, religieux, scolaire, sportif, géographique, politique ...etc.

b) Arrivé à l'adolescence, il traverse une période incertaine, pleine de l'enchevêtrement des paradoxes Il est à la recherche de son identité avant de pouvoir fixer son moi individuel pour l'intégrer dans le nous collectif.

c) A l'âge adulte, l'identité se constitue de plusieurs paramètres : la profession, les études, la création d'une cellule familiale ... viennent s'ajouter à son moi individuel d'une part et collectif d'autre part.

L'identité est donc comme un puzzle qui présente les parties du tout. Elle se construit à partir de plusieurs facettes, collées les unes aux autres pour donner la forme d'un tout unique.

4- Les dimensions de l'identité.

« Pour se définir, c'est toujours un lien avec les autres. C'est avec des appartenances que l'on va se construire d'une manière individuelle. Le terme essentiel (...) c'est le terme de processus. L'individu n'est pas une entité, c'est un mouvement ... »

Comme nous venons de le constater, le « je » se construit en prenant sa substance du monde qui l'entoure. Il se conjugue ensuite par rapport au « tu » pour le comparer à lui-même. Il porte ensuite un jugement sur l'autre en face de lui, de là découlent certains défauts, les préjugés, l'oppression, la dictature....

Nous constatons que les guerres sont les résultats des conflits identitaires. C'est pour une frontière géographique, ou au nom d'une Religion, parfois à cause de l'ethnie que les hommes s'entretuent. Ceci dure depuis la nuit des temps jusqu'à nos jours ; en effet l'homme ne retient aucune leçon de l'Histoire. Amin Maalouf nous dit dans « les croisades vues par les Arabes (sur la couverture) : « Religions, que de crimes on commet en ton nom ! Histoire que de leçons tu nous donnes, et pourtant... ». Dans un autre ouvrage, « les identités meurtrières », Maalouf, compare l'identité à une panthère, d'après cet auteur il faut l'appivoiser. L'auteur essaye d'analyser la source du mal provenant de l'identité. Dans la première partie « Mon identité, mes appartenances » Il analyse l'identité propre à chaque personne, il se demande pourquoi ces hommes arrivent à s'entretuer au nom de leur religion, leur racine, ou leur nationalité Il suffit que l'une des multiples appartenances de l'identité soit touchée, ou affecté, pour que les personnes ainsi humiliées attaquent sous l'égide de la légitime défense.

Dans la deuxième partie il revendique les différentes interprétations des textes religieux qui transforment la réalité du monde et divisent l'identité. Maalouf évoque aussi l'Espagne au moment où la thora, la bible et le Coran étaient protégés par les princes andalous. Une autre variété de l'Histoire est présentée au lecteur, celle de l'époque d'El Khédiv Mehemet Ali qui au XIX^{ème} Siècle était parvenu à adopter les techniques occidentales. Il a été considéré comme dangereux. L'occident

tient à garder le reste du monde sous son joug, sous son obéissance, lui refusant d'être son égal.

Dans la troisième partie « Le temps des tributs planétaires » c'est de la quête identitaire qu'il s'agit et ceci pour atteindre la mondialisation. Il estime que la mondialisation peut être une uniformisation appauvrissante et elle mène au combat dans le but de préserver son identité et ses valeurs. Maalouf compare l'identité à une panthère qui tue si elle est persécutée, mais aussi si elle est laissée en liberté.

5- L'enjeu du « je » identitaire dans l'œuvre d'Amin Maalouf.

L'identité comme frontière.

« La construction de l'identité, qu'il s'agisse de l'Orient ou de l'Occident, de la France ou de la Grande-Bretagne, tout en étant le résultat d'expériences collectives distinctes, se réduit finalement à mon avis à l'élaboration d'opposition et de différence avec « nous » qui reste sujettes à une continuelle interprétation et réinterprétation. Chaque époque et chaque société recrée ses propres autres. Loin d'être un concept statique, notre identité ou celle des autres résultent d'un processus historique, social intellectuel et politique très élaboré qui se présente comme un conflit impliquant les individus et les institutions dans toutes les sociétés. »

Ceci rejoint la pensée de Maalouf qui nous dit que l'identité se construit sur l'horizontalité (tout ce que l'on peut hériter de ses origines), mais aussi sur la verticalité (au fur et à mesure des déroulements des faits contemporains.)

Tout au long des cinq chapitres de l'essai « Les identités meurtrières » l'auteur propose une réflexion sur le mécanisme de l'identité et le danger qui en résulte. Aussi bien l'individu que la société doit mener à bien le tournant qui nous mène à la mondialisation en assumant la multiplicité de notre appartenance, sans nier pour cela nos origines et les différentes cultures si riches qui nous appartiennent. La culture reste en rapport avec l'identité.

»

« Les références qui différencient les cultures qui sont leurs identités, nous en avons des exemples à l'esprit ; ainsi : les puissants assemblages de discours à travers lesquels se reconnaissent le Japon ou la Chine, ailleurs le Coran, en Europe

les systèmes de textes issus de la Bible et du droit romain, en Afrique les élaborations totémiques. »

Ce qui précède nous révèle les différentes cultures qui adhèrent à l'identité. L'espace géographique et civilisationnel ainsi que les croyances comptent parmi les composantes de l'identité.

Maalouf met en exergue le danger lié à l'appropriation du « je » identitaire pour nier l'autre. Une interaction s'établit entre l'acquisition de l'identité son interprétation et la réaction qui en résulte : La notion de l'identité est très complexe ; les composantes de l'identité se diversifient suivant les appartenances : l'origine, la religion, la culture. « L'identité ne se compartimente pas elle ne se répartie ni par moitié, ni par plages cloisonnées. » Dans « Les identités meurtrières », le romancier nous fait part d'une analyse très importante de l'identité :

« En somme chacun de nous est dépositaire de deux héritages : l'un verticale, lui vient de ses ancêtres, des traditions de son peuple, de sa communauté religieuse ; l'autre, « horizontal », lui vient de son époque, de ses contemporains. C'est ce dernier qui est me semble-t-il le plus déterminant. Il le devient encore un peu plus chaque jour ; pourtant, cette réalité ne se reflète pas dans notre perception de nous-mêmes. Ce n'est pas de l'héritage « horizontal » que nous nous réclamons, mais de l'autre. »

L'auteur se méfie des mots et surtout celui de l'identité, sa vie d'écriture lui a appris de se méfier des mots, l'un des faux amis est « identité » nous croyons connaître son vrai sens, nous lui faisons confiance même quand, insidieusement, il se met à dire le contraire, nous dit-il.

« Le postulat de base de l'universalité, c'est de considérer qu'il n'y a des droits inhérents à la dignité de la personne humaine, que nul ne devrait dénier à ses semblables à cause de leur religion, de leur couleur, de leur nationalité, de leur sexe, ou pour toute autre chose. Ce qui veut dire, entre autres choses, que toute atteinte aux droits fondamentaux des hommes et des femmes au nom de telle ou telle tradition particulière religieuse par exemple est contraire à l'esprit d'universalité. »

Ceci résume une approche sur la question de l'identité. Tel un puzzle, l'identité est constituée de l'un et du multiple pour former

un tout et atteindre l'universalité. Cependant, l'identité peut présenter un danger dès lors qu'elle est atteinte.

Parmi les personnages qui hantent l'œuvre d'Amin Maalouf, se trouvent ceux dont l'identité est plusieurs, ils ont vécu dans de multiples pays, ils parlent de différentes langues, ils appartiennent au monde comme le monde leur appartient. Le meilleur exemple est celui d'Hassan al Wazzan, le Grenadin, le Fassi qui a appartenu à l'Orient comme à l'Occident. Jean Léon de Médicis dit «Léon l'Africain» est un personnage cosmopolite. C'est l'image favorite du romancier, il ne cesse de nous ramener à l'actualité, de l'ère médiévale de l'Andalousie dans le roman «Léon l'africain», mais aussi à celle du Titanic dans le roman «Samarcande», ou encore à celle de la mondialisation dans «Les identités meurtrières.» L'affirmation de soi doit-elle s'accompagner de la négation d'autrui ? se demande-t-il. Le romancier tend vers le chemin qui mène à l'acceptation de l'altérité ; dans son écriture, il développe la dimension complexe de l'identité.

Plusieurs appartenances peuvent loger dans la même personne sans pour autant déranger l'harmonie de l'être. Il semble que l'homme peut être cosmopolite et vivre dans toutes les communautés tout en gardant son identité parfois multiple.

Le problème qui se pose à l'identité est très complexe, L'identité d'une personne est unique, mais elle est constituée de plusieurs paramètres qui dépendent de son entourage : la société, la culture, la croyance et autres, l'individu qui possède cette identité est amené à vivre dans l'univers humains et donc il côtoie les autres êtres avec leur identité respective. Il ne peut imposer aux autres les règles qui régissent sa propre identité et s'il le fait, il leur déclare la guerre.

Le moi initiatique

Dans la page première ou l'incipit de « Léon l'Africain » D'Amine Maalouf le texte commence par un moi initiatique :

« Moi, Hassan fils de Mohamed le peseur, moi, Jean Léon de Médicis, circoncis de la main d'un barbier et baptisé de la main d'un pape, on me nomme aujourd'hui l'Africain, mais d'Afrique je ne suis, ni d'Europe, ni d'Arabie. On m'appelle aussi le Grenadin, le Fassi, le Zayyati, mais je ne viens d'aucune cité,

d'aucune tribu. Je suis fils de la route, ma patrie est caravane, et ma vie la plus inattendue des traversées.

» Cette citation englobe les principaux événements : celui du début du livre : la circoncision et celui de la fin : le baptême à Rome.

Le texte présente plusieurs paradoxes :

Un nom oriental que porte Hassan à sa naissance : Hassan le peseur (al Wazzan.)

Un deuxième nom auquel il adhère à Rome et qui lui est imposé par le pape : Jean Léon de Médicis. Nom dérivé de celui du pontife même.

Deux noms ayant pour source deux religions ; l'une musulmane l'autre chrétienne sont juxtaposés pour appartenir à la même personne.

Hassan est circoncis de la main d'un barbier.

Léon est baptisé de la main d'un pape.

Est-il partagé ou bien uni par les deux cérémonies, la circoncision d'une part et le baptême de l'autre ? Un deuxième paradoxe se présente au lecteur, mais pas à Hassan qui tire un grand profit de son séjour à Rome où il prolonge son érudition.

Les origines extirpées à l'espace apparaissent ensuite. « *On me nomme l'Africain...* » Les noms des villes et des continents semblent colorer son nom, mais il les gomme et par enchantement il n'appartient qu'à un seul espace : la route et à un temps : celui des traversées.

Ceci ne fait qu'appuyer l'idée de l'appartenance de l'être à plusieurs profils de son entourage ; il s'imprègne donc de l'héritage l'horizontal de son identité, qui figure dans l'analyse d'Amine Maalouf cité plus haut ; l'identité de Hassan s'imprègne de son époque et de son environnement.

«L'identité est l'histoire de soi que chacun se raconte»

Le romancier pense que «l'identité se fait par accumulation et non pas par exclusion.» L'identité n'est positive, enrichissante que si elle inclut les différentes appartenances de sa pluralité. Dans l'essai «Les identités meurtrières» Amin Maalouf s'interroge sur la passion, ses dérives meurtrières et plaide pour que chacun assume sa propre diversité «à concevoir son identité comme étant la somme de ses diverses appartenances.» Pourquoi meurtrière ? L'auteur considère que cette appellation n'est pas

abusive dans la mesure où la conception que l'auteur dénonce est celle qui réduit l'identité à une seule appartenance et installe les hommes dans une attitude partielle, sectaire, intolérante, dominatrice, quelque fois suicidaire et les transforment bien souvent en tueurs ou en partisans de tueurs.

Amin Maalouf, fait-il partie des utopistes de notre époque ? C'est à la littérature comme celle de ce romancier qu'il revient de réinventer le monde.

« On se réinvente en se souvenant du passé en reconstruisant son histoire ou celle de sa famille. Nous avons maintenant des sociétés multiculturelles, la culture de l'autre est un espoir. »

« L'être selon Bakhtine, n'est pas concevable en dehors des liens qui l'unissent à l'autre, je ne peux, comme sujet, former une totalité sans les éléments « transgrédients » que m'apporte autrui. Il n'y a qu'à travers les autres que je puis prendre conscience de moi. Ce sont eux qui me définissent et me construisent comme unité. »

L'homme ne peut vivre dans la solitude c'est grâce à la vue de l'autre qu'il valorise sa façon d'être, le cercle s'agrandit au fur et à mesure qu'il évolue à commencer par la cellule familiale pour arriver à l'environnement mondial en passant par l'école les clubs sportif, les quartiers ... Cette dépendance est primordiale pour sa réussite dans les études mais aussi au sein de l'environnement professionnel dans lequel il adhère.

Le jeu du miroir ou le miroir du « je »

Dans le profond de l'être loge un miroir qui reste en rapport avec la conscience, dans « Les croisades vues par les Arabes » d'Amin Maalouf, nous décelons certains gestes humanitaires marquant un respect mutuel qui l'emporte sur la férocité de la guerre et qui sont mis en exergue :

« Aux noces de Kerak, les bonnes manières n'étaient pas uniquement du côté de Saladin, la mère du jeune marié a tenu à envoyer à l'assiégeant des plats soigneusement préparés afin qu'il puisse participer lui aussi aux festins. En effet, malgré la fureur, Saladin savait rester magnanime, en novembre 1183, il avait installé des catapultes autour de la citadelle de Kerak et commencé à la bombarder avec des quartiers de roc, les

défenseurs lui firent dire que des noces princières se déroulaient au même moment à l'intérieur. Bien que la mariée fût la belle fille de Renaud, Saladin a ordonné à ses hommes d'épargner ce secteur. »

Un autre événement aussi humain s'est déroulé, il est relaté par le chroniqueur Bahaeddin :

« Une femme est sortie de chez les Franjs (...) pour rencontrer le maître Saladin. Elle dit « Des voleurs musulmans sont entrés dans ma tente et ils ont volé ma petite fille. » J'ai pleuré toute la nuit. Alors nos chefs m'ont dit : « Le roi des musulmans est miséricordieux nous te laisserons aller vers lui et tu pourras lui demander ta fille, » en moins d'une heure après, un cavalier arriva portant l'enfant sur son épaule. (..) On lui rendit sa fille et on la raccompagne au camp des Franjs.

À travers les deux citations nous décelons une sagesse atteignant le symbole universel, qui, malgré la férocité imposée par les guerres, loge dans l'inconscient de l'être oriental soit-il ou occidental.

Amin Maalouf se place toujours sous l'angle opposé des idées existantes (déjà là) pour interposer les siennes. Dans l'essai « Les identités meurtrières » il s'agit de la confrontation de l'usage satirique et polémique réservé à l'identité. Peut-on séparer l'homme de ses habitudes ancrées dans son être ? Faut-il convaincre l'homme afin de rejeter l'opinion selon laquelle l'identité est unicité ? L'essayiste Amin Maalouf affirme que l'identité est multiple et qu'elle évolue au cours des ans.

En Occident, la revendication se fait dans le communautarisme, en Orient c'est dans le confessionnalisme qu'elle évolue. Bien que les termes sont différents dans les deux pôles, le résultat généré est le même, l'implication négative implique les deux parties. En Orient, l'identité est liée à la religion (chrétienne maronite et orthodoxe, musulmane sunnite et chiite.) En occident la question de la nationalité est plus probable.

Le dialogue des cultures est lié aux ressemblances mais aussi aux différences de vision de l'homme selon les cultures. Quelle que soit l'origine de l'homme ; religieuse, géographique, culturelle, il partagera cette appartenance par delà les frontières et les religions. La conception d'Amin Maalouf favorise les points

de vue qui rapprochent les hommes plutôt que ceux qui les séparent. Il développe une pensée suggestive qui ouvre des perspectives et des horizons. Comme Montaigne dans les « Essais », Maalouf établit un humanisme visant la relation de soi avec les autres.

Conclusion

L'identité porte en elle la force de construire mais aussi celle de détruire. Seul l'homme décide de sa positivité ou de sa négativité. Elle peut donc avoir une participation à la construction du monde ou à sa destruction. Le « je » identitaire doit respecter le « tu » qui possède également une identité bien qu'elle lui semble étrangère et dans le face à

face, chaque individu doit respecter les lois qui permettent la coexistence entre les différentes communautés, pour pouvoir instaurer la paix. Les sages de plusieurs espaces ont puisé dans les textes de différentes cultures la substance rassurante de la paix pour la propager à travers les siècles à travers l'humanité. Il semble que l'identité a plus besoin de contraintes que de liberté pour épargner la vie des hommes et leur permettre de se côtoyer sans heurt.

REFERENCES

- Bekri S. « L'interaction des civilisations orientales et occidentale dans l'œuvre d'Amine Maalouf. », pp 232, 235 – 237, Thèse de doctorat. Université Aboubakr Belkaïd - Tlemcen.
- Benrebiai Mohamed Entretien avec Amin Maalouf. cf. *Maalouf, Amin le chantre de l'orientalisme et de la tolérance* dans «le quotidien d'Oran» Algérie, mardi 8 juillet 2008.
- de Gaulejac Vincent, « Identité », http://www.unig.ch/fapse/SSE/teachers/cifali/cours/vocabulaire_psychosociologie/identite_degaulejac.pdf
- Djouahir J. université de Paris-Sorbonne, (En ligne) http://www.mlfmonde.org/img/pdf19_22EF06.pdf. Marcescale consulté le 08/12/ 2008
- Edward Saïd « L'orientalisme L'Orient crée par l'Occident. » Paris, Seuil, 1980. Traduit de l'américain par Malamoud C. Postface traduite par Vauthier C. 1997.
- Ghanem Mohamed Entretien avec Amin Maalouf, «*L'identité se fait par accumulation et non pas par exclusion*» dans «Le quotidien d'Oran» Algérie, jeudi 06 juillet 2000.
- Guay Amolie, « Récit des stratégies identitaires et des défenses d'un personnel infirmier dans ses interactions quotidiennes » <http://www.archipel.uqam.ca/5310/1M12805.pdf> consulté le 12.05.2013

Jouve V., «L'effet personnage dans le roman, Paris, puf, 1992. p. 35.
Kaufman J.C.. « Il ne faut pas confondre l'identité avec l'identification ». http://cite-sciences.fr/archives/françaisala_cite/expositions/biometrie/nonvoyants/programme_detail_1_1.htm consulté le 15.09.13.

Legendre Pierre, « *Ce que l'occident ne voit pas de l'Occident* », conférence au Japon, Barcelone, Simulacra Mille et une nuits, 2004, pp 11-112.

Maalouf. Amin « Les identités meurtrières », Grasset, Paris, 1998, pp.10,137,141

Ricoeur Paul

http://www.unige.ch/fapse/SSE/teachers/cifali/cours/Vocabulaire_psychosociologie/identite_degaulejac.pdf Consulté le 15. 09.2013.

Abstacts

Mazouna and its cultural and civilizational role during the Ottoman period

Kadour Boujelal
Pr.Daho Faghrou
Université d'Oran 1

Mazouna seen a city like any other Algerian cities distinctive cultural renaissance. And thanks to the large number of cultural and religious institutions such as mosques, schools where were these institutions of the most important cultural centers of radiations.

AtThe time.And a decisive turning point in the lives of students who worked hard in the pursuit of knowledge and sophistication to the point where scientists among these institutions Mazouna school.

Le recrutement du colonialisme français des « indigènes » de l'Afrique du nord et leurs réactions

**Laaredj Cheikh
Dahou Faghrour**

Université d'Oran 1 Ahmed Benbella

Cette étude aborde la question de l'exploitation du colonialisme des peuples de l'Afrique du nord durant la période coloniale, dans ses expansions tant interne qu'externe, et dans les guerres qui ne concernaient pas ces peuples.

Cette exploitation humaine , qui a été associée à l'exploitation des biens de ces peuples , a pris une forme raciste , soit dans les méthodes de recensement militaire , sa durée , ou même les pensions destinés aux recrues, et la non reconnaissance du rôle joué par ces « indigènes » dans les différentes guerres coloniales.

Dans ce même contexte, le colonialisme a exploité les mauvaises conditions sociales des peuples d'Afrique du nord pour accroître de plus en plus , le nombre des recrues , afin de les envoyer aux fronts de bataille comme chaire à canon.

Nos peuples n'ont pu accepter ces dispositions de recrutement obligatoire, et ont eu lieu plusieurs affrontements avec le colonialisme. Ce qui a poussé ce dernier à utiliser des mesures injustes et brutales : assassinats, emprisonnements, etc..

**L'organisation militaire de la fédération
F.L.N de France**

Kernachi Imane
Université de Tlemcem
Dr.Djilali Bloufa Abdelkader
Université de Tlemcem

L'émigration algérienne en France a contribué efficacement à la révolution. Personne ne nie qu'elle avait joué un rôle important dans le combat pour la liberté du pays. Ce qui a poussé le Front de libération nationale à lui accorder beaucoup d'attention.

Le FLN s'est enraciné dans la communauté algérienne émigrée en France grâce notamment à un tissu serré de cellules de militants.

En 1958, la Fédération de France prend la décision de porter le conflit sur le territoire métropolitain.

Ainsi sont les grandes lignes que cet article met en avant.

Législation archivistique en Algérie

Dr Bahouci Rekia

Université d'Oran 1 Ahmed Benbella

La législation dans le domaine des archives est dotée d'une importance capitale, elle est considérée comme un élément essentiel pour l'adoption d'une politique archivistique nationale.

La législation peut, également, préserver le patrimoine archivistique du pays, et définir les conditions de son accessibilité ainsi que son utilisation par le chercheur ou par le citoyen ordinaire. Par ailleurs, elle définit le cadre général du fonctionnement des archives ainsi que leurs gestions, elle permet, en outre, d'attribuer les prérogatives et de déterminer les fonctions de chaque partie.

L'Algérie, comme d'autres pays du monde, possède un ensemble de législations archivistiques, Quand est-ce qu'elle a commencé à s'intéresser à ce domaine ? Quelle est la nature des textes ? Et comment s'est-elle développée ?

**Tools and search engines on the internet
and scientific researches**

Dr. Benamrouche Farida
Université d'Alger 3

This study seeks to examine the various tools and search engines on the internet, and it's also trying to identify the expertise to deal with them for scientific researches purposes

**L'utilisation des banques de données du S.N.D.L
Dans l'université algérienne**

Seghiri Miloud
Université de Biskra

La présente étude tente de connaître le degré de l'usage des bases de données du Système National de documentation en ligne (S.N.D.) par les chercheurs et étudiants des universités algériennes.

Ce système national de documentation a pour but : développer et soutenir la recherche scientifique à l'université algérienne en général à savoir la mesure dans laquelle les bases de données du système sont appliquées et investies pour soutenir et développer la recherche scientifique.

Les résultats de l'étude peuvent être utilisés par les chercheurs pour soutenir ce genre de travaux.

**Usages des NTIC par les jeunes:
Enquête dans les établissements éducatifs**

Dr. Fatima Maidan
Université d'Oran 2

Cet article vise à attirer l'attention des chercheurs, éducateurs et parents sur les dangers et dysfonctionnements de l'utilisation des NTIC par les enfants. L'idée principale se base sur deux problématiques dans la relation entre enfants et NTIC: l'usage et les gratifications .

Ces problématiques nécessitent une recherche multidisciplinaire pour mieux comprendre le comportement des enfants vis à vis des nouvelles technologies, ainsi que les effets des NTIC sur leur manière de concevoir le jeu, l'apprentissage, la culture et la communication. L'environnement technologique contemporain a imposé le clavier, la manette, la souris d'ordinateur, l'écran tactile, etc.... comme outils de communication et d'information. Ils sont de plus en plus indispensables dans la vie de tous les jours.

L'enquête menée dans des établissements éducatifs de diverses villes d'Algérie démontre que les NTIC, en prenant une place de plus en plus importante dans la vie de nos enfants qui montrent une grande aisance dans l'usage de ces outils, sont à l'origine des grands bouleversements que nous constatons, tant dans nos comportements que ceux de nos enfants écoliers et lycéens qui se retrouvent davantage exposés à ces nouvelles technologies jusqu'au point de développer, dans certain cas, une cyberdépendance partielle ou totale. Cette réalité complexe méritait d'être étudiée dans ce premier essai d'analyse.

Le concept du discours et ses attributs chez les arabes et l'occident: Approche théorique.

Dr Bergane mohammed
Université d'Oran1 Ahmed Benbella

Les divergences des chercheurs autour du concept du discours ont engendré une multitude de définitions. Chaque courant perçoit le discours selon ses références et ses écoles de pensée.

Cette contribution essaie de mettre en relief les différentes définitions du « discours » : la vision des penseurs arabes d'un côté, occidentale de l'autre côté ; en tentant d'éclaircir les points de convergences et de divergences entre elles.

L'approche théorique consiste à suivre l'évolution de ce concept et ses caractéristiques à travers le temps. « il paraît clair- comme le dit Salah Fadl- que maîtriser un champ cognitif et suivre ses parachèvements et nouveautés n'est pas chose simple, sinon presque impossible, et cela est dû au nombre presque indéfini des recherches » .

Cela nous a conduit à se focaliser, dans cet article, sur : les définitions linguistiques et d'usages du discours, les définitions du discours chez les chercheurs arabes et les chercheurs occidentaux, pour conclure sur les caractéristiques et les attributs du discours et ce qui le différencie d'autres concepts dans différents axes cognitifs.

The role of Facebook in the reinforcement of dialogue between the organization and the public

Hatem Ali Haider Essalihi
Sanaa university/ Yemen.

The study aims at monitoring and evaluating the use of the organizations, operating in Yemen, of Facebook, in strengthen the dialogue with their Publics, using the survey method, by analyzing the content of the Facebook Pages of 50 organizations in Yemen Which have been selected by using the method of the intentional sample, to evaluate their dialogic and interactive capacities through the Facebook from the perspective of the theory of the dialogic communication, the study has arrived into several results , the most important :

- Most published contents on the websites and the pages of the Facebook have focused on targeting the agents and the members of the local community, On the other hand the products and the services of the organizations have come on top of the list of these contents..
- the indications of the dialogic communications have appeared in medium degrees except The generation of return visits which has appeared in a low degree in the organizations' pages of the Facebook.
- There were significant differences between the profit and non-profit organizations in the emergence of two indicators of Ease of interface and the dialogic loop.

Les formes d'interactivité dans les sites De la presse électronique

Rabah Amar
Bergane Mohamed
Universié d'Oran 1

Internet donne une ampleur nouvelle à l'interactivité, la diffusion d'un produit écrit, agrémenté de liens hypertextes, auquel sont associés des espaces de commentaires ou des forums ou des contacts permettant aux internautes de réagir sur le contenu ,de déposer leur avis ou leur opinion ou de demander des précisions. Par-la même, la fonction communautaire du journal (et la fidélité pour la publication) se renforce, comme en témoigne la multiplication des forums de discussions, les blogs... sur les sites web des journaux.

La crédibilité des nouveaux médias Approche socio-informationnelle

Benali Semmache
Université de Batna
Dr. Samir Rahmani
Université d'Alger 3

Cet article traite d'un thème qui ne cesse de se poser depuis un certain moment dans tous les pays arabes. Ce thème se rapporte aux nouvelles technologies de l'information et de la communication, dont les réseaux sociaux et leurs impacts sur une frange très importante des populations arabes, qui sont les jeunes. Bien que ces influences soient positives (révolution dans les mœurs de la communication) ; il est très important de souligner aussi l'autre facette négative qui a comme influence : les changements qui se sont opérés au niveau du langage et du comportement (psychologique et social).

**La dimension esthétique de l'icône de l'olivier
Chez Mohamed Khadda**

Amara Kahli

Université Abdelhamid ibn Badis
Mostaganem

Cette étude traite le thème de l'olivier comme icône esthétique dans l'œuvre de l'artiste algérien Mohamed Khadda, à travers une approche esthétique de l'abstrait de la nature. L'artiste "personnalise" l'olivier dans la mesure où il possède toutes les valeurs de l'être humain, de sorte qu'il devient l'objet de l'abstraction de l'homme.

De ce fait, cette étude cherche à approcher la dimension visuelle de l'icône d'olivier comme expérience visuelle dans le tissu de la toile, ainsi que la dimension philosophique, qui détermine le sens de l'interprétation de cette expérience visuelle. Ainsi, dans cette étude nous nous contentons de lire le signe esthétique et ses compositions abstraites, avec les concepts phénoménologiques .

Le concept de mentalisation dans la théorie psychosomatique

Dr.Intissar Sahraoui

Université Abderrahmane Mira- Bejaïa

L'école psychosomatique créée par Pierre Marty, est très récente dans ses recherches qui concernent les maladies somatiques et leur prise en charge. Cette théorie se base sur des concepts essentiels pour expliquer les différents phénomènes étudiés. Elle a donné une nouvelle vision à la maladie dont elle se base sur la personne en état de santé et de maladie, durant ses différentes étapes de développement. Pierre Marty ne focale pas son attention sur la maladie, mais il s'intéresse à la personne malade, en expliquant la maladie par la qualité de mentalisation, ce concept qui caractérise le travail de l'appareil mental dans l'élaboration et l'écoulement des excitations, qui est différent d'un sujet à l'autre et chez la même personne selon les périodes de sa vie.

On se base dans notre présentation sur deux axes ; le premier concerne les principes de bases de la théorie psychosomatique, notamment la mentalisation, et le deuxième concerne la présentation d'une vignette clinique « Ghani ».